صالح الورداني

السيف والطاغوت

الحركة الإسلامية في مصر
الواقع والأزمة

رقم الإيداع: ٢٠١١/٢٠٤٧٢

الترقيم الدولي: ٠-٦٤-٥٧٥١-٩٧٧

فهرس الكتاب

تقديم
-مقدمات
. مدخل تأريخي
. تركيبة الواقع
. الطابع السلفي
الإخوان وعبد الناصر
الإخوان والسادات
الخصوم
القطبيون
التكفير
السلفيون
الجهاد
الجماعة الإسلامية
مرحلة الثمانينيات
تنظيم الجهاد
ظهور الشيعة
الإخوان ومبارك
مرحلة التسعينيات
المنطلقات العقدية
منطلق الإخوان
منطلق القطبيين
منطلق التكفير
منطلق السلفيين
منطلق الجهاد
منطلق الجماعة الإسلامية
منطلق الشيعة
حوادث الحركة
حادث المنشيه
حوادث السبعينيات
حوادث الثمانينيات
حوادث التسعينيات
-رموز الحركة
حسن البنا
سيد قطب
شكري مصطفي
عمر عبد الرحمن
ابن تيمية
مواقف الحركة
الحركة والقضية الفلسطينية
الحركة والعمل السياسي
الحركة والحريات

الحركة والخارج
الحركة والشارع
صحافة الحركة
سياسة الحكومة
الأزهر والحركة
الأزمة
المرحلة الجديدة
خاتمة
ملاحق الكتاب

تقديم /
عندما نتحدث عن الحركة الإسلامية في مصر فإن الحديث يجب أن يتركز علي التيارات التي انتهجت نهجًا سياسيًا ودخلت في صدام مع الحكم، أو ارتبطت بالعديد من الحوادث وساهمت في صنعها ..
ولقد ظلت الساحة الإسلامية في مصر حكرًا علي جماعة الإخوان منذ نشأتها في أواخر العشرينيات وحتي منتصف السبعينيات..
إلا أنه في فترة السبعينيات وحين عادت جماعة الإخوان لممارسة نشاطها من جديد،بالتنسيق مع السادات، لم تجد الساحة جاهزة أمامها، بل برزت في مواجهتها عدة تيارات تنازعها وتقف لها بالمرصاد.
في البداية حاولت الجماعة احتواء تلك التيارات وصهرها في بوتقتها، لكنها فشلت، وجاءت التطورات والتقلبات السياسية والاقتصادية التي طرأت علي الواقع المصري، وما نتج عنها من تغيرات اجتماعية وأخلاقية وفكرية في بنيته، جاءت لتزيد من تصلب موقف تلك التيارات تجاه الإخوان وتجاه الواقع وتدفع بها نحو التطرف..
إن مناخ السبعينيات أوجد حالة من التفريخ المستمر في الواقع الإسلامي، وبدا الإخوان وقد انعكست عليهم هذه الحالة في حرج بالغ أمام نظام الحكم الذي كان قد عقد الآمال عليهم في القيام بدور تجاه التيارات الإسلامية المناهضة له ولهم أيضًا، ويشهد الواقع بازدياد الفجوة، وحدة الصراع بين الإخوان وهذه التيارات ذلك الصراع الذي استمر حتي وجه السادات ضربته للحركة الإسلامية ضمن قرارات التحفظ عام ١٨,,
وجاءت الأحداث المتلاحقة في فترة الثمانينيات والتي تزعمها تيار الجهاد وافتتحها باغتيال السادات لتسحب البساط من تحت قدم الإخوان وتدفع بالحكومة لتركز جهودها نحوه..
وجاءت فترة التسعينيات لتزيد من حدة الصدام بين الحكومة وتيار الجهاد،وانعكس الوضع الأمني الناتج عن هذه الحالة علي تيار الإخوان والتيارات الأخري، ودفع بها إلي التقوقع والمراجعة, بعد أن وضعت في دائرة الشك من قبل الحكومة..
ثم دخلت الحركة الألفية الثالثة التي برز في بدايتها التيار السلفي والإخوان بقوة, واختفي تيار الجهاد,وأعلنت الجماعة الإسلامية نبذ العنف والتصالح مع الحكومة, بينما توارى التيار القطبي وتيارالتكفير..

وحين نود الكتابة عن الحركة الإسلامية في مصر فإن البداية يجب أن تكون من الخمسينيات وبالتحديد من المرحلة الناصرية، فقد دخل تيار الإخوان في هذه الفترة مرحلة جديدة..
ودخلت مصر أيضًا في نفس الفترة مرحلة جديدة..
وكلا المرحلتين انعكستا على مستقبل الحركة الإسلامية،وتولدت من خلالهما ثوابت التزم بها الحكم في مواجهتها،تلك الثوابت التي لازالت تحكم سياسة المواجهة حتي اليوم، وقد تجاوزت هذه الثوابت حدود الحركة الإسلامية لتنال من التيارات والحركات الأخري..
إن فترة الخمسينيات وطريقة معالجة المسألة الإسلامية التي تبناها عبد الناصر ألقت بظلالها علي واقعنا الذي أصبحت أحداثه وتياراته نتاجًا لها..
سياسة عبد الناصر لم تقض علي الإخوان بل أسهمت في تفريخ تيارات أشد تطرفًا وعداءً للواقع، أصبح يعاني منها الحكم والإخوان، في آن واحد..
ويمكن القول أن الفكرة الإسلامية لم تكن تحكم الصراع الذي دار بين عبد الناصر والإخوان فقد كان صراعًا من أجل الحكم..
كان عبد الناصر يريد الحفاظ علي سلطته وتحقيق طموحاته..
وكان الإخوان يريدون انتزاع هذه السلطة منه..
والحق أن كليهما ـ عبد الناصر والإخوان ـ لم يكونا مؤهلين للحكم ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي كانت تحيط بمصر آنذاك..
ولقد سقط الإخوان ضحية حسابات خاطئة وضحية خلافات داخلية، ثم ضحية الغرور حين تصورا أنهم أقوي من الجميع.
وسقط عبد الناصر ضحية سياسات خاطئة بعد أن انفرد بالسلطة ظلت تتراكم حتي كانت محصلتها سقوط عام ٧٦,,
إن الكتابة عن الحركة الإسلامية تحتاج أول ما تحتاج إلي تعايش مع واقعها وتياراتها وهذا يفرض أن تكون الكتابة بلغة ميدانية موثقة..
وقد كتب كثيرًا عن الحركة الإسلامية بمصر إلا أن هذه الكتابات كتبت بلغة أمنية تارة، وبلغة مكتبية تارة أخري،مما أفقد هذه الكتابات الموضوعية والحيادية..
وإذا كان قد قدر لي أن أعايش الحركة الإسلامية في مصر بتياراتها ورموزها وحوادثها أكثر من ثلاثين عامًا، بدأت مع نشأة التيارات الإسلامية في بداية السبعينيات، واستمرت حتي اليوم،فإن هذه المعايشة قد أتاحت لي فرصة رؤية واقع الحركة من الداخل، ومعرفة مدي المأزق الذي تعيشه علي المستوي الفكري والحركي..
وإن كانت التيارات التي تولدت من مرحلة السبعينيات قد دخلت في صدام مع الحكومة والواقع، تطور بصورة أكثر في فترة الثمانينيات والتسعينيات، فإن مثل هذه الحوادث التي ارتبطت بهذه التيارات لا تخرج عن كونها ردود أفعال لسياسة

الضغط الحكومي، ولا تنم عن تقدم فكري أو حركي في أسلوب المواجهة مع الحكم...
ولقد أسهمت سياسة الحكم بموروثات العهد الناصري في تأزيم الموقف وزيادة حدة التوتر بين الحركة والواقع..
وكان الموقف بين الحكم و الحركة الإسلامية يتلخص في كون كل من الطرفين حمل المدفع في وجه الآخربدلاً من أن يتبنى الفكر والحوار..
واستمر الحكم يواجه الحركة بعقل عبد الناصر حتى سقوط مبارك..
واستمرت الحركة تواجه الواقع بعقل السلف..
وليس هناك من وسيلة لحسم هذا الصراع إلا بتنازل كل منهما:
ـ تنازل الحكم عن العقل الناصري..
ـ وتنازل الحركة عن العقل السلفي..
والتطرف والإرهاب قد تولد من العقلين..
إلا أن دخول الحركة في دائرة الألفية الثالثة ومع المتغيرات وثورة الاتصالات دفع بتيار الجهاد ، وهو التيار الوحيد الذي يشكل خطراً على الحكم، إلى مراجعة مواقفه المتشددة وبعض أطره الفكرية..
لكن هذه المراجعة كانت مشوبة بالحذر ومنقوصة ويحكمها عقل الماضي..
وجاء سقوط حكم مبارك ليكسر حاجز الخوف ويحدث انقلاباً في الأطر السلفية التي تعد المصدر الشرعي والعقدي لتيارات الحركة..
ليندفع تيار الجهاد والتيار السلفي نحو العمل السياسي الذي كان يحرمه ويجرم أصحابه في الماضي..
من هنا كانت هذه الدراسة عن الحركة الإسلامية في مصر التي راعيت فيها التركيز على موقف كل من الحكم والحركة من خلال الوثائق المعتمدة لكليهما..
وراعيت أيضًا التركيز علي التيارات الرئيسة الفاعلة في ساحة الحركة، وإلقاء الضوء على نشأتها وواقعها ومنطلقاتها العقدية والأحداث التي ارتبطت بها، بالإضافة إلي تركيبة الواقع الذي تتحرك على ساحته والرموز التي تمثلها..
ثم اتبعنا هذا كله برؤية نقدية تعكس أزمة الحركة في مواجهة الواقع، والمخرج منها..
وأخيراً أرجو أن تسهم هذه الدراسة في تصحيح مسيرة الحركةأولاً ..
وأن تلقي القبول من أصحاب الفكر والباحثين ثانيًا..
وتجد هذه الدراسة صداها لدي التيارات الإسلامية التي تعيش بمعزل عن النقد..
ولدي الآخرين من المفكرين والباحثين الذين ينظرون للحركة الإسلامية بعيون خصومها..

صالح الورداني

saleh alwerdani @ yahoo. Com
www.faceboo.com/groups/103347299770668/
Httpwww.weghah.com

مقدمات

ـ مدخل تأريخي..
ـ تركيبة الواقع..
ـ الطابع السلفي..

مدخل تأريخي

كان اغتيال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان عام ٩٤ قد أصاب الإخوان بهزة شديدة أحدثتخللاً في بنيانها وأضعفت من قدرتها علي مواجهة الأحداث والمتغيرات اللاحقة، إذ لم تبرز شخصية قيادية فاعلة في دائرة الإخوان إستطاعت أن تسد الفراغ الذي نتج عن غياب البنا، وقد بدا لنا هذا الأمر بوضوح في الصدام الذي وقع بين عبد الناصر والإخوان بعد حادثة المنشية في ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٤ والمناوشات التي سبقتها، فلم يستطع رجل القانون حسن الهضيبي الذي تولي زعامة الإخوان من بعد البنا ،علي خلاف من قيادات الجماعة- وبتوجيه من الملك فاروق- لم يستطع الصمود بالجماعة في مواجهة رجل الحرب عبد الناصر الذي تمكن في النهاية من تصفية الجماعة والإنفراد بالحكم.(١)

ومنذ ذلك الحين تحددت العلاقة بين السلطة والتيار الإسلامي ، في دائرة رسمية تتركز في المؤسسات الدينية، التي إبتدعها عبد الناصر لسد الفراغ الذي أحدثه غياب الإخوان عن الساحة..(٢)

إلا أن هذه المؤسسات قد فشلتفشلاً ذريعًا في القيام بدورها، فلا هي استطاعت أن تستقطب الجماهير إلي جانب السلطة، ولا هي تمكنت من إضفاء المشروعية الإسلامية علي ممارسات السلطة ومواقفها..

ولقد تمثل برهان هذا الفشل في الإنتفاضة الإخوانية عام ٥٦ والتي فوجئ بها عبد الناصر وقرر توجيه ضربة قاضية للإخوان وهو في موسكو، في (أغسطس) من نفس العام..

وكانت أحداث الستينيات بزعامة سيد قطب وليدة أحداث الخمسينيات، كما أن أحداث السبعينيات هي وليدة أحداث الستينيات، علي ما سوف نبين..

من هنا يمكن القول أن أحداث الخمسينيات ألقت بظلالها علي الفترات اللاحقة، ولم يدفع عبد الناصر ثمن هذا الخطأ في علاج المسألة الإسلامية وإنما دفعه السادات من بعده..

وعندما إحتوت المعتقلات العناصر الإسلامية مرة أخري في منتصف الستينيات وصدر قرار بإعتقال كل من سبق إعتقاله بدأت تبرز بين الإسلاميين تيارات جديدة، وبدأت مؤشرات الصراع تطفو علي السطح بين الجيل القديم والجيل الجديد..

الجيل القديم المتمثل في شيوخ الإخوان وكوادرها الذين يتمسكون بالخط التقليدي للجماعة الذي وضع أسسه ومعالمه حسن البنا..

والجيل الجديد المتمثل في الشباب الذين تأثروا بأطروحات سيد قطب وأفكاره التي طرحها في كتاب معالم في الطريق..

ولقد كانت تلك هي بداية عملية التفريخ في الواقع الإسلامي بمصر، والتي فرضت نفسها نتيجة للمتغيرات السياسية والاجتماعية، التي وقف أمامها الإخوان جامدين رافضين التخلي عن خطهم التقليدي..

ومن هنا أخذ التيار القطبي يبرز تدريجيًا في هيئة كيان مستقل عن الإخوان الذين أحسوا بخطره عليهم خاصة وأنه احتوي قطاع كبير من الشباب، وعليه فقد شن الإخوان حملة إعلامية علي التيار الجديد..

وإذا كانت تلك الحملة الإعلامية قد نجحت في إعادة بعض رجال الإخوان الذين إنشقوا عن الخط التقليدي إلى صفوف الإخوان من جديد، إلا أنها لم تنجح في القضاء على التيار الجديد..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي حقيقة الخلاف الذي وقع بين تيار الإخوان وتيار قطب في تلك الفترة..؟

والإجابة باختصار: أن الخلاف كان ينحصر في الموقف الواجب اتخاذه تجاه الواقع..

رؤية الإخوان كانت تنص على أن الواقع لم يتغير كثيرًا، فمن ثم فإن موقفنا تجاهه يجب أن يبقي كما هو..

أما رؤية قطب فكانت عكس ذلك فالواقع في نظره قد انقلب رأسًا على عقب، ولم يعد يصلح في مواجهته ذلك الموقف التقليدي الذي يتبناه الإخوان..

ورؤية الإخوان الواضحة من خلال منشوراتهم، التي وضعها حسن البنا، إنما تشير إلى موقف معتدل تجاه الواقع..

ورؤية قطب إنما هى رؤية متشددةتمامًا، وهى واضحة من خلال كتابه معالم في الطريق وسائر كتبه..

ولأجل هذا أصبح التلاقي بين التيارين لا يمكن أن يتحقق إلا على حساب الآخر..

لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد فقد أخذت تبرز في الأفق معالم تيار جديد هو تيار التكفير،الذي خرج من تحت عباءة القطبيين..

وكان هذا التيار في البداية يتزعمه أحد أفراد الإخوان ثم ما لبث أن تركه ليعود إلى صفوف الإخوان وليتزعمه من بعده شكري مصطفي الذي برز كزعيم لجماعة التكفير فيما بعد.

ويمكن القول أن الوضع النفسي للإسلاميين داخل المعتقلات والمعاملة القاسية التي كانوا يعاملون بها، كان لها أثرها البالغ في بروز فكرة التكفير..

وهكذا تحولت الحركة الإسلامية في الستينيات إلى ثلاثة تيارات:

١ـ تيار الإخوان..
٢ ـ تيار القطبيين..
٣ ـ تيار التكفير..

وعلي الرغم من هذا التصدع الذي أصاب جماعة الإخوان الأم، إلا أنها بقيت الجماعة الأكبر حجمًا والأكثر وزنًا، نظرًا للدور التاريخي الذي لعبته في الواقع المصري، والعناصر القيادية المعروفة التي تتزعمها، وظل تيار التكفير تيارًا محدودًا داخل المعتقلات..

وقبيل حركة الإفراجات في بداية السبعينيات كانت الساحة الإسلامية خاليةتمامًا من أي تيار إسلامي له وزن، كما كانت مهيأة لقبول أي وافد فكري جديد يبدد حالة الركود التي كانت تسودها..

ولقد كانت النشاطات التي تجري على الساحة الإسلامية آنذاك، تحتكرها الجمعيات الأهلية كما كان هناك نشاط تقليدي محدود يجري علي ساحة الجامعة المصرية من قبل الطلاب أصحاب الإتجاه الإسلامي، والذي كان ينحصر في الأمور التعبدية والسلوكية..(٣)

كان هذا هو حال الواقع الإسلامي بمصر حتى برزت التيارات الثلاثة وبدأت حركتها على ساحته..

والحق أن جماعة الإخوان،وهي صاحبة الرصيد الأكبر من الخبرة والوعي، إستطاعت أن تستقطب القطاع الأكبر من الإسلاميين بما فيهم طلبة الجامعات، بينما كان القطبيون يمرون بمرحلة ترتيب الأوراق بعد أن ضربت قياداتهم، وكذلك تيار التكفير..

وتعود الأسباب التي أدت إلي هذا الانتشار الساحق لجماعة الإخوان في بداية السبعينيات إلي الأسباب التالية:

١ ـ رصيد الجماعة التاريخي..

٢ ـ الرصيد الدعائي الذي سبقها إلى الساحة..

٣ ـ بقايا الرصيد الشعبي المتعاطف مع الإخوان..

لقد كان هذا التحرك من قبل الإخوان متعجلاً، ولم يعطها فرصة دراسة الساحة دراسة جيدة، فبعد مضي فترة لا تزيد على العامين بدأ الإخوان يواجهون المصاعب من تيار التكفير وتيارات أخري، وجاءت عملية الفنية العسكرية عام ٤٧ لتبرز تيارًا جديدًا بدأ يأخذ مكانه بين التيارات المعادية للإخوان ذلك هو تيار الجهاد..

وكانت مرونة الإخوان وانفتاحهم على الواقع قد أدي إلى اصطدامهم بالتيار السلفي المتشدد في القضايا التراثية، والذي كان يهيمن على أغلب النشاطات الإسلامية التي سبقت ظهورهم، ومن جهة أخري فقد كان هذا التشدد من قبل التيار السلفي، بالإضافة إلي الطابع السلفي الذي يصبغ الشخصية المصرية، من العوامل الأساسية التي ساعدت تيار التكفير على الانتشار في واقع العمل الإسلامي بمصر، حتي أنه أصبح يلاحق الإخوان في كل مكان، وقد استطاع التغلغل في الجامعة المصرية..

إن الجيل الإسلامي الذي كان يتحرك على الساحة الإسلامية في الفترة التي سبقت خروج الإخوان من المعتقلات لم يكن يدرك حقيقة الخلاف بين تيار قطب وبينهم، وقد كان يتصور أن فكر سيد قطب هو إمتداد لفكر الإخوان ويتفق مع أصوله وقواعده، ولما كان ذلك الجيل قد تشبع بفكر قطب ،وانفعل به أكثر من انفعاله بفكر البنا، أضطر الإخوان في بداية تحركهم في الساحة أن يلعبوا علي الوتر القطبي لفترة من الزمن، لكنهم كانوا يمارسون هذه اللعبة بحذر بالغ ..

وفي مواجهة تيار التكفير أبرز الإخوان كتاب **(دعاة لا قضاة)** المنسوب للهضيبي مرشد الإخوان..

وفي مواجهة التيار السلفي والطبيعة السلفية التي تتحكم في شخصية الفرد المصري أضطر دعاة الإخوان البارزين إلى تبني بعض القضايا التراثية، وتقمص المظهر الإسلامي(٤)..

ولكن هذا كله لم يحدث الأثر المطلوب، وأخذت التيارات الأخري في الإنتشار وفي مقدمتها تيار التكفير..

ثم جاءت حادثة اختطاف الشيخ الذهبي، والتي قامت بها جماعة التكفير لتقدم خدمة جليلة لجماعة الإخوان والتيارات الأخري المعادية للتكفير، فقد أصابت تلك الحادثة جماعة التكفير بهزة شديدة..

وكان إعدام شكري مصطفي مع أربعة من أهم (كوادر) جماعته يمثل ضربة قاضية لها أدت إلي تصدعها وانشقاقها إلى عدة مجموعات، كما أدت إلى خروج الكثير من العناصر وارتدادهم عن تيار التكفير..

إلا أن تلك الخدمة لم تكن لوجه جماعة الإخوان علي ما يبدو، التي تستطع أن تستثمرها لصالحها بصورة كاملة. فأغلب الذين انشقوا عن تيار التكفير لم ينتموا إلي صفوف الإخوان، والذين كانوا من بين عناصرهاسابقًا لم يعودوا لها بل احتواهم التيار السلفي وبعضهم انتمي للتيار الشيعي فيما بعد..

ومرة أخري برز تيار الجهاد على السطح في هيئة مجموعة كان أغلب أفرادها من بين العناصر التي تم الإفراج عنها في قضية الفنية العسكرية، لكن هذه المجموعة لم تكن بذات الحجم المؤثر الفعال، كما لم تقم بعمل صدامي في مواجهة السلطة، فقد كانت عبارة عن تجمع قام لإحياء فكرة الجهاد، وكان لم يزل نواة استأصلتها أجهزة الأمن علي الفور..

ثم جاءت من وراء تلك المجموعة مجموعة أخري ظهرت في عام ٩٧٩١ وكانت تضم بعض عناصر المجموعة السابقة إلا أنها لم تتح لها فرصة القيام بأي تحوك في مواجهة الواقع..

كل هذا كان يجري بينما التيار القطبي يعمل في صمت إلى أن تم اكتشافه، وضربه ضمن الضربات المتلاحقة التي تلقتها الحركة الإسلامية بعد حادث المنصة في عام ١٨,,

ولقد تميزت مرحلة الثمانينيات بكثرة الحوادث والصدامات بين التيار الإسلامي والحكومة، وإن كانت هذه الحوادث لم تأخذ البعد الأمني والتنظيمي الفعال الذي شكل خطرًا علي نظام الحكم..

والملاحظ في فترة الثمانينيات بروز أكبر لجماعة الإخوان على ساحة الواقع، يقابله بروز للجماعة الإسلامية الجهادية

تمثل في كم ضخم من المنشورات والارتباط بأغلب الأحداث التي وقعت من بداية الثمانينيات ..
كما يلاحظ أيضًا أن الأطر الفكرية للتيارات كما هي لم يحدث بها أي تغيير..
و الحدث الجديد في فترة الثمانينيات، والذي أحدث هزة فكرية في واقع الحركة هو ظهور التيار الشيعي، بالإضافة إلى بعض الظواهر الجديدة سوف نعرض لها فيما بعد..

تركيبة الواقع

إن البداية الطبيعية لفهم الحركة الإسلامية في مصر هي فهم الواقع الذي تتحرك على ساحته، فمن الصعب علينا التعرف علي الحركة دون إلقاء نظرة على الواقع ..

وقد انعكس الواقع المصري على الحركة الإسلامية، وبدت آثار هذا الانعكاس واضحة على مواقفها وممارستها، ولا نكون مبالغين إذا ما قلنا إنه لا توجد حركة على مستوي العالم الإسلامي تطبعت بواقعها مثل الحركة الإسلامية في مصر..

من هنا كان لابد من إلقاء الضوء علىهذا الواقع كمدخل لفهم الحركة وتكوينها الفكري والتنظيمي..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : ما هي تركيبة الواقع المصري، وما هي أبرز معالمه..؟

والحق أن الواقع المصري يتميز بالبساطة الشديدة في تركيبته، فهو لا يحمل بين جنباته أية صورة من صور التناقض العقدي، ولا وجود لفكرة الطائفية في ساحته، وتلك هى أبرز معالمه..

إن الاستقرار العقدي للواقع يعد من العوامل الأساسية لنهوض الحركة الإسلامية وثباتها، فالحركة الإسلامية في مصر حركة سنية المذهب، ولا تواجه أي تحد مذهبي آخر علي ساحتها، ولا يشغلها أمر الصراع المذهبي، وهو غير وارد عندها..

ومن المعلوم أن الصراع المذهبي يشكل عائقًاخطيرًا في طريق نهوض أية حركة وثباتها واستقرارها على ساحة الواقع، وهو معوق ملازم لها طوال مراحل تحركها، سواء قبل التمكين وإقامة الدولة أو بعدها..

ومن المعالم البارزة الأخرى للواقع المصري قابليته للتفاعل مع الحركة الإسلامية دون معوقات، ولعل هذا الأمر يعود إلي طبيعة الشعب الذي يتميز بعاطفة قوية نحو الإسلام تتيح له فرصة التفاعل السريع مع الحركة الإسلامية..

ولقد كانت ولاتزال تلك العاطفة إحدى الأسباب الرئيسة المباشرة في الانتشار الشعبي الساحق للتيار الإسلامي في مصر..

إلا أن قابلية الشعب المصري للتفاعل مع الحركة الإسلامية تمثل سلاحًا ذو حدين، فهذه القابلية في صالح الحركة وفي صالح نظام الحكم في آن واحد، فكما أن الحركة تستطيع أن تستقطب أعدادًا هائلة من أفراد الشعب إلي صفها في فترة قياسية، يستطيع النظام أيضًا أن يحتوي تلك الأعداد ويستميلها إليه، بل ويدفعها إلي معاداة الحركة الإسلامية باستخدام نفس السلاح الذي استخدمته وهو سلاح الدين..

وأمامنا تجربة الإخوان في الواقع المصري، وقد استطاعوا أن يستقطبوا الملايين إلي صفوفهم غير أن هذه الملايين اختفت حين ضربوا، وتحول قطاع كبير منها إلي معاداتهم،مناصرًا نظام الحكم آنذاك..

ولم يقتصر أمر معاداة الإخوان ومناصرة نظام الحكم علي الأفراد العاديين بل شمل كوادر هامة وعناصر قيادية من أعضاء مجلس الإرشاد الذي يعد بمثابة مجلس الشورى في جماعة الإخوان..

والمتأمل في واقع الحركة الإسلامية في مصر سوف يلاحظ أن السمة الغالبة عليها هي الإعتدال، فأغلب التيارات الإسلامية العاملة في دائرتها تيارات فكرية لا تتبني مواقف حركية متطرفة تجاه الواقع أو نظام الحكم، وسبب ذلك يعود إلى انعكاس تركيبة الواقع وطبيعة الشعب علي واقع الحركة، فالواقع المصري واقع مستقر تاريخيًا، وصور العنف أو الصدامات المسلحة التي وقعت على ساحته قليلة ومحدودة، لذا فإن القلاقل والثورات أمر شاذ بالنسبة إليه..

وقد يكون مرد ذلك عائد لطبيعة الشعب التي تميل إلى الاعتدال وتنبذ التطرف، وتخشى إراقة الدماء واستخدام القوة حتى ولو كانت ضد قوى تستعبدهم وتسترقهم، فالفرد المصري يفضل الصبر عن الثورة والصدام مع الذين يستذلونه ويستعبدونه..

ونظرًا للنشأة التاريخية للواقع المصري، وكونه قد حكم لفترات تاريخية طويلة بقيادات وافدة عليه من الخارج، وليست نابعة من وسطه، تلك القيادات التي ختمت بأسرة محمد علي، فإن هذه النشأة لها انعكاساتها النفسية علي الشعب، وهي تكشف لنا الجانب السلبي في شخصيته، وعليه فقد تأثرت الحركة بهذا الوضع، وبدا أثره واضحًا علي تصورها وسلوكها ومواقفها في مواجهة الواقع والأحداث..

وربما كانت تلك النشأة التاريخية لها أبعادها الفكرية و(الأيديولوجية) التي دفعت بأفراد الشعب المصري بعيدًا عن السياسة ليركز كل اهتمامه في لقمة العيش، وليعيش في عزلة شعورية عن واقعه، مما أفقده عامل الوعي السياسي..

ولأجل افتقاد الواقع المصري إلى الخبرة الثورية..

ولأجل طبيعة الشعب التي تجنح إلى اللين وتنبذ العنف..

ولأجل النشأة التاريخية التي قتلت في نفس الفرد المصري روح الوعي والإهتمام بواقعه..

لأجل هذا كله شبت الحركة الإسلامية في هذا الوسط وهي تفتقد إلي الخبرة والتجربة وتفتقد إلى الوعي السياسي كما تفتقد إلي (الكوادر) الفعالة..

وإذا كانت الحركة الإسلامية في مصر تتميز بالثقل الجماهيري، فإن هذا الثقل يفتقد إلى الفعالية والوعي والتنظيم الذي من الممكن أن يصل به إلى مستوي حركي فعال..

ولعل الوزن الجماهيري الضخم الذي حصلت عليه جماعة الإخوان في مصر، والذي حالت الطبيعة المصرية دون استثماره على الوجه المطلوب، لو تحقق لحركة من الحركات الإسلامية في أي قطر خارج مصر لكان من الممكن أن يكون لها شأن آخر..

إن افتقاد الوعي السياسي والخبرة الحركية لدي الفرد المصري قد حال بينه وبين تفهم واقعه، كما حال بينه وبين اتخاذ الموقف الإيجابي في مواجهته..

وإن تركيبة الواقع جعلت من الحركة الإسلامية في مصر نموذجًا مختلفًا عن بقية الحركات الإسلامية في الأقطار الأخرى ووضعتها في موضع الحركة المتخلفة فكريًا وسياسيًا وتنظيميًا..

ولقد أدي افتقاد الوعي من واقع الحركة إلي بروز عدة عناصر لا وزن لها سياسيًا أو فكريًا وهيمنتها على مركز الصدارة والتوجيه في ساحتها، وقد ساعدت سمة العاطفة التي يتميز بها الفرد المصري على تمكين تلك العناصر وتثبيتها..

ومن الملاحظ في واقع الحركة الإسلامية بمصر أن ساحتها تكتظ بكثير من الدعاة والشيوخ الذين يلتف الناس من حولهم وفي مقدمتهم عناصر الحركة، دون أدني نظر لمقوماتهم ومؤهلاتهم القيادية وفعاليتهم..

و من الممكن لخطيب منبري عادي أن يتحول إلى شخصية جماهيرية ذات وزن شعبي كبير في ساحة الحركة ، وذلك بمجرد أن يهاجم نظام الحكم في خطبة، ويعتقل ولو لمدة قصيرة، فسرعان ما تتعاطف معه الجماهير وتلتف حوله..

لكن الشخصيات الإسلامية ذات الوزن الشعبي في مصر لم تفكر مطلقًا في استغلال شعبيتها للصدام مع الحكم، وسبب ذلك يعود إلى كونها تفتقد مقومات الزعامة،ويعودأيضاً إلى الطبيعة المصرية المصابة باليأس من إمكانية نجاح أي حركة تغيير..

وهذا بالإضافة إلى كون هذه الشخصيات تميل إلى استغلال شعبيتها في دائرة النشاط البياني والإعلامي العلني البعيد عن صور الاحتكاك والاستفزاز لنظام الحكم..

وإذا ما جاء دور الحديث عن الحالة الاقتصادية للواقع المصري فسوف نرى بوضوح مدى انعكاس هذه الحالة علي الحركة الإسلامية..

إن حالة الفقر والبؤس والشقاء التي يعيشها الشعب المصري قد أفقدته الاهتمام بواقعه، كما ذكرنا، وفي نفس الوقت أثرت سلبيًا على موقفه تجاه الواقع وتجاه الحركة ..

ومثلما أثر الوضع الاقتصادي على سلوك الفرد وموقفه وحتى فكره وتصوراته، أثر في نفس الوقت علي كيان الحركة وتصورها ومواقفها تجاه الواقع، فإن الحركة التي تنشأ في واقع فقير لابد وأن تكون فقيرة، ولابد لحالة الفقر هذه من أن تطوق آمالها وطموحاتها وممارستها، وهذا هو واقع الحركة الإسلامية في مصر. إلا أنه علي الرغم من ضعف الإمكانيات وشدة وطأة المشكل الاقتصادي، فقد استطاع تيار الجهاد أن يقوم بعملية اغتيال السادات وأحداث أسيوط ..

لكن ذلك كان طفرة حركية، ولا يجوز أن يتخذ كدليل علي أن الحركة يمكنها تحطيم المعضل الاقتصادي والتحرر من قيوده، وأن هذا المعضل لا يحول بينها وبين الانطلاق والمواجهة..

ومسألة نجاح تيار الجهاد في تحقيق بعض الإنجازات الحركية على الرغم من ندرة الإمكانيات تقودنا إلي إلقاء الضوء علي قضية هامة تتصل بتركيبة الواقع المصري،وهي قضية يمكن تسميتها بالمأزق الأمني، فإن أخطر انعكاسات العامل الاقتصادي، بالإضافة إلي ما سبق ذكره، هو أنه زعزع التركيبة الأمنية للواقع وفتح به الكثير من الثغرات التي أتاحت ـ ولا تزال ـ للحركات المناهضة له استغلالها في ضربه والنيل منه..

وفي مصر لا يوجد ترابط(أيديولوجي) بين الحكم والجماهير،أو بين الحكم ورجاله، والرابطة الوحيدة التي تربط بينهما هي لقمة العيش، وتلك هى نقطة الضعف الرئيسية في كيان الواقع والحكم..

ولا يفوتنا هنا الحديث عن موقف الحركة من نظام الحكم، وهل هو موقف مرتكز على عمق (أيديولوجي) نابع من الإسلام، أم هو موقف مبني على حالات طارئة كاعترافه بالكيان الصهيونيمثلاً ..؟

والإجابة قد تكون مفاجأة للمراقبين، وحتى للإسلاميين البعيدين عن الواقع، فهذه الحركة لا تملك حتى الآن نظرية عدائية واضحة تجاه الواقع، فأغلب التيارات العاملة في الحقل الإسلامي بمصر ، كما ذكرنا، هي تيارات فكرية، أي لا تميل إلى العنف، وهذا الموقف نابع من تركيبة الواقع وطبيعة الشعب..

وحتى تيار الجهاد الذي اصطدم بالحكم، وحمل السلاح في مواجهته، لم تتبلور نظريته العدائية تجاهه إلا في فترة متأخرة كما أن هذه النظرية كانت تفتقر إلى النضج السياسي، وإلى المقومات التي تمنحها الاستمرارية في المواجهة على ما سوف نبين عند الحديث عن تيار الجهاد..

إن الموقف العام للحركة الإسلامية في مصر من الواقع هو موقف نابع من التراث، بمعني أن التيارات الإسلامية المختلفة قد تجيز تكفيره والخروج عليه على أساس من نصوص الشرع وما أفتى به فقهاءالسلف، وقد تحكم له بالإسلام وجواز الاعتراف به على نفس الأساس ..

ومن هنا فنحن نري كتيب **(الفريضة الغائبة)** الذي قام بتأليفه المهندس محمد عبد السلام فرج أحد الخمسة الذين أعدموا في قضية إغتيال السادات، والذي يعد وثيقة التنظير (الأيديولوجي) الوحيدة لتيار الجهاد، سوف نري أن طابع ذلك الكتيب هو طابع تراثي بحت، ويحمل الكثير من فتاوى فقهاء الماضي التي تتعلق بمسألة الصراع مع الحكام، واستحلال الدماء والأموال..

وارتباط الحركة الإسلامية في مصر بالتراث، وإن كان أحد السمات البارزة لها، إلا أنه يعكس مدي تأثير الشخصية المصرية على واقعها، فالفرد المصري المتدين ذو طابع سلفي، أي أن تدينه تدين تراثي، وليس تدينًا سياسيًا، وهو ما جعل نظرته للأمور والأحداث نظرة تراثية، وهو يتقمص شخصية السلف في مواقفه وتحركاته، وحتى في مظهره ..

ولقد أدى هذا الأمر بالفرد المسلم في مصر إلي العزلة عن الواقع شعوريًا، والعيش في ظله بعقل الماضي،مما أفقده القدرة على تقييم الأحداث والمتغيرات التي تحيط به وبحركته التقييم السليم،كذلك ساعد فقدان الوعي السياسي لديه على تزكية نظرته الانعزالية تجاه الواقع، وقد يفسر لنا هذا الأمر سر حالة الإخفاق الدائمة التي تلاحق تيار الجهاد في مصر كلما نهض وتحرك في مواجهة الواقع ..

وعلي الرغم من تلك المظاهر السلبية التي يتحلي بها الفرد المصري، والتي هى في الأساس نابعة من تركيبة الواقع، وقد انعكست تلقائيًا على حركات التغيير في ساحته،على الرغم من ذلك فإن هناك استثناء يرتبط بصورة من صور القبلية السائدة في مصر، والتي نراها واضحة في عملية تقسيم المجتمع المصري إلى وجه بحري، ووجه قبلي..

وهذا التقسيم ليستقسيمًا جغرافيًا بقدر ما هو تقسيم عقدي وثقافي ، وهو ما أدى إلى اختلاف مقومات الشخصيتين الصعيدية و البحرية، وكلاهما ضدان في كثير من الطبائع وحتى في مجال التدين، فالفرد الصعيدي يأخذ الدينأخذًا متشددًانظرًا لطبيعته الخشنة المتميزة بالكبرياء الزائد والإباء والصلابة..

أما أفراد الوجه البحري فيأخذون الدينأخذًا ليِّنًا ، وهم على العكس من أبناء الصعيد، وعلى هذا الأساس فإن قابلية الصدام مع الواقع من قبل أبناء الصعيد أكثر سهولة من أبناء الوجه البحري..

والجدير بالذكر هنا أن هذا الأمر يزعج الحكم كثيرًا، ويجعله في قلق دائم تجاه الصعيد، لأجل ذلك فالعنصر الصعيدي متحرر نسبيًا من ضغوط الواقع، ولديه المقدرة على التحرك بصورة أكثر فعالية، في ميدان الحركة الإسلامية، إلا أنه يشترك مع أبناء الوجه البحري في صفة إنعدام الوعي السياسي والتمسك بالطابع السلفي، بل ربما يكون الفرد الصعيدي أكثر تشددًا في التمسك بهذا الطابع..

واستثناء الفرد الصعيدي من بين بقية قطاعات الشعب المصري التي تأثرت بتركيبة الواقع وتطبعت بها إنما هو استثناء حذر، ولا يعني تحرر الفرد الصعيدي من السمات الثابتة للفرد المصري، وفي مقدمتها سمة العاطفة الفطرية، التيكثيرًا ما تلعبدورًاخطيرًا في واقع الحركة..

ولقد كانت العاطفة ولا تزال من جذور التناقض في الواقع الإسلامي بمصر، فهي قد أفقدت الفرد القدرة على تقييم الأمور وتحديد هوية العناصر البارزة في ساحة الحركة الإسلامية، ومن جانب آخر أفقدته الأسلوب التنظيمي السليم لانتقاء الأفراد الصالحين للعمل في دائرة الحركة..

طبيعة الشعب

ويعد الشعب المصري من أكثر شعوب الشرق تدينًا ولعب الدين في تاريخ مصر دورًابارزًا، إلا أن تمسكه بهذا الدين وتفاعله معه كانتفاعلاً لا يتجاوز حدود الفطرة، بمعني أن تدينه لم يكن تدينًا سياسيًا (ديناميكيًا)، وإنما انحصر في الأمور العقدية والتعبدية..

ولعل هذا يفسر لنا الانتشار الشعبي الساحق للطرق الصوفية بين أوساطه..

وإذا ما اتخذنا الدين كمقياس لإلقاء نظرة اجتماعية على واقع الشعب المصري فسوف نريمثلاً أن نسبة الذين يشربون الخمر ضئيلة جدًا بالقياس لعدد الشعب، وكذلك الذين يرتادون دور اللهو والأماكن الإباحية يعتبر أكثر ضآلة، وتغلب عليهم العناصر الأجنبية، وهذا الموقف الذي يتخذه أفراد الشعب تجاه الحانات أو دور اللهو إنما هو موقف فطري يمليه عليه تدينه..

ولقد تطور ذلك الموقف ليلعبدورًا سلبيًا في حياة الشعب إذ تحول التدين إلي وسيلة تصبره على الوضع المعيشي وحالة البؤس والشقاء التي تظلل واقعه..

ومن يشاهد ذلك الكم الهائل من المصريين الذين يتوافدون علي المساجد في يوم الجمعة ، وفي صلاة العيد التي تقام في كل عام ربما يعتقد أن الشعب المصري سوف يفرض الإسلام على ساحة الواقع من الغد، لكن الأمر غير ذلكتمامًا، فتدين المصريين تدين أجوف، وليست له أبعاد سياسية..

ومن هنا فقد شكل هذا الأمر، رصيدًا للحركة الإسلامية يمكن أن يستثمر لصالحها، ويمكن أن يستثمر ضدها في نفس الوقت، فالتدين الفطري يساعد الحركة على التغلغل وسط الجماهير، واستقطاب العناصر الصالحة للانتماء إلى صفوفها من بينها، وتهيئتها إعلاميًا لتقبل فكرة الإسلام السياسي، لكنه ــ أي التدين ــ في الوقت ذاته، يشكلمعوقًا أمامها، إذ أن الجماهير في حالة قبولها إدخال الإسلام إلي المعترك السياسي، سوف تقف به عند حد معين يتلاءم مع فطرتها وطبيعتها. مما يتيح لها فرصة التخلي عن الحركة إذا ما تجاوزت بالإسلام ذلك الحد..

إن الحركة الإسلامية في مصر ترتبط بطبيعة الشعب إرتباطاً وثيقًا، وهذا الإرتباط إنما يمليه الواقع التاريخ لهذا الشعب. وهو الذي يجعل كفتها راجحة شعبيًا في مواجهة التيارات السياسية الأخري..
والحركة الإسلامية حتى الآن لم تستطع استثمار التعاطف الجماهيري معها نظرًا لافتقادها الكوادر الواعية التي يمكن أن يقوم على كاهلها هذا الدور..
وهنا يتجلي لنا بوضوح مدي ما تشكله طبيعة الشعب من معوق في طريق الحركة، فانعدام الوعي السياسي والخبرة الحركية لدي أفراد الشعب المصري قد انعكس علي واقع الحركة وأدي إلي ندرة الكوادر الفعالة في ساحتها، مما أظهرها بمظهر الحركة الجوفاء تنظيميًا، والتي تتقدم على الطريق في خطوات متعثرة، كما أن الطبيعة السلبية لأفراد الشعب وميله العاطفي نحو الاعتدال قد طوق مسيرة الحركة، وأضاع عليها الكثير من الفرص السياسية لتحقيق وجود أكثر فعالية لها علي ساحة الواقع..
وظاهرة التطرف الحركي في الواقع المصري إنما هي طفرة بالنسبة لطبيعة الشعب التي تنبذ العنف، وهي قد حصرت التيار الجهادي في ركن صغير ليصبح من أقل التيارات الإسلامية العاملة في الحقل المصري حجمًا ووزنًا..
ولعلنا هنا نوجز أهم ملامح الشعب المصري التي تبرز طبيعته، نلخصها في النقاط التالية:

١ ـ التدين الأجوف..

٢ ـ العاطفة الشديدة التي تذبذب مواقفه تجاه الحركة الإسلامية..

٣ ـ سهولة الاحتواء من قبل السلطة..

٤ ـ إنعدام الوعي والإهتمامات السياسية..

٥ ـ الإعتدال السلبي..

ومن الواضح أن تلك الملامح لها انعكاساتها السلبية على واقع الحركة الإسلامية وهى تعدمدخلاً أساسيًا لفهم التناقضات القائمة علي ساحتها..

العامل الاقتصادي

إن الحديث عن تأثير العامل الاقتصادي على كيان الحركة الإسلامية وممارستها ومواقفها يفرض أمامنا السؤال التالي:
هل الحركة الإسلامية في مصر فقيرة حقًا..؟
والإجابة ببساطة أن الحركة الإسلامية اليوم أصبحت تتكون من قطاعين:

ـ قطاع يتميز بالثراء الفاحش..

ـ وقطاع يتميز بالفقر الشديد..

أما القطاع الثري فيضك جماعة الإخوان التي أحدثت طفرة اقتصادية في عصر السادات والعصر الحالي، وأصبحت تملك الشركات الضخمة والفنادق والبنوك ودخل الكثير من رجالها عالم المليونيرات. ويلي جماعة الإخوان التيار السلفي الذي برز في عالم المال عن طريق تأسيس الشركات المساهمة وإستثمار الأموال. كما برز أيضًا في تجارة الكتب التراثية وإنتاجها بدعم من السعودية التي تقف وراء التيار السلفي في مصر وفي بقاع أخري من العالم الإسلامي.
وأما القطاع الفقير فيضم تيار الجهاد والتكفير والجماعة الإسلامية.
وعلي ضوء ما سبق يمكن القول أن الحركة الإسلامية في مصر فقيرة حقًا إذا إعتبرنا أن الممثل الحقيقي لها هو القطاع الفقير لثباته وإلتزامه بنهج التغيير. بينما القطاع الآخر قد دفع به الثراء إلي ميادين ونشاطات أخري بعيدة عن مجال الحركة والتغيير علي الرغم من إدعائه أنه لازال علي خطه الأول ولم ينحرف عن دائرة الحركة الإسلامية. إلا أن ما نريد كشفه هنا هو تأثير العامل الاقتصادي علي واقع الحركة الإسلامية من جانبين:

الأول: جانب القطاع الثري.

والثاني: جانب القطاع الفقير.

وبالنسبة للجانب الأول فقد أدت الطفرة الاقتصادية لتيار الإخوان والسلفيين إلى انعكاسات خطيرة على التيارات الأخرى أثرت على كيانها ومواقفها تجاه الواقع، تلك الانعكاسات التي يمكن تلخيصها في الأمور التالية:

١ ـ شكل عامل الثراء نقطة جذب للتيارات الفقيرة ودفعها إلى محاولة دخول عالم التجارة والمشاريع في هيئة نشاطات صغيرة محدودة..

٢ ـ محاولة تيار الإخوان وتيار السلفيين إستدراج عناصر التيارات الأخرى إلى صفيهما عن طريق الإغراء المادي..

..٣ ـ شغل الإسلاميين بنشاطات اقتصادية تستنفذ طاقاتهم وجهودهم بعيدًا عن ميدان العمل السياسي

وبالنسبة للجانب الثاني وهو تأثير الواقع المصري الفقير، فقد تحدثنا عن جانب منه فيما سبق لكننا سوف نتحدث هنا عن تأثيره على الوضع الأمني والتنظيمي للحركة الإسلامية،فمن الناحية التنظيمية تسبب العامل الاقتصادي في تفلت الأفراد من التيارات نظرًا لافتقاد هذه التيارات إلى الإمكانيات اللازمة، والتي يمكن من خلالها إقناع الأفراد بجدية التيار وقدرته علي الاستمرار..

وهو ما جعل التيارات الإسلامية الصغيرة في مصر اليوم تقف أمام عدة خيارات:
ـ إما أن تمضي نحو هدفها على الرغم من الصعوبات البالغة التي تواجهها بسبب انعدام الإمكانيات..
ـ وإما أن تنطوي تحت راية الإخوان وتنصهر في بوتقتها..
ـ وإما أن تحل نفسها..
وإذا ما نظرنا إلي تأثير الواقع المصري الفقير على الوضع الأمني للحركة الإسلامية فسوف نري التيارات الإسلامية تعيش حالة من التفكك الداخلي يهددها بالسقوط فريسة للقوي المتربصة بها، وذلك بالإضافة إلى أن العامل الاقتصادي قد أربك سلوك الأفراد المنتمين لتلك التيارات على ساحة الواقع فهم يكابدون وسط الجماهير الكادحة، ويزاحمون في المواصلات، ويعانون معاناة المواطن العادي، وهذا الأمر لا يتلاءم مع فرد ينتمي لحركة ناهضة أمنيًا، وقد يوقعه في أخطاء من الممكن أن تشكل خطرًا على تياره..
ومن خلال ما ذكرنا فإن العامل الاقتصادي يشكل عائقًا في طريق الحركة الإسلامية من عدة جوانب:
١ ـ الجانب الأمني..
٢ ـ جانب الاحتواء من قبل الواقع ومن قبل التيارات الغنية ماديًا كالإخوان..
٣ ـ جانب الفكر والسلوك..

الجمعيات الأهلية

في مصر اليوم آلاف الجمعيات الأهلية ما بين ثقافية واجتماعية ودينية، منها ألف وخمسمائة جمعية دينية..(٣)
وقد لعبت الجمعيات الدينية ـ بطريق غير مباشر ـ دورًا هامًا في واقع الحركة الإسلامية، فمعظم عناصر التيارات الإسلامية قد مرت على تلك الجمعيات، وفي مقدمتها الجمعية الشرعية التي احتمى بها العديد من عناصر الإخوان بعد تصفية الجماعة..
وجماعة أنصار السنة التي تعد البذرة الوهابية الأولى في مصر والتي ترفع شعار السلف مما ساعدها على استقطاب الشباب المسلم في بداية نشأة التيارات الإسلامية بفترة السبعينيات..(٤)
ولأن المسجد يلعب دورًا خطيرًا في تنشئة العناصر الإسلامية وتعبئتها في مصر، فإن تلك الجمعيات قد أرغمت علي أن يكون لها دور في واقع الحركة الإسلامية- خاصة الجمعية الشرعية- التي تسيطر على عدد هائل من المساجد يفوق ما تملكه وزارة الأوقاف..
ونظرًا لكون التيارات الإسلامية ـ باستثناء تيار التكفير الذي لا يجيز الصلاة في المساجد ـ تقاطع المساجد الحكومية، فمن ثم إتجهت عناصر الحقل الإسلامي نحو مساجد الجمعيات وتمركزت فيها، وإتخذتهامقرًا لنشر دعوتها..(٥)
من هنا كان ارتباط الجمعيات الأهلية بالحركة الإسلامية، وإن كان هذا الإرتباط غير مباشر إلا أنه ألقي الضوء على تلك الجمعيات وفتح عليها أعين السلطة..
وإذا كان تيار التكفير يعتقد أن جميع المساجد ضرار لا تجوز الصلاة فيها، فإن التيارات الأخرى تصدر نفس الحكم على مساجد الدولة، ولكن ليس من منطلق التكفير، بمعني أنها من الممكن أن تتجاوز هذا الحكم إذا ما وجدت من بين تلك المساجد مسجدًا تمارس فيه الشعائر حسب قواعد السلف، وتتاح لها فرصة الحركة والنشاط في دائرته..
إن معظم الدعاة البارزين في ساحة الحركة الإسلامية بمصر ـ إن لم نقل جميعهم ـ كانوا يمارسون نشاطهم ـ الخطابة والدروس ـ من خلال مساجد الجمعيات الأهلية، وقد انجذبت وراءهم عناصر التيارات الإسلامية، لتعطي لهذه الجمعيات ثقلاً سياسيًا يظهرها بمظهر لا يتلاءم مع خطها التقليدي، الذي لا يتجاوز حدود العبادات والأمور الهامشية في الإسلام، والذي بنيت علي أساسها فكرتها وحصلت بموجبه علي ترخيص مزوالة النشاط من الحكومة..(٦)
ولقد أتاحت عملية الافتقار إلي الدعاة التي تعاني منها الجمعيات الأهلية ووزارة الأوقاف أيضًا ـ الفرصة لعناصر التيارات الإسلامية المختلفة للتغلغل في هذه الجمعيات والاشتراك في إداراتها،فضلاً عن تولي أمر الدعوة والتوجيه بمساجدها..
وكان هناك عدد كبير من المساجد الأهلية التي تتولى إداراتها والخطابة فيها عناصر من تيار الجهاد والجماعة الإسلامية والسلفيين، كما أن بعض التيارات الإسلامية كالإخوان قد أصبح لها مساجدها الخاصة وجمعياتها الخاصة أيضًا..(٧)
وكانت بعض الجمعيات الإسلامية قد تم التحفظ عليها بقرارات سبتمبر التي أصدرها السادات نظرًا لقيامها بنشاطات سياسية تتناقض مع الدور الذي قامت لأجله، وفي مقدمة تلك الجمعيات جمعية الهداية الإسلامية في السويس التي يرأسها الشيخ حافظ سلامة أحد دعاة الحقل الإسلامي البارزين والتي استردها فيما بعد بحكم قضائي..
إن فقد ثقة الإسلاميين في رجال الأزهر الذين يتولون الدعوة والخطابة في مساجد الدولة كان من العوامل الرئيسة في ابتعادهم عن مساجدها، كما أن انتشار مساجد الجمعيات الأهلية في الأحياء الشعبية جعلها تقترب من القاعدة الإسلامية التي تتمركز في هذه الأحياء..
وبعد حادث المنصة والأحداث التي تلته اكتشفت أجهزة الأمن أن تيار الجهاد كان يستغل بعض الجمعيات والمساجد في أماكن متفرقة للتدريب على السلاح والرياضات العنيفة ،وقد تم القبض علي عدد كبير من المواطنين ممن يداومون علي الصلاة في تلك المساجد للتحقيق معهم حول صلتهم بالتيار الجهادي..

ولعل هذا الدور الذي لعبته الجمعيات الأهلية في واقع الحركة الإسلامية بواسطة مساجدها هو الذي دفع الدولة إلي التحرك للسيطرة علي المساجد الأهلية وضمها للأوقاف، وقد تم بالفعل ضم مجموعة كبيرة من المساجد الأهلية للأوقاف، لكن الحكومة أدركت أن محاولتها السيطرة على المساجد هو أمر صعب للغاية لكونها لا تملك العناصر الكافية لتغطية النشاطات في هذه المساجد من جهة، ومن جهة أخري ليس لديها إحصائية دقيقة بعدد المساجد الأهلية والتي تتكاثر بشكل ملفت للنظر..

حتى الأزقة والحارات انتشرت فيها ظاهرة بناء الزوايا الصغيرة والتي غالبًا ما يقوم ببنائها عناصر تابعة لتيار من التيارات الإسلامية..

ولقد شكل الاهتمام الزائد من قبل الإسلاميين بمختلف تياراتهم ـ بالنشاط في دائرة المساجد ومحاولة استغلالها، نقطة ضعف كبيرة بالنسبة للحركة الإسلامية، فعلي الرغم من انكشاف المساجد وكونها تمثل مرحلة من مراحل التنشئة الإسلامية تجاوزتها أغلب العناصر العاملة في الحقل الإسلامي، إلا أن الإسلاميين لا يريدون التخلي عنها، وذلك لكونهم يتعاملون مع المساجد من خلال المنظور السلفي، وليس من خلال المنظور الحركي الواقعي، فمسألة الارتباط بالمساجد تعد من المسائل الشرعية ..

و أغلب التيارات الإسلامية عادت للبروز على ساحة الواقع في صورة نشاطات بيانية دعائية مستغلة في ذلك الجمعيات الأهلية ومساجدها،تمامًا كما كان الحال في عصر السادات، إلا أن الحكومة تنبهت لهذا الأمر وشددت من ضغوطها علي هذه الجمعيات التي قامت بدافع الحفاظ على وجودها وشرعيتها بقطع صلاتها بالتيارات الإسلامية والتضييق على أنشطة الشباب المسلم في مساجدها..

الطابع السلفي

وكانت الطبيعة السلفية التي تتميز بها العناصر الإسلامية في مصر من المعوقات الخطيرة في طريق الحركة الإسلامية. وعلى الأخص التيارات التي تسعي نحو التغير منها، فقد أضفت تلك الطبيعة على الفرد المسلم حالة من الرهبنة والإنهزامية في مواجهة الواقع..

ربما كان تقمص شخصية السلف من قبل الفرد المسلم محاولة للتهرب من تبعات الواقع أو هى محاولة لإضفاء الشرعية على سلوكه ومواقفه من الأحداث والمتغيرات..

وربما كان محاولة لسد النقص وتحقيق الأمن النفسي في مواجهة كل صور السلبيات والتناقض التي يذخر بها الواقع والتيكثيرًا ما تصطدم بتعاليم الإسلام وتتسبب في هزات إيمانية للأفراد..

ولقد مثلت الواجهة السلفية للحركة الإسلامية في مصر نقطة ضعف كبيرة استغلت من قبل القوي والتيارات المعادية لها، والتي اتخذتهامرتكزًا لاتهامها بالتخلف والرجعية والعزلة عن الواقع..

إن انعكاس الطابع السلفي علي واقع الحركة في مصرفضلاً عن كونه قد حال بينها وبين المرونة كما ذكرنا ـ فهو من جهة أخري طمس هويتها السياسية، وأظهرها بمظهر الحركة الساذجة أمام التيارات الأخري..

وأصبح من الصعب عليها التخلص من ذلك الطابع لارتباطه الوثيق بالشخصية المصرية، ولأن هذا الأمر قد يفقدها ثقة الإسلاميين ويباعد بينها وبينهم.

ولعل الموقف العدائي الذي تتخذه التيارات الإسلامية من جماعة الإخوان في مصر يعود سببه إلي محاولة جماعة الإخوان التحرر من قيود الطابع السلفي، ومحاولة التقرب من الواقع والارتباط به وتبني المرونة والانفتاح في مواجهة الأحداث والمتغيرات..

وكان الطابع السلفي ولايزال يقفحائلاً بين تيار حزب التحرير الإسلامي وبين الانتشار في الواقع المصري، وقد فشلت كل محاولات الحزب في التغلغل وسط الإسلامين، وتأسيس نقطة ارتكاز له في ساحة الحركة الإسلامية، وذلك للمرونة الزائدة التي يتحلي بها، والتي تشكلاستفزازًاكبيرًا للعنصر الإسلامي في مصر..(٨)

إن التيار الإسلامي المرن في مصر تشن عليه حربًا شعواء من قبل التيارات الإسلامية الأخري، والتيار التراثي علي وجه الخصوص ـ والتي اعتبرت مرونته محاولة خروج على الشرع ..

ومن جهة أخرى شكل الطابع السلفي أداة تخويف لكثير من الإسلاميين الذين يريدون سلوك سبيل المرونة والانفتاح علي الواقع، لكنهم يخشون اصطدام الآخرين بهم، فمن ثم يرغمون على التمسك بالطابع السلفي وهم كارهون..

ولو حدثمثلاً أن أحد عناصر الوسط الإسلامي البارزين قد تخلي عن لحيته وتحرر منها فإن ذلك يعد جريمة كبري من الممكن أن تدمر رصيده في ساحة الحركة، وتفسد علاقاته بالآخرين، وتعزله عن الوسط الإسلامي بأكمله..

وحتى التيار الجهادي الذي يفترض فيه التسلح بالمرونة والانفتاح على الواقع طوقته الطبيعة السلفية، وانحصر فكره وتصوره في دائرة التراث الذي أوشك أن يكون مصدره الوحيد، الذي يستقي منه مواقفه وممارساته ويبني حركته علي أساسه..

من هنا ومن خلال ما سبق يمكننا تحديد مظاهر التعويق التي انعكست علي الحركة الإسلامية في مصر من خلال الطابع السلفي في النقاط التالية:

١ ـ إفتقاد المرونة والوعي في مواجهة الواقع..

٢ ـ طمس هوية الحركة السياسية..
٣ ـ عزل الحركة عن الواقع وشغلها بقضايا هامشية..
٤ ـ إضعاف التركيبة التنظيمية للحركة..
٥ ـ جمود مسيرة الحركة أمام المتغيرات..

وأمام نتائج سيطرة الطابع السلفي على واقع الحركة بدأت معالم الصراع تبرز علي الساحة بين التيار التجديدي المرن والتيار السلفي المنغلق،وقد انعكس الطابع السلفي على مواقف الإسلاميين في مصر تجاه العمل السياسي وشتي القضايا السياسية بشكل عام ودفع بالتيارات الإسلامية إلى رفضه والنظر بعين الريب للثورة الإيرانية لكونها ثورة شيعية..

هذا في الوقت الذي ألقت فيه هذه التيارات بثقلها في جانب الثورة الأفغانية لكونها ثورة تتقيد بعقائد السلف وتتطبع بطابعهم,,(٩)

ولم تقتصر انعكاسات الطابع السلفي على مواقف التيارات الإسلامية في حدود المواقف الفكرية والسياسية فقط، بل تعدتها إلى الجانب الاقتصادي، حيث دفعت الرؤية السلفية بكثير من شباب الحركة إلى نبذ الوظائف الحكوميةدرءًا للشبهاتوخوفًا من الوقوع في الحرام، ليتجهوا إلى الأعمال الحرة البعيدة عن الاختلاط بالنساء وبالسلطة مثل بيع الكتب التراثية والعطور والعسل والجلاليب واختيار واجهات المساجدمركزًا الممارسة أنشطتهم التجارية.,(١٠)

والحق أن الطابع السلفي لم يكن له وجود في فترة الستينيات أو الفترات السابقة لها، وأن بروز هذا الطابع في مصر كان مع فترة السبعينيات، حين برز توجه السادات نحو استقطاب التيار الإسلامي، والتقرب إلي السعودية التي استطاعت بواسطة فقهاء النفط أن تخترق الساحة الإسلامية في مصر، وتبث فيها الأفكار الوهابية السلفية النابعة من فكر ابن تيمية والتي رضعت منها التيارات الإسلامية الناشئة في تلك الفترة,,(١١)

ولقد تبنت التيارات الإسلامية في مصر فقه السلف بمجمله واعتبرت مدرسة ابن تيمية في مقدمة المدارس التي تستلهم منها تصوراتها ومواقفها وممارساتها..

وفي مواجهة هذا الخط تلاشت الخطوط والمدارس الفكرية الأخرى خاصة تلك التي ظهرت في فترة زمنية قريبة كمدرسة جمال الدين الأفغاني، ومدرسة محمد عبده وأبو الأعلى المودودي وسيد قطب..

ولم يعد لتلك المدارس تأثير منهجي أو فكري على مواقف التيارات الإسلامية وتصوراتها، فقد سيطرت النزعة السلفية التراثية، وأصبح العقل المسلم في غيبوبة عن واقعه،وتسلف عقل الماضي وذابت الشخصية المسلمة المعاصرة في شخص السلف..

ولعل إعراض التيارات الإسلامية عن الخطوط الفكرية المعاصرة وتبنيها الخط السلفي التراثي يعود سببه إلي طبيعة الشخصية المصرية التي تميل إلي الترهبن وتعشق المثالية، وقد وجدت في هذا الخط بغيتها المدعمة بالأدلة والنصوص، والمرتبطة بشخصيات فقهية وصلت إلي أعلي درجات التقي والورع، حسبما أشارت كتب التراث ، مصدر التلقي الوحيد لتلك التيارات..

وحتى الآن لا تملك أية شخصية مهما أوتيت من العلم أن تؤثر في الوسط الإسلامي بمصر دون أن تتقمص الشخصية السلفيةشكلاً وموضوعًا..

وربما يفسر لنا هذا الأمر سر التفاف شباب التيارات الإسلامية حول دعاة وقيادات شابة نابعة من وسطهم لا تتحلى بقدر كبير من الوعي والخبرة، كما لا تتوافر بها ملامح العمل القيادي، ونبذ شخصيات إسلامية بارزة في الوسط الإسلامي وعلى قدر كبير من العلم والخبرة، فقط لأن تلك القيادات الشابة تتقمص شخصية السلف وتتكلم بلسانهم، بينما تلك الشخصيات ربما تكون متحررة من رؤية السلف وتتحدث بلسان الواقع وتتحلي بالمرونة تجاه قضايا أصبحت من المسلمات عند التيارات الإسلامية وفي نظر الشباب المسلم..

وفي مقدمتها قضية اللحية والمرأة والموقف من الأضرحة والقبور والربا والعمل السياسي..

ولولا أنعمر عبد الرحمن، وهو شيخ أزهري، يتقمص الشخصية السلفية ويتكلم بلسان السلف ما اعترفت به التيارات الإسلامية، وعلي الخصوص تيار الجماعة الإسلامية المتشدد الذي يعتبره الأب الروحي له..

وهو بتقمصه الشخصية السلفية يعتبر خارجًا على خط الأزهر المؤسسة الدينية الرسمية التي تتبني رؤية متحررة تجاه السلف والتراث بشكل عام، فهي لا تتقيد بمدرسة سلفية معينة وتحترم المدرسة الصوفية التي تعاديها التيارات الإسلامية وتنبذها، ولها وجهة نظر نقدية لمدرسة ابن تيمية..

ويبدو أن فقدان الثقة بالواقع وبالمؤسسات الدينية والرموز الإسلامية الواهية من قبل شباب الحركة الإسلامية، والتي دفعت ببعض التيارات إلي تكفير الواقع والحكم عليه بالجاهلية، يعد سببًرئيساً دفعهم نحو إلقاء أنفسهم في أحضان الماضي والعزلة عن الواقع وجدانيًا وفكريًا وحتى حركيًا..

إن محاولة التعرف علي الحركة الإسلامية في مصر وفهم منطلقاتها لا يمكن تحققه بدون فهم المنطلقالعقدي الذي تبني علي أساسه مواقفها وممارستها، والمتمثل في الخط السلفي كما أسميناه...

ولقد دفع الخط السلفي بالتيارات الإسلامية إلى صدامات كثيرة مع الواقع ومع الحكومة، كما أوقعها في متاهات فكرية

وحركية كانت لها نتائجها العكسية السيئة على واقع الحركة الإسلامية..
وكان السادات قد استبيح دمه على أساس فتوى لابن تيمية، وكذلك كانت أحداث أسيوط التي قتل فيها عدد كبير من جنود الأمن علي يد أفراد الجماعة الإسلامية الجهادية عام١٩٨١، ومثلها عمليات إحراق الكنائس ونسفها في صعيد مصر وفي القاهرة على أيدي عناصر تيار الجهاد والجماعة الإسلامية الجهادية..
هذه الجرائم وغيرها كان الغطاء الشرعي لها فتاوى السلف وفقهاء الماضي تلك الفتاوى التي تنص علي استحلال أموال المسيحيين وممتلكاتهم ..(١٢)
ومثل هذه الرؤي السلفية التي تستلهم منها التيارات الإسلامية منطلقاتها الحركية وتصوراتها الفكرية إنما نراها واضحة في كتيب (الفريضة الغائبة) ويقصد بها فريضة الجهاد، وهو الكتيب الذي أثار ضجة وقتها، واعتبر ميثاق العمل ومصدر الفتوى التي استبيح على أساسها دم السادات، فهذا الكتيب هو عبارة عن مجموعة فتاوى ونصوص وآراء سلفية تتعلق بالتعامل مع الحكام وأهل الكتاب وقتال الكفار واستحلال أموالهم، ولا يحوي أطروحات واقعية أو سياسية قريبة من الواقع،وهو منقول بالكامل من كتب السلف وعلي الأخص كتب ابن تيمية,,(٣١)
ومن أمثلة التناقض الفكري والحركي الذي وقعت فيه التيارات الإسلامية في مواجهة الواقع نتيجة لتبنيها الخط السلفي بعشوائية، مسألة اللحية، والنصوص التي تشير لتحريم حلقها، مما أوقع الشباب المسلم في حيرة شديدة بين ضرورة التمسك بها وضرورة التخلي عنها أمام ضغوط الواقع ورصد الحكومة، وقد تغلبت الطبيعة السلفية على كثير من الشباب وأصر علي التمسك بلحيته، بينما هو يؤديأعمالاً حركية وتنظيمية حساسة ، مما أدي إلي انكشاف هذه الأعمال وفشلها وسقوط عناصرها في قبضة الحكومة..
ولقد أدت مسألة التشدد في اللحية إلي النظر بعين الشك للمسلم غير الملتحي واعتزاله مما أهدر كفاءات كثيرة في الوسط الإسلامي وعدم الاستفادة منها بسبب عدم تمسكها بهذه الهيئة,,(٤١)
ثم تأتي بعد ذلك مسألة تحريم الخدمة في الجيش باعتباره جيش الطاغوت ، وتحريم العمل في الحكومات، والتعليم في المدارس والجامعات، خاصة تعلم القانون الوضعي واللغات الأجنبية ـ لغة المشركين ـ والتوقف عن ممارسة العمل السياسي، وهي مسائل ناتجة عن آراء وفتاوى سلفية، وقد خسرت بسببها الحركة الإسلامية الكثير كما أدت إلى ظهور تيارات جديدة زادت صفوفها تصدعًا..
ونظرًا لكثرة الآراء السلفية وتضادها في المسألة الواحدة، خاصة فيما يتعلق بقتال الحكام والخروج عليهم، وفيما يتعلق بأحكام النساء وأصول الاعتقاد، فقد أدي هذا الأمر إلى حدوث بلبلة فكرية بين التيارات الإسلامية العاملة في حقل الحركة وحدوث انشقاقات، وظهور ممارسات سلبية وغريبة ومضحكة في بعض الأحيان..
ولكن كل هذا لا يعني أن الخط السلفي قد هيمن علي الأمر كله، فقد ظهر في مواجهته التيار الشيعي الذي يملك رصيدًا تراثيًا وفكريًا يمكن أن ينازعه هيمنته علي الساحة..

الهوامش
(١) كانت قد حدثت وساطة بين الملك والإخوان بعد أن تم حل الجماعة بسبب إغتيال النقراشي، وقامت بهذه الوساطة عائلة العشماوي القريبة من السراي، ووافق الملك علي عودة الإخوان شريطة أن يتولي زعامتها حسن الهضيبي حسب رواية أحد قيادات الإخوان وهو المحامي فهمي أبو غدير، وفي رواية أخرى قدم للملك لائحة تحوي العديد من الأسماء منها الهضيبي فاختار الهضيبي..
(٢) دعم عبد الناصر الأزهر ودفع به إلي مواجهة الإخوان، وانشأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحت رئاسة أحد الضباط وهو توفيق عويضة، ثم أنشأ في الستينيات مجمع البحوث الإسلاميةبدلاً من هيئة كبار العلماء التي كانت سائدة في العصر الملكي، ودفع بالسادات وحسين الشافعي ليلعبادورًا إسلاميًا لصالح حكمه..
(٣) زادت هذه الجمعيات في الفترة الأخيرة..
(٤) كانت هناك صلات مستمرة بين الجمعية وجماعة الإخوان وهناك تصريحمألوفًا يقول: إن الإخوان يمثلون المرحلة الإبتدائية والجمعية الشرعية تمثل المرحلة الجامعية..
(٥) وهذا يبرهن علي فشل المؤسسات الدينية الحكومية في اجتذاب قطاعات الشباب نحوها..
(٦) كان ذلك في فترة السبعينيات والثمانينيات وأوائل التسعينيات..
..(٧) ذلك قبل حركة مصادرة المساجد الأهلية
(٨) لا يهتم حزب التحرير بالمظاهر والشكليات التي تعد من الأساسيات عند التيارات الأخري كالتمسك باللحية والمداومة على الصلاة في المساجد وتحريم التدخين وغير ذلك من المواقف والممارسات التي أدت إلى عزلهم وفشلهم في تكوين نواة لهم بالوسط الإسلامي في مصر..
(٩) أنظر فصل مواقف الحركة من هذا الكتاب..
(٠١) يلاحظ أن المواد التي يتاجر بها هؤلاء الشباب هي مواد نصت عليها الأحاديث النبوية مثل العطور والعسل والجلابيب، كما يلاحظ أنهم يتاجرون في الكتب التراثية السلفية فقط، ولا يتعاملون في الكتب الفكرية أو السياسية، وهذا الأمر إن دل علي شيء فإنما يدل علي حالة الانفصام الوجداني التي يعيشها هؤلاء الشباب بعيدًا عن الواقع..

(١١) أنظر لنا كتاب فقهاء النفط، وأنظر الفصول القادمة من الكتاب..
(٢١) أنظر باب المنطلقات الفكرية، وفصل الحركة والحريات. وسوف نلقي الضوء على فتوي ابن تيمية..
(٣١) أنظر باب المنطلقات الفكرية..
(٤١) بعض العناصر الجهادية الدين كانوا مكلفين بالسيطرة على الإذاعة، بعد مقتل السادات، كانوا يرتدون الجلاليب. ويذكر في هذا الصدد أنني كنت من المعتقلين علي ذمة قضية الجهاد التي حوت هذه العناصر قضية رقم ٢٦٤/ ١٨) وكنت أوجه معارضة من قبلهم لإصراري على ارتداء البذة الإفرنجية، بينما هم جميعًا كانوا يرتدون الجلاليب في ساحة المحكمة، وكنت الوحيد الذي خالف الأمر الصادر من قبلهم بارتداء الجلاليب البيضاء في جلسة النطق بالحكم. أنظر لنا كتاب أغلال وسياط : مذكرات معتقل سياسي..

مرحلة الخمسينيات

وداعاً للإخوان

ومرحباً بالأزهر..

الإخوان و عبد الناصر

إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض..

تحتاج فترة الخمسينيات إلي قراءة جديدة محايدة بعيدة عن مصادر الإخوان ومصادر خصومهم، وهذه الفترة من الأهمية أن تدرس وبعناية كبيرة، لكونها الفترة التي تنعكس علي واقع الحركة اليوم، فهي الفترة التي فرخت نموذج الحكم العلماني المستفز للحركة الإسلامية..

وهي الفترة التي فرخت المؤسسة الدينية الحكومية التي خلقت لمواجهة الحركة الإسلامية وإضفاء المشروعية علي هذا النموذج..

وهيأيضاً الفترة التي وضعت فيها أسس السياسة الحكومية المعادية للحركة المطوقة لها والمجهضة لإنجازاتها..

ذلك كله كان نتيجة مرحلة الخمسينيات، أو بمعني أدق نتيجة الصراع الذي دار بين عبد الناصر والإخوان وإنتهي بانتصاره عليهم وسحقه لهم..

لقد ولدت تلك الفترة ثوابت في مواجهة الحركة الإسلامية إلتزم بها الحكم من عبد الناصر حتى مبارك..

ويمكن القول أن جماعة الإخوان دخلت فترة الخمسينيات وهي محملة بكثير من الأعباء والخلافات والتصدعات الداخلية، والتي كانت نتيجة الفراغ الذي أحدثه غياب القائد المؤسس حسن البنا الذي تم اغتياله عام ١٩٤٩..

وحتي هذه الفترة لم تكن هناك جماعة أو تيار ينازعها الساحة، فقد كانت هي التيار الإسلامي الوحيد المهيمن علي الساحة الإسلامية في مصر ..

وعلي ضوء ما سبق فإنه من الواجب علينا تتبع مواقف الطرفين:

عبد الناصر والإخوان..

ـ مذكرة الإصلاح

بعد قيام الثورة بأيام قليلة أصدر الإخوان بيانًا نشر في الصحف، وكان بمثابة مذكرة لإصلاح الحكم والبلاد مقدمة لقادة الثورة، وهي تعكس نصحًا وتأييدًا، في آن واحد، علي حد تعبير الإخوان..

تقول المذكرة:

الآن وقد وفق الله جيش مصر العظيم لهذه الحركة المباركة، وفتح بجهاده المظفر أبواب الأمل في بعث هذه الأمة وإحياء مجدها التليد، وأزال عقبة كانت تصد عن سبيل الله والحق وتعوق المصلحين، ويستند إليها المفسدون والمغرضون من كبراء هذه الأمة وحكامها في العهود الغابرة المختلفة..

الآن ينبغي أن ننظر إلي الأمام، وأن لا يأخذنا الرهو بهذه الإنتصارات عما يجب من إستئناف العمل في مرافق الإصلاح

الشامل، حتي تشعر الأمة بأنها إنتقلت نقلة كلية من عهد إلي عهد، وإلا نفعل فقد ضاعت ثمرة هذه الحركة، وأصابنا نكسة لا تؤمن عواقبها، وهذا يفرض، علي كل ذي رأي في الأمة، أن يتقدم إلي الأمة وإلي أولي الأمر فيها بمشرورته، خالصة لله، بريئة من الهوي، عما ينبغي أن يتجه إليه الإصلاح المنشود ببعث هذه الأمة من جديد..
وسنة الإخوان المسلمين أن يتقدموا إلي الأمة وإلي أولي الأمر فيها ـ في مثل هذه المراحل المتغيرة من تاريخها ـ بالرأي يستقونه من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي سوي بين المسلمين وغير المسلمين في حقوقهم وواجباتهم العامة، ولا يفرق بين جنس وجنس، ولا بين لون ولون..

أولاً ـ التطهير الشامل:

إلا أن أول ما ينبغي الإلتفات إليه من ضروب الإصلاح، وما لا تظهر ثمرة العمل إلا به ـ أن يؤخذ كل من أعان الملك السابق علي الشر. ويسر له سبل الفساد والطغيان ـ بما أخذ به الملك نفسه وما ينبغي أن يؤخذ به.. فلا يستقيم في ميدان العدالة، ولا في حماية المصالح العامة، ورعاية المثل العليا؛ أن يكون أمر التطهير مقصورًا علي الملك. ثم يترك أعوانه وأدواته آمنين لا تمتد إليهم يد القصاص..

ثانيًا ـ الإصلاح الخلقي

١ ـ إعداد جيل جديد عن طريق التربية الدينية والخلقية والوطنية. وإعادة كتابة التاريخ الإسلامي والمصري، وتوفير التعليم للمواطنين جميعًا، وتدعيم معاهد العلم والجامعات علي إختلافها، وتزويدها بما تحتاج إليه من المكتبات والمعامل وأدوات البحث حتي تقوم بمصر نهضة علمية جديدة تساهم في بناء نهضتنا الإجتماعية والاقتصادية..
٢ ـ ومن تمام هذا الباب أن تعمل الحكومة علي تحريم ما حرم الله، وإلغاء مظاهر الحياة التي تخالف ذلك، مثل القمار والخمر ودور اللهو... إلخ.

ثالثًا ـ الإصلاح الدستوري

إن الفرد الصالح لا تطيب له الحياة في ظل دستور تم وضعه في عهد الإستعمار الإنجليزي أولاً، والطغيان السياسي ثانيًا. وقد نشأ عن ذلك وجود ثغرات في نصوص الدستور سمحت بإحداث إضرابات في حياتنا العامة. واستطاع الإحتلال أن ينفذ منها بين حين وآخر، كما سولت للملك التدخل المستمر وتجاوز حدود المبادئ الدستورية الأساسية. ولقد كان المظهر البارز لهذه الملابسات أن يجئ الدستور منحة من الملك، لا نابعًا من إرادة الأمة..

رابعًا ـ الإصلاح الإجتماعي

إن الأمة تعاني تفاوتًا اجتماعيًا خطيرًا، فهي بين قلة أطغاها الغني، وكثرة أتلفها الفقر. وهذه حال لا يرضي عنها الإسلام. فالإسلام يكره أن يكون المال دولة بين الأغنياء وحدهم. والإسلام يقضي بأن يكون لكل فرد في الدولة،مسلمًا كان أو غير مسلم، كحد أدني، مسكن يقيه حر الصيف وبرد الشتاء. وملبس للصيف والشتاء. ومطعم يقي جسمه ويجعله قادرًا علي العمل. وعلاج بالمجان إن كان غير قادر. وتعليم بالمجان ذلك كله له ولزوجه ومن يعول..
وسبيل الإسلام إلي تحقيق هذه المزايا:
أولاً العمل: فالعمل فرض علي القادر عليه، ولا يجوز له أن يتخلي عنه ولا تجوز إعانة رجل لا يعمل وهو قادر، بل يحمل علي العملحملاً. ويجب علي ولي الأمر أن يساعد علي إيجاد عمل له، ويهئ له وسائله ويتعهده حتي يتحقق أنه مستريح فيه..
ثانيًا ـ التكافل الإجتماعي: فإذا لم يجدعملاً أصلاً أو كان عمله لا يكفيه أو كان غير قادر عليه، وجب علي ولي الأمر أن يتدخل ليحقق له ضرورات الحياة المذكورة آنفًا بالزكاة، وهي فريضة مقررة مقدرة وليست صدقة يدفعها الغنيمتفضلاً..
وبناء علي هذه المبادئ يجب النظر في عدة إجراءات يلزم أن تتخذها الدولة لتحقيق تلك الغايات نلخص أهمها فيما يلي:

١ ـ تحديد الملكيات الزراعية...؟
٢ ـ تحديد العلاقة بين المالك والمستأجر...؟
٣ ـ استكمال التشريعات العمالية...؟
٤ ـ إصلاح نظم التوظيف...؟
٥ ـ إلغاء النياشين...؟
٦ ـ جعل المسجد مركزًا دينيًا وثقافيًا واجتماعيًا...؟

خامسًا ـ الإصلاح الاقتصادي

إن موارد الثروة في مصر بوضعها الحالي، لا تكفي أن يعيش المواطنون معيشة طيبة. ولابد من فتح أبواب جديدة للثروة، وإصلاح الأوضاع القائمة علي أسس سليمة. ونقترح لذلك أمورًا منها:
١ ـ تحريم الربا، وتنظيم المصارف تنظيمًا يؤدي إلي هذه الغاية. وتكون الحكومة قدوة في ذلك بالتنازل عن الفوائد في مشروعاتها الخاصة.
٢ ـ تمصير البنك الأهلي وإنشاء مطبعة للإصدار في مصر، واستعجال إنشاء سك النقود المعدنية..
٣ ـ إلغاء بورصة العوقد التي أدت المضاربات فيها إلي زعزعة الاقتصاد لقومي. والعمل علي إصلاح السياسة القطنية بما يحقق مصالح البلاد..
٤ ـ استكمال إصلاح الأراضي البور. والعناية بإستغلالية زراعيًا ومعدنيًا..

٥ ـ تصنيع البلاد مع العناية بالصناعات المعتمدة علي المواد الأولية المحلية والصناعات الحربية..

سادسًا التربية العسكرية

إن رجال الجيش البواسل هم أولي الناس بإصلاحه. ويجب علي الدولة أن لا تبخل عليه بالمال الذي يهيئه لتأدية واجباته. وأن تعتبر ذلك فريضة لا يؤخرها غيرها من الفرائض، ولو اقتضي الأمر الجور علي أبواب الميزانية الأخري..

سابعًا البوليس

إن رجال البوليس هم حفظة الأمن الداخلي. وهم جزء من الأمة يجب أن تكون علاقاتهم معًا علاقة أخوية وقائمة علي أساس من الخلق الفاضل الكريم. لذلك ينبغي أن يطهر البوليس من العناصر الفاسدة التي عاونت الطغاة علي إذلال الأمة، ومهدت السبيل لزج أبنائها الأبرياء في ظلمات السجون والمعتقلات، وأشاعت في البلادجوًا من الفزع والإرهاب مازالت آثاره حية بيننا ـ وأن ينزه البوليس عن أن يكون أداة في يد الأحزاب تسخره في مآربها السياسية، مستغلة سيطرتها عليه حين تكون في الحكم..

ويجب إلغاء نظام البوليس السياسي الذي أساء إلي سمعة البوليس، ومد نفوذه بغير حق إلي كثير من مرافق الحياة. وهو في حقيقته أثر من آثار الإستعمار البغيضة. ويجب أن يرفع مستوي رجال البوليس وأن يأمنوا في حياتهم، وتوثيق روابط الود بينهم وبين رؤسائهم من ناحية وأفراد الأمة من الناحية الأخري..

خاتمة

هذه خطوط رئيسية في الإصلاح يحتاج كل منها إلي بيان. وإن المشكلة التي تقابلنا الآن ذات ثلاثة أطراف: مظلومون وظالمون وأوضاع مكنت الظالم من أن يظلم ـ ولابد لكي يستقيم أمر هذه الأمة مما يأتي:

١ ـ أن ترد المظالم إلي أهلها وأن يعاد إلي كل ذي حق حقه فترد إلي المسجونين السياسيين حريتهم.

٢ ـ أن يقتص من الظالمين. وأن يبعد من الميدان السياسي هؤلاء الذين استباحوا احرمات، واعتدوا علي الحريات وداسوا علي مقدسات الأمة، وجعلوا البلاد مزرعة لشهواتهم، واتخذوا العبث بمصالحها مادة للكسب الحرام لأنفسهم وأهلهم وأنصارهم..

٣ ـ أن تغير الأوضاع التي مكنت الظالم من أن يظلم، وأن يكون التغييرشاملاً لكل مرافق الحياة التي إستطاع الطغاة أن ينفذوا منها إلي مآربهم..

أما قضية الإستقلال فليس لها إلا حل واحد، هو أن يخرج الإنجليز من مصر والسودان، وأن يخرج كل مستعمر من بلاد الإسلام.,(١)

بداية الخلاف

يؤكد الإخوان أنهم هم الذين مهدوا للثورة ودعموها وأن عبد الناصر من عناصرهم. ولم يكونوا يتوقعوا أنه سوف ينقلب عليهم ويتخذسبيلاً غير سبيلهم.,(٢)

من هنا فإن الإخوان انقسموا في مواجهة عبد الناصر وبعد علمهم بارتداده عنهم ونكوله عن الاتفاقيات التي أبرمت بينهم قبل قيام الثورة. وفي اجتماع الهيئة التأسيسية الذي عقد لبحث هذا الموقف برئاسة المرشد العام حسن الهضيبي اعتبرت الأغلبية من الأعضاء أن هذا الموقف من قبل عبد الناصر أتخذ تحت تأثير فتنة السلطة وأنه أمر متوقع. بينما كان هناك اتجاه آخر يري أن عبد الناصر وزملائه الضباط أصدقاء أوفياء للإخوان ومن المستبعد حدوث مثل هذا الموقف منهم وقد تزعم هذا الاتجاه عبد القادر عوده,,(٣)

وتعددت جلسات الهيئة التأسيسية للإخوان لبحث هذا الخلاف الذي أخذ يتطور بين صفوف الإخوان بسبب الاتصالات التي كان يجريها عوده مع عبد الناصر، والتي كان يطمئنه فيها باستمراره علي العهد والمبدأ ونفيه القاطع لإدعاءات الآخرين بارتداده. وأصبح عوده لسان حال عبد الناصر في الهيئة التأسيسية للإخوان يدافع عنه وينطق بلسانه ويصطدم بالمرشد بسببه.,(٤)

وكان الإخوان حريصون علي أن ينحصر الخلاف حول عبد الناصر في حدود الهيئة التأسيسية إلا أن الجناح المؤيد لعبد الناصر كان ينقل له محاضر الجلسات وما دار فيهامخالفًا بذلك وصية الهيئة وموقف المرشد.

كانت الهزة الأولي التي أصابت الإخوان وهم في مرحلة ترتيب أوراقهم لاتخاذ الموقف الملائم تجاه عبد الناصر تتمثل في موقف عبد القادر عوده. وجاءت الهزة الثانية ممثلة في موقف الشيخ الباقوري الذي انشق علي الإخوان وقبل منصب الوزارة في حكومة نجيب. وطالت المناورات وكثرت اللقاءات بين الإخوان وعبد الناصر إلي أن وصل الإخوان في النهاية إلي التسليم بسياسة الأمر الواقع وقبلوا التعامل مع الثورة كحركة إصلاحية، فمن ثم تقدموا لعبد الناصر بمذكرة من أربع نقاط:

الأولي: الحكم بكتاب الله..

الثانية: تحديد علاقة الجيش بالحكم..

الثالثة: رؤية للإصلاح الزراعي..

الرابعة: الحكم الدستوري..(٥)

وبالنسبة للنقطة الأولي فقد اعتبر عبد الناصر أن الثورة ما قامت إلا لرفع الظلم وتحقيق العدل الاجتماعي والقضاء علي الاستعمار وهذه مبادئ القرآن. وبالنسبة للنقطة الثانية فقد طرح المرشد فكرة عودة الجيش إلي الثكنات وإتاحة الفرصة للشعب ليختار صور الحكم الملائمة. أما إذا اختار الضابط الاستمرار في الحكم فعليهم أن يستقيلوا من الجيش وبالطبع رفضت هذه الفكرة. أما النقطة الثالثة فقد طرح الإخوان الحد الأعلي للملكية الزراعية خمسمائة فدان بينما كان رأي عبد الناصر أن الحد الأعلي لا يجب أن يزيد عن مائتي فدان. واعتبر عبد الناصر هذه الرؤية من قبل الإخوان لحيازًا للإقطاعيين، وبخصوص النقطة الرابعة المتعلقة بالحكم الدستوري فقد راوغ فيه عبد الناصر كثيرًا وحدث حولها جدل واسع بين الطرفين وبين عبد الناصر وزملائه امتد إلي صفحات الصحف.,(٦)

وما زاد من حدة الخلاف وأطال أمده أن الإخوان لم يكونوا صفًا واحدًا في مواجهة عبد الناصر، ويعود السبب الرئيسي لهذا التصدع داخل الإخوان إلي شخص المرشد حسن الهضيبي وسياسته. فقد كان اختياره لزعامة الإخوان محل جدل كبير بين قيادات الإخوان مثل عشماوي وعبد الرحمن البنا والباقوري والغزالي وغيرهم الذين لا يروا في تاريخ الرجل ما يؤكد أحقيته بهذا المنصب. ونظرًا لكون عبد الناصر لم يكن راضيًا عن الهضيبي فقد عمل علي استثمار هذا الموقف داخل الإخوان ودعم التيار المناهض للمرشد حتي اضطرت بعض قيادات الإخوان أمام حدة الخلاف وتعدد الصدامات مع عبد الناصر إلي المطالبة بتنحية المرشد كحل فعلي لحسم الصراع.(٧)

وحاول عبد الناصر استثمار الخلافات الحادة داخل الإخوان وقام باستقطاب عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص الذي كان له موقف من الهضيبي ورد الإخوان بإصدار قرار بفصل السندي من الإخوان وثلاثة آخرين، وقام أربعة من قادة الإخوان من بينهم الشيخ محمد الغزالي وصالح عشماوي بإصدار بيان احتجاج علي هذا القرار، نشر في الصحف وأثار غضب الإخوان ودفع بهم إلي إصدار قرار آخر بفصل ثلاثة منهم.(٨)

وكان السندي قد قام بعد فصله بمحاولة إنقلاب داخل الإخوان وقاد مظاهرة احتلت المركز العام للإخوان وتوجهت إلي بيت المرشد العام للإخوان لإجباره علي الإستقالة لكن الهضيبي رفض الاستجابة لطلبهم. واعتبر الإخوان هذه الحركة الفاشلة مؤامرة من مؤامرة عبد الناصر لضرب الإخوان من الداخل والسيطرة علي الجماعة. إلا أن هذا لم يمنع المرشد من فتح الحوار من جديد مع عبد الناصر إذ أقام مأدبة عشاء في منزله لأعضاء مجلس قيادة الثورة، حضرها عبد الناصر ونشر خبرها في الصحف مع صورة عبد الناصر يصافح الهضيبي، واستمر الحوار بين الجانبين حتي منتصف الليل. ثم قام عبد الناصر بعد ذلك بتأسيس هيئة التحرير في (ديسمبر ٥٣)، وقد تبنت أفكارًا إسلامية بهدف منافسة الإخوان وتقوية شعبيته، وأسند رئاستها لمحمد نجيب، وحاول إستقطاب عناصر الإخوان إلي صفوفها، لكن الإخوان حاربوها فاتجه عبد الناصر إلي دعوة الإخوان لتأسيس وزارة إخوانية إلا أن الإخوان رفضوا هذا العرض.(٩) وكان أن اضطر عبد الناصر، بعد فشل في الوصول إلي حل مع جماعة الإخوان وازدياد هوة الخلاف مع الهضيبي، إلي إصدار قرار غلبت عليه الطبيعة العسكرية أكثر من الحسابات السياسية وذلك بتاريخ ٤٥ /١/ ٤١وكان نص القرار ما يلي:

إن كانت الثورة قامت في ٢٣ يوليو، فقد ظل تنظيم الضباط الأحرار ينتظر من يتقدم الصفوف مخلصًا ليغير المنكر الذي كنا نعيش فيه، ويثبت بعمله جدية صدقة وإخلاصه لدينه ووطنه.. وكنا علي استعداد أن نتبعه في صف واحد كالبنيان المرصوص، حتي نحقق لوطننا العزيز كرامته ونحرره من الاستبعاد والعبودية. ولما طال انتظارنا عقدنا العزم علي القيام بالثورة، وكنا جادين ولا هدف لنا إلا حرية الأمة وكرامتها وإن الله تعالي لن يكتفي بإيمان الناس إذا لم يتبعوا هذا الإيمان بالعمل، وبالعمل الصالح فيقول الله عز وجل: **(إلا الذين آمنوا وعمل الصالحات فلهم أجر غير ممنون)..**

ومن يوم قيام الثورة ونحن في معركة لم تنته بعد، معركة ضد الاستعمار لا ضد المواطنين، وهذه المعركة لا تحتمل المطامع والأهواء التي ينفذ الاستعمار من خلالها ليحطم وحدة الأمة وتماسكها فلا تقوي علي تحقيق أهدافها. وقد بدأت الثورة بتوحيد الصفوف إلي أن حلت الأحزاب ولم تحل الإخوان إبقاء عليهم وأملا فيهم ولتظارًا لجهودهم وجهادهم في معركة التحرير، ولأنهم لم يتلوثوا بمطامع الحكم كما تلوثت الأحزاب السياسية الأخري، ولأن لهم رسالة دينية تعين علي إصلاح الخلق وتهذب النفوس..

ولكننفرًا من الصفوف الأولي في هيئة الإخوان أرادوا أن يسخروا هذه الهيئة لمنافع شخصية وأطماع ذاتية مستغلين سلطان الدين علي النفوس، وبراءة وحماسة الشبان المسلمين، ولم يكونوا في هذا مخلصين لوطن أو لدين. ولقد أثبت تسلسل الحوادث أن هذا النفر من الطامعين استغلوا هيئة الإخوان والنظم التي تقوم عليها هذه الهيئة لإحداث انقلاب في نظام الحكم القائم تحت ستار الدين، وقد سارت الحوادث بين الثورة وهيئة الإخوان بالتسلسل الآتي:

١ ـ في صباح يوم الثورة استدعي الأستاذ حسن العشماوي لسان حال المرشد العام إلي مقر القيادة العامة بكوبري القبة، وأبلغ إليه أن يطلب من المرشد العام إصدار بيان لتأييد الثورة، ولكن المرشد بقي في مصيفه بالإسكندريةلائذًا بالصمت فلم يحضر إلي القاهرة إلا بعد عزل الملك ثم أصدر بيانًا مقتضبًا طلب بعده أن يقابل أحد رجال الثورة فقابل البكباشي جمال عبد الناصر في منزل الأستاذ صالح أبو رقيق الموظف بالجامعة العربية..

٢ ـ سارعت الثورة بعد نجاحها في أعادة الحق إلي نصابه، وكان من أول أعمالها أن أعادت التحقيق في مقتل الشهيد حسن البنا؛ فقبضت علي المتهمين في الوقت الذي كان المرشد لا يزال في مصيفه بالإسكندرية..

٣ ـ طالبت الثورة الرئيس السابق علي ماهر بمجرد توليه الوزارة أن يصدر عفوًا شاملاً عن المعتقلين والمسجونين السياسين، وفي مقدمتهم الإخوان. وقد نفذ هذافعلاً بمجرد تولي الرئيس نجيب رياسة الوزارة..

٤ ـ تقرر أن يشترك الإخوان بثلاثة أعضاء في وزارة نجيب، علي أن يكون أحدهم الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقوري،

ووافق المرشد علي الاشتراك في الوزارة ورشح مع الباقوري حسن العشماوي، ومنير الدلة، ورفض مجلس قيادة الثورة هذه الأسماء وطلب من الإخوان ترشيح غيرهما، فأعلن الإخوان عدم الاشتراك في الوزارة وفصل الشيخ الباقوري من هيئة الإخوان..

٥ ـ عندما طلب من الأحزاب أن تقدم إخطارات عن تكوينها قدم الإخوان إخطارًا باعتبارهم حزبًا سياسيًا. وقد نصحت الثورة رجال الإخوان بأن لا يترددوا في الحزبية، ويكفي أن يمارسوا دعوتهم للإسلام بعيدًا عن غبار المعارك السياسية والشهوات الحزبية، وقد ترددوا بادئ الأمر ثم استجابوا قبل انتهاء موعد تقديم الإخطارات وطلبوا اعتبارهم هيئة، وطلبوا من البكباشي جمال عبد الناصر أن يساعدهم في تصحيح الإخطار، فذهب إلي وزارة الداخلية حيث تقابل مع المرشد في مكتب الأستاذ سليمان حافظ وزير الداخلية وقتئذ وتم الاتفاق علي أن تطلب وزارة الداخلية من الإخوان تفسيرًا عما إذا كانت أهدافهم سيعمل علي تحقيقها عن طريق أسباب الحكم كالانتخابات وأن يكون رد الإخوان بالنفي لا ينطبق عليهم القانون..

٦ ـ وفي صبيحة يوم صدور قرار الأحزاب في يناير ٣٥٩١ حضر إلي مكتب البكباشي جمال عبد الناصر صلاح شادي والأستاذ منير الدلة وقالا له: الآن وبعد حل الأحزاب لم يبق من مؤيد للقورة إلا هيئة الإخوان، ولهذا فإنهم يجب أن يكونوا في وضع يمكنهم من أن يردوا علي كل أسباب التساؤل. فلما سألهم ما هو هذا الوضع المطلوب أجابا بأنهم يريدون الاشتراك في الوزارة، فقال لهما: إننا لسنا في محنة، وإذا كنتم تعتقدون أن هذا الظرف هو ظرف المطالب وفرض الشروط فأنتم مخطئون، فقالوا له: إذا لم توافق علي هذا فإننا نطالب بتكوين لجنة من هيئة الإخوان تعرض عليها القوانين قبل صدورها للموافقة عليها، وهذا هو سبيلنا لتأييدكم إن أردتم التأييد. فقال لهم البكباشي جمال عبد الناصر: لقد قلت للمرشد سابقًا إننا لن نقبل الوصاية، وإنني أكررها اليوم مرة أخري في عزم وإصرار..

وكانت هذه الحادثة هي نقطة التحول في موقف الإخوان من الثورة وحكومة الثورة؛ إذ دأب المرشد بعد هذا علي إعطاء تصريحات صحفية مهاجمًا فيها الثورة وحكومتها في الصحافة الخارجية والداخلية، كما كانت تصدر الأوامر شفويًا إلي هيئات الإخوان بأن يظهروا دائمًا في المناسبات التي يعقدها رجال الثورة بمظهر الخصم المتحدي..

٧ ـ لما علم المرشد بتكوين هيئة التحرير تقابل مع البكباشي جمال عبد الناصر في مبني القيادة بكوبري القبة وقال له: إنه لا لزوم لإنشاء هيئة التحرير مادام الإخوان قائمين. فرد عليه البكباشي جمال: إن في البلاد من لا يرغب في الإنضمام إلي الإخوان، وإن مجال الإصلاح متسع أمام الهيئتين. فقال المرشد: لن أؤيد هذه الهيئة. وبدأ منذ ذلك اليوم في محاربة هيئة التحرير وإصدار أوامره بإثارة الشغب واختلاق المناسبات لإيجاد جو من الخصومة بين أبناء البلد الواحد..

٨ ـ وفي شهر مايو ٣٥٩١ ثبت لرجال الثورة أن هناك اتصالاً بين بعض الإخوان المحيطين بالمرشد وبين الإنجليز..

٩ ـ وفي أوائل شهر يونيو ٣٥٩١ ثبت لإدارة المخابرات أن خطة الإخوان قد تحولت لبث نشاطها داخل قوات الجيش والبوليس..

١٠ ـ بعد أن تعين الأستاذ الهضيبي مرشدًا للإخوان لم يأمن إلي أفراد الجهاز السري الذي كان موجودًا في وقت الشهيد حسن البنا برياسة السيد/ عبد الرحمن السندي. فعمل علي إبعاده معلنًا بأنه لا يوافق علي التنظيمات السرية لأنه »لا سرية في الدين«. ولكنه في الوقت نفسه بدأ في تكوين تنظيمات سرية جديدة تدين له بالولاء والطاعة..

١١ ـ وكانت نتيجة ذلك أن حدث الإنقسام الأخير بين الإخوان، واحتل فريق منهم دار المركز العام..

١٢ ـ وفي يوم الأحد ٠١ يناير ٤٥٩١ ذهب الأستاذ حسن العشماوي العضو العامل بجماعة الإخوان، وأخو حرم منير الدلة، إلي منزل مستر كروزويل الوزير المفوض بالسفارة البريطانية ببولاق الدكرور الساعة السابعة صباحًا ثم عاد لزيارته أيضًا في نفس اليوم في مقابلة دامت من الساعة الرابعة بعد الظهر إلي الساعة الحادية عشرة من مساء نفس اليوم. وهذه الحلقة من الاتصالات بالإنجليز تكمل الحلقة الأولي التي روي تفاصيلها الدكتور محمد سالم..

١٣ ـ وكان آخر مظهر من مظاهر النشاط المعادي الذي قامت به جماعة الإخوان هو الاتفاق علي إقامة احتفال بذكري المنيسي وشاهين، يوم ١٢ الجاري، في جامعتي القاهرة والإسكندرية في وقت واحد، وأن يعملوا جهدهم لكي يظهروا بكل قوتهم في هذا اليوم، وأن يستغلوا هذه المناسبة استغلالاً سياسيًا في صالحهم، ويثبتوا للمسئولين أنهم قوة وأن زمام الجامعة في أيديهم وحدهم.(٠١)

رد الإخوان

كان عبد الناصر قد أقال محمد نجيب من منصبه في ٤٥/٢/٥٢ ولم تمض سوي أيام قليلة واندلعت المظاهرات الضخمة أول مارس، وأحاطت بقصر عابدين مطالبة بعودة نجيب، وقد تزعم هذه المظاهرات عبد القادر عوده, وأطل نجيب من شرفة القصر وخطب في الجماهير وبجواره عبد الناصر مؤكدًا علي استمرار السير نحو الحكم النيابي ثم طالب المتظاهرين أن ينفضوا فرفضوا إلا بعد أن أذن لهم عبد القادر عودة..

وكان من نتائج هذا الحدث أن عاد نجيب إلي الحكم. ووافق عبد الناصر علي الحكم الدستوري، وتم الإفراج عن الإخوان المعتقلين، ورفعت الرقابة عن الصحف. وأعلنت صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الإرشاد أن الضباط لن يعودوا إلي ثكناتهم وسيخوضون المعركة السياسية كمواطنين مدنيين.(١١)

وفي تلك الفترة وقعت عدة انفجارات في مبني السكة الحديد ومحل جروبي. وفي الجامعة وقد تبين أن مدبر هذه الانفجارت، هو عبد الناصر، بهدف الوقيعة بين الإخوان والشعب.(٢١)

ثم اقترح عبد الناصر علي مجلس قيادة الثورة عمل فرق اغتيالات لتصفية الإخوان المسلمين. وأصدقرارًا بإعتقال عدد

(٥٤) من عناصر الإخوان، علي رأسهم عبد القادر عودة وعمر التلمساني، واتهمهم بالعمل علي قلب نظام الحكم.,(٣١)
إلا أنه لم ينته شهر مارس حتي تم الإفراج عن جميع الإخوان المعتقلين وقرر مجلس قيادة الثورة في جلسة ٤٥ /٥٢/٣/ ما يلي:

ـ السماح بقيام الأحزاب..
ـ مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبًا..
ـ لا حرمان من الحقوق السياسية..
ـ تنتخب الجمعية التأسيسية إنتخابًاحرًا وتكون لها سلطة البرلمان..
ـ حل مجلس قيادة الثورة في يوليو المقبل..
ـ تنتخب الهيئة التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد إنعقادها..

وبعد أن تم الإفراج عن الهضيبي وأعلن عودة الإخوان وممارسة نشاطها بكامل حريتها مع استرداد ممتلكاتها، ووافقت الحكومة علي إصدار بيان يوضح الأسباب التي دعت إلي حل الإخوان، وهو، علي ما يبدو، الهدف منه الاعتذار عن التهم التي ألصقها عبد الناصر بالإخوان الذي قرر القيام بزيارة للمرشد في منزله ليعتذر له. ولقد بدا عبد الناصر بعد هذه الأحداث ضعيفًا، وبدا الإخوان في مركز قوة أوحي للمراقبين أن الأمر قد آل لهم في النهاية، وأن ذلك هو ختام هذه الأحداث والصراعات. إلا أن الإخوان علي ما يبدو لم يحسنوا انتهاز هذه الفرصة التاريخية التي جاءتهم، فقد كانت جميع قوي الشعب تناصرهم وقطاعات المثقفين والسياسيين تتبني ما طرحوه من خطة لإصلاح الحكم في مصر. والواقع بأكمله كان مهيأ لإستقبالهم، خاصة بعد قرارات مجلس قيادة الثورة الأخيرة. وعاد الإخوان من جديد إلي تبني نهج الحوار مع عبد الناصر، وقرر مكتب الإرشاد تكوين لجنة للإتصال بالحكومة ومجلس الثورة. وجاء الملك سعود إلي مصر وأسهم أثناء زيارته في تقريب وجهات النظر بين عبد الناصر ونجيب والإخوان وعبد الناصر.

وفي ذلك الوقت، برزت في شوارع القاهرة، فجأة، مجموعات عمالية مختلفة قليلة العدد كثيرة العدة تدور في شوارع القاهرة تندد بالديمقراطية والحياة النيابية، وقد صدرت الأوامر للبوليس بعدم التعرض لها.,(٤١)

وعمل عبد الناصر علي التضييق إعلاميًا علي الإخوان، ومنع الصحف من نشر بياناتهم ومنعهم من إصدار صحيفتهم، مما اضطرهم إلي اللجوء لأسلوب المنشورات التي وصل بعضها لعبد الناصر، وتسبب في تأزم الموقف وزيادة حدته..(٥١)

وفي الوقت الذي تأزم فيه الموقف من جديد بين عبد الناصر والإخوان. تأزم أيضًا بين عبد الناصر ونجيب، الذي وجد عبد الناصر يتراجع عن وعوده ويتنصل من قرارات مجلس الثورة بعودة الحياة النيابية. وعرض الإخوان علي المرشد القيام بمظاهرات ومطالبة الشعب بالثورة علي عبد الناصر إلا أن المرشد رفض هذا العرض متحججًا بأنه وعد عبد الناصر بعدم إخراج مظاهرات، ودعا الشعب إلي الإخلاد للهدوء بغرض تهيئة الجو للإصلاح بين نجيب وعبد الناصر، وأن لا يريد أن يناقض نفسه,,(٦١)

وجاءت مفاوضات الجلاء التي تمخضت عن إتفاقية الجلاء في ٧٢/ ٧/ ٤٥ والتي نقدها الإخوان وهاجموها في بيان أصدروه بهذه المناسبة أثار عبد الناصر ودفع به إلي التحرش بالإخوان ومهاجمتهم علي صفحات الصحف.,(٧١)

اجتماع في غيبة المرشد

وبدأ عبد الناصر يعلن غصبته علي الإخوان بعد توقيع إتفاقية الجلاء وأخذ ينكل بعناصرهم في كل مكان. وقد تركزت خطته لمواجهة الإخوان علي ما يلي:

ـ إستمرار الإتصالات والإحتواء لعناصر الإخوان الموالية له..

وكان عبد الناصر قد قام بزيارة لقبر حسن البنا في ١٢/ ٢/ ٤٥ بمناسبة الذكري الخامسة لاستشهاده، وسبقه نجيب بزيارته مع مجموعة من أعضاء مجلس الثورة في ١٢/ ٢/ ٣٥,,

وكان في استقباله المرشد حسن الهضيبي, ثم ظهر عبد الناصر في صورة كبيرة تصدرت صفحات الصحف وضمت صلاح سالم والشيخ الباقوري وعبد الرحمن البنا وصالح عشماوي كتب تحتها (رجال الثورة يشاركون في الاحتفال بالذكري الخامسة للشهيد حسن البنا)..

ـ نقل الموظفين من الإخوان إلي محافظات بعيدة عن القاهرة..

ـ إعتقال شباب الإخوان من النظام الخاص..

ـ نشر الإشاعات والهجوم الدائم علي الإخوان في الصحف..

وكان نتيجة نشر الشائعات علي الإخوان من قبل عبد الناصر أن اختفي المرشد العام واختبأ في مكان مجهول بعد أن أشيع أن هناك محاولة لاغتياله, وقد أدي اختفاء المرشد إلي ارتباك الإخوان وتضارب المواقف وكثرت الخلافات بينهم، ولعل هذا ما كان يريده عبد الناصر..

ولم يقف عبد الناصر عن هذا الحد، بل استخدم أجهزة حديثة للتصنت علي الإخوان واجتماعاتهم، وقد أفادته هذه الأجهزة كثيرًا ليس في حدود الإخوان فقط بل في حدود زملائه أيضًا.,(٨١)

وفي ظل هذه الأحداث أرسل عبد الناصر اثنين من رجاله إلي الإخوان اللذين عرضا موافقة عبد الناصر علي تصفية الخلافات بينه وبين الإخوان, وعرض أحد قادة الإخوان أثناء هذا اللقاء تقديم مذكرة تفاهم لعبد الناصر.,(٩١)

وكانت أهم النقاط التي تحتويها هذه المذكرة ما يلي:

ـ التركيز علي رابطة الأخوة بين الإخوان ورجال الثورة..
ـ تحميل مسئولية الخلاف لعناصر من كلا الطرفين: الإخوان والضباط ..
ـ إعادة النظر في مواقف كل من الطرفين..
ـ رفض رمي رجال الثورة بالكفر من قبل عناصر الإخوان..
ـ رفض أسلوب معاملة الإخوان بمنطق العدو من قبل رجال الثورة..
ـ الإعداد لإجتماع بين الطرفين في مكان محايد..

وقد وجدت هذه المذكرة معارضة من بعض قيادات الإخوان علي رأسهم عبد القادر عودة, إلا أن مقدمها أصر عليها خاصة بعد أن حاول الوصول للمرشد لعرضها عليه فلم يستطع,وقبل عبد الناصر الاجتماع بالإخوان لبحث الخلاف بينهم في منزله..

ويقول كاتب المذكرة وأحد أعضاء الوفد الذي تحاور مع عبد الناصر في هذا الاجتماع :

كانت هذه أول مرة ألتقي فيها بجمال عبد الناصر. وكنت حريصًا في هذا اللقاء أن استكشف الكثير عن شخصية هذا الرجل ـ وكان إذ ذاك في ربيع عمره، لم تتعقد أمامه الحياة بعد، ولم تأخذ منه الأيام، فهو أقرب أن يكون علي طبيعته ـ رأيت شابًا فارع الطول، عريض المنكبين؛ وهي إحدي مؤهلات من يرشح نفسه للزعامة؛ فالجسم القوي المتين البنيان مطلوب لمقارعة الخطوب وسهر الليالي وتلقي الضربات، وكان حتي ذلك الحين منتسبًا إلي منصبه العسكري فهو مرتد بزته العسكرية..

وكان مجلسنا في حجرة صغيرة في الدور الأرضي علي يسار الداخل من باب المنزل، مؤثثة بأثاث كأثاث بيوتنا لا يزيد عنه شيئًا. وقد شغلنا نحن الستة ومعنا الطحاوي وطعيمه كل مقاعد هذه الغرفة إلا مقعدًا قرب الباب جلس عليه جمال.. وجئ بكرسي من خارجها ووضع بجانب جمال وعلي يساره جلس عليه الضابط عبد الرحمن نصير الذي كان حارسه الذي لا يفارقه، وجاء ولداه الصغيران خالد وعبد الحكيم وجلسا بجانبه بعض الوقت..

وبدأ هو الحديث فقال: أنا قرأت مذكرة فلان وأري فيها روحًا طيبة، ولهذا طلبت أن ألتقي بوفد يمثل الإخوان لمناقشة أسباب الخلاف بيني وبين الإخوان..

فقلنا له: أليس من الممكن أن نتجاوز أسباب الخلاف ونتجه إلي وسائل الإصلاح..؟

فقال: إن هذا ليس بالطريق السليم لمعالجة الخلاف. لابدأولاً من معرفة أسباب الخلاف حتي نبحث بعد ذلك عن وسائل تلافي هذه الأسباب..

فقلنا: إذن ما هي أسباب الخلاف..

أخذ جمال عبد الناصر يشرح أسباب الخلاف في حديث طويل لم يبق في خاطري منه بعد هذا الأمد الطويل إلا نقاط، وإن كانت قليلة إلا أنها تعد رءوس مواضيع لأهم ما جاء في حديثه، أسوقها فيما يلي:

أولاً : بدأ حديثه بالإشارة إلي اتصاله بالجهاز السري للإخوان (النظام الخاص) وإلي تعاونه معهم وذكر في سياق هذا التعاون أنه كان يسرق لهم السلاح والذخائر من الجيش..

ثانيًا: تكلم بعد ذلك عن اتصالاته بالمرشد العام فقال: إنني كنت حريصًا منذ قيام الثورة علي أن أتشاور مع المرشد العام في الشئون الهامة للدولة (وشرح المناقشات التي دارت خلال بعض هذه الاجتماعات) ولكنني لاحظت أن المرشد العام لا يهتم بلقائي وزملائي معه..

ثالثًا: ثم تكلم مرة أخري عن الجهاز السري للإخوان (النظام الخاص) وقال: كان وجود هذا الجهاز للإخوان المسلمين فيما قبل الثورة ضرورة لا غني عنها، لمقاومة الظلم، ولحماية الدعوة من ظلم الملك وظلم أذنابه الحكام. أما وقد قامت الثورة فلم يعد هناك داع لوجوده, حيث أن الإخوان والثورة شيء واحد ـ وقال إنني سبق أن تحدثت مع المرشد العام في هذا الشأن وقلت له إن الواجب يقتضي من الإخوان أن يحلوا تشكيلاتهم التي في الجيش، ويحلوا الجهاز السري حيث لا مبرر لوجودهما الآن بعد أن قامت الثورة، فكان رد المرشد قوله: إننا ليس لنا تشكيلات في الجيش، ونحن بصدد حل الجهاز السري، فقلت له يا فضيلة المرشد أنا أعرف أن تشكيلات الإخوان في الجيش لازالت موجودة، ولكنه أصر علي الإنكار..

رابعًا: وتحدث عن إتفاقية الجلاء وقال إن هذه الإتفاقية تضمنت كل ما نريد وهي تضمن لنا الجلاء. وإن معارضة الإخوان لها هي نوع من التحدي لا أقبله. وأخذ في شرح محاسن الإتفاقية ووجهة نظره،متجاوزًا النقاط التي تولاها الإخوان بالنقد ـ وشدد علي أن تحدي الإخوان له في هذه الإتفاقية أمر خطير لن يسكت عليه..

خامسًا: ثم أثار ما يطالب به الإخوان من إجراء انتخابات. وقال: إن إجراء انتخابات الآن معناه أن يحصل الإخوان علي أغلبية مقاعد المجلس المنتخب إن لم يحصلوا علي جميعها ـ لأن الإخوان تستطيع بتشكيلاتها العلنية والسرية أن تحصل علي ذلك ـ ولذا فإنني لن أسمح بإجراء انتخابات تحت تأثير التشكيلات الإخوانية، لأن هذا يتعارض مع مناخ الحرية الذي يجب توفيره لإجراء هذه الانتخابات ـ وسعي جمال إجراء الانتخابات الفورية انتخابات في ظل الإرهاب الإخواني.

سادسًا: وتكلم عن حركة مارس ٥٤ وأثرها في الجيش, وألقي مسئولية حدوثها علي عاتق الإخوان..

وقال إنها كانت لعبة خطرة، ولن أسمح بتكرارها مرة أخري, وقال في معرض حديثه عن تفصيلات هذه الحركة »وحين ذهبت إلي سلاح الفرسان جاءني الولد الشيوعي (وذكر في وصفه لفظًا يعف القلم عن كتابته) خالد محي الدين يطالبني بالاستقالة ـ ثم أعاد عدة مرات أنه لن يسمح بإعطاء الفرصة للإخوان لإثارة مثل هذا الذي حدث في مارس,ولذا

فإنه مصمم علي أن يصفي الإخوان تشكيلاتهم في الجيش وفي خارج الجيش إما من تلقاء أنفسهم وإما رغمًا عنهم ..
سابعًا: وتحدث عن تسلط الإخوان علي الجامعات وقال: إنني لن أقف مكتوفًا أمام هذا التسلط؛ فسأعتقل كل من يقف في وجهنا من الطلبة, وقد كلفت كمال الدين حسين (كان وزير التعليم في ذلك الوقت) بفصل الأساتذة الذين يعارضوننا مهما كان عددهم, وقد أعددت لهم معتقلات من نوع جديد, إن المعتقلات التي تكلف الدولة إطعامهم وإسكانهم وكسوتهم لن نلجأ إليها، وإنما ستعد لهم معتقلات في الوادي الجديد يعملون فيها في إصلاح الأرض وفلاحتها، ويأكلون ويلبسون من عرق جبينهم. وقد أمرت فعلاً بإعداد هذه المعتقلات ـ أما أعضاء الجهاز السري والتشكيلات العسكرية فهؤلاء سيحاكمون بتهمة الإعداد لقلب نظام الحكم..
وقال: إن الإخوان ينظرون إلي الثورة علي أنها جمال عبد الناصر الذي يعرفونه ويعرفهم، ويظنون أن الضباط الأحرار من الإخوان كجمال عبد الناصر، هذا ظن خاطئ، إن أكثر الضباط الأحرار ليسوا من الطراز الذي يتوهمه الإخوان، إن أكثرهم ليسوا علي دين ولا علي خلق، ولولا كبحي جماحهم لانطلقوا كالكلاب علي الإخوان بلا رحمة، وقد حاولوا مرارًا أن ينطلقوا عليكم،ولكنني كنت في كل مرة أكبح جماحهم وأقول لهم: اتركوا لي التعامل مع الإخوان, ولكن إلي متي أكبح جماحهم وأقول لهم ذلك؟ لن أستطيع ذلك إلي الأبد، إنني ألقي أشد المقاومة منهم في منع شرهم عنكم، وإذا إنطلقوا فسيكونون كالكلاب الهائجة..
هذا هو تلخيص لما بقي في خاطري الآن من حديث جمال عبد الناصر في هذه الجلسة, أما نص الحديث فكان من التفصيل والاتساع بحيث شمل قرابة ست ساعات متصلة من الساعة التاسعة صباحًا حتي الساعة الثالثة بعد الظهر، لم يقطعه إلا أداء صلاة الظهر حيث أديناها نحن الإخوان جماعة في حديقة المنزل, وكنا جميعًا علي وضوء، وإلا مكالمة أو مكالمتان في التليفون أجراهما جمال وهو جالس معنا مع نائبه في رياسة الوزارة جمال سالم لم يستغرقا إلا دقائق، وإلا بضعة أسئلة وجهناها إليه في أثناء الحديث..
وكان مما وجهناه إليه في أثناء الحديث حين تحدث بعنف عن الجهاز السري للإخوان,ومزج هذا العنف بالتهديد والتوعد إذا لم يوقفوا أعمالهم العدوانية ضده من إصدار النشرات وغيرها أن قلت له: إنك تعلم أن هؤلاء الأفراد من الجهاز السري شباب، ومن صفات الشباب الاندفاع، ولا يمكن وقف هذا الاندفاع فجأة، وأنت أعرف الناس بهم ـ فيجب أن تعطي لنا فرصة كافية لإقناعهم..

القرارات

في نهاية هذه الجلسة الطويلة المضنية كان لابد لنا من الوصول إلي اتفاق محدد، وكان أملنا جميعًا ـ نحن الإخوان ـ أن يكون اقتراحي الذي ذيلت به مذكرتي هو الذي يتم عليه الاتفاق, وتكون مهمتنا ـ نحن المجتمعين ـ أن نبحث تفاصيل تنفيذه ـ ولكن جمال فاجأنا في نهاية الجلسة برفضه هذا الاقتراح، بل برفضه أي اقتراح للصلح قائلاً : »إن الدعوة إلي إجراء صلح بيني وبينكم فات أوانها, ولم تعد الثقة التي هي أساس الصلح موجودة«. وتناقشنا معه حول هذه النقطة نقاشًا طويلاً غير أنه أصر علي الرفض، وما كنا نملك شيئًا بعد أن صار هو يملك جميع أوراق اللعب في يده ونحن لا نكاد نملك منها شيئًا..
قلنا: إذن لم كان هذا الاجتماع؟ ولو علمنا أنك ترفض الصلح لما أتعبنا أنفسنا, ولكن الأستاذ الطحاوي والأستاذ طعيمة أبلغانا أنك قرأت المذكرة ووافقت علي ما بها، وعلي هذا حضرنا..
فقال: أنا وافقت علي المذكرة كمبدأ, فالصلح هدف, ولكنه الآن ليس الهدف المباشر, لكن الهدف المباشر الآن سيكون مقدمة للصلح؛ وإذا استطعتم أن تقوموا بأعباء الهدف المباشر انتقلنا إلي الصلح..
قلنا: وما هو الهدف المباشر..؟
قال: كل الذي أستطيع أن أبذله لكم الآن أن أعقد معكم هدنة؛ فإذا نجحتم فيها كان لكم أن تطالبوا بصلح..
قلنا: وما شروط هذه الهدنة..؟
قال: هما شرطان:
١ ـ أن توقفوا حملتكم علي اتفاقية الجلاء..
٢ ـ أن توقفوا إصدار النشرات..
قلنا: ولنا شرطان مقابلان هما:
١ ـ أن توقف الاعتقالات والتشريد..
٢ ـ أن توقف الحملة الصحفية..
قال: أنا موافق علي شروطكم إذا وافقتم علي شروطي..
قلنا: إننا موافقون..
قال: إذا نفذتم الشروط فلنا اجتماع آخر بعد اجتماع الهيئة التأسيسية ـ أما إذا لم تستطيعوا تنفيذ الشروط فلا إجتماع ولا تلوموني بعد ذلك..
وهنا اختتمت الجلسة وخرجنا وكلنا أمل في الوفاء بما اشترط علينا لنخرج بالدعوة من هذا المأزق الخطير الذي وضعت فيه.(٠٢)

نهاية الإخوان

استمر المرشد العام حسن الهضيبي يصدر البيانات والنشرات، من مخبئه، لتزيد النار اشتعالاً دون أن يدري بتطورات

الموقف, ودون أن يدري بالأهم من ذلك، وهو أن أدق أسرار الإخوان كانت في حوزة عبد الناصر وذلك بفضل أجهزة التصنت الحديثة التي سلطها عليهم..
وكانت الصورة العامة لموقف الإخوان هي ما يلي:
ـ أن القيادة التي تتصل بالمرشد في مخبئه وهي ما كان يطلق عليها مجموعة (الروضة) ـ نسبة إلي منطقة الروضة التي بها بيت الهضيبي ـ هذه القيادة كانت ضد المذكرة التي قدمت لعبد الناصر, وبالتالي قامت بعزل هذا التطور الجديد عن المرشد ومنع أصحاب المذكرة من الاتصال به..
ـ أن الإخوان في الأقاليم، قيادة وأفرادًا، كانوا في عزلة عما يجري في القاهرة وكل صلتهم بالقاهرة تنحصر في النشرات العدائية التي تصلهم منها وتزيد من غضبهم وعزمهم علي الدخول في معركة فاصلة مع عبد الناصر..
ـ تقرر اجتماع الهيئة التأسيسية للإخوان في ٤٢/ ٤٥/٠١,,
ـ أن أعضاء الوفد الذي اجتمع بعبد الناصر أبلغوا قيادة الإخوان بما تم الاتفاق عليه مع عبد الناصر فور الانتهاء من الاجتماع..
ـ قبل اجتماع الهيئة التأسيسية بنحو الساعة صدر بيان للمرشد من مخبئه يطالب الإخوان بمواجهة رجال الثورة وتكفيرهم، وزع علي إخوان الأقاليم القادمين للمشاركة في الاجتماع..
ـ فور بداية اجتماع الهيئة وأثناء افتتاح الجلسة من قبل الدكتور محمد خميس حميدة نائب المرشد, فوجئ الحاضرون بعبد القادر عوده وكيل الجماعة ينحي نائب المرشد من فوق المنصة بصورة غير مهذبة ويحتل مكانه..
ـ تم تنحية موضوع المذكرة ونتائج الاجتماع مع عبد الناصر من جدول الأعمال وبالتالي تم تدمير جهود المصالحة وإجهاضها..
ـ قررت الهيئة في نهاية الاجتماع تكليف اللجنة التي كانموكولاً إليها الاتصال برئيس الحكومة إخطار الهيئة بنتائج هذا الاتصال في اجتماع الهيئة القادم، ومن المعروف أن هذه اللجنة شكك فيها عبد الناصر ورفض التعامل معها.,(١٢)
ـ حدثت مشادات كلامية داخل الاجتماع بين أنصار محاولة الإصلاح ورافضيه وانفض اجتماع الهيئة التأسيسية وخرج أنصار المواجهة مع عبد الناصر يهللون بينما خرج اتجاه المصالحة يبكي حال الإخوان، وما سوف يصب علي رؤوسهم من أهوال ومصائب وكان لسان حالهم يقول وداعًا أيتها الدار..(٢٢)
وجاء حادث المنشية، وأعلنت الحرب علي الإخوان الذين طوردوا في كل مكان، وتم لعبد الناصر تجميعهم بسهولة حيث كانت لديه الكشوف الخاصة بأسمائهم وأماكن تواجدهم.,(٣٢)
وقدم الإخوان لمحكمة عسكرية أطلق عليها **(محكمة الشعب)** وتولي محاكمتهم جمال سالم بمساعدة كل من أنور السادات وحسين الشافعي.,(٤٢)
وصدرت الأحكام بسرعة في يوم ٤٥ / ٤/٢١بالأحكام التالية:
حكم بالإعدام علي كل من محمود عبد اللطيف المتهم بمحاولة اغتيال عبد الناصر..
وعبد القادر عوده والشيخ محمد فرغلي وإبراهيم الطيب ويوسف طلعت وهنداوي دوير..
ثم المرشد حسن الهضيبي الذي استبدل حكمة إلي السجن المؤبد..
وأسدل الستار علي تيار الإخوان طوال الفترة الباقية من الخمسينيات إلي أن عاد إلي البروز مرة أخري في منتصف الستينيات بزعامة سيد قطب، مما يدل علي أن عبد الناصر قضي علي الإخوان لكنه لم يستطع القضاء علي أفكارهم التي ظلت ممتدة في خلايا المجتمع مع عناصر كثيرة للإخوان لم تطولها يده..
إلا أن انتفاضة الإخوان في منتصف الستينيات، وإن كانت قد أخذت دفعتها من أحداث الخمسينيات فهي لا تعبر في الحقيقة إلا عن الجيل الجديد من الإخوان الذي تشبع بفكر سيد قطب, ولا صلة لها بالجيل القديم جيل الهضيبي، وإن كان عبد الناصر قد أخذ القديم بجريرة الجديد..
لقد استمر الصراع بين عبد الناصر والإخوان أقل من عامين بدأ بعد قيام الثورة بفترة قصيرة وإنتهي في ٨٢/ ٤٥/٠١,, وقد ساعده علي إنهاء هذا الصراع سريعًا تركيبة الواقع وطبيعة الشعب التي أشرنا إليها في مقدمات الكتاب. ويمكن القول أن ما فعله عبد الناصر مع الإخوان كان لتقامًا ولم يكن علاجًا، كان لتقامًا من تيار يعترض طموحاته، ولم يكن علاجًا للمسألة الإسلامية في مصر..
وكان من نتائج سياسة الإنتقام هذه أن تحول التيار الإسلامي إلي عامل إزعاج دائم لنظام الحكم في مصر كلفه وكلف مصر الكثير, ولازال يكلفها الكثير من الأعباء والتبعات..

الهوامش

(١) نشر هذا البيان في الصحف بتاريخ ٢/ ٢٥٩١/٨, ويلاحظ أنه قد تم تطبيق الكثير من البنود التي حوتها هذه المذكرة من قبل عبد الناصر..
(٢) أنظر من منشورات الإخوان كتاب الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، ج٣/ ٧٣، ولم يكن يعرف بموقف عبد الناصر من الإخوان إلا مجموعة القيادات التي حضرت إجتماع ٢٥,/ ٨٢/٧
(٣) أنظر الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، ج٣/ ١٤١، ومراجع الإخوان..
(٤) أنظر المرجع السابق..
(٥) المرجع السابق..

١٠١ وما بعدها../(٦) أنظر مذكرات عبد اللطيف بغدادي, وكلمتي للتاريخ لمحمد نجيب , وصحف تلك الفترة والمرجع السابق، ج٣
(٧) أنظر الإخوان المسلمون المرجع السابق ج٣/ ٣٦٨,,
(٨) نشر في الصحف وقتها تحت عنوان (انقسام خطير في صفوف الإخوان بتاريخ ٨٢/ ٣٥/٢١,,
ونشر بيان الغزالي في نفس اليوم, وصدر قرار فصل الشيخ الغزالي وعشماوي وأحمد عبد العزيز جلال بتاريخ ٩ / ٥٣/١٢, وكان الإخوان قد اتهموا الثلاثة بالضلوع في محاولة الانقلاب التي تزعمها السندي..
(٩) اعتبر الإخوان هيئة التحرير بمثابة المسجد الضرار الذي كان قد أسسه المنافقون في زمن الرسول (ص) للتآمر علي الدعوة. (أنظر سورة التوبة) وقد تقدم بعرض الوزارة الإخوانية صلاح سالم, وكان رأي الإخوان أنه لابد من حل مجلس قيادة الثورةأولاً , أنظر الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج ٣/,,١٧٧
(٠١) نشر هذا البيان في صحف اليوم التالي وكان ما نشيت الصحف يقول بيان خطير من مجلس قيادة الثورة عن الإخوان المسلمين لاتصالهم بالإنجليز, وإقامة منظمات سرية في الجيش والبوليس, ومحاولة قلب نظام الحكم القائم تحت ستار الدين. إعتقال (٠٥٤) والإفراج عن (٠٢), وكان البكباشي أنور السادات قد صرح بأن المؤسسات الاجتماعية لجماعة الإخوان المنحلة, كالمدارس والمستوصفات والمستشفيات وغيرها سوف تظل تمارس نشاطها تحت اسم جديد يحدده وزير الداخلية, ولا ينطبق علي هذه المؤسسات قرار المصادرة الذي يقضي به أمر حل الأحزاب ومصادرة أموالها وممتلكاتها, أنظر الإخوان المسلمون المرجع السابق, و صحف تلك الفترة..
(١١) أنظر جريدة المصري تاريخ ٩/ ٤٥/٣, والإخوان المسلمون ج٣/ ٢٨١,,
(٢١) أنظر مذكرات البغدادي..
(٣١) أنظر الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ ج٣/ ٢٨٢,,
(٤١) أنظر المرجع السابق ج٣/ ٢٩٨، والمراجع التي رصدت تلك الفترة..
(٥١) كان من بين هذه المنشورات منشور يتهم عبد الناصر بإبرام إتفاق مع الإسرائيليين أثناء حصار الفالوجة..
(٦١) أنظر المرجع السابق ج٣/ ٣٠٥,,

(٧١) فتح عبد الناصر ملف الإخوان وعلاقة الهضيبي بالملك من أجل التشهير بالإخوان, وقد كان المرشد العام في خارج مصر وقتها يزور لبنان وسورية ونشرت جريدة لبنانية رأيه حول إتفاقية الجلاء ونقده لها..
(٨١) أنظر كتاب جمال عبد الناصر لأحمد أبو الفتوح, وكتاب الإخوان المسلمون ج٣/٣٤٥ وما بعدها..
(٩١) أنظر الإخوان المسلمون ج٣/ ٣٥٤، وصاحب المذكرة هو الأستاذ محمود عبد الحليم مؤلف كتاب الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ. الذي يعد التاريخ الرسمي لجماعة الإخوان..
(٠٢) المرجع السابق..
(١٢) رفض عبد الناصر استقبال اللجنة بعد هذا الاجتماع, وبذلك قطعت جميع خيوط الاتصال بين الإخوان وعبد الناصر..
(٢٢) أنظر الإخوان المسلمون ج٣/ ٣٩٣,,
(٣٢) أنظر باب حوادث الحركة من هذا الكتاب..
(٤٢) أنظر نصوص من هذه المحاكمات ضمن وثائق الكتاب, والمحاكمات بدأت بتاريخ ٩/ ١١/ ٤٥ أي استغرقت أقل من شهر..

مرحلة السبعينيات

السادات ولعبة الجماعات..

اتجه عبد الناصر إلى استخدام الورقة القومية..
واضطر السادات لاستخدام الورقة الإسلامية..
كان في حاجة ماسة إليها لمواجهة خصومه..
وكان في حاجة أكثر لها من أجل إضفاء المشروعية على نظامه..
من هنا كان قراره بإخراج الإخوان من المعتقلات لتدخل مصر في دوامة الجماعات..
لكن هذا القرار لم يكن في صالحه ولا في صالح مصر..
ودفع السادات الثمن غالياً ودفعت مصر أيضاً..
ولا تزال تدفع..

الإخوان والسادات
تصالح وتنافر..

بدأ السادات أولي خطواته علي طريق ترتيب الواقع السياسي في مصر بإفراغ السجون والمعتقلات من العناصر السياسية بتياراتها المختلفة , ومن بينها عناصر الإخوان التي مارست نشاطها علي ساحة الواقع من جديد بمباركة النظام..

وكان يعلم جيدًا أن كل التيارات السياسية التي تم الإفراج عنها في تلك الفترة وعلي رأسها الإخوان سوف تعود إلي ممارسة نشاطها مرة أخري، وهذا أمر بديهي، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إلي أي مدي سوف يفسح نظام السادات الطريق أمام هذه التيارات..؟

لقد رفع السادات في بداية حكمه شعار دولة **(العلم والإيمان)** وكان بهذا يخطط لركوب الموجة الإسلامية، وقد وجد في الإخوان صالته, فمن ثم كثرت اللقاءات السرية والعلنية بينه وبين قادة الإخوان من أجل تنسيق سبل العمل بينهم والاتفاق علي صيغة موحدة تجاه المسألة الإسلامية في مصر..

وكانت سياسة السادات التي يريد تطبيقها علي الإخوان سياسة حصان طروادة فقد كان يريد أن يصل إلي عمق الحركة الإسلامية في مصر عن طريقهم..

كان السادات يبيت النية للتيار الإسلامي..

وكان الإخوان يتعاملون معه بحسن نية، وبدا وكأنهم قد آمنوا جانبه، حتي أن موقفهم من إتفاقية كامب ديفيد كان مثل أسلوب إمساك العصا من منتصفها, وهذا الموقف المسالم إلي حد المداهنة من قبلهم تجاه السادات وموقفه تجاههم كانت تفرضه المصلحة المشتركة للجانبين..

مصلحة الإخوان في أن يعودوا، ويكون لهم وجودهم الشرعي المعترف به..

ومصلحة السادات في أن يكون الإخوان لافتة لنظامه تحتوي أي مد إسلامي متطرف يبرز علي الساحة، وتكون عونا له في مواجهة الشيوعيين والناصريين..

لأجل ذلك سخر الإخوان كل الإمكانيات الإعلامية المتاحة لديهم وفي مقدمتها مجلة الدعوة في محاولة إثبات أنهم الحمل الوديع، البعيد كل البعد عن صور العنف والتطرف، وبدا هذا وكان حركة الإخوان قد تبرأت من التيارات الإسلامية الأخري التي تتخذ موقفًا معاديًا من نظام السادات..

تحت عنوان: **موقف الإخوان من الانقلابات والمؤامرات والمظاهرات** كتب الأستاذ عمر التلمساني في مجلة الدعوة ما نصه: »أما إذا كان المقصود بالحركة هو التظاهر فما قرأنا في كتب السيرة أن الصحابة صاحوا يومًا بحياة فلان أو سقوط فلان، وهذا أدب إسلامي تأخذ به أنفسنا مهما تقول المتقولون الذين ينسبون إلينا أننا محل رضاء الحكم القائم. وأما إذا كان المقصود بالحركة التآمر وتدبير الإنقلابات، فهذا لا يفعله إلا طلاب الحكم لذات الحكم، أما نحن فلا يعنينا شخص من يحكم، ولكن في المقام الأول يهمنا نوع الحكم ودستوره وشكله ونظامه.. وبعد ذلك فليحكم من يحكم..

وأما إذا كان المقصود بالحركة هو الإصطدام بالحكم عن طريق القوة والعنف، فنحن نري في ذلك استهلاكًا لقوي الشعب وإستنفاذًا لجهوده، لا يستفيد منه أحد إلا أعداء هذا البلد..

إننا نتحرك في سبيل دعوة الإسلام وتحركنا في كلمات هو أننا نربي الشعب، وخاصة الشباب علي الأسس الإسلامية.. ونقول الحق وتدعو الناس إلي الوقوف بجانبه ومساندته..

وتحن نجمع الناس في المناسبات العامة لنقول لهم ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن يتجنبوه.. ونحن نحذر الناس من العلمانية..

ونحن نعتمد علي الله في تربية الشباب علي الكتاب والسنة..

ثم نحن لا نتعجل الزمن ولا نستطيله..(١)

وعندما أعلن وزير الداخلية السابق، نبوي إسماعيل، أن وزارته تعد دراسة بالتعاون مع وزارة الأوقاف حول كيفية مواجهة الأفكار الدينية المتطرفة كتبت مجلة الدعوةمقالاً تحت عنوان: **إلي وزير الداخلية ومن يعنيهم الأمر**..
نريد مبادرة سلام مع الإسلام , وكانت فاتحة المقال الذي كتبه أحد رجال الإخوان ما يلي: اللجوء إلي الدراسةبدلاً من العنف تطور إيجابي بلا شك إذا كانت النية صادقة والرغبة حقيقية والإخلاص مؤكدًا..(٢)
وقد وجه الأستاذ التلمساني إلي السادات دعوة غير مباشرة في إحدي افتتاحيات مجلة الدعوة كان عنوانها: **يا حكام المسلمين كونوا إخوانًا مسلمين** قال فيها: ندعوكم لتكونوا إخوانًا مسلمين لا نبتغي بذلك عونا منكم..
وقال: نحن لا نتهمحاكمًا في نواياه فما جعل الله ذلك إلينا, ولكننا نتناول الأعمال وحدها بالنقد أو المدح، وهو يقصد بذلك إتفاقية كامب ديفيد مطمئنًا السادات أن نقد الإخوان للإتفاقية لا يعني الطعن في شخصه وإخلاصه للقضية العربية..
وقال: فالعجيب إذن أن يضيق الحاكم المسلم بالأخ المسلم، وهو لا يضمر لهشرًا ولا يزاحمهحكمًا, ولا يتربص به دائرة, وهو لا يدعو إلا إلي تطبيق شرع الله ويعتبر نفسه جنديًامخلصًا لكل حاكم يأخذ شعبه بشرع الله,,(٣)

وقال: إن غيرنا من الأحزاب والهيئات ينازعونكم حكمكم ويريدون سلبكم إياه, أما الإخوان المسلمون فإنهم يتمنون لكم الطمأنينة من أعماق قلوبهم ليكونوا أنصارًا لكم إذ يدعونكم إلي الإصلاح فتستجيبون..
وهو بهذا كله يريد طمأنة السادات وغيره من الحكام من أن جماعة الإخوان لا تشكلخطرًا علي نظام حكمهم والهدف من وراء هذا الكلام كله هو دعوة السادات بطريقة غير مباشرة إلي إعادة النظر في مسألة عودة جماعة الإخوان..
يقول التلمساني: لماذا لا يباح للإخوان المسلمين في الدول الإسلامية ما يتاح لغيرهم من الهيئات والجماعات وحتي الأحزاب..؟
هل عرف الذين أكثروا علينا في خطاباتهم من السؤال عن السبب في عدم عودة الإخوان المسلمين وقد عادت كل الهيئات والأحزاب حتي الملحدون..؟(٤)
لقد قام الإخوان بدور فعال في مقاومة التيارات المعادية لنظام السادات علي مستوي الجامعة, كما قاموا باحتواء التنظيمات الطلابية الإسلامية المتطرفة داخلها, وإن كان هذا الاحتواء لم يستمرطويلاً ..
وقاموا بمناهضة التيار الشيوعي والناصري وأصدروا البيانات التي يهاجمون فيها كل صور التطرف التي برزت في ساحة العمل الإسلامي في مصر، كما أصدروا بيانات ينادون فيها بالوحدة الوطنية والأخوة والتعاون مع نظام الحكم بعد أحداث الزاوية الحمراء عام ١٨,,
وعلي الرغم من ذلك كله لم يشفع لهم عند السادات شيء من هذا، فعندما صدرت قرارات سبتمبر بالتحفظ علي رؤوس الفتنة ومهددي الوحدة الوطنية ــ حسب تعبير السادات ــ كان الإخوان من أوائل الذين شملتهم موجة الاعتقالات في صباح الثالث من سبتمبر,علي يد جهاز المباحث الذي كان يحقق معهم بتهمة تشكيل تنظيم سري جديد,,(٥)
يقول البنا: إنه ليس أعمق في الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا في أي عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من الحكومات، أن منفذين لغاية غير غايتهم أو عاملين علي منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان,,(٦)

الهوامش
(١) مجلة الدعوة عدد رقم ٣١/ نوفمبر/٨٧٩١,,
(٢) مجلة الدعوة عدد رقم ٢٢/ مارس/٨٧٩١,,
(٣) المقصود بالأخ هنا هو جماعة الإخوان..
(٤) مجلة الدعوة عدد رقم ٢٧/ أغسطس/٨٧٩١,,
(٥) قتل أحد رجال الإخوان أثناء التحقيقات وهو الشيخ كمال السنانيري..
(٦) أنظر رسالة المؤتمر الخامس..

الخصوم

التيارات الأخرى..

ـ القطبيون..
ـ التكفير..
ـ السلفيون..
ـ الجهاد..
ـ الجماعة الإسلامية..

لم تكن الساحة خالية للإخوان بعد عودتهم فقد برزت العديد من التيارات المخاصمة لهم..

في مقدمتها التيار القطبي وتيار التكفير وكلاهما انبثق من خلالهم..

ثم التيار السلفي الذي انبثق من خلال المد الوهابي السعودي الذي فتح له السادات أبواب مصر على مصارعها..

ومن التيار السلفي تولد تيار الجهاد الذي قام في بدايته على أساس أفكار قطب والمودودي ثم اتجه ليستمد مشروعيته من الفكر السلفي..

وكذلك تيارالجماعة الإسلامية بصعيد مصر الذي نمى في أحضان الإخوان ثم تمرد عليهم ليتحول نحو الفكر السلفي..

وأصبحت هذه التيارات شريك أساس للإخوان في ساحة الحركة..

وهذه التيارات هى :

ـ القطبييون..
ـ التكفير..
ـ السلفيون..
ـ الجهاد..
ـ الجماعة الإسلامية..

وقد اخترنا الحديث عن هذه التيارات الخمسة باعتبارها الممثل للحركة الإسلامية الذي ارتبط بأحداثها الكبري في تلك الفترة لا الإخوان..

و تحديد نوعية التيارات العاملة في الحقل الإسلامي بمصر لا يرتبط بحجم التيار وشعبيته فقط، وإنما يرتبطأيضًا بالأثر الذي أحدثه هذا التيار علي ساحة الواقع، والحدث الذي إرتبط به..

فتيار التكفير،مثلاً، لا يوزن بشيء أمام تيار الإخوان، غير أنه إرتبط بعدة أحداث أبرزته كتيار فاعل له وزنه علي رأس هذه الأحداث حادثة إغتيال الدكتور الذهبي..

ومعظم التيارات الإسلامية في مصر ليس لها العمق التاريخي والوزن الشعبي الذي يجعل منها قوة مؤثرة في واقع المجتمع باستثناء تيار الإخوان ـ إلا أن هذه التيارات إرتبطت بكم من الأحداث أبرزتها كتيارات فاعلة، فتيار الجهاد إرتبط بحادث إغتيال السادات، وتيار الجماعة الإسلامية إرتبط بكثير من الأحداث التي استمرت حتي التسعينيات..

والتيار السلفي الذي ارتبط بسياسة الحكم..

وهذه التيارات الخمسة التي سوف نتحدث هى وليدة مرحلة السبعينيات باستثناء القطبيين والتكفير فهما وليدا فترة الستينيات على ما سوف نبين..(*)

(*) جماعة الإخوان وليدة العصر الملكي كما هو معروف..

القطبيون

الواقع جاهلي والحكومات مرتدة..

لم يكن بروز تيار سيد قطب وسط جماعة الإخوان محل ترحيب من قبلها كما أشرنا من قبل، وخاصة أن هذا التيار يصطدم بالقواعد الأساسية التي يقوم عليها فكر جماعة الإخوان, وإنما كان محل ترحيب من قبل الجيل الجديد من شباب الإخوان الذي عاش فترة الخمسينيات والستينيات بما حملت من أحداث ومتغيرات..

ولم يكن من السهل علي عبد الناصر أن يجتث تيار الإخوان من الجذور وأن يمحو وجوده من وجدان أنصاره والمتعاطفين معه..

وكانت السياسة القمعية التي إنتهجها عبد الناصر في مواجهة الجماعة، والتي فاقت الحد، وراح ضحيتها آلاف الأسر من عائلات عناصر الإخوان قد أسهمت في إحياء النزعة العدائية لنظامه..

من هنا، فقد كانت المرحلة لا يحتملها خط البنا المهادن للواقع وإنما كانت تتطلب انطلاقة جادة وفاعلة في مواجهة الحكم، والتي وجدت دفعتها من خلال طرح سيد قطب وأفكاره التي نبتت داخل المعتقل، وأخذت تتسرب إلي خارجه حتي تعدت حدود مصر ليتلقفها عناصر الإخوان بالخارج..

وهكذا برزت طليعة جديدة من طلائع الإخوان تتبنيطرحًا جديدًا غير طرح المؤسس، حسن البنا. يحمل في طياتهموقفًا جديدًا من الحكم ومن المجتمع أشد عداءً وأكثر خطورة علي عبد الناصر..

وكان سيد قطب، الأب الروحي لهذا التيار من بين المعتقلين في أحداث عام ٤٥ وتم الإفراج عنه بعفو صحي عام٦٤ ,إلا أنه ما لبث أن قبض عليه في العام التالي في ٥٦/٨/٩ بعد أن تم إكتشاف التيار الجديد، وتبين لأجهزة الأمن عودة جماعة الإخوان إلي مزاولة نشاطها..(١)

تنظيم عام ٥٦

أعلن عبد الناصر من موسكو، وقبل الإعلان، عن كشف تنظيم سيد قطب من قبل أجهزة الأمن المصرية ـ عن ضبط مؤامرة لاغتياله والتآمر لقلب نظام الحكم، ثم بدأت بعد ذلك موجة من الاعتقالات الواسعة شملت أكثر من عشرين ألفًا من العناصر الإسلامية لتتشكل قضية كان نص قرار الاتهام الذي نشر في ٦٦/٢/٤ ما يلي:

بتاريخ ٥٦ /٠٣/٠١أبلغت إدارة الشرطة والمباحث الجنائية العسكرية أن تحرياتها أثبتت أن جماعة الإخوان المسلمين المنحلة قامت بإعادة تنظيم نفسها،تنظيمًا مسلحًا، بغرض القيام بعمليات اغتيال المسئولين, يعقبها عمليات نسف وتدمير للمنشآت الحيوية بالبلاد، هادفة من وراء ذلك إلي الاستيلاء علي الحكم بالقوة...

وقد ثبت من التحريات أن هذا التنظيم يشمل جميع مناطق الجمهورية وأنه أجري اتصالات ببعض الجهات الأجنبية التي أعدته بالأسلحة والأموال مساعدة لنشاطه, وأن الاتصالات والاجتماعات التي دارت من أجل قيام هذا التنظيم بدأت منذ عام ١٩٦٠, وقد أورد البلاغ رواد هذه الاتصالات التي أسفرت عن استقرار الوضع النهائي للتنظيم السري لهذه الجماعة علي النحو التالي:

المتهم الأول: سيد قطب إبراهيم، رئيس التنظيم..

المتهم الثاني: محمد يوسف هواش، نائب رئيس التنظيم..

كما تشكل مجلس قيادة للتنظيم، روعي فيه أن يختص كل عضو من أعضائه بمسئوليات نوعية وإقليمية، علي النحو التالي:

المتهم الثالث: علي عبده عشماوي، مسئول عن التدريب والسلاح، ومسئول عن تنظيمات القاهرة..

المتهم الرابع: عبد الفتاح عبده إسماعيل، مسئول عن الناحية الدينية والمالية والإتصالات الخارجية، ومسئول عن تنظيمات المنطقة الشرقية..

المتهم الخامس: أحمد عبد المجيد عبد السميع، مسئول عن الأمن والمعلومات، ومسئول عن تنظيمات الصعيد.

المتهم السادس: صبري عرفه إبراهيم الكومي، مسئول عن الدقهلية والغربية ووجه بحري..

المتهم السابع: مجدي عبد العزيز متولي، مسئول عن الناحية العسكرية، ومندوب الاتصالات بين الإسكندرية والبحيرة.

وقد شمل قرار الاتهام عدد ٤٣ متهمًا من بينهم زينب الغزالي وحميدة قطب شقيقة سيد قطب، ولم يشمل القرار محمد قطب شقيق سيد والذي كان قد اعتقل قبل شقيقه في يوليو ٦٥,(٢) وطالبت النيابة بتوقيع عقوبة الإعدام علي سبعة من المتهمين علي رأسهم سيد قطب ومعاقبة الباقين بالأشغال الشاقة. ووجهت إليهم تهمة محاولة تغيير نظام الحكم بالقوة وتشكيل تنظيم سري لاغتيال القائمين علي الحكم.(٣) وقررت المحكمة التي ترأسها الفريق الدجوي محاكمة المتهمتين زينب الغزالي ـ رئيسة جمعية السيدات المسلمات ـ وحميدة قطب في جلسة خاصة..(٤)

وفي تحقيق نيابة أمن الدولة ووجه سيد قطب بالأسئلة التالي وكانت إجاباته كما جاءت علي لسان الإدعاء أثناء المحاكمة وكما نشرت في الصحف هي كما يلي:
س: هل تري أن تنظيمكم السري كان يلتزم بما ضمنته من آراء في كتاب (معالم في الطريق)؟
جـ: أيوه.. ومعالم في الطريق كتاب فيهفعلاً خلاصة آرائي والتي كنت أقود التنظيم علي أساسها..
س: ما مدلول عبارة الحاكمية لله في رأيك..؟
جـ: أن تكون شريعة الله هي قاعدة التشريع..
س: ومتي نودي بهذه العبارة فيما تعرف..؟
جـ: ده تعبير استقيته أنا من دراستي للإسلام..
س: ألا تعرف إن هذه كلمة قالها الخوارج قديمًا. وقد قال عنها الإمام علي إنها كلمة حق أريد بها باطل..
جـ: أنا لا أتذكر موضعها هذا من التاريخ، ولم أكن أعنيه عندما استعملتها, وأنا كنت أعني أن تكون شريعة الله هي قاعدة التشريع..
س: ألم تنقل هذه الأفكار من مؤلفات أبي الأعلي المودودي..؟
جـ: أنا إنتفعت بكتب المودودي وغيرها من الكتب أثناء دراساتي للإسلام..
س: وما الفرق بين ما تنادي به وما ينادي به أبو الأعلي المودودي..؟
جـ: لا فرق..(٥)
ويمكن القول أن تنظيم عام ٥٦ كانتنظيمًا فكريًا يعبر عن طرح سيد قطب وليس طرح البنا, ولم يرتبط بأية أحداث جنائية، وإن كانت النيابة قد نصت في اتهامها للمعتقلين علي أنهم تدربوا علي استخدام الأسلحة والمفرقعات التخريب المنشآت العامة وإثارة الفتنة في البلاد..(٦)
ومن هنا فإن الأحكام الصادرة في هذه القضية كانت أحكامًا انتقامية أكثر من كونها أحكامًا توازي حجم القضية..
ولعل ما يؤكد هذا الاستنتاج اعتراف السادات أن التهم التي وجهت لجماعة قطب كانت من إختراع عبد الحكيم عامر..(٧)
كما أن عبد الناصر قد خضع للوساطات الخارجية من أجل العفو عن سيد قطب، ووافق علي ذلك مقابل أن يكتب قطب تنازلاً لعبد الناصر يعلن فيه تأييده له, ولما رفض قطب كتابة التنازل قرر عبد الناصر إعدامه بعد أن أثاره رد سيد قطب علي رسالة أرسلها له وهو في سجنه..(٨)
وقد وجه الإتهام إلي السعودية بدعم محاولة الانقلاب ضد عبد الناصر, وتهريب الأسلحة إلي مصر لقطب ومجموعته عن طريق أسوان..(٩)
وبالإضافة إلي هذا شنت حربًا شعواء من قبل أجهزة الإعلام الحكومية, ومن قبل الأزهر وخطباء المساجد علي جماعة الإخوان وصدرت الكثير من الكتب والمقالات التي تطعن في الجماعة وتشوه قطب وتسخر من أفكاره..(١٠)
وهكذا سلطت الأضواء علي سيد قطب الذي أتهم بتدبير محاولة لقلب نظام الحكم لصالح جهات أجنبية معادية، كان في مقدمتها السعودية وحكم عليه بالإعدام من قبل المحكمة العسكرية التي كان يرأسها الفريق الدجوي، ونفذ فيه حكم الإعدام في الثاني والعشرين من أغسطس عام ٦٦ علي الرغم من إحتجاج هيئات إسلامية كثيرة علي مستوي العالم الإسلامي..
وكان إعدام سيد قطب قد ضاعف من وزنه في ساحة العمل الإسلامي, وأعطي لفكرة الروح الحركية التي جعلت منه مدادًا للحركات الإسلامية في كل مكان, فعلي الرغم من النضج والوعي والإيجابية والفعالية التي يتميز بها فكره الذي جعل له مكانة كبيرة في قلوب المسلمين في كل مكان إلا أنه علي حد قوله: ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام كما نصرها بإستشهاده, وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة ويحفز الألوف إلي الأعمال الكبيرة بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه فتبقيحافزًامحركًا للأبناء والأحفاد، وربما كانتحافزًامحركًا لخطي التاريخ كله مدي أجيال,,(١١)
ومنذ أن حسمت قضية سيد قطب وضرب تياره خلت الساحة المصرية من أي نشاط إسلامي يتبني فكرة أو يدعو إلي إصلاح أو تغيير, وأصبحت السيادة للأزهر والجمعيات الأهلية التقليدية بالإضافة إلي الطرق الصوفية..
إلا أن النكسات التي حلت بعبد الناصر، بداية من فشل الوحدة مع سوريا وحرب اليمن، ثم هزيمة عام ٧٦ بالإضافة إلي عزلته عربيًا واضطراره إلي التعامل مع السعودية والأردن، وغيرهما من الأنظمة التي كان يصفها بالرجعية والعمالة مع الإشارة إلي الحالة الاقتصادية السيئة التي كان يعيشها الشعب المصري, كل ذلك دفع بعبد الناصر إلي إعادة ترتيب أوراقه ومراجعة موقفه تجاه التيار الإسلامي..
ومن هنا برزت فكرة الاتجاه نحو مصالحة وطنية مع كافة التيارات السياسية التي تم تصفيتها, وعلي رأسها تيار الإخوان..
وكان أن أرسل عبد الناصر السادات لإجراء اتصالات مع الإخوان داخل المعتقلات, تلك الاتصالات التي استمرت حتي تسلم الحكم بعد عبد الناصر، حيث كانت هناك عدة رسائل متبادلة بينه وبينهم..

ما بعد قطب

ويمكن القول أنه من خلال الظروف والملابسات التي مر بها تيار سيد قطب في فترة الستينيات, وأحكام الإعدام التي قضت علي الرؤوس المفكرة فيه, بالإضافة إلي ظروف وملابسات الساحة المصرية في فترة السبعينيات التي ازدحمت بالتيارات الإسلامية المختلفة، وفي مقدمتها تيار الإخوان الذي سعي من بداية عودته إلي الساحة إلي احتواء التيارات العاملة فيها..

من خلال ذلك فإن التيار القطبي لم تتح له الفرصة الكافية للتحرك، وفق نظرية سيد قطب ولم يجد المناخ الملائم لتطبيقها..

من هنا فإن هذا التيار الذي تزعمته عناصر من أعضاء تنظيم سيد قطب الذي حوكم في منتصف الستينيات، وكان قد تم الإفراج عنهم في حركة تصفية المعتقلات في بداية عهد السادات مع أفراد جماعة الإخوان، هذا التيار لايزال محدود الحجم ضعيف الوزن قليل التأثير..

ولعل هذا يعود إلي طبيعة الأسلوب الذي يتحركون به، والذي يعتمد علي الكتمان وعزلة الواقع شعوريًا، مع التوقف عن إستغلال فرص العمل السياسي والإعلامي لصالح فكرتهم, كما يعود إلي الحرص الشديد في إنتقاء العناصر الصالحة للعمل معهم..

والتيار القطبي يكاد ينحصر في بعض محافظات الوجه البحري، وليس له وجود يذكر في الوجه القبلي الذي أصبحت السيادة فيه للتيار السلفي الجهادي المتمثل في الجماعة الإسلامية..

ويواجه التيار القطبي حربًا نفسية من قبل جماعة الإخوان التي لا تكف عن إتهامه بتبني قضايا التكفير، تلك القضايا التي تمثل خروجًا علي عقيدة السلف التي تلتزم بها كل التيارات العاملة علي الساحة المصرية، والتي يتشكك الفرد المسلم في أي إتجاه أو تيار يحيد عنها ولو بقدر ضئيل، ويرفض الإنتماء إليه والإعتراف به..

ولقد تعرضت أفكار سيد قطب ونظريته إلي تفسيرات شتي من قبل الكتاب وبعض الجماعات لكن هذه التفسيرات كلها لم تبرز المضمون الحقيقي لهذا الفكر، وبعضها كان قد إنحرف به عن غرضه وحمله ما لا يحتمل. ومن بين كتب سيد قطب التي تركزت من حولها الأضواء وتلقفته التيارات الإسلامية كتاب »معالم في الطريق« ذلك الكتاب الذي تعرضت نصوصه لتأويلات مختلفة ومتناقضة قذفت به إلي جانب التكفير تارة، وإلي جانب العزلة تارة، وإلي جانب الجهاد تارة أخري. ولا يزال هذا الكتاب حتي الساعة يحتاج إلي أن يدرس دراسة موضوعية هادفة مع ربطه بسيرة صاحبه وشتي مواقفه حتي نتبين البعد الحقيقي من وراء نصوصه والقضايا التي طرحت من خلاله. ولا توجد في الوسط الإسلامي اليوم شخصية بارزة تمثل التيار القطبي أو تنطق بلسانه، وربما يكون التيار القطبي قد حاول أن يسد هذا النقص بدفع الأستاذ محمد قطب الشقيق الأصغر لسيد قطب لكي يقوم بهذا الدور، إلا أن محمد ربما رفض القيام بهذه المهمةنظرًا لكبر سنه من جهة، ولأنه من الأصل لم يقحم نفسه في أي نشاط إسلامي جماعي من قبل، وذلك بالإضافة إلي إقامته الدائمة بالسعودية منذ فترة طويلة,,(٢١)

وعلي هذا الأساس فإن التيار القطبي يفتقر إلي الكوادر الفكرية المنظرة, شأنه في هذا شأن كل التيارات الإسلامية العاملة في الحقل المصري, ومنذ أن تم الإفراج عن أنصار التيار القطبي في بداية السبعينيات وحتي تم إعتقالهم مرة أخري في موجة الإعتقالات الشاملة التي وقعت بهد حادث الإغتيال..

ولم يرتبط التيار القطبي بأي من الأحداث التي وقعت طوال هذه الفترة ولم يكن له دور فيها، ولم يكن إعتقال أفراده في عام ١٨ بسبب الإشتباه في صلتهم بالأحداث التي وقعت في تلك الفترة، وإنما لكونهم يشكلون تنظيمًا سريًا يتبني أفكارًا مناهضة لنظام الحكم، ثم أفرج عنهم بعد ذلك تباعًا مع بقية التنظيمات والعناصر الفكرية الأخري التي اعتقلت معهم في ذلك الوقت..(٣١)

وطالما ظل التيار القطبي متمسكا بنظرية سيد قطب وحصر نشاطه وتحركاته في دائرة بعث القاعدة الإسلامية بعيدًا عن المساهمة في أي نشاطات أخري، وخاصة النشاطات السياسية فسوف يظل تيارًا مبهمًا بعيدًا عن الأضواء، متقوقعًا علي نفسه في مواجهة أوضاع ومتغيرات تفرض عليه أن يتفاعل مع الواقع وأن يكون قريبًا من الأحداث، فأي تيار سياسي لا يمكنه الصمود والإستمرار في الساحة السياسية دون أن تكون لديه أهتمامات حركية، ولو في محيط المحافظة علي كيانه وتأمين مسيرته..

وإذا كنا سوف نأخذ برأي البعض ممن عاصروا سيد قطب وتبنوا فكره ونظريته, ذلك الرأي الذي يقول بأنه لا وجود للتيار القطبي إلا ضمن جماعة الإخوان, فإننا نستطيع التسليم بهذا الرأي من جانب أن التيار القطبي ليس كيانًا تنظيميًا مستقلاً له أجهزته ومؤسساته, كحال جماعة الإخوان وإنما هو تيار فكري فرض نفسه علي ساحة الواقع، وكان له وجوده التنظيمي في فترة الستينيات، وهو في فترتنا هذه ربما يكون في طريقه إلي التبلور في صورة تنظيمية أكثر فعالية، وأنه إذا كان الإخوان قد استطاعوا احتواء بعض أفراد هذا التيار فإنهم لم يستطيعوا أن يحتووا الفكر القطبي..

إن فكر سيد قطب لم ينحصر في محيط التيار القطبي فكما أسهم من قبل في بروز فكر التكفير، فقد أسهم فيما بعد في بلورة فكر الجهاد، وأخذ امتدادًا إلي خارج مصر ليشمل تأثيره تيارات إسلامية كثيرة في مختلف بقاع العالم الإسلامي، في حين أن خط البنا انحصر في دائرة جماعة الإخوان وفروعها في الدول الأخري ولم يمتد إلي أي من التيارات الأخري..

الهوامش

(١) كان سيد قطب يرأس تحرير جريدة الإخوان الناطقة بلسان الجماعة في فترة الخمسينيات وقد شملته المحاكمات.. وبخصوص حالته الصحية فقد كان يعيش برئة واحدة..
(٢) أنظر جريدة الأخبار، عدد ٦٦,/٢/٤,
(٣) المرجع السابق..
(٤) أخبار اليوم، عدد ٦٦/٤/١٠,,
(٥) الأخبار، ٦٦/٤/١٠,,
(٦) الأخبار، ٦٦/٢/٤,,
(٧) أنظر كتاب الصامتون يتكلمون لعبد اللطيف بغدادي..
(٨) كان قد توسط لسيد قطب ملك المغرب والرئيس العراقي عبد السلام عارف, وشخصيات إسلامية كبيرة من مختلف أنحاء العالم الإسلامي..
(٩) الأخبار، عدد ٦٦/٢/٤ وقد إتهمت الأردن ودول حلف بغداد أيضًا، أنظر الأهرام، عدد ٥٦/٩/٠١,,
(٠١) من هذه المنشورات، منشور (إخوان الشياطين) الذي أصدره علماء الأزهر ومنشور (الإخوان والإرهاب) ،منشور (معالم علي طريق الخيانة) وهو رد علي كتاب معالم في الطريق، وأنظر منشور (مؤامرات الخيانة والإرهاب) أنظر وثائق الكتاب.
(١١) في ظلال القرآن سورة غافر..
(٢١) تتركز اهتمامات محمد قطب في الجانب النفسي والاجتماعي وله عدة مؤلفات في هذا الجانب منها: في النفس والمجتمع ودراسات في النفس الإنسانية ومنهج الفن الإسلامي والإنسان بين المادية والإسلام ومعركة التقاليد..
(٣١) تم القبض بعد ذلك علي مجموعة قطبية جديدة. أنظر وثائق الكتاب..

التكفير والهجرة

رفض التراث..

ورفض الواقع..

أدي عجز الإخوان عن تأسيس قاعدة فكرية في الساحة الإسلامية، تستقطب الشباب المسلم، الناهض، في منتصف السبعينيات، إلي إفساح المجال لتيار التكفير، لينفذ إلي الساحة بشعارات إسلامية جديدة جذبت العناصر الإسلامية التي لم تكن تتسلح برصيد فكري عميق يؤهلها لمراجعة مثل هذه الشعارات ونقدها..

من هنا إنتشر تيار التكفير، إنتشارًا واسعًا،مستغلاً حالة الفراغ التي كانت تسود الساحة آنذاك.مستخدمًا سلاح النص الذي كان يمثل جاذبية كبيرة، وشديدة أمام الطبيعة المصرية ذات الرؤية التراثية, هذا بالإضافة إلي النشاط الفائق لأفراد الجماعة، وتوافر العناصر المؤهلة للدعوة..

وكانت عزلته عن الواقع الذي يحكم عليه بالكفر قد شكلتمعوقًاكبيرًا في طريقه، وجعلت تحركاته وكافة نشاطاته تحت المجهر كما أضعفته من الجانب المادي، وخلقت أمامه الكثير من المشكلات، التي كان في غني عنها لو أنه بدأ نشاطه بصورة أكثر إنفتاحًا علي الواقع. ولعل هذا هو ما دفع بشكري إلي تهجير عناصره نحو الخارج، بالعمل وجلب الأموال اللازمة لتغطية نشاطات الجماعة. وإن كانت هذه الخطة قد نجحت في تحطيم المعضل الاقتصادي وتحقيق الإنتعاش لمسيرتها مما جعلها تتفوق علي غيرها من الجماعات الأخري التي تعيش حالة من الجمود بسبب المأزق الاقتصادي – إلا أن ذلك كان بداية النهاية بالنسبة لهانظرًا للموقف الإنعزالي الذي تتبناه تجاه الواقع، وإنحصار نشاطاتها في دائرة الدعوة لفكرها وإستقطاب العناصر الصالحة، ولم تستثمر الإمكانيات التي توافرت لهاإستثمارًا إيجابيًاوفعالاً .

وحين بدت بوادر الإنشقاق علي الجماعة تلوح في الأفق، تم التصدي لها بعنف شديد أدي إلي إراقة الدماء واستخدمت إمكانياتها في مطاردة المنشقين والمناوئين لها في أنحاء البلاد,,(١)

وفي الفترة السابقة، لحادثة الذهبي الشهيرة، كانت جماعة التكفير تملك عدة سيارات ومجموعة من الشقق السكنية في أماكن متفرقة من القاهرة والمحافظات كانت تستخدم كمقرات لأفراد الجماعة. ثم جاءت الحادثة – قتل الشيخ الذهبي وزير الأوقاف الأسبق – لتكون القشة التي قصمت ظهر البعير,,(٢)

ولم يكن الذهبي هو الشخصية الإسلامية الوحيدة التي هاجمت التكفير آنذاك فهناك شخصيات قد تناولته بالهجوم من رجال الأزهر وغيرهم..

وهكذا بدأت جماعة التكفير في تجاوز الخط الحركي الذي رسمته لنفسها في مواجهة الواقع والدخول في صراعات جانبية مع المنشقين والمناوئين لتكون النهاية هي تصفية الجماعة وتقديم أفرادها للمحاكمة العسكرية في القضية رقم ٦ لعام ٧٧ والتي أصدرت حكمها بإعدام شكري وأربعة من عناصره القيادية، بالإضافة إلي أحكام طويلة بالسجن نالها أفراد الجماعة الآخرين..

وبإعدام شكري أصيبت الجماعة بهزة عنيفة وبدأت تشق طريقها نحو التمزق والشتات..

وجاءت الأحداث التي توافدت علي الواقع المصري في أواخر السبعينيات لتدفع بالتيارات الإسلامية نحو المنعطف السياسي مما شكلحصارًا غير مباشر لتيار التكفير, وبدا وكأنه موضة قديمة فقدت جاذبيتها ومبررات وجودها..

ثم نال تيار التكفير ضربة قوية مثل بقية التيارات الإسلامية عند صدور قرارات التحفظ في سبتمبر عام ١٨، واستمرت الضربات توجه إليه مع غيره من التيارات بعد الأحداث التي تلت قرارات سبتمبر، وطوال الفترة من عام ١٨ وحتي عام ٤٨ ,حيث كانت الإعتقالات لا تتوقف في صفوف جماعة التكفير..

وفي مواجهة هذا الوضع الجديد بدأ تيار التكفير يخلع ثوب الماضي، وأخذ يغير الكثير من مواقفه وآرائه وسلوكياته فأباح لعناصره حلق اللحي للتخفي كما أباح للنساء خلع النقاب، وأباح العمل في الحكومة، ضمن حدود، كما أباح إرتداء الملابس الأفرنجية, وبالإضافة إلي هذا بدأت العلاقة تنفرج بعض الشيء بينه وبين التيارات الإسلامية الأخري..

وهذا الأمر إن دل علي شيء فإنما يدل علي أن تيار الكفير قد آمنأخيرًا بضرورة التسلح بالمرونة..

وفكر جماعة التكفير دونه شكري في نحو أربعة آلاف صفحة، مخطوطة لم تخرج إلي النور, بالإضافة إلي كتابات أخري لبعض أفراد الجماعة، والتي تدور حول بعض القضايا السياسية وموقف الجماعة منها حسب الأصول التي وضعها شكري, وفي مقدمتها كتابات ابن شقيقة شكري هو أحد الأفراد الذين أعدموا معه..(٣)

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو السبب في عدم خروج نتاج شكري إلي النور, ولماذا لم تصدر الجماعة مطبوعات إعلامية تشرح فكرها وتصورها..؟

ولعل السبب في ذلك يعود إلي حالة العزلة التي كانت تسيطر علي أفكار الجماعة وممارساتها والتي جعلتها لا تعطي إهتمامًا للعمل الإعلامي والدعائي لفكرها, بإعتباره الحق الذي لا مراء فيه, والذي سوف يسود الواقع البشريحتمًا حسب

إعتقاد الجماعة, وربما يكون إلتزامها بمبدأ السرية الذي يعتمد علي الجهد الفردي في إنتقاء العناصر وجذبها إلي صفوف الجماعة دون الإعتماد علي العمل العلني البياني ـ له أثره في هذا الأمر..

ومهما تكن الأسباب التي حالت دون خروج فكر شكري إلي النور ,والتي قد تكون منها حالة الحصار المادي والمعنوي الذي فرض من حول جماعة التكفير من قبل الحكومة والتيارات الإسلامية المناهضة له ـ إلا أن هذا الأمر قد حال دون إفراز كوادر إعلامية كان من الممكن أن تقوم بدور فعال في خدمة خط الجماعة والدفاع عنه وتسليط الأضواء عليه..
من هنا فإن الدارس لتيار التكفير لا يجد من المصادر والمراجع التي تعينه علي فهمه سوي المخطوطات التي وضعها شكري، والتي هي عبارة عن مجموعة من (الكشاكيل) بالإضافة إلي الاحتكاك بأفراد الجماعة ومناقشتهم..
والكثير من أفراد جماعة التكفير استوطن السعودية والعراق والأردن،قد حصروا دائرة نشاطهم في هذه البلاد في الجانب الاقتصادي فقط ، وذلك بهدف دعم الجماعة وتوسيع رقعة نشاطها..
ومن الملاحظ في الفترة الأخيرة أن الكثير من أفراد جماعة التكفير قد أخذ يهجر الواقع المصري نحو بقاع مختلفة، فلم تعد مصر الآن نقطة مركزية لنشاطهم, كما كانت من قبل بالإضافة لإفتقادهم الأمن في ظلها..
ولقد جاءت أحداث ١٨ والتي بدأت بقرارات التحفظ وما نتج عنها من صدامات فكرية بين تيار التكفير والتيارات الإسلامية الأخري داخل المعتقلات, والحملة الإعلامية التي قادها الأزهر في الصحف، وفي ندوات غسيل المخ ـ جاءت لتدفع ببعض أفراد التكفير من المعتقلين وغير المعتقلين إلي تغيير آرائهم ومواقفهم تجاه الواقع وتجاه فكر شكري..(٤)
ولا يمكن الحكم ـ بعد الأحداث المتلاحقة التي مرت بها الساحة الإسلامية في مصر ـ أن تيار التكفير مايزال ينحصر في قناة واحدة هي القناة التي شق طريقها شكري مصطفي، وإنما الحقيقة أن تيار التكفير اليوم تمثله قنوات عديدة بعضها قد تجاوز الحدود التي رسمها شكري إلي حدود أكثر غلوًا وتشددًا..

التكفير اليوم

وتيار التكفير المعاصر لم يعد يحتوي علي تلك العناصر المثقفة من طلبة الجامعات وأصحاب المؤهلات التي كانت تنتمي إلي صفوفه فيما سبق، وأصبح غالبية من يعملون في دائرته ويناصرونه من السوقة والحرفيين الذين أخذ دعاة الجماعة يتوجهون بجهودهم نحوهم في الفترة الأخيرة..
وقد خرج تيار التوقف من تحت عباءة تيار التكفير بعد الضربة التي وجهت لتيار التكفير الأم عام ٧٧، وكانت له مجموعات صغيرة في أواخر السبعينيات..
وتيار التوقف يعتبر أشدتطرفًا في قضايا التكفير من تيار التكفير ذاته حتي أنه يكفر شكري وجماعته ويعتبر الأصل في الواقع الكفر، ولا يعذر أحدًا من الناس بجهله أو بضعفه، فالأصل في الجميع الكفر..
ولم يكن لهذا التيار أي ذكر أو أهمية في الوسط الإسلامي بمصر رغم أنه اصطدم بتيارات أخري كثيرة حتي إنتقلت إليه عدوي الجهاد وبدأ يتبني قضية الصدام مع الحكومة..
وكان بروزه علي ساحة الواقع قد إرتبط بمحاولة إغتيال وزير الداخلية الأسبق حسن أبو باشا ثم محاولة إغتيال رئيس تحرير المصور، والإعتداء المسلح علي وزير الداخلية الأسبق النبوي إسماعيل في منزله..
عندئذ بدأ هذا التيار يخطف الأضواء وتتجه نحوه الأبصار بما أحدثه من طفرة فكرية وحركية علي ساحة الواقع, فقد كان من المستبعد جدًا أن يتجه تيار التوقف نحو الصدام المسلح ويتبني قضية الإغتيالات في الوقت الذي توجد فيه تيارات جهادية تعتبر هذه المسائل قضيتها الرئيسية..
ومن هنا إتجهت شكوك جهاز الأمن بعد وقوع حوادث الإغتيالات نحو تيار الجهاد، لم يكن يتوقع أبدًا أن يكون تيار إنعزالي كالتوقف وراء مثل هذه الحوادث. لكن الواقع الإسلامي بمصر يحمل لنا علي الدوام الكثير من المفاجآت، الحركية والفكرية، التي من الصعب التنبؤ بها..
وما يميز تيار التوقف عن تيار التكفير هو عودته إلي التراث الذي لفظه تيار التكفير، فهو يبني مواقفه تجاه الواقع علي أساس من الفقه السلفي الذي يحمل الكثير من الرؤي المتشددة، أوالتي يمكن أن يستنبط منها التشدد خاصة رؤي ابن تيمية وفتاويه..
إلا أن عودة تيار التوقف إلي التلقي من التراث السلفي هي عودة حذره قابلة للإرتداد حيث إن عناصر التوقف قد إكتسبوا من تيار التكفير الإستقلالية الفكرية والإيمان بأن هناك أطروحات تراثية كثيرة تتناقض مع الكتاب والسنة، وتصطدم به فمن ثم هم ينظرون للتراث بعين الشك عكس نظرة التيارات الإسلامية الأخري خاصة التيار السلفيالذي ينظر إلي أطروحات التراث بعين الثقة والإيمان المطلق بكل ما فيه..
ويعتبر ظهور تيار التوقف رد فعل لحالة الإنهزامية الفكرية التي تصبغ مواقف التيارات الإسلامية تجاه الواقع والحكومة بشكل خاص, ولا ينحصر تيار التوقف في مجموعة واحدة بل توجد عدة مجموعات تمثله تنتشر في مناطق الوجه البحري وأغلبها غير معروف لأجهزة الأمن، كما أنه من الصعب تحديد أوجه الخلاف الفكري بينها فهي جميعًا متشابهة في أفكارها وتصوراتها وفي طريقة تحركها..(٥)
ويركز تيار التوقف نشاطه علي عوام الناس خاصة المهنيين منهم، فهو يجد صعوبة كبيرة في محاولة إستقطاب العناصر المثقفة في الوسط الإسلامي الذين أصبحوا في حصانة تجاه أية دعوة تكفيرية، خاصة طلبة الجامعات الذين يشكلون

القاعدة الرئيسية للتيارات الإسلامية في مصر..
ومجموعة **(الناجون من النار)** التي حوكمت بتهمة الإغتيالات السياسية تمثل أحد أجنحة التوقف، وإن كان ليس كل الذين يحاكمون من أتباع هذا التيار كعادة القضايا السياسية في مصر تضم الكثير من العناصر الهامشية التي يقحمها جهاز الأمن في القضية لأغراض أمنية وسياسية. واسم الناجون من النارالذي أطلقته أجهزة الإعلام علي المتهمين هو اسم مختلق أوحي به جهاز الأمن لها, كما أطلق من قبل اسم التكفير والهجرة علي جماعة شكري مصطفي، بينما الإسم الحقيقي لها هو جماعة المسلمين.
وظهور اسم الناجون من النار إنما يعكس مقولة علي لسان بعض عناصر التوقف أثناء التحقيقات المباحثية يعكس من جهة أخري رد الفعل النفسي عند هؤلاء الأفراد، وعند الكثير من العناصر السلفية والشباب المسلم في مصر تجاه الواقع المنحرف الذي يقودهم نحو اتهلكة ويدفع بهم إلي محاولة النجاة في التعلق بالماضي والارتباط بالغيبيات..
وتبقي فكرة التكفير التي وضع بذورها شكري مصطفي من الأفكار السائدة في واقع الحركة الإسلامية في مصر وتسهم كثير من العوامل في نموها وإستمرارها علي رأس هذه العوامل فساد الواقع وإنحطاطه وفشل الطرح الإسلامي في مواجهته..(٦)

الهوامش

(١) شكلت الجماعة مجموعات خاصة لتصفية المنشقين والمناوئين للجماعة, وكانت لديها قوائم سوداء بأسماء المطلوبين وحول نشأة تيار التكفير: أنظر فصل رموز الحركة..
(٢) يروي بعض أفراد الجماعة أن الذهبي كان من ضمن أعضاء الجماعة ثم انشق عليها، واختلسمبلغًاكبيرًا من المال كانقادمًا من السعودية باسم الجماعة..
(٣) أنظر باب المنطلقات الفكرية..
(٤) حدث بعض التراجع عن عدة قضايا من فكر شكري عند عناصر الجماعة المحكوم عليهم بالسجن في قضية الذهبي, وكانت جريدة اللواء الإسلامي التي تصدر عن الحزب الوطني الحاكم قد نشرت علي حلقات بعض الحوارات الفكرية التي جرت بين عناصر التكفير في السجن ورجال الأزهر في منتصف الثمانينيات، وأظهر التليفزيون جانبًا منها في برنامج ندوة الرأي الذي توقف فيما بعد..
(٥) من هذه المجموعات المجموعة التي تم تصفيتها مجموعة الناجون من النار, ومجموعة تم تصفيتها من قبل رجال الأمن بالفيوم والتي أطلق عليها الإعلام جماعة (الشوقيون) نسبة إلي اسم زعيمها, ومجموعة تم القبض عليهامؤخرًا بتهمة استحلال المجتمع والنساء, أنظر وثائق الكتاب..
(٦) تم القبض بعد ذلك علي مجموعات تكفيرية تتبني فكرة استحلال المجتمع..

جدول يبين أهم النقاط التي شذبها تيار التكفير عن الفقهاء

تيار التكفير	الفقهاء
الشرك كل لا يتجزأ	الشرك شركان: شرك أكبر وشرك أصغر
المعصية شرك	المعصية ليستشركًا
المصر علي المعصية كافر	المصر علي المعصية مسلم.
الاجتهاد في وجود النص	الإجتهاد في حالة عدم وجود النص
الخلود في النار أبدي لكل داخليها	الخلود في النار للكافرين فقط
مرتكب الكبيرة كافر	مرتكب الكبيرة مسلم
المقلد كافر	المقلد مسلم
الإجماع والقياس والمصالح المرسلة وسائر أصول الفقه باطلة	أصول الفقه صحيحة

جدول يبين أهم النقاط الخلاف بين تيار التكفير والتيارات الإسلامية الأخري

تيار التكفير	التيارات الإسلامية الأخري
تكفير الحكومات	وارد عند بعض التيارات..
رفض التراث	غير وارد..
الهجرة	غير وارد..
العزلة	واردة عند بعض التيارات..
رفض الجهاد	وارد عند بعض التيارات..
المساجد ضرار	غير وارد..
المجتمع كافر	غير وارد..

السلفيون

لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها..

يطلق تعبير السلفيون علي التيار الإسلامي التراثي الذي يتقمص أفراده الشخصية السلفيةمظهرًا وسلوكًا وإعتقادًا, وهذه التسمية لا تعني أن التيارات الإسلامية الأخري لا تعترف بالسلف ولا تلتزم بالتراث، وإنما المقصود بها هو التمييز بين تيار يغالي في تناوله للتراث وبتقمصه للشخصية السلفية، وبين تيارات أخري تتناول التراثتناولاً مرنًا، وهي منفتحة علي الواقع. وتعتبر مصر من بين الدول المركزية للتيار السلفي بعد السعودية ودول الخلية التي ينتشر فيها هذا التيار إنتشارًا ساحقًا..

إن التيار السلفي المعاصر إنما هو إمتداد للمدرسة الحنبلية التي حمل رايتها من بعده ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وقام بتجديدها في العصر الحديث محمد بن عبد الوهاب..

ولقد زرعت بذور هذا التيار بمصر جماعة أنصار السنة المحمدية التي نشأت في أواخر العشرينيات، وهي أول جماعة نشرت الفكر الوهابي في مصر..

وكانت جماعة أنصار السنة قد تبنت الرؤية السلفية في التعبد والإعتقاد، والتي نصت عليها (العقيدة الواسطية) لابن تيمية، إحدي المراجع التراثية التي تعد حجر الزاوية في فكر التيار السلفي..

ومن المعروف أن جماعة أنصار السنة تتلقيدعمًا من السعودية وتصلها تبرعات كثيرة من هناك استغلتها في بناء المساجد الخاصة بها، ونشر الفكر السلفي بين صفوف المسلمين في مصر عن طريق طبع كتب ومؤلفات محمد عبد الوهاب وتحقيقها، وإصدار كافة مصنفات المدرسة الحنبلية, وفي مقدمتها كتابات ابن القيم وابن تيمية...

إلا أن جماعة أنصار السنة إلتزمتخطًا تقليديًا منذ نشأتها في مواجهة الواقع والأحداث، ولم يكن لها دور يذكر طوال العهد الناصري، سوي محاربة الصوفية والأضرحة، والدعوة إلي التمسك بخلق السلف وآدابهم وعقيدتهم..

ولأن جماعة أنصار السنة هي جماعة تقليدية تعمل من خلال قناة مشروعة وتقف جامدة في مواجهة قضايا تراثية كثيرة تتطلب منها أن تكون أكثر تشددًا في مواجهة الواقع، دفع هذا الأمر بالجيل الجديد من الشباب المسلم الذي برز في فترة السبعينيات إلي الإنسلاخ منها والإستقلال بنشاطه في دائرة سلفية أوسعنشاطًا متجاوزة الخط التقليدي الذي كانت عليه الجماعة إلي خط جديد يتبني نفس القضايا السلفية التقليدية مع بعض القضايا الأخري، وفي مقدمتها قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعرة النساء إلي الحجاب، ومحاربة الاتجاه العلماني..

لقد برز هذا التيار السلفي الجديد في محيط الجامعة المصرية في هيئة جماعة طلابية كانت تسمي بالجماعة الدينية، وهي نفس الجماعة التي تطورت بعد ذلك وأسمت نفسها الجماعة الإسلامية وتحالفت مع الإخوان...

إن التيار السلفي حتي أوائل السبعينيات لم تكن قد تبلورت رؤيته بعد تجاه الواقع والتيارات الإسلامية الأخري فمن ثم لم يجد غضاضة في التعاون مع الإخوان في محيط الجامعة، والإشتراك في المعسكرات الشبابية التي كانوا يقيمونها، ويحاضر فيها كبار دعاتهم، ولكن وبعد مضي فترة قصيرة لا تتجاوز العامين، وبالتحديد في عام ٦٧ بدأ التيار السلفي يختلف مع الإخوان ومع تيار الجهاد الذي برز في حادثة الفنية العسكرية في تلك الفترة,,(١)

مفاهيم السلفية

من أولي المفاهيم التي يرتكز عليها التيار السلفي مفهوم العقيدة فهو المقياس الذي يعتمد عليه من قبله في تحديد موقفه من الواقع والأحداث والتيارات الأخري,ونظرًا لعدم تبنيه أية توجهات سياسية وتحصنه بالتراث فقد نجح في أن يجذب قطاعًاكبيرًا من الإسلاميين إلي صفه..

ولقد ساعدت الطبيعة المصرية، التي تميل إلي الإعتدال، التيار السلفي علي الإنتار ليصبح التيار الإسلامي الثاني بعد الإخوان من حيث الكم الجماهيري..

والسلفية في مصر هي السلفية العلمية كما نوهنا ـ والتي تحصر نشاطها في الجانب العقائدي والأخلاقي والسلوكي من الإسلام..

وتتركز محاور إهتمامات التيار السلفي فيما يلي:

ـ علم الحديث وإخراج الحديث الضعيف وتحديده وإن كان قد أغناهم في هذا الأمر ناصر الدين الألباني، أحد علماء الحديث المعاصرين، وهو قطب من أقطاب التيار السلفي المعاصر علي مستوي مصر وغيرها..

ـ إبراز العقيدة كما حددها أهل السنة، ومواجهة البدع والضلالات والفرق المعاصرة لها، وكان التيار السلفي في السابق قد جعل من فرقة الصوفية العدو اللدود له، إلا أنه في الوقت الحاضر قد اتجه إلي محاربة الشيعة وبعنف..

ولقد برز في الواقع المصري في الفترة الأخيرة كم كبير من الكتابات المعادية للشيعة، والتي كتبت بأقلام دعاة التيار السلفي في الهند والخليج ومصر، وأصبحت تتداول بشكل ملحوظ في دائرة أنصار التيار السلفي، بل تجاوز الأمر هذا الحد إلي مهاجمة دعاة السلفيين الشيعة من فوق المنابر في صلاة الجمعة..

ـ قضايا الفقه والأحكام المتعلقة بالعبادات، والحلال والحرام في سلوك المسلم اليومي وممارساته، كقضية لباس المرأة والصلاة والزواج والطلاق..

هذه الأمور الثلاثة هي محور نشاط التيار السلفي في مصر وغيرها، ومن الواضح أنها أمور تراثية بحتة وبعيدة عن الجانب السياسي كانت محمو إهتمام فقهاء السلف وفي مقدمتهم ابن تيمية وابن القيم اللذان يمثلان القدوة الأساسية لذلك التيار..

والتيار السلفي إنما تمثله عدة مدارس مختلفة في طريقة العمل لكنها تتقيد جميعها بالخط العام للسلفية, ويتزعمها مجموعة من الشباب الذين برزوا من خلال مرحلة السبعينيات، والذين تتلمذ بعضهم علي فقهاء السلفية خارج مصر مثل الألباني وابن باز وابن عثيمين وغيرهم..

وهم يتحركون في همة ونشاط دون معوقات أو عراقيل من جهة الحكومة, ويساعد هذه المدارس علي القيام بدورها في خدمة الخط السلفي وتوسيع رقعة الدعوة السلفية ذلك الكم الكبير من دور النشر السلفية التي ظهرت في مصر في العقدين الأخيرين, والتي أغرقت الأسواق بالكتاب السلفي التراثي الذي أصبح في مقدمة الكتب الإسلامية التي تلقي رواجًا كبيرًا في الوسط الإسلامي,,(٢)

ومن الملاحظ أن أتباع التيار السلفي في مصر هم من الشباب حديث السن والحرفيين، ومن طلبة الجامعات، ويبدو واضحًا خلوه من الشيوخ أو أصحاب الخبرات والتجارب في الحقل الإسلامي..

ويعتبر التيار السلفي في مصر اليوم تيار الجهاد عدوه اللدود إذ يعد في نظره مخالف لأصول الشرع ومتجاوز للموقف الواجب إتخاذه تجاه الواقع، ذلك الموقف المتمثل في الدعوة إلي تصحيح عقائد الناس من البدع والضلالات, ورفض فكرة الصدام مع الواقع (جهاد) حتي يظهر المهدي، حسب إعتقاد بعض أجنحة السلفيين..

أو يكون الجهاد تحت راية إمام شرعي حسب اعتقاد الأجنحة الأخري. ويستطيع المراقب بسهولة تمييز أفراد التيار السلفي من بين أفراد التيارات الإسلامية الأخري في مصر، وذلك بلباسهم التقليدي الذي يتمثل في الجلباب القصير وغطاء الرأس الأبيض الذي يجعلهم متشابهين مع أهل الخليج العربي،..

ولقد برز في الواقع المصري بالفترة الأخيرة زي جديد سرعان ما انتشر بين أفراد التيار السلفي انتشار النار في الهشيم، وهذا الزي عبارة عن قميص طويل وسروال من نفس قماش القميص، وهو نفس الزي الذي يرتديه الباكستانيون والهنود، ويعود السبب الرئيس لانتشاره في الوسط السلفي كونه لا يجسم العورة. وهو قريب من الزي الشرعي الواجب علي المسلم ارتداؤه حسب تصورهم..

وتعد مسألة الزي عند التيار السلفي والتمسك بالمظهر الإسلامي، كاللحية والجلباب بالنسبة للرجل والنقاب بالنسبة للمرأة، ومحاولة للتميز عن الواقع وإعلان رفضهم له..

وإذا كان أفراد التيار السلفي يتميزون بالزهد في متاع الدنيا ويؤسسون بيوتهم علي الحاجات الضرورية فإن هذا الوضع لا ينفي وجود طفرة مادية حدثت في الواقع السلفي بمصر، وتمثلت في قيام بعض الشركات المساهمة التي تديرها عناصر سلفية، كما تمثلت في ثراء بعض ناشري الكتاب السلفي الذين قفزوا قفزة مادية كبيرة من وراء الإتجار به وتوزيعه..

ونود أن ننبه هنا إلي أن عملية الانتشار الساحق للكتاب السلفي بمصر قد شكل إستفزازًا كبيرًا لمثقفي الوسط الإسلامي ولتيار الجهاد الذي يعتبر مثل هذا العمل له أبعاد تأمرية علي حركة المد الإسلامي، خاصة أنه يتم بمباركة الحكومة، وبدعم من السعودية..

ولا يعني عدم إهتمام التيار السلفي بالجانب السياسي والحركي في الإسلام وبعده عن التيارات الإسلامية المعادية للحكم ومناهضة لها – لا يعني هذا أنه معفي من حملات الإعتقال التي تسود الواقع الإسلامي في مصر، فقد اعتقل عدد كبير من أفراد التيار السلفي في فترة التحفظ عام ١٨ ..

وفي الفترة التي تلت عملية اغتيال السادات، كما أن بعضهم قدم للمحاكمة ضمن تنظيم الجهاد الأخير, إلا أن هذا الموقف من قبل الحكومة تجاه السلفيين لا يوحي بخطورة التيار السلفي، وهو يعد صدام من جانب واحد – جانب الحكومة – لم يغير الموقف المعتدل من قبله تجاهها وتجاه الواقع بشكل عام..

قائمة بأهم الكتب التراثية المعتمدة عن التيار السلفي، والتي تعكس إهتماماته الفكرية وتلقي الضوء علي قضاياه الأساسية:

١ – تفسير ابن كثير الدمشقي.
٢ – سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة – للألباني.
٣ – منهاج السنة – لابن تيمية.
٤ – الصواعق المحرقة في الرد علي الهمية الزنادقة – لابن تيمية.
٥ – اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم – لابن تيمية.
٦ – زاد المعاد في سيرة خير العباد – لابن قيم الجوزية.
٧ – التوحيد الذي هو حق الله علي العبيد – لمحمد عبد الوهاب.
٨ – تلبيس إبليس – لابن قيم الجوزية.
٩ – العقيدة الطحاوية – للطحاوي.
١٠ – فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر العسقلاني.

١١ ـ صحيح مسلم شرح النووي.
١٢ ـ مدارج السالكين ـ لابن قيم الجوزية.
١٣ ـ فتاوي ابن تيمية.
١٤ ـ معارج القبول ـ لحافظ الحكمي.
١٥ ـ رياض الصالحين ـ لشرف الدين النووي.
١٦ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ـ لابن القيم.

ويلاحظ هنا أن التيار السلفي يركز علي التناول من مدرسة فقهية واحدة هي المدرسة الجنبلية التي يعد ابن تيمية وابن القيم من تلاميذها..

وأفراد التيار السلفي لا ينفتحون علي الكتب المعاصرة إلا بمقدار التزام هذه الكتب بخطهم وقربها من قضاياهم..

من هنا فهم لا يتناولون من الكتب المعاصرة إلا كتابات عبد الرحمن عبد الخالف، وعبد العزيز بن باز، وناصر الدين الألباني وفقهاء السعودية..

ولقد كانت ليونة التيار السلفي وإعتداله المفرط في مواجهة الواقع بالإضافة إلي رفضه الشديد لحركات العنف والصدام سببًا من الأسباب الرئيسية التي دفعته إلي التعاون مع الحكومة، وجهاز الأمن علي الخصوص ضد التيارات التي يعاديها، خاصة تيار الجهاد. كما كانت أيضًا سببًا من الأسباب التي دفعته إلي التعامل مع السعودية التي تمثل قبلته الرئيسية..

وفي مصر اليوم تمثل التيار السلفي مجموعات كثيرة ليست بينها خلافات فكرية واضحة، ويعود سبب تعدد هذه المجموعات إلي خلاف شخصي في الغالب، ويرفض التيار السلفي فكرة التكفير بشدة، ويعتبرها مناقضة لعقيدة السلف. فمن ثم هو لا يتوقف عن مهاجمة كل من يدعو لهذه الفكرة من التيارات الأخري..

وينقسم التيار السلفي إلي خطين رئيسيين:

ـ خط يدين بالولاء الفكري والفقهي للسعودية..

ـ وخط مستقل عنها..

والتيار الأعم والأغلب هو التيار السعودي الذي إزداد إرتباطًا بالسعودية في الفترة الأخيرة خاصة بعد ظهور الثورة الإيرانية.

مواقف السلفيون

ومن أهم مظاهر نشاط التيار السلفي في الثمانينيات تلك الحرب الشعواء التي شنها علي الشيعة وإيران والتي اعتبرها حربًا مقدسة لصيانة العقيدة والذود عنها ضد ما أسماه بالخطر الشيعي..

والحق أن التيار السلفي لم يكن هو مفجر هذه الحرب، وإنما كان أداه للسعودية والعراق. والدولتان اللتان حملتا راية الحرب ضد إيران والشيعة, فالسعودية بحكم عقيدتها الوهابية الشديدة العداء للشيعة، وبحكم نظامها الملكي الذي يخشي أن تمتد إليه آثار الثورة الإيرانية وتهدده, والعراق لدخوله في حرب مع إيران. ولأن مصر قد دخلت كطرف ثالث في الحرب ضد إيران فكان لابد لهذا الموقف أن يدفعها إلي محاربة الشيعة أيضًا..

وهكذا دخلت المؤسسات الدينية المصرية، وفي مقدمتها الأزهر الحرب ضد الشيعة سيرًا مع سياسة الحكومة. مما أدي إلي إغراق سوق الكتاب في مصر بكم هائل من الكتب التي تهاجم الشيعة وإيران، والتي صدر أغلبها عن دور النشر السلفية المدعومة من السعودية والعراق..

وأصبحت قضية الشيعة وعقائدهم هي شغل الوسط الإسلامي الشاغل، وهرع المسلمون نحو كتب السلف يستمدون منها القوة والمناعة ضد الخطر الزاحف نحوهم من إيران..

ولقد ساهمت الحرب التي شنها التيار السلفي علي الشيعة في مصر في توسيع رقعة إنتشار الكتاب السلفي من جهة ومن جهة أخري ساهمت في تقوية روابط التيار السلفي بالسعودية..

ويمكن القول أن تلك الهجمة الشرسة علي الشيعة قد غيرت مواقف كثير من الإسلاميين تجاه الشيعة، ودفعت بالتيارات الإسلامية. إلي معاداتها ومعاداة إيران التي كانت تتعاطف معها كثورة إسلامية ناهضة في البداية..

إلا أن تلك الهجمة قد خلقت رد فعل آخر ليس في صالح السلفيين، بل هو في صالح الشيعة إذ دفعت كثيرًا من الإسلاميين إلي دراسة الشيعة والبحث عن كتبها، مما ساهم في تسويق الكتاب الشيعي في مصر وأدي إلي بروز عناصر متعاطفة مع الشيعة..

والغريب أن التيار السلفي كان يحارب الشيعة متسلحًا بعقل الماضي, أي يواجهها بالتراث السلفي، وبمواقف وآراء لعلماء السلف تجاه الشيعة في زمانهم, بينما هو في الحقيقة لا يعلم عن الشيعة شيئًا..

والملاحظ في عناصر التيار السلفي ضحالة الوعي وإفتقاد الشخصية فهم يرددون مقولات السلف ويتقمصون شخصياتهم ويعيشون علي فتاويهم، وبدا وكأنهم لا يعيشون في الواقع, وإن كانوا قد تطوروا قليلاً في الفترة الأخيرة فأصبحوا يركبون السيارات الفارهة، ويسكنون القصور والفيلات الفاخرة..

ولقد جعلت منهم هذه الشخصية السلبية أداة طيعة للقيمين عليهم يوجهونهم كيف يشاؤون, ويشكلون عقولهم علي طريقتهم، فلا يستطيع أي فرد من أفراد التيار السلفي أن يتناول كتابًا ليقرأه إلا بإذن من القيم عليه، سواء كان هذا الكتاب من كتب التراث أو من كتب الفكر الإسلامي المعاصر..

والجدير بالذكر أن كثيرًا من كتب التراث مرفوضة عند التيار السلفي وممنوع تداولها بين عناصره لكونها تطرح بعض القضايا أو الآراء التي تخالف مذهبهم المستمد من المدرسة الحنبلية..
والسلفيون علي الرغم من تطبعهم بطابع السلف وتقيدهم بعقائدهم، ليسو سلفيين بالمعني العلمي إذ أن التعمق في تقيدهم بهذا المنهج يكشف لنا أنهم يتقيدون بمدارس محددة من السلف وهي المدرسة الحنبلية خاصة، ويقيسون علي ضوئها كل الأطروحات السلفية الأخري، فمن ثم هم لا يعرفون شيئًا ن مدرسة الأحناف أو الشافعية أو مدرسة آل البيت أو شتي المذاهب الفقهية الأخري..
ويلاحظ هذا من كم الكتب التراثية التي يتداولونها لفقهاء محددين علي رأسهم ابن تيمية، وابن كثير وابن القيم الجوزية. وهذا التميز في التلقي من السلف إنما هو نتيجة لتأثرهم بالخط الوهابي السعودي الذي تربوا علي مائدته ونتيجة أيضًا لافتقادهم الشخصية الفكرية وتحولهم إلي عناصر مقلدة لا تعطي للعقل أهميته ولا تفتح للفكر بابًا..
وليس للتيار السلفي في مصر مواقف واضحة ضد الحكومة ولا يتبني أية صورة من صور النشاط السياسي المعادي لها وذلك الموقف نابع من رؤيته التراثية الانعزالية, ومن رفضه القاطع لفكرة الخروج علي الحكام والتي تعد في نظره فكرة مستمدة من فرقة الخوارج..
وكان التيار السلفي قد ألصق تهمة الخوارج بتيار جهيمان المنشق عن التيار السلفي الأم في الخليج، والذي اقتحم الحرم المكي ليعلن ظهور المهدي عام ٩٧ باعتبار أن هذا العمل يعدخروجًا علي الحاكم وهو هنا النظام السعودي..
ونفس هذا الموقف أعلنه ابن باز حين أوعز إلي السلطات السعودية بمنع عمر عبد الرحمن من دخول السعودية لتبنيه فكر الخوارج أي الخروج علي الحاكم..
والمتأمل في فكر الدكتور عمر عبد الرحمن يري أنه يحمل نفس فكر ابن باز، فكلاهما يتبني العقيدة السلفية بكل حذافيرها، وينهل من نبع واحد هو نبع السلف, لكن الفارق بين ابن باز وعمر عبد الرحمن هو تبني الأخير لفكرة تكفير الحكام والخروج عليهم ,كما أوضح ذلك في كتابه المتداول بين عناصر الجماعة الإسلامية الجهادية التي تأتم به وهو كتاب: أحوال الحكام وأحكامهم..
وهذا الكتاب غير مطبوع..
وكان التيار السلفي في بداية نشأته يتبني عدة نقاط يضعها عادة علي أغلفة الكتب التي ينشرها وبعض هذه النقاط يحمل بعدًا سياسيًا قد شكل علي أساسها منهج دعوته. إلا أنه من الواضح تخليه عنها بل تخليه عن رفع أية شعارات في مواجهة الواقع اليوم..
وهذه النقاط تتمثل فيما يلي:
ـ فهم الإسلامفهمًا صحيحًا كما أنزله الله بالرجوع إلي الكتاب والسنة بفهم الصحابة والتابعين.
ـ العمل بالإسلام عقيدة وشريعة.
ـ دعوة المسلمين للعمل بمقتضي إسلامهم خاليًا من البدع والشرك والخرافات التي شوهت جمال الإسلام.
ـ السعي نحو استئناف حياة إسلامية، وإنشاء مجتمع إسلامي وتطبيق حكم الله في الأرض.
ومن هنا وعلي ضوء ما سبق فإن التيار السلفي لا يعد من التيارات الإسلامية السياسية التي تشكل إرعاجًا للحكومة, فهو تيار علني يرفض فكرة العمل الجماعي، فمن ثم هو لا يشكل جماعة في ذاته بل يشكل مدرسة فقهية تدرس الإسلام بفهم السلف لا يفهم الأزهر أو أي من علماء ومفكري اليوم..
ولا يخلو الواقع الإسلامي بمصر من صدامات مستمرة بين التيار السلفي والتيارات الأخري خاصة تيار الإخوان والجهاد, وقد وقعت صدامات كثيرة بين السلفيين والإخوان..
وبين السلفيين والجماعة الإسلامية الجهادية علي مستوي الجامعات المصرية وخارجها..
وهذه الصدامات نابعة من العداء الشديد من قبل التيار السلفي لتياري الإخوان والجهاد حيث يعتبرهما لا يمثلان عقيدة السلف ولا منهجهم, فالإخوان في نظر السلفيين جماعة مبتدعة، لأنها لا ترفض الصوفية العدو اللدود للسلفيين، ولأنها تتحلي بالمرونة في تناولها من التراث وفي مواجهتها للواقع..
والتيارات الجهادية في نظر السلفيين تيارات خارجة علي منهج السلف لأنها تنادي بالخروج علي الحكام وتصطدم بالحكومة ما بين الحين والآخر مما يأتي بنتائج سيئة علي الدعوة السلفية..
ويبدو التنافس شديدًا بين التيار السلفي والتيارات الأخري في الوصول إلي المناطق النائية والمدن التي ليس بها تواجد إسلامي ملموس كالمنطقة الغربية من مصر ومدنها مطروح والسلوم..
وقد تجاوز التيار السلفي مناطق الوجه البحري التي تعد مركزه الرئيس وبدأ يتجه إلي الوجه القبلي معقل الجماعة الإسلامية الجهادية التي لن تفسح له الطريق بحال، مما أدي إلي حدوث صدامات متكررة بينهما في مدن الصعيد..
ولم تبذل أية محاولات لحسم الخلافات ووضع حد للصدامات بين السلفيين والتيارات الأخري, فالتيار السلفي ينظر باستعلاء إلي التيارات الأخري, بينما التيارات الأخري تنظر إليه نظرة استخفاف..

الهوامش

(١) وقعت عدة صدامات وتشابك بالأيدي بين أفراد التيار السلفي وأفراد الإخوان داخل جامعة الإسكندرية في تلك الفترة..

..(٢) انظر قائمة بهذه الكتب في باب المنطلقات العقدية

تيار الجهاد

البندقية قبل الفكر..
يعود الفضل في بروز فكرة الجهاد بمصر للأطروحات التي أبرزها سيد قطب في كتابه (**معالم في الطريق**) وكتابه (**في ظلال القرآن**) فقد كان أول من أبرز فريضة الجهاد بصورتها الحركية الفاعلة، وربطها بالواقع..
وقبل ذلك كانت الفكرة السائدة عنها هي الفكرة التقليدية التي تربطها بمقاومة المستعمر وجهاد النفس..
إلا أن المحن والضربات التي واجهت الحركة الرسلامية في فترة الخمسينيات والستينيات ـ فترة ظهور قطب ـ حالت دون بروز فكرة الجهاد علي ساحة الواقع، ودون أن يتبناها الجيل المعاصر لقطب وأن يتحرك بها..
ولعل المتغيرات السياسية التي طرأت علي الواقع المصري بعد مرحلة الاستعمار والتي أدخلته في قالب جديدتمامًا، ومختلفتمامًا عن واقع حسن البنا، وباعدت في الوقت ذاته بينه وبين الإسلام وأصلت فيه المنهج العلماني، كما أصلت فيه روح العداء تجاه الحركة الإسلامية، لعل ذلك كله كان الدافع الرئيسي وراء بروز فكرة الجهاد بشكلها الحالي، والتي تبلورت لتدخل التيار الإسلامي ـ ربما لأول مرة في تاريخ مصر ـ في صدام دموي مع الحكم..

نشأة تيار الجهاد

كانت حركة الفنية العسكرية التي تزعمها الدكتور صالح سرية عام ٤٧٩١ هي أول صورة من صور التحرك الجادي ضد نظام الحكم في مصر.. (١)
وعلي الرغم من أن الحركة كانت متعجلة بالقياس إلي الظروف والملابسات التي كانت تحيط بالواقع المصري آنذاك، ولم تكن فكرة الجهاد قد ترسخت بعد في أذهان الإسلاميين وواقعهم، علي الرغم من ذلك فقد أحدثت الثورة هزة قوية في الوسط الإسلامي الذي كان يهيمن عليه الركود الفكري، والجمود الحركي، كما أحدثت هزةأيضًا علي مستوي الحكم الذي كان يعيش نشوة انتصار أكتوبر..
وعلي مستوي جماهير الشعب التي كانت متوجهة بعواطفها نحوه، ولم تكن مهيأة، نفسيًا وعقايديًا، للتفاعل مع أي حركة تغيير، ولم يكن فشل حركة الفنية العسكرية يكمن فقط في كونها تحركت في توقيت غير صحيح، وإنما كان يكمنأيضًا في تركيبة الحركة ذاتها وإمكانياتها, فقد كان الأفراد الذين إشتركوا فيها لا يزيدون علي المائة، وكان عدد كبير منهم يتسلح بالسلاح الأبيض، بالاضافة إلي الوسائل البدائية التي حاولوا بوسطتها السيطرة علي الكلية العسكرية، حين اقتحموها بمساعدة بعض طلبة الكلية، وفي مقدمتهم كارم الأناضولي الرجل الثاني في العملية..
وإذا ما نظرنا إلي الجانب الفكري لحركة الفنية فسوف نري ـ رغم وجود شخصية مثقفة وصاحبة تجربة كصالح سرية علي رأسها ـ إفتقادها الواضح لرؤية واعية للواقع ونظرية متكاملة للعمل..
ويبدو هذا الأمر واضحًا من خلال العريضة التي تقدم بها أفراد الحركة إلي مجلس الشعب يطالبون فيها بتطبيق الشريعة الإسلامية كما بعثوا إلي السادات برسالة حول الأمر نفسه..
وقد تم القبض علي واحد وتسعين فردًا في حادثة الفنية العسكرية كان أغلبهم شباب صغير السن، وليست له تجارب سابقة في الميدان الحركي والسياسي، وهذا العدد ـ علي ما هو واضح ـ يعتبرضئيلاً جدًا بالقياس لحركة تغيير شاملة في بلد كمصر، وهو يعكس أمامنا مدي تأثير الواقع عليها وكونها لم تمنح نفسها الفرصة لتحقيق ثقل فكري وجماهيري أكبر..
وحين فصل القضاء في القضية أصدر حكمه ببراءة ستين فردًا من المتهمين فيها لتنحصر القضية في واحد وثلاثين فردًا.
وهذا يشير إلي أن أغلب الذين أدينوا في العملية لم تكن لهم أدوار فعلية فيها..
وفي عام ٧٧ تم القبض علي مجموعة جهادية جدية، وكانت المفاجأة أن أبرز عناصر هذه المجموعة وعدد كبير منها كان من الذين تم الإفراج عنهم في قضية الفنية العسكرية، وكان أغلب أفراد تلك المجموعة من طلبة الجامعاتو ولم تقرن بهم أية حوادث تذكر سوي محاولة الاستيلاد علي سلاح أحد حراس السفارات..
وفي تلك الفترة ظهرت محاولة جديدة لإنشاء تنظيم جهادي مسلح لكنها باءت بالفشل، وكان يقف علي رأسها شاب يدعي يحيي هاشم، وهو رئيس نيابة سابق ـ قتل علي يد رجال الأمن في محافظة سوهاج بصعيد مصر عندما حاول الإعتصام بمنطقة جبلية فيها وهو ومجموعة من أنصاره..(٢)
وبعد ذلك بعامين، أي في عام ٧٩، قبض علي مجموعة جديدة عرفت مرة أخري بتنظيم الجهاد، وكانت تضم عددًا من أفراد القضية السابقة ـ قضية ٧٧ ـ كما كان من بين المتهمين فيها محمد عبد السلام صاحب الفريضة الغائبة,,(٣)
إن المراقب لحركة الجهاد في مصر سوف يكشتف أن بداية الحركة من عام ٤٧ وحتي عام ٩٧ كان ينحصر في الوجه البحري, ولم يكن للوجه القبلي دور يذكر فيها حتي ظهرت الجماعة الإسلامية في بداية الثمانينيات..
وهذا الأمر يقودنا مرة أخري إلي إلقاء الضوء علي مسألة التقسيم القبلي للمجتمع المصري، فطوال تاريخ مصر الحديث والوجه البحري هو مركز النشاط الفكري والسياسي، ومحور اهتمام الحكومات المتعاقبة، بينما كان الصعيدمهملاً ويعيش حالة من العزلة والانغلاق, وقد أدي هذا إلي أن يكون السبقدائماً للوجه البحري في البروز علي ساحة الأحداث..
وإذا نظرنا إلي دعوة الأخوان مثلاً فإننا نجدها نشأت في الوجه البحري ـ الإسماعيلية ـ وكذلك الأمر بالنسبة للأحزاب والتيارات السياسية والفكرية الأخري..
ولعل ميزة توافر الرصيد الفكري والسياسي في الوجه البحري هي التي أهلته ليكوندائمًا تحت الأضواء..

إلا أن الوجه القبلي قد بدأ يجذب الأضواء ناحيته حين بدأت الجماعات الإسلامية في الظهور علي ساحته، وحين تحالفت معه مجموعة محمد عبد السلام التي تولدت من تنظيم جهاد ٩٧ ليعلن ميلاد تنظيم جهاد جديد هو الذي قاد الأحداث بداية من عام٨١وارتبط بحادث الاغتيال وأحداث أسيوط وشتي الأحداث التي تلت قرارات التحفظ في سبتمبر عام ١٨ وهو ما سوف نستعرضه في مرحلة الثمانينيات..

(١)الدكتور صالح سرية فلسطيني الجنسية يحمل رسالة دكتوراه موضوعها التعليم في إسرائيل كان ما أعضاء حزب التحرير الإسلامي ثم انتمى لمنظمة التحرير الفلسطينية , زكان من موظفي جامعة الدول العربية بالقاهرة فيل القبض عليه..
(٢) قبض على أربعة أفراد في قضية يحي هاشم فيما سمى وقتها بتنظيم حرب العصابات وقد أفرج عنهم بعدذلك..
(٣)ضبطت بعض قطع السلاح مع أفراد التنظيم وتبين أنها من جلب رجال المباحث وقد حفظت القضية وتم الإفراج عن المتهمين..

الجماعة الإسلامية

الجهاد تحت رآية السلف..

حتي يمكننا التعرف علي الجماعة الإسلامية وعلي هويتها الفكرية بصورة أكثر شمولية لابد لنا من إستعراض مراحل نشأتها بداية من ظهورها علي ساحة الجامعة المصرية، وحتي إرتباطها بالأحداث التي تلت قرارات التحفظ في سبتمبر عام ٨١والتي سلطت عليها الأضواء وأبرزتها كتيار له وزنه بين التيارات الإسلامية العاملة في الحقل المصري..

إن نشأة الجماعة الإسلامية يمكن تحديدها في ثلاثة مراحل رئيسية:

الأولي: المرحلة التقليدية..

الثانية: مرحلة الخيارات..

الثالثة: مرحلة التميز والاستقلال..

وسوف نتناول كل مرحلة من هذه المراحل بالتفصيل..

المرحلة التقليدية

كان الطابع السلفي التقليدي هو الصبغة الأساسية التي كانت تصبغ نشاطات الجماعة الإسلامية وتوجهاتها الفكرية في بداية نشأتها في أوائل السبعينيات...

وقد استمر هذا الطابع يصبغ نشاطات الجماعة وتوجهاتها حتي منتصف السبعينيات تقريبًا, وفي ظل هذه المرحلة كانت منشورات الجماعة الإسلامية تتركز حول قضايا الأخلاق والآداب والسلوكيات العامة وشتي الأمور التقليدية الأخري.

.. ومن هذه المنشورات المنشور الذي أصدرته تحت عنوان: **رسالة من الشباب المسلم إلي الآباء في مصر المسلمة**

وكان وقت صدور هذا المنشور هو شهر رمضان..

يقول المنشور: إن أبناءكم من الشباب المسلم يذكرونكم بمسئوليتكم أمام الله تعالي:

(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) إبراهيم/٨٤

ونذكركم يقول الرسول (ص): كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته..

فاصرف أيها الراعي أبناءك وأهل بيتك عن مشاهدة الفضائح إلي قراءة القرآن..

رافق أبناءك إلي المسجد..

وأمر أهلك بالصلاة..

أيها الرعاة اشغلوا هذا الجيل بطاعة الله ومحبته فلا يشغلهم الشيطان بمعصية الله,,(١)

وفي منشور آخر تحت عنوان: **أختي المسلمة** وجهت الجماعة الإسلامية نداءحارًا إلي الفتيات بضرورة الالتزام بالحجاب، يقول المنشور: إلي كل فتاة تؤمن بالله.. إلي أخت اليوم.. وزوج الغد.. وأم المستقبل:

(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدني أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) الأحزاب/ ٥٩

وبعد فهذه دعوة من أخوات مسلمات سبقن إلي طاعة الله ورسوله وعرفن الحق فاتخذتهسبيلاً وأردن أن يمن الله عليك كما من عليهن لتكوني ممن رضي الله عنهن في الدنيا والآخرة (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله أولئك هم أولو الألباب) الزمر/ ٨١

وبالإضافة إلي هذا أصدرت الجماعة الإسلامية إحدي الكتيبات التي تحوي مقتطفات من الأذكار المأثورة عن الرسول (ص) وقد افتتحت هذا الكتيب بشعار: أيها الأخ المسلم احفظ وطبق يوميا..

لقد كان محور إهتمام الجماعة الإسلامية في تلك المرحلة هو قضية الاختلاط بين الجنسين وكان الهدف من وراء إقامة مشروع حافلات الطالبات هو منع هذا الاختلاط..

إن المرحلة التقليدية قد فرضت نفسها علي واقع الجماعة الإسلاميةنظرًا لحالة الفراغ التي كانت تعيشها الساحة خالية تمامًا من التيارات الإسلامية البارزة التي من الممكن أن تكون قدوة صالحة لجماعة ناشئة كالجماعة الإسلامية..

من هنا فإن المناخ التقليدي الذي كان يسود الساحة الإسلامية في مصر في بداية السبعينيات قد إنعكس علي سلوك الجماعة الإسلامية وتصورها تجاه الواقع والأحداث، حتي برزت حركة الفنية العسكرية علي الساحة وبدأت تبرز بعدها التيارات الثلاث التي تم الإفراج عنها، وهي تيار الإخوان، والتيار القطبي، وتيار التكفير، وعندئذ دخلت الجماعة الإسلامية في طور جديد ومرحلة جديدة..

مرحلة الخيارات

كان التطورات التي مرت بها الساحة الإسلامية في مصر في منتصف السبعينيات أكبر الأثر في دخول الجماعة الإسلامية مرحلة الخيارات، فقد وجدت الجماعة نفسها فجأة وسط عدة تيارات متناقضة في أساليبها ونظرياتها، وبات من الضروري أن تحدد موقفها من هذه التيارا، وخاصة أن هذه التيارات قد بدأت تغزو ساحة الجامعة وتنشر أفكارها وسط الطلاب بل إن الأمر تعدي ذلك كله إلي محاولة بعض هذه التيارات احتواء الجماعة الإسلامية ذاتها والضغط عليها لتبني خطها الفكري..

لقد وقعت الجماعة الإسلامية في تلك الفترة أمام خيارين اثنين: أما أن تبقي علي خطها الفكري الأول، وهو الخط السلفي التقليدي الذي يتبني رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإما أن تتنازل عن هذا الخط وتتبني أي خط من الخطوط الثلاثة التي كانت تواجهها، وهي كما ذكرناسابقًا: خط الإخوان وخط القطبيين وخط التكفير..

والحق أن التحدي الأكبر الذي واجه الجماعة الإسلامية آنذاك كانت تشكله جماعة الإخوان, فلم يشكل التيار القطبي تحد يذكر. كما أن تيار التكفير قد بدأ ينسحب من ساحة الجامعة تدريجيًانظرًا لتبنيه فكرة العزلة عن الواقع..(٢)

والملاحظ في البيانات والمنشورات التي كانت تصدرها الجماعة الإسلامية في تلك المرحلة أن الصبغة الإخوانية هي الغالبة عليها مما يدل علي أن جماعة الإخوان قد نجحت مرحليًا في إحتواء الجماعة الإسلامية في تلك الفترة, ويبدو هذا واضحًا من خلال الكتيب الذي أصدرته الجماعة الإسلامية تحت عنوان: **السلام علي الطريقة الأمريكية اليهودية**, وكانت كل مادة هذا الكتيب منقولة بالكامل من مجلة الدعوة الناطقة بلسان جماعة الإخوان..(٣)

وبمناسبة المؤتمر الإسلامي الطلابي الذي إنعقد في جامعة الأزهر بمنتصف السبعينيات أصدرت الجماعة الإسلامية بيانًا إلي جماهير الطلاب تحت عنوان: **حقائق ومواقف،** قالت فيه: إن الطريق الذي ارتضاه طلاب مصر هو الإسلام بشموله وكماله نظريةوسلوكًا، سياسةوحكمًا..

منهجًا وطريقًا، بل الطريق الذي نرتضيه لأمتنا، ونرفض إلتقاط الفتات من فوق موائد الغرب تارة أو موائد الشرق تارة أخري..
إننا نرفض رفضًا قاطعًا ما يجري الآن من تخطيط وتدبير من أجل تقييد الحركة الطلابية والحركة الإسلامية، أو التضييق عليهما سواء في صورة الحرس الجامعي، أو البوليس الجامعي، بل نعتبر ذلك ردة إلي عهد الكبت والإرهاب والظلم والطغيان في الوقت الذي ترفع فيه شعارات الحرية والديمقراطية..
إن إتحاد طلاب مصر لن يسمح بتشويه صورة الحركة الطلابية الإسلامية في جامعات مصر والممثلة في الجماعات الإسلامية والتي أثبتت بحق نقاءها وإخلاصها، ووعيها، ووطنيتها، وهذا ما شهد به المسئولون في كافة مواقعهم..
إن الحديث عن الجماعة الإسلامية يعني الحديث عن التيار الإسلامي داخل الجامعة المصرية منذ بداية السبعينيات، ذلك التيار الذي بدأ ينمو ويترعرع قبل ظهور الإخوان والتكفير والجهاد..
لقد كان النشاط الإسلامي في تلك الفترة لا يتجاوز الدائرة التقليدية التي تنحصر في إقامة الندوات والمعسكرات والرحلات وبعض المشروعات الإسلامية, مثل مشروع حافلات الطالبات، ومشروع زي الفتاة المسلمة ورحلات الحج والعمرة، وكافة النشاطات الرياضية والثقافية والاجتماعية التي كانت تجري في محيط الجامعة.,(٤)
ويمكن القول أن الصبغة السلفية التقليدية هي التي كانت تصبغ نشاطات التيار الإسلامي في بداية ظهوره بالجامعة المصرية، وكانت القضايا السلفية هي محور إهتماماته ونشاطاته..
في لقاء مع أحد قادة التيار الإسلامي بجامعة القاهرة قال ردًا علي سؤال، عن ماهية الجماعة الإسلامية: الجماعة الإسلامية جماعة تقوم علي العمل للإسلام وتضم الطلاب والطالبات وكل فئات الشعب المحبة لدين الله..
ومنهجها يقوم علي الكتاب والسنة ونشاطها يدور في الجامعة المصرية وخارجها ودعوتها علنية واضحة..
ومن أهداف الجماعة تربية الشباب علي طاعة الله، وتعليم القرآن والحديث..
ومن الوسائل التي تتبعها الجماعة: المحاضرات والندوات التي تشرح رأي الإسلام في كل شيء مثل قانون الأحوال الشخصية، وقوانين الخمر والمعاملات الربوية في البنوك المصرية، والمشاكل الاجتماعية والسياسية في المجتمع، كما تقوم الجماعة بطبع كتيبات وعمل نشرات لتوضيح الحقائق أمام الشباب المسلم في مصر، وكذلك تقوم بعمل معسكرات سنوية صيفية لجماهير الطلاب يتلقون فيها تعاليم الدين,,(٥)
وفي بيان آخر قالت الجماعة أنه قد آن الأوان لتعرف جماهير الطلاب الواعية تاريخ الحركة الإسلامية في مصر قبل الثورة، والممثلة في الإخوان المسلمين ودورهم الوطني الضخم والصادق والمخلص لا ينكره إلا حاقد أو جاهل أو جاحد، بل نقول أن ما قدمته الحركة الإسلامية من آلاف الشهداء علي أرض فلسطين وضفاف القناة وصور البطولة النادرة، كانت سببًا للتآمر الصهيوني الصليبي الشيوعي لضرب الإخوان المسلمين، والذي بات معلومًا لكل شباب مصر..
فلننتبه قبل أن تمسخ الحقائق ويزيف التاريخ مرة أخري..
وإن مصطلحات التطرف الديني، والتستر وراء الدين, وغيرها قد صنعت في صحافة وإذاعات الغرب والشرق، وبدا تصديرها إلي صحافتنا, فلننتبه جميعًا، ولتنتبه صحافتنا لهذا المخطط الآثم الذي يريدها فتنة لا تخمد نارًا لا تنطفئ..
إن موقف طلاب مصر من حادثة التكفير والهجرة كان واضحًا غاية الوضوح فكل الشباب المسلم بجامعات مصر أعلن استنكاره لتلك الفعلة الشنعاء..
إننا من خلال بياننا هذا ومن خلال مواقفنا الواضحة هذه يحدونا أمل في أن تفهم وجهات نظرنا علي وجهها الصحيح، ومن خلال اللقاءات المباشرة بممثلي الطلاب، وكلنا بقلوب ملؤها الإيمان، وعقول ملؤها الحكمة نتوجه إلي رئيس الجمهورية بطلب لقاء قريب حتي تتضح الصورة وتفهم المواقف علي حقيقتها..
وكانت الجماعة الإسلامية قد تقدمت باسم مؤتمر إتحاد طلاب الجمهورية الحادي عشر بوثيقة إلي السادات عندما وصل إلي قريته ميت أبو الكوم لقضاء عطلته المعتادة, تطالبه فيها بالعودة إلي الإسلام وتحكيم شريعته..(٦)

وبالإضافة إلي هذا أصدرت الجماعة الإسلامية بيانًا باسم مجلس إتحاد طلاب جامعة القاهرة بشأن قوانين الشريعة الإسلامية المعروضة علي مجلس الشعب آنذاك ضم ردودًا علي الشبهات التي تحيط بمسألة تطبيقها..
وفي عام ٧٧٩١ واجهت الجماعة الإسلامية تحديًا كبيرًا من حزب مصر ـ الحزب الحاكم في تلك الفترة ـ والذي تحول إلي الحزب الوطني بعد ذلك فقد قام هذا الحزب بتزييف الإنتخابات الطلابية وإفساح الطريق أمام أنصاره للسيطرة علي الإتحادات الطلابية..
يقول الدكتور حلمي الجزار أحد قادة الجماعة الإسلامية في تلك الفترة:إن إدارة الجامعة تدخلت تدخلاً مباشرًا في الانتخابات ضد أعضاء الجماعة ولصالح أعضاء حزب مصر، وقد قام عميد كلية التجارة بالإشراف علي الانتخابات وتدخل تدخلاً مباشرًا لصالح الاتجاهات غير الإسلامية, كما أن المستشار القانوني للجامعة قد أفتي بعدة فتاوي صدر بها قرارات لم تنص عليها لائحة الانتخابات، وكان من نتيجة ذلك أن أدلي طلاب بأصواتهم بدلاً من طلاب آخرين لصالح حزب مصر مبررين ذلك بحصولهم علي توكيلات بذلك، وهذا يخالف أبسط القواعد الانتخابية..
ولم يقتصر هذا التحدي علي مسألة الانتخابات فقط بل تعداه إلي العمل علي عرقلة قيام المعسكرات الصيفية التي تعود طلاب الجماعات الإسلامية إقامتها علي مدي السنوات الخمس الماضية، فقد فوجئ الطلاب في هذا العام برفض إقامة

هذه المعسكرات، واستعمل المسئولون في الجامعة عدة أساليب ملتوية، لأنهم كانوا ينفذون تعليمات الحزب بعدم إقامة هذه المعسكرات، ووصل الأمر إلي أن استدعي رئيس جامعة القاهرة قوات الأمن المركزي لتمنع الطلاب بالقوة من إقامة معسكرهم..

وبالإضافة إلي هذا حرمت الجماعة الإسلامية من كل صور الدعم المالي، وأصدر رئيس جامعة القاهرة أوامره للمراقب المالي الخاص بإتحاد الطلاب بعدم صرف شيكات المعسكر الإسلامي, هذا بينما كان يتم الإنفاق بسخاء علي الأنشطة الطلابية الأخري, وفوق هذا كانت الجامعة تضع العراقيل أمام رجال الفكر الإسلامي وعدم السماح لهم بالدخول ليحاضروا طلاب الجامعات الإسلامية، كما صدرت الأوامر بتمزيق صحف الحائط واللوحات الدينية التي كان يعلقها أعضاء الجماعة الإسلامية,,(٧)

وكانت مجلة الدعوة تغطي جميع نشاطات الجماعة الإسلامية منذ صدورها في شهر يونيو عام ٦٧ وقد خصصت لذلك أحد أبوابها الثابتة تحت عنوان: **أخبار الشباب والجامعات**، وذلك بالإضافة إلي أن جماعة الإخوان هي التي كانت تقوم بالتوجيه والإرشاد في شتي النشاطات الدعوية التي كانت تقوم بها الجماعة الإسلامية, فأغلب الدعاة ورجال الفكر الذين كانوا يحاضرون في المعسكرات الصيفية وفي صلاة الأعياد التي كانت تقيمها الجماعة في الخلاء وإحياء لسنة الرسول (ص) والتي كان يحضرها بعض المسئولين في جهاز الحكم وجماهير غفيرة من أبناء الشعب، أغلب هؤلاء الدعاة كانوا من رجال الإخوان,,(٨)

ويبدو أن الإخوان لم يستطيعوا إحكام قبضتهم علي الجماعة الإسلامية وأن يشربوها نظريتهم في العمل الداعية إلي الإعتدال والمهادنة، خاصة أن قيادات هذه الجماعة كانوا جميعهم من الشباب الجامعي المتحمس..

من هنا بدأ الزمام يفلت من يد الإخوان، وبدأت الجماعة الإسلامية تتجه تدريجيًا نحو التطرف في مواقفها تجاه الواقع والأحداث إلا أن هذا التطرف ـ وإن كان قد أزعج قادة الإخوان ـ لم يتطور إلي مواقف حركية صدامية، ولم يخرج عن الدائرة الإعلامية..

ويمكن أن نلحظ هذا الأمر من خلال استعراض المنشورات التي صدرت في الفترة الأخيرة من المرحلة الثانية التي نحن بصددها, وعليه فقد كانت هذه المرحلة التي امتدت حتي أواخر السبعينيات البداية الحقيقية لتبلور خط الجماعة الإسلامية ودخولها مرحلة تحقيق الهوية الفكرية الثابتة المستقلة، وإن كان هذا الأمر قد كلفها الكثير من المتاعب مع الإخوان، كما أدي إلي تمزق كيانها الواحد إلي كيانات متعددة علي مستوي جامعات مصر..

مرحلة التميز والاستقلال

وتعتبر هذه المرحلة من عمر الجماعة الإسلامية والتي يمكن تحديد بدايتها في عام ٩٧ هي مرحلة الحركة الفعالة التي قادتها إلي البروز علي ساحة الأحداث..

ويبدو وضوحها في كم المنشورات والبيانات التي أصدرتها في تلك الفترة، والتي أدت بها في النهاية إلي الصدام بالإخوان وبالسلطة معًا, لكن هذا التيار الذي اصطدم بالإخوان وبالسلطة لم يكن يمثل الجماعة الإسلامية كلها، وإنما كان يمثل أحد أجنحتها..

لقد رفضت الجماعة الإسلامية بداية محاولات الإخوان لإحتوائها، إلا أن الإخوان استطاعوا عن طريق الإغراءات المادية احتواء بعض العناصر القيادية للجماعة، وكان لهذه الإغراءات دور كبير في استمرار أحد أجنحة الجماعة علي ولائه لهم..

وكان الذي أزعج جماعة الإخوان ليس هو تيار الجماعة الإسلامية التي تبنت خط السلفية العلمية بجامعة الإسكندرية, علي الرغم من أن هذا التيار قد اصطدم بعنف بالتيار الموالي للإخوان هناك، لكن ما أزعج الإخوان حقًا هو تيار الجماعة الإسلامية التي تبني خط الجهاد بجامعات الصعيد، فقد أوقع هذا التيار جماعة الإخوان في مواقف محرجة مع الحكومة، والتي كانت تأمل من الإخوان أن يحققوا الاستقرار والهدوء في الحقل الجامعي، وأن يضفوا سمة الاعتدال علي مواقف الجماعة الإسلامية وتحركاتها وكافة نشاطاتها..

لقد كان تيار الجماعة الإسلامية الموالي للإخوان هو التيار الوحيد الذي ظل علي علاقة طيبة بالسلطة الحاكمة وبالجهات المسئولة في الحقل الجامعي..

ونظرًا لحركات الصدام المتكررة التي وقعت بين الجماعة الإسلامية بصعيد مصر وبين المسئولين في الجامعة، والتي تطورت لتتحول إلي صدامات مع قوات الأمن أصيب فيها الكثير من أفراد الجماعة، فقد بدأت جماعة الصعيد تسرق الأضواء تدريجيًا من فروع الجماعة الإسلامية الأخري، وحتي من الإخوان أنفسهم..

وبدأت الحكومة تنتبه لهذا الخطر القادم من صعيد مصر، والذي لم يستطع الإخوان احتواءه, مما جعل السادات يهاجمهم في خطابه الذي ألقاه بعد أحداث جامعة المنيا التي وقعت بين أفراد الجماعة الإسلامية وبعض الأفراد الموالين للإخوان، وتطورت بعد ذلك إلي صدام مع قوات الأمن..

ولم يكن نشاط الجماعة الإسلامية بجامعات الصعيد يقتصر علي التصدي للحفلات المختلطة التي يمارس فيها الطلبة الرقص والغناء والموسيقي أو شتي المظاهر المستفزة، التي كانت تجري علي ساحة الجامعة، بل تعدي نشاطها هذه الحدود، وبدأ يصطدم بالطلبة المسيحيين وبالمسيحيين عمومًا، وخاصة في عيد شم النسيم ـ أحد المناسبات الدينية التي يجتمع فيها مسيحيو مصر ويتبادلون التهاني ـ وقد أصدرت الجماعة الإسلامية عدة منشورات تهاجم فيها الكنيسة

المصرية، وتتهم المسيحيين بالتآمر علي مسلمي مصر. ومن هذه المنشورات ذلك المنشور الذي صدر في شهر إبريل عام ٨٠ تحت عنوان: **ماذا تريد الكنيسة..؟**
يقول البيان: إن السادات هو الرئيس الوحيد في المنطقة الذي نادي بشدة بفصل الدين عن السياسة، ومنع إجازة قانون من شأنه أن يعطي التفوق للمسلمين، وصضغوطً ا متكررة لتطبيق الشريعة الإسلامية، ماذا تريد الكنيسة أكثر من ذلك؟..
إن هذا التدليل من جانب الحكومة المصرية قد أوجد ما يسمي بدكتاتورية الأقلية، وأوجد مراكز القوي من جديد بوجه أشد قبحًا، هو وجه الطائفية المقيت..
إن عدد النصاري في مصر لا يزيد علي ٦٪، فهل يقاسون بـ ٩٤٪ من المسلمين؟..
أيها الناس لقد ضبط المسلمون مشاعرهم حتي الآن رغم تكرار إستفزازات النصاري..
إن مصر إسلامية.. وستبقي إسلامية إلي آخر الدهر إن شاء الله..
وعندما فتح عمرو بن العاص مصر كان معه ستة آلاف جندي ودخل أهل مصر في الإسلام إلا القلة، وبقيت هذه القلة حتي اليومدليلاً علي سماحة الإسلام وعدله. وصدق الله العظيم حيث يقول: »ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون،،(٩)
وفي أحداث الزاوية الحمراء الشهيرة التي وقعت في ١٨٩١/٦/٧١ أصدرت الجماعة الإسلاميةمنشورًا أحدث ضجة كبيرة وأثار غضب الحكومة والسادات علي وجه الخصوص. يقول المنشور الذي كتب تحت عنوان: **مذبحة رهيبة للمسلمين في قلب القاهرة.. عشرون قتيلاً وثمانون جريحًا برصاص النصاري**: في يوم الأربعاء ١٨٩١ /٧١/٦بمنطقة الزاوية الحمراء بالقاهرة وقبيل صلاة العشاء إنطلقت رصاصات الغدر والخيانة من بيوت النصاري لتصيب المصلين الآمنين في داخل المساجد، ويسقط أكثر من عشرين شهيدًا وشهيدة مضرجين في دمائهم وتسيل أنهار الدم من الجرحي والمصابين في مسجد النذير..
ورغم أن قيادات الكنيسة المصرية لم تنكر هذه الجرائم المتتالية, بل زادت الناراشتعالاً وأوقدتنارًا للفتنة لا يعلم مداها إلا الله، فإن السلطة الحاكمة في البلاد قد وقفت ذليلة خرساء مكتوفة الأيدي أمام تعاظم قوي الصليب علي أرضنا المسلمة..
فقسمًاقسمًا يا شهداء.. قسمًاقسمًا يا من زكيتم بدمائكم الطاهرة تراب مصر..
قسمًاقسمًا يا أتباع محمد (ص) سننتقم وسننتقم، ولن يضيع دم المسلمين سدي أبدًا بعد اليوم..
وأسلمي يا مصر ـ وانطقي يا أرض الله (لا إله إلا الله محمد رسول الله)(٠١)
ومن الواضح من خلال لهجة المنشور أنه يحرض المسلمين علي الحكومة والنصاري، وذلك بدعوته للثأر والإنتقام، وإن كان هناك ما يشير إلي أن أحداث الزاوية الحمراء كانت مفتعلة من قبل السلطة، وكان السادات يمهد من خلالها لقرارات سبتمبر التي كان شعارها القضاء علي الفتنة الطائفية, بينما كان هدفها الخفي ضرب الحركة الإسلامية وتصفيتها..
وقد تبقي بعد ذلك من الجماعة الإسلامية تيارين رئيسيين:
تيار الجماعة الإسلامية الموالي للإخوان والذي كان يتمركز في جامعتي القاهرة والإسكندرية وجامعات الوجه البحري..
وتيار الجماعة الإسلامية الجهادي الذي كان يتمركز في جامعات الصعيد..
أما التيار الثالث الذي تبني الخط السلفي فهو صغير ومحدود، وقد انحصر في جامعة الإسكندرية ثم اندمج في التيار السلفي العام، ولم يعد يمثل الجماعة الإسلامية..
وبالنسبة للخط الإخواني فقد عاد إلي البروز من جديد علي ساحة الواقع، وفي محبط الجامعة، في أواخر الثمانينيات واستطاع الاشتراك في الانتخابات الطلابية والفوز بعدة مراكز في جامعة القاهرة والإسكندرية, كما عاد إلي ممارسة نشاطه العلني في الإشراف علي الندوات الإسلامية التي يحاضر فيها عادة دعاة الإخوان مثل الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي..

وبالإضافة إلي هذا كان يقوم بتنظيم صلاة العيدين بالقاهرة والإسكندرية وفي محافظات أخري، والمتجول في شوارع القاهرة آنذاك كان يلاحظ الكثير من الملصقات التي تدعو الناس إلي صلاة العيد خاصة في منطقة السيدة زينب بالقاهرة والتي تحمل اسم الجماعة الإسلامية. وكان الصلاة تقام قبل أحداث سبتمبر عام ١٨ في ميدان عابدين أمام القصر الجمهوري إلا أن أجهزة الأمن حظرت علي الإسلاميين الصلاة في هذا المكان..
وفي فترة التحفظ عام ١٨ تم اعتقال عناصر الجماعة الإسلامية وقياداتها، إلا أن الأحداث التالية لتلك الفترة أثبتت أن الذين اعتقلوا هم قيادات الجناح الإخواني، وبعض أفراد جناح الصعيد والسلفيين، بينما استطاعت العناصر القيادية والفاعلة في تيار الصعيد الفرار من وجه قوات الأمن والقيام بأحداث أسيوط التي شكلت ضربة شديدة للحكومة، كانت من أشد الضربات التي وجهت إليها منذ فترة يوليو وحتي الآن،،(١١)
وكان الصراع بين التيارات الثلاثة يظهر بوضوح في هذه مناسبة صلاة العيد، حيث تكثر الملصقات في الشوارع وهي تحمل شعارات مختلفة وتدعو الناس إلي الصلاة في أماكن مختلفة..
والجدير بالذكر أن محمد الإسلامبولي الشقيق الأكبر لخالد الإسلامبولي كان قد حاول إقامة صلاة عيد الأضحي في ميدان عابدين باسم الجماعة الإسلامية الجهادية إلا أن قوات الأمن منعته، وألقت القبض عليه مع مجموعة من الشباب الذين

حضروا معه وقد قدموا إلي النيابة بتهمة التجمهر وإثارة الشغب وتم حجزهم للمحاكمة..
ولقد أكتشفت أجهزة الأمن من خلال التحقيقات التي جرت بعد حادث الإغتيال أن تيار الجماعة الإسلامي الجهادي قد تحالف مع تنظيم الجهاد الذي يتزعمه محمد عبد السلام، والذي كان يضم من بين أفراده المقدم عبود الزمر، وأن الإعداد لعملية الإغتيال قد تم بالتنسيق بين التيارين,,(٢١)
ومنذ إنشقاق جناح الصعيد علي الإخوان وهو يسعي لتطوير نفسه إلي شكل تنظيمي أكثر فعالية، وبدأ يوسع من نشاطه ليتجاوز حدود الجامعة، ويستقطب الكثير من الشباب، كما بدأ يطرح قضية الصدام مع الحكم وإعلان الجهاد كطريق لإقامة الإسلام..
وبداية من أحداث عام ١٨ تواري تيار الجماعة الإسلامية الموالي للإخوان، وأخذ يبرز في الأفق تيار الجماعة الجهادي الذي إرتبط بحدثين تاريخيين هما : **حادث الإغتيال، وحادث أسيوط** اللذين تبرأ منهما تيار الإخوان..
وطوال فترة الإعتقال علي ذمة قضية الإغتيال وقضية الجهاد إستطاع قادة الجماعة الإسلامية بلورة إتجاهها وتقنينه وفق الأصول السلفية التي يعتقدونها وذلك تحت إشراف الدكتور عمر عبد الرحمن الذي يعد الأب الروحي للجماعة..
١٨ تتمثل فيما يلي:/وكانت أهم الأحداث التي اتهمت بها الجماعة الإسلامية ضمن قضية الجهاد المعروفة تحت رقم ٢٦٤
١ ـ حادث أسيوط الذي وقع صبيحة عيد الأضحي بعد إغتيال السادات..
٢ ـ حادثة نجح حمادي التي اتهم فيها أفراد الجماعة بالهجوم علي محل للذهب يملكه مجموعة من المسيحيين بتاريخ ١٩٨١ /١٦/٦وقد قتل في هذا الحادث ستة أشخاص أربعة من المسيحيين واثنين من المسلمين.. وكانت النيابة قد وجه الإتهام لستة أشخاص من أفراد الجماعة في هذا الحادث هم المتهم رقم (٦، ٢٨، ٥٦، ٢٣١، ٣٣١،٤٣١)
٣ ـ حادثة قتل أحد القساوسة بمحافظة أسيوط في تاريخ ٨١/٦/٢٨ (المتهم رقم ٨٤١،٩٤١),, والجدير بالذكر هنا أن القسيس القتيل كان يتزعم جمعية تحمل اسم جمعية الجهاد المقدس). وذلك بالإضافة إلي حوادث أخري متفرقة في صعيد مصر وأحداث أسيوط..
وتيار الجماعة الإسلامية الجهادية لازال باقيًا، وهو التيار الإسلامي الوحيد في الساحة المصرية الذي لم تنهكه الضربات التي وجهتها الحكومة للحركة الإسلامية بشكل عام بداية من قرارات التحفظ وحتي الآن، وذلك علي الرغم من أن قادته كانوا داخل السجن، وقد حكم علي أغلبهم بالمؤبد..
وقد توقفت حركة المنشورات المعادية للحكومة والتي كانت تصدرها الجماعة وتغرق الساحة الإسلامية في مصر منذ الإنتهاء من محاكمة تنظيم الجهاد عام ٤٨٩١ والإفراج عن مائة وتسعين فردًا من عدد ثلاثمائة تقريبًا كانوا قد قدموا للمحاكمة, على رأسهم عمر عبد الرحمن وعدد كبير من أفراد الجماعة..
وكان في مقدمة المنشورات التي أصدرتها الجماعة عام٨٤المنشور الذي هاجمت فيه الحكومة لإفراجها عن البابا شنودة بابا الأقباط في الوقت الذي لايزال فيه الحظرقائمًا علي الدعاة الإسلاميين، وفي مقدمتهم الشيخ كشك. كما هاجمت في نفس المنشور جماعة الإخوان ومرشدها الراحل عمر التلمساني لقيامه بزيارة الباب في مقره وتهنئته بالإفراج عنه..
و أصدرت الجماعة عدة منشورات أخري هاجمت فيها إتفاقية كامب ديفيد والوجود الإسرائيلي في مصر، وأعلنت مناصرتها للثورة الأفغانية في عدة منشورات..(٣١)
ويبدو بوضوح من خلال مجلتها البسيطة **(كلمة حق)** التي كانت تصدرها الجماعة وتعتبرها الناطقة بلسانها، والتي يتم توزيعها بشكل سري، مدي تعاطف الجماعة مع الثورة الأفغانية وعدائها الشديد للإخوان والحكومة علي السواء..
وفي الوقت الذي كانت تسمح فيه الحكومة لشباب الجماعة الإسلامية في جامعتي القاهرة والإسكندرية بالتحرك داخل محيط الجامعة ودخول الانتخابات الطلابية والفوز بعدة مراكز في الاتحادات الطلابية، في الوقت ذاته كانت تمنع أفراد الجماعة الإسلامية في الصعيد من ممارسة أي نشاط داخل محيط الجامعة..
ومنذ أن تسلم اللواء زكي بدر وزارة الداخلية بعد أحداث الأمن المركزي في فبراير ٦٨ بدأت مرحلة الاحتكاك بين الحكومة والتيار الإسلامي بشكل عام، والجماعة الإسلامية الجهادية بشكل خاص. وآخر صور الاحتكاك تمثلت في حركة اعتقالات واسعة بين صفوف الإسلاميين في صعيد مصر, ذلك الأمر الذي أدي إلي وقوع اضطرابات جديدة في محافظة أسيوط يوم الجمعة ٦٨ /٣١/٠١كانت تقف من ورائها الجماعة الإسلامية..
ثم دخل جناحي الجماعة الإسلامية مرحلة الثمانينيات: الجماعة الإسلامية الجهادية والجماعة الإسلامية الإخوانية، في صراع وتنافس في محيط الجامعة وخارجها. ذلك الصراع الذي تجاوز حدوده وتحول إلي صدامات دموية أدت إلي سقوط جرحي من الجانبين كما أدت إلي تدخل قوات الأمن خاصة في مدينة أسيوط التي يكثر بها الصدام بين الاتجاهين..
وفي منتصف الثمانينيات تقريبًا حدث صراع داخل الجماعة الإسلامية الجهادية في بعض مناطق الصعيد وأدي إلي ظهور تيار جديد منشق عنها هو تيار الجماعة الإسلامية المستقلة..
إلا أن تيار الجماعة الإسلامية الجهادية هو الذي خطف الأضواء من الجميع، وارتبط بكثير من الأحداث والصدامات التي وقعت مع الحكومة منذ بداية الثمانينات وحتي الآن, بينما الجماعة الإسلامية الموالية للإخوان كانت تزاول نشاطها في محيط الجامعة. وقد تسلم زمامها جيل من بعد جيل من الطلاب الموالين للإخوان..
والجدير بالذكر أن بعض قادة الجماعة الإخوانية والذين تخرجوا من الجامعة قد أصبحوا أعضاء في مجلس الشعب بعد أن أدخلهم الإخوان ضمن قوائمهم الانتخابية، في انتخابات عام ٠٩٩١، كما كانوا يسيطرون علي عدد من المراكز القيادية في عدة نقابات,,(٤١)

والنشاط الوحيد الذي كانت تزاوله الجماعة خارج محيط الجامعة تقريبًا هو الإشراف علي صلاة العيد والإعداد لها، حيث تقوم بطبع أوراق الدعاية باسمها ونشر الملصقات بالشوارع والتي ترفع فيها شعار الإخوان **(الله أكبر ولله الحمد)**
وصلاة العيد إحدي الأنشطة الجماهيرية البارزة للإخوان والتي كانوا يزاولونها تحت ستار الجماعة، حيث يخطب فيها كبار دعاتهم مثل الدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، وهي تتم بتنسيق مع الكومة التي كانت تسمح لهم باستغلال الأماكن العامة والمساجد الحكومية لإقامة الصلاة فيها, مثل الاستاد الرياضي بمدينة الإسكندرية الذي كانت تقيم فيه صلاة العيد في كل عام، ومسجد عمرو بن العاص التابع لوزارة الأوقاف بالقاهرة، وقبل ذلك كانت الصلاة تقام في .ساحة عابدين أمام قصر عابدين، وبالقرب من وزارة الداخلية.
وكان مركز نشاطها في محيط جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية وجامعات الوجه البحري، أما جامعات الصعيد وخاصة جامعات أسيوط والمنيا وسوهاج فكانت تنازعها فيها الجماعة الإسلامية الجهادية..
وظلت الجماعة الإسلامية الإخوانية علي علاقة طيبة بالحكومة وبالجهات المسئولة عن الحقل الجامعي،سيرًا مع نهج الإخوان الذي تلتزم به..
والمراقب لنشاط الجماعة الجهادية منذ بداية الثمانينيات يري أنها ارتبطت بمعظم الأحداث التي وقعت بداية من حادث الإغتيال وأحداث أسيوط عام ٨١، ونهاية بأحداث التسعينيات، كما سوف يلاحظ أن نسبة ٠٩٪ من كم المنشورات التي ..صدرت ضد الحكومة في تلك الفترة هي من إصدارها
وجماعة كهذه لابد وأن تحظي بضغط كبير من جهاز الأمن، ومن ثم فإن المعتقلات لا تكاد تفرغ من عناصر هذه الجماعة الذين يمثلون أكبر كم من المعتقلين علي الدوام..
ولقد اشتهرت الجماعة الإسلامية الجهادية بصداماتها المتكررة مع الإخوان في الصعيد، ومن أشهر هذه الصدامات عملية إقتحام أحد مساجد الإخوان في عيد الأضحي عام ٩٩٣١هـ/ ٨٨٩١م بمدينة أسبوط، والإعتداء علي المصلين من شباب الجماعة الإسلامية الإخوانية وإصابة عشرين منهم بإصابات مختلفة..
والإشتباك الدموي الذي وقع في مسجد جامعة سوهاج والذي سمته الصحف بحرب الجنازير، ونتج عنه إصابة عدد كبير من الطلاب, وكان سبب الإشتباك هو الصراع علي النشاط في مسجد الجامعة.
وقد تم اعتقال الدكتور عمر عبد الرحمن أمير الجماعة الإسلامية الجهادية والأب الروحي لها أثر مظاهرة وقعت بعد صلاة الجمعة في مدينة الفيوم، مقر الدكتور عمر ونتج عنها وقوع صدام مع قوات الأمن وإصابة عدد من العناصر الإسلامية ورجال الشرطة وإعتقال أكثر من ثلاثين شخصًا,,(٦١)
والملاحظ أن جهود الجماعة الإسلامية الجهادية وطاقاتها كانت موزعة علي أكثر من جبهة، ويمكن حصر الجبهات التي تصطرع فيها الجماعة فيما يلي:

- الحكومة..
- الإخوان..
- المسيحيون..
- الصوفية..
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

ففي مواجهة الحكومة تزعمت الجماعة أحدث أسيوط وعين شمس ودير مواس وإمبابة والفيوم وغيرها من الأحداث..
وفي مواجهة الإخوان وقعت عدة صدامات علي مستوي جامعة أسيوط والمنيا وسوهاج، وعلي مستوي كثير من المساجد المتنافس عليها بين الجماعتين..
وفي مواجهة المسيحيين وقعت عدة إعتداءات علي الكنائس وعلي الأشخاص في الصعيد وأماكن أخري..(٧١)
وفي مواجهة الصوفية وقعت عدة صدامات وتحرشات خاصة في الموالد حيث تكثر الممارسات والشعائر التي تشكل إستفزازًا للجماعة وتعد بدعًا في نظرها، كما حدثت محاولا لإحراق بعض الأضرحة..
وفي دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منعت الجماعة إقامة الكثير من دور العرض السينمائي في كثير من مدن الصعيد, كما حالت دون إقامة الكثير من العروض المسرحية، وقامت بإحراق بعض النوادي الليلية,,(٨١)

وعلي مستوي الجامعات كان أفراد الجماعة يمنعون إقامة الحفلات الموسيقية والمسرحية مما يؤدي إلي حدوث صدامات بينهم وبين إدارة الجامعة،كثيرًا ما تتطلب إستدعاء قوات الأمن بسبب هذه الأمور, كما كانوا يمنعون الخلوة بين الطلبة والطالبات، وكثيرًا ما يعتدون بالضرب علي الطلبة والطالبات بسبب هذا الأمر..
والجماعة إنما تتحرك في هذه الجبهات وتقوم بهذه الممارسات علي أساس من أطر فكرية سلفية بحتة وهي تتسلح في مواجهة الواقع بمجموعة من الفتاوي السلفية تبني علي أساسها مواقفها وممارساتها,,(٩١)
وقد اختفت بعد ذلك الجماعة الإسلامية المستقلة..(٢٠)
وفي فترة التسعينيات نقلت الجماعة الإسلامية الجهادية نشاطها من محيط جامعات الصعيد إلي ساحة الواقع. لتدخل في صدامات مسلحة مع رجال الشرطة أصبحت تتكرر بصورة شبه يومية، وإن كانت قد تلاشت مؤخرًا تحت الضغوط الأمنية، وتبني قيادات الجماعة فكرة نبذ العنف..

الهوامش

(١) شن هذا المنشور هجومًا شديدًا علي أجهزة الإعلام واتهمها بإفساد أذواق الناس ودفع بناء إلي الهاوية ووصفها بأنها أجهزة عارية فاجرة..
(٢) دار صراع محدود بين الجماعة الإسلامية وتيار التكفير علي مستوي الجامعة كما قضت الجماعة فترة مراحلها الثلاث في صراع مع التيارات السياسية الأخري كالتيار اليساري الشيوعي والتيار الناصري. تلك التيارات التي كانت تنافسها في السيطرة علي المراكز القيادية في الجامعة..
(٣) رسالة الجامعة العدد رقم ٧, وهي رسالة صادرة عن لجنة النشاط السياسي والثقافي للجماعة الإسلامية عام ٧٧٩١.
(٤) كانت النشاطات تجري في تلك الفترة تحت اسم الجماعة الدينية..
(٥) المتحدث هو دكتور خالد فكري رئيس اتحاد طلاب كلية طب القاهرة. وتعد كلية الطب علي رأس الكليات التي كانت تعدد النشاط الإسلامي بالجامعة المصرية. والمتحدث كان من بين المعتقلين علي ذمة قضية الجهاد عام ٨١ وبرئت ساحته..
(٦) انعقد هذا المؤتمر في كلية الهندسة بمحافظة المنوفية في الفترة ما بين ٣/٦ إلي ٧٦/٣/١٢, وكان السادات متواجدًا في قريته ميت أبو الكوم التابعة لنفس المحافظة..
(٧) انظر مجلة الدعوة عدد رقم٠٣,,
(٨) كانت صلاة العيد بالقاهرة تقام في ساحة عابدين أمام القصر. وكان الخطيب هو الدكتور يوسف القرضاوي. أما في الإسكندرية فقد كانت تقام في الاستاد الرياضي..
(٩) صدر هذا المنشور ردًا علي منشور مسيحي أصدرته البطريركية الأرثوذكسية في ٨٠/٣/٢٦ وأذاعته إذاعة لندن. وكان هذا المنشور يطالب بالتضييق علي نشاط الجماعة الإسلامية والسماح للمسيحيين بإقامة كنائس في الجامعات أسوة بالطلاب المسلمين..
(٠١) كان هذا المنشور هو الذي تحدث عنه السادات في خطابه آنذاك..
(١١) انظر باب حوادث الحركة من هذا الكتاب..
(٢١) ضمت قضية الإغتيال أربعة من قيادات الجماعة الإسلامية الجهادية..
(٣١) أقامت الجماعةمؤتمرًا لمناصرة الثورة الأفغانية في مسجد النور بالقاهرة الذي صادرته الحكومة..
(٤١) من هؤلاء الطلاب الدكتور عصام العريان . ومن هذه النقابات نقابة الأطباء ونقابة الأطباء ونقابة المهندسين ونقابة التجاريين..
(٥١) من هذه المنشورات منشور بعنوان: الإسلام هو الحل..
(٦١) وقع هذا الصدام بتاريخ ٨٨/٢١/٥,
١٧١) أصدرت الجماعة الإسلامية الإخوانيةمنشورًا هاجمت فيه الجماعة الإسلامية الجهادية لتعديها علي الممتلكات المسيحية..
(٨١)
(١٩)أنظر باب المنطلقات الفكرية..
(٠٢) برز التيار المستقل بسبب الخلاف حول الموقف من الواقع والعذر بالجهل، وهاجمته الجماعة في عدة بيانات، ورد المنشقون عليهم، وأصدر عمر عبد الرحمن بيانًا أتهم فيه المنشقون بالمروق والخروج علي العقيدة وتبني التكفير..

مرحلة الثمانينيات

بروز الجهاد وظهور الشيعة..

بدأت مرحلة الثمانينيات بانقلاب السادات على الحركة والإسلاميين أجمعين , وأخذ في طريقه قوى المعارضة الأخرى من يسار ويمين ومثقفين وكتاب وحتى قساوسة ومسيحيين..
وجميع هؤلاء قد شملتهم فرارات التحفظ التي أصدرها في سبتمبر عام ٨١..
كانت نية السادات متجهة إلى تغيير الواقع المصري برمته..
إلا أن القدر لم يسعفه ليلقى مصرعه في الشهر التالي على يد عناصر الجهاد..
وتدخل مصر مرحلة جديدة كانت الأسوأ بالنسبة للحركة الإسلامية..
ولو قدر للزمن أن يعود للوراء لأبقى عناصر الجهاد على السادات ولم يقتلوه..
لقد كان السادات أفضل لهم بكثير من مبارك..
هذا مع التأكيد على أن الحركة فشلت في التعامل مع كلاهما..
وبقتل السادات أعلنت الحكومة الحرب على تيار الجهاد وتم فرض قانون الطوارئ الذي شل الحياة السياسية والفكرية في مصر لعقود طويلة..
وكشرت الحكومة عن أنيابها في وجه الجميع,,
وهو ما أدى لسكون الحركة الإسلامية طوال النصف الأول من الثمانينيات, حيث ضمت السجون والمعتقلات عناصر الجهاد والجماعة الإسلامية والتكفير والقطبيين..
وشغلت محاكمات قتلة السادات ثم محاكمات الجهاد الساحة الإسلامية في مصر..
وفي النصف الثاني من الثمانينيات وبعد الانتهاء من المحاكمات والإفراج عن العناصر الإسلامية التي تم تبرئة ساحتها وعناصر التيارات الأخرى غير الجهادية, بدأت الخارطة الإسلامية في التغير..
العديد من عناصر الجهاد وعلى رأسهم أيمن الظواهري فروا نحو الخارج..

وسهلت لهم الحكومة الفرار كي تتخلص منهم..
والبعض أصيب بالإحباط واتجه نحو السلفيين..
والبعض الآخر بدأ يعيد قراءاته وقرر التوجه نحو الشيعة..
وهو ما حدث للعديد من عناصر التكفير..
ومن استمر على طريق الجهاد ومعاداة الحكم كان تحت الرصد والتضييق, ويتم اعتقاله ما بين الحين والآخر بموجب قانون الطوارئ..
وكانت الساحة السياسية والثقافية مشغولة بالثورة الإيرانية والحرب العراقية الإيرانية..
والدور السعودي العراقي يبرز على الساحة بقوة..
كانت السعودية تدعم السلفيين والرموز الإسلامية..
وكان العراق يدعم القوميين والكتاب والصحفيين..
والسعودية والعراق ومصر ضد إيران..
وهكذا أغرقت الساحة الإسلامية والثقافية بمئات المنشورات الموجهة ضد إيران والشيعة..
وسخرت المنابر والصحف لإنزال اللعنات على الخميني ودعم صدام..
كانت هذه هى صورة الساحة المصرية في فترة الثمانينيات التي كان فيها الإخوان يراقبون ما يجري من بعيد بحثاً عن ثغرة ينفذون منها في الوقت الذي يغازلون فيه الحكومة..

وتعد مرحلة الثمانينيات هى مرحلة تبار الجهاد الذي ارتبط بحادث اغتيال السادات بحيث توارى أمامه تيار الإخوان والتيارات الأخرى, وهو قد حجز النصف الأول من الثمانينيات الذي كانت فيه الساحة شبه مجمدة..

ثم جاءت مرحلة إفراغ السجون والمعتقلات بعد الانتهاء من محاكمات الجهاد وما صاحبتها من ظواهر غيرت الخارطة الإسلامية..

أما النصف الثاني منها فقد برز فيه التيار الشيعي وانشغلت الساحة بظهوره..

وكل ذلك لم يكن في صالح الإخوان..

الإخوان ومبارك

اللعب على الحبلين..

ومرة أخري وكأن الإخوان لا يستفيدون من دروس الماضي، عادوا لممارسة نفس الأسلوب الذي كانوا يمارسونه مع السادات, مع نظام مبارك, مرة أخري عادوا يعلنون براءتهم من كل صور العنف والتطرف التي حدثت في الواقع المصري في الفترة التي تلت قرارات التحفظ عام٨١..

يقول التلمساني: جماعة الإخوان أبعد الجامعات عن العنف والسلف الصالح لا يري أن يقاوم الحاكم بالسلاح حتي لو كان فاسقًا أوظالمًا، نحن ننكر هذه الناحية، ولم يحدث في يوم من الأيام أن بدأ الإخوان صدامًا.. نحن لسنا في صراع مع أحد.. كان الإمام الهضيبي، ومن قبله الإمام حسن البنا ينكران, هذا كل الإنكار وأنا بدوري إقتداءًا بهما أنكر كل هذا ولا أقر أي ظاهرة من ظواهر العنف في هذا البلد أو في أي بلد إسلامي بين حاكم ومحكوم..

يكفي أن وزير الداخلية الأسبق ـ النبوي إسماعيل ـ قال: إن الإرهاب والجماعات الإرهابية لم تخرج من تحت رداء الإخوان وهذه شهادة رسمية للإخوان..

كل ظواهر العنف لم تظهر إلا في غيبة الإخوان..(١)

وفي معرض الإجابة علي سؤال، فيما لو رفضت الحكومة عودة الإخوان ورفضت قيام حرب سياسي للإخوان : أنا أدعو إلي منهاج الإخوان في أسرتي وأقاربي..

وقال أيضًا: كل الجماعات تتهم الإخوان بأنهم تركوا الجهاد, وهم يفسرون الجهاد علي أنه الصراع مع الحاكم,,(٢)

وقد شارك التلمساني كما شارك آخرون من دعاة الإخوان في الندوات التي كانت تقيمها وزارة الداخلية في المعتقلات بهدف مواجهة الفكر المتطرف، وقام علي رأس وفد من الإخوان بزيارة البابا شنودة في مقره لتقديم التهاني بمناسبة الإفراج عنه وعودته لمباشرة مهام منصبه..

يقول التلمساني: إن ما نعانيه اليوم هو رواسب ٠٣ سنة مضت وتترسب هذه الكوارث علي هذا البلد كارثة بعد كارثة

والعهد الحالي ـ عهد مبارك ـ يحاول أن أن يصلح وإنني أدعو الشعب جميعًا أن يتعاون مع كل من يحاول الإصلاح,,(٣)

وفي حديث لمجلة المختار الإسلامي، وفي معرض الإجابة علي سؤال حول تعريف لحركة الإخوان عاد التلمسانيليكرر نفس النغمة التي كان يكررها في عصر السادات علي صفحات مجلة الدعوة، حين قال: دعوة الإخوان دعوة نزيهة بريئة مخلصة تدعو إلي وحدة الصف الإسلامي وجمع كلمته وتأكيد وحدته في ظل الخلافة, وهي تعد نفسها جنديًا في جيش كل من يدعو إلي هذا، أيا كان موقعه، ولا تنازع حاكمًا حكمه، ولن تقف من أحد موقف الناقد أو المعارض، أيًا كان موقعه، ولكنها تنصح لأن الدين النصيحة وتوجه لأنه مطلوب من المسلمين أن يكون منهم من يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف ولا نخاصم أحدًا ونحتمل في سبيل هذا المطلب الأسمي كافة ما يتطلبه الإسلام من دعاته,,(٤)

وحول موقف الإخوان من التيارات الإسلامية الأخري والمخالفين لهم يرفع البناشعارًا يقول فيه: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا البعض فيما إختلفنا فيه..

إن هذا الخلاف لا يكون أبدًاحائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون علي الخير وأن يشملنا وإياهم معني الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته.. ألسنا مسلمين وهم كذلك..(٥)

ويقول مصطفي مشهور مرشد الإخوان: الأصل في علاقتنا مع غيرنا من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية الأخوة والحب والتعاون وإحسان الظن ما لم يظهر منهم ما ينفي عنهم صفة العمل لصالح الدعوة الإسلامية أو ينقلهم إلي صف العاملين ضدها,,(٦)

إلا أن المتتبع لمواقف الإخوان وممارستهم بداية من مرحلة الستينيات وحتي اليوم لا يجد ما يثبت إلتزامهم بهذا المبدأ، ويبدو ذلكواضحًا من موقفهم تجاه تيار سيد قطب في الستينيات ، كما يبدو واضحًا من موقفهم تجاه الحركات الطلابية الإسلامية المناهضة لهم في محيط الجامعة..

ومن موقفهم تجاه عصام العطار أحد قادة الإخوان في سوريا، والمقيم في ألمانيا منذ زمن طويل، حين أصدروامنشورًا تحذيريًا نشر في مجلة الدعوة أعلنوا فيه مقاطعتهم له وبراءتهم منه..(٧)

والمتأمل في مجلة الدعوة الناطقة بلسان الإخوان طوال فترة السبعينيات لا يجد فيها أي فكرة أو رأي أو وجهة نظر تخالف الإخوان، بل لا تجدأصلاً أي مقال لكاتب غير إخواني، وإن وجد فلا شك أن هذا المقال يخدم فكرة الإخوان ولا يتناقض معها..

وما كان ينقل من كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب على صفحات مجلة الدعوة إنما هو نقل تم اختياره بدقة، وهو بعيد عن نظرية سيد قطب في العمل الإسلامي والتي تصطدم بنظرية الإخوان والمطروحة بوضوح في الظلال,,(٨)

كما أن الإخوان لم يفتحوا مجلة الدعوة أمام هذه المقتطفات من الظلال إلا وهم مكرهون بعد أن أحسوا بمدي ما يمثله سيد قطب من وزن كبير بين القاعدة الإسلامية في مصر، وحتي الصفحة التي كانت مخصصة لقطب والتي تحمل عنوان في ظلال القرآن بالمجلة لم تكن تكتب بصورة منتظمة، وكان يضحي بها كلما سنحت فرصة ذلك..

و إخوان اليوم يملكون إمكانيات هائلة وقد دخل الكثير منهم عالم المليونيرات، وأصبحوا يملكون الكثير من المؤسسات وقد استخدموا السلاح الاقتصادي هذا في استقطاب الشباب المسلم وربطه بحركة الإخوان..

ولقد أوجدت الأحداث التي وقعت علي الساحة المصرية وارتبطت بالتيار الإسلامي، وفي مقدمتها حادث اغتيال السادات، نوعًا من الوعي المضاد لجماعة الإخوان فلم تكن هذه الأحداث كلها في صالحها، وإنما كانت في صالح التيار الجهادي الذي اصطدم بنظام السادات وكشف الموقف السلبي، والمتناهي في السلبية الذي كان يتخذه الإخوان تجاهه..

ومن جهة أخري فإن التيار الجهادي قد سحب البساط من تحت أرجل الإخوان، وكسب عطف الإسلاميين علي مستوي الداخل والخارج، وذلك بفضل الإنجازات الحركية الضخمة التي حققها، والتي لم يكن للإخوان أي دور فيها..

وربما كانت هذه المكاسب التي حققها تيار الجهاد هي الدافع المباشر الذي أدي بالإخوان إلي محاولة تشويه منجزاته والتشكيك فيها,,(٩)

ويمكن القول إن الإخوان قد خسرواكثيرًا من وزنهم بين الإسلاميين بمواقفهم السابقة من السادات ومن الأحداث، ومن مبارك وساهموا بطريق غير مباشر في تقوية الجبهة المضادة لهم في الوسط الإسلامي والتي يتزعمها التيار الهادي والتيار السلفي..(٠١)

ويبدو أنه قد فات الأوان لرأب الصدع بين الإخوان والتيارات الإسلامية الأخري، أو بين الإخوان والجيل الجديد المتشبع بالثورة والمعبأ بروح التغيير، وأن فجوة الخلاف بينهما تتسعيومًا بعد يوم..

وليس صحيحًا ما يشيعه الإخوان في مصر أن جماعة الإخوان تمثل كيانًاواحدًا علي المستوي الدولي، وأن هناك كتلة دولية متحدة للإخوان تنسق المواقف والخطوات فيما بينها، وإنما هناك خلافات شديدة بين تيارات الإخوان علي المستوي الدولي, أقربها الخلاف بين تيار الإخوان في مصر وتيار عصام العطار في ألمانيا..

وتجدر الإشارة هنا إلي أن الإخوان لم يكونوا جماعة واحدة حتي علي مستوي الدول العربية في عصر البنا نفسه، وأن البنا لم يكن من المؤيدين لفكرة وحدة الجماعات الإخوانية علي مستوي الوطن العربي,,(١١)

ولقد تسبب موقف الإخوان في مصر من السادات وإتفاقية كامب ديفيد، في خلافات شديدة بينهم وبين تيارات الإخوان

الأخري في دول كثيرة..
إلا أن جماعة الإخوان، علي الرغم من ذلك كله، هي الجماعة الأكبر وزنًا والأكثر تأثيرًا في واقع العمل الإسلامي بمصر، ولعل جنازة المرشد السابق عمر التلمساني تشهد بصحة ذلك الأمر, لكن ما يجب ذكره هنا أن ذلك الحشد الجماهيري الضخم الذي واكب الجنازة لا يعبر بالضرورة عن حجم الإخوان ووزنهم بقدر ما يعبر عن حجم ووزن التيار الإسلامي بين جماهير الشعب المصري بصفة عامة..
وكان من الواضح أنه ليس لدي حكومة مبارك نية في اقتفاء أثر السادات وتبني سياسة حصان طروادة مع الإخوان مرة أخري؟. إلا أنه من الواضح أنها لا تبدي عداءًا واضحًا للإخوان وممارساتهم السياسية التي قاموا بها بداية من تحالفهم مع حزب الوفد ونهاية بدخولهم انتخابات مجلس الشعب وفوزهم بعدد من المقاعد فيه..
ويبدو أن حكومة مبارك قد استفادت من دروس الماضي وباتت تتشكك في قدرة الإخوان علي القيام بدور فعال بحد من خطورة التيارات الأخري علي نظام الحكم..
إلا أن الإخوان في عهد مبارك يبدون في حالة بروز علني أكثر من عهد السادات فهم يصدرون البيانات السياسية باسم المرشد العام, ويعقدون التحالفات مع الأحزاب، ويشاركوا في الانتخابات التشريعية التي أوصلتهم لمجلس الشعب مرة عن طريق حزب الوفد, ومرة عن طريق حزب العمل الاشتراكي، ثم تحت اسم المستقلين..
وحكومة مبارك كما كانواضحاً تغض الطرف عنهم وتفسح أمامهم الطريق بوسائل غير مباشرة، ولم يكن الأمر كذلك في عهد السادات..
والمرشد العام في عهد السادات لم يكن يمارس دوره بتلك العلنية التي في عهد مبارك , وهذا أمر له أبعاده الهامة في مسألة شرعية الإخوان..
وكان إدخال الإخوان لشباب الجماعة الإسلامية الموالية لهم مجلس الشعب عن طريق حزب العمل أولئك الشباب الذين كانوا ضمن المعتقلين في أحداث عام ١٨ وكانت تعدهم الحكومة من المتطرفين, يعطينا دلالات هامة في علاقة الإخوان بنظام مبارك..
ولقد امتلأت شوارع القاهرة وبقية مدن مصر بشعارات الإخوان وبياناتهم التي كانوا ينشرونها في زحمة الانتخابات التشريعية علي حساب حزب العمل الاشتراكي..
ولأول مرة يظهر على الملأ شعار : القرآن دستورنا والرسول إمامنا, في الشوارع وقد حذف منه بالطبع الجزء الثاني من الشعار الذي يقول: والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمي أمانينا, وذلك إمعانًا في سياسة الاعتدال وتماشيًا مع الوضع القائم..
كما ظهرت ولأول مرة منذ زمن صور حسن البنا في الطرقات, وبجوارها صورة لابنه سيف الإسلام الذي رشح نفسه علي قائمة حزب العمل..

ولقد أقام الإخوان المؤتمرات الشعبية، وأصبحوا يخاطبون الجماهير من دون حواجز أو معوقات علي حساب الانتخابات، وقد بدأ وجود حزب العملضئيلاً أمام الوجود الإعلامي المكثف للإخوان في تلك الانتخابات..
والواضح أن الإخوان قد استفادوا من درس سبتمبر عام ١٨ حين تحفظ عليهم السادات ضمن من تحفظ عليهم من قوي المعارضة, وأصبحوا يتعاملون مع سياسة الحكومة بحذر شديد، فلم يكن يسمع لهم صوت في مجلس الشعب آنذاك..
وحين أعلن عن تشكيل اللجنة الوطنية للدفاع عن تنظيم ثورة مصر المتهم بتدبير محاولات الاغتيال وضرب المصالح الأمريكية والإسرائيلية في مصر, اعتذر الإخوان عن الاشتراك في اللجنة حتي لا يبددوا علاقة الود القائمة بينهم وبين الحكومة..
وكان دخول الإخوان مجال توظيف الأموال في داخل مصر وخارجها قد دفعهم إلي الترابط مع الحكومة أكثر، إذ أن أي خلاف بينهم وبينها قد يهدد مصالحهم الاقتصادية..
ويمكن القول أن الإخوان هم أول من زرعوا بذور الإسلام الثوري في مصر، وقد اقتفت شركات توظيف الأموال آثارهم. كما تعد سياسة الاعتدال المفرط التي يتخذونها من الحكومة صورة جديدة من صور الإسلام الحكومي الذي يضفي الشرعية علي الوضع القائم..
واستمر الإخوان في موقفهم المعتدل من الحكم ومحاولاتهم المستميتة من أجل الشرعية والتي باءت جميعها بالفشل, وازدادت الأمور تعقيدًا أمامهم بعد أن وجهت الحكومة ضرباتها القاضية لكوادرهم الفاعلة, والحكم بالسجن فترات مختلفة علي عدد من الكوادر الفاعلة في جماعتهم, هذا ولا تزال لافتة الإخوان معلنة على مكتب الإرشاد بوسط القاهرة, وكان المرشد بعد رحيل التلمساني هو محمد خامد أبو النصر..

الإخوان والتيارات الأخري

وقد فرضت محاولات الإخوان الجادة والمستميتة من أجل الحصول علي الشرعية والاستقرار علي ساحة الواقع معاداة التيارات الإسلامية الأخري، إن كان بطرق مباشرة أو غير مباشرة فجميع التيارات الأخري تعادي الحكومة ولا تؤيد فتح حوار معها,وهذا الموقف في حد ذاته يهدد إنجازات الإخوان ويوقع بينها وبين الحكومة..
وعلي الجانب الآخر فإن التيارات الأخري تعادي الإخوان بسبب مواقف فكرية وعقائدية، ويعد تيار الجماعة الإسلامية

الجهادية من أشد هذه التيارات عداءًا للإخوان وقد تبلور هذا العداء إلي صدامات دموية بين الطرفين في صعيد مصر. خاصة في جامعتي أسيوط وسوهاج في فترة السبعينيات والثمانينيات..
ولعل إسراف الإخوان في مواقفهم من الحكومة وتميعهم في مواجهة الواقع من الأسباب الرئيسية في بلورة هذا العداء وتوسيع رقعته..
يقول صالح أبو رقيق عضو مكتب الإرشاد:نحن طلقنا العنف بالثلاثة، وضد أي عنف، من هنا أو هناك، وقد خضنا تجربة أقنعتنا علي ضوئهاتمامًا أن العنف ضار لنا ولبلدنا، فمن الحماقة أن تأخذ هذا الطريق ونسير عليه. وأنا أقول للشباب: إن معركتكم ليست مع الحاكم، معركتكم مع الجاهلية الموجودة في الناس، فيجب أن تكرسوا طاقاتكم كلها لهذه المعركة معركة الجاهلية ,هذا ولا تدخلوا أية معارك جانبية مع الحكم يقع ضررها عليكم وعلي البلد, وهذه أمنية أعداء الإسلام..(٢١)
ويقول صلاح شادي: إن الثورة ليست من دعوة الإخوان المسلمين ولا من أهدافهم..(٣١)
ومثل هذا التصريحات إنما شكلتإستفزازًا كبيرًا للتيارات الإسلامية المتشددة خاصة التيارات الجهادية التي تتهم الإخوان بالعمالة للحكومة..
يقول صالح أبو رقيق: لقد اتهمونا بأننا نسلك الطريق المهادن في مواقفنا وأننا أصبحنا متراخين, وتنظيم الجهاد علي رأسه رجل متشدد هو عمر عبد الرحمن, وأسلوبهم هو أسلوب حماقة، وليس فيه أي شيء من الحكمة لأنه إنتحار,,(٤١)
ويقول مرشد الإخوان أبو النصر في حواره مع مكرم محمد أحمد بعد نجاته من محاولة الإغتيال عام ٧٨: أننا نستنكر هذه الجريمة لأنها تمثل اعتداءًا لا يسوغه دين أو حق علي حياة كاتب مصري, قد تختلف معه لكننا لا تستطيع إلا أن نشهد له بالصدق مع النفس وشجاعة الرأي, وأقول لك بكل الوضوح أنني أربًا بأن تكون جماعة الإخوان أو أي من شبابهاطرفًا في هذا العنف الذي نستنكره ونديه,,(٥١)
وحول بيان العلماء الذي صدر عن مؤتمر العلماء بالأزهر وشاركت فيه عناصر من الإخوان, ونص علي أن الإصلاح الذي ينشده الإسلام للمجتمع يعتمد أول ما يعتمد علي الإقناع والتربية والحوار العاقل، ويرفض رفضًاحاسمًا اللجوء إلي العنف أو الإكراه, أو استباحة حقوق الآخرين باسم الدين..
حول هذا البيان يقول أية النصر في بيان حمل توقيعه: نحن مع أصحاب الفضيلة العلماء فيما يتعلق بقضايا التكفير وتغيير المنكر فقد مضت جماعة الإخوان منذ ستين عامًا ومازالت تمضي علي أصول من أصولها، وهو عدم تكفير من ينطق بالشهادتين, وهذا هو أسلوبنا وطريقنا الذي ندعو إليه ونأمل أن يمضي الناس عليه..(٦١)

مرحلة جديدة

هل يمكن القول إن جماعة الإخوان قد دخلت مرحلة جديدة بعد رحيل التلمساني..؟
سوف نتعرض لملابسات إختيار المرشد الجديد ومواقفه وبعض الممارسات السياسية الجديدة للإخوان لعل تكون فيها الإجابة علي هذا السؤال..
يقول صالح أبو رقيق: أنا أري أنه من الحكمة وتفادي المخاطر ألا نختار المرشد العام من بين العناصر التي كان لها علاقة بالجهاز الخاص في يوم ما, حتي لا يكون ذلك فرصة لأعدائنا في الداخل والخارج ليثيروا علينا الحملات، ويحملوا علينا بضراوة ونحن في غني عن ذلك, خاصة تجاه موضوع العنف. ومن الأفضل إختيار رجل بعيد عن حلبة الصراع,,(٧١)
ومن خلال هذا الكلام يتضح لنا ملابسات إختيار المرشد محمد حامد أبو النصر فهو الشخصية التي أجمع الإخوان عليها وتتوافر بها كل المقومات لتسيير دفة الإخوان في المرحلة الجديدة, أولي هذه المقومات أن يكون بعيدًا عن حلبة الصراع ـ كما عبر أبو رقيق ـ أي ليس لهاضٍ سياسي متطرف, أي ترضي عنه الحكومة ويرضي عنه الإخوان في آن واحد..
ولقد بدأ المرشد نشاطه بإصدار مجموعة من البيانات تحمل توقيعه وتعكس موقف الإخوان من الأحداث والتطورات.
وفي مقدمة هذا البيانات البيان الخاص بالحرب العراقية الإيرانية والذي نشر في جريدة الأحرار وذلك بعد توقف الحرب وإعلان إيران قبول قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨، وفيه أعلن المرشد تأييده لوقف إطلاق النار وحقن دماء المسلمين..
والبيان الخاص بمصرع ضياء الحق، الذي نشر في جريدة الشعب بتاريخ ٨٨/٨/٠٣ وهذا نصه :ينعي الإخوان المسلمون بكل أسف العاهل الباكستاني الكبير الرئيس محمد ضياء الحق رئيس دولة باكستان الإسلامية الشقيقة حيث وافاه الأجل المحتوم في ظروف دقيقة كانت الباكستان والعالم الإسلامي في أشد الحاجة فيها لجهوده وكفاحه، ويذكر الإخوان المسلمون للرئيس الراحل عاطفته الإسلامية المتأججة, وتمسكه بآداب الإسلام وأخلاقه وشعائره ومساندته العظيمة لمجاهدي أفغانستان, ووقوفه إلي جانبهم سنوات طوال, مما كان له أكبر الأثر في صمودهم وإنتصارهم, والإخوان المسلمون إذ يبكون في الرئيس الراحل تلك الشمائل الكريمة, ليرجون من الله أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنته ، وأن يعوض باكستان الشقيقة والأمة الإسلامية عنهخيرًا، وأن يوفق شعب الباكسان المسلم إلي ما فيه وحدة الصف

وإجتماع الكلمة وإعلاء راية الإسلام ..
وقد أصدر المرشد بيانًا حول أحداث عين شمس قال فيه:إن ظاهرة الإصطدام بين رجال الأمن والشباب وتبادل الحجة والبرهان بالرصاص أمر لا نرضاه. فالذي يدفع الثمن غالبًا هو الشعب المسكين فكلا الجبهتين من قطاعات الشعب,,(٨١)
وحول خطاب مبارك في المولد النبوي قال المرشدمعلقًا:خطاب رئيس الجمهورية في المولد النبوي, يستدعي أكثر من وقفة للدراسة وإمعان الفكر والنظر علي المستوي الرسمي والمستوي الشعبي ,وفيما يتصل بالعديد من المجالات التي جاء تناوله لأكثرها من خلال رؤية تفتح ولا شك أكثر من باب للإلتقاء علي السبل والغايات, كما أنه من الخطر أن تغيب هذه المعالم البارزة عن الأذهان أو تنصرف عنها الأذهان..
وإذا كانت كل المؤسسات والهيئات والمنظمات مدعوة من خلال خطاب الرئيس للاتصال والحوار والدراسة وعلي الفور لتشخيص الداء ووصف الدواء, كي يتحمل كل مسئوليته, لأن الكل مسئولون عن الأوضاع غير المرضية التي يعاني منها المجتمع المسلم اليوم، وهي دعوة إنتظرناها بالأمس قبل اليوم, فإن الحوار حول الداء والدواء ليكون مضمون النتائج والإيجابيات يقتضي أن ترفع القيود كل القيود من طريق العمل الإسلامي, وترفع وتزال الحواجز أمام جماعة الإخوان المسلمين ـ أكبر الجماعات الإسلاميةحجمًا ووزنًا علي الساحة الشعبية وساحة العمل الإسلامي ـ وأن تيسر لها كل السبل إعلاميًا ودعويًا كي تمارس دورها الصحيحكاملاً وتواصل رسالتها شاملة..(٩١)
والإخوان علي حد تعبير أبو رقيق وضعوا أنفسهم أمام ثلاثة خيارات:
ـ أن يكون لهم حزب خاص بهم، وهذا طريقه مسدود..
ـ أن يكونوا جمعية وهو غير ممكن..
ـ أن يشاركوا في أي حزب من الأحزاب القائمة ويأخذوه كمظلة شرعية يزاولون من خلالها نشاطهم. لأننا في دولة لابد أن نلتزم بقانونها,,(٠٢)
والإخوان قد اختاروا الخيار الثالث ودخلوا في مفاوضات مع حزب الأمة والأحرار، ثم تحالفوا مع الوفد، ودخلوا مجلس الشعب من خلاله، وبعد إختلافهم مع الوفد تحالفوا مع حزب العمل الاشتراكي، ودخلوا مجلس الشعب من خلاله للمرة الثانية، وهم في حزب العمل قد إصطدموا بالاشتراكيين فيه، وإحتدمت الصراعات داخله مما أدي إلي انشقاق قطاع من الحزب لحتجاجًا علي هيمنة الإخوان..
ولعل قضية الشرعية هي التي دفعت بالإخوان إلي تبني سياسة إمساك العصا من المنتصف، الإبقاء علي علاقة الود والاحترام مع الحكومة والبعد عن صور الإستفزاز التي تثيرها..
ومن هنا كانت عناصر الإخوان داخل مجلس الشعب يبتعدون قدر الإمكان عن إثارة الحكومة والضغط عليها، أو طرح القضايا التي تشكلإستفزازًا لها في الوقت الراهن كقضية تطبيق الشريعة وقضية العلاقات المصرية الأمريكية..

هوامش
(١) مجلة المجلة السعودية اللندنية عدد رقم ٢٢٥ بتاريخ ٩٢/ ٤٨/٢١,,
(٢) المصدر السابق..
(٣) جريدة الوفد عدد ٧/ ٥٨/٣,,
(٤) المختار الإسلامي عدد رقم ٠٣/ نوفمبر ٤٨,,
(٥) مجلة الدعوة عدد رقم ٦١ مايو/١٨,.
(٦) المرجع السابق..
(٧) أنظر عدد الدعوة الأخيرة قبل صدور قرارات سبتمبر..
(٨) أنظر أعداد الدعوة فترة السبعينيات..
(٩) هاجم التلمساني حادث الإغتيال وشكك فيه..
(٠١) أنظر فصل موقف الحركة من العمل السياسي..
(١١) أنظر الفصول القادمة من الكتاب..
(٢١) مجلة المصور عدد رقم ٦٨/٥/٩/٣٢١٣,
(١٣) مجلة لواء الإسلام عدد رقم ٠١/٩/١/,,٩٨
(٤١) المصور العدد السابق ذكره..
(٥١) المصور عدد رقم ٧٨/٨/٢١/٣٢٠٨,,
(٦١) لواء الإسلام العدد السابق ذكره..
(٧١) المصور عدد ٣٢١٣,,
(٨١) لواء الإسلام العدد السابق..
(٩١) لواء الإسلام العدد رقم ٨,,
(٠٢) مجلة المصور عدد رقم ٣٢١٣,,

تنظيم الجهاد

كان تنظيم محمد عبد السلام هو الذي جند خالد الإسلامبولي وقام بترتيب عملية الاغتيال، وإعداد العناصر التي شاركته في تنفيذها، وهو الذي قام من قبل بتجنيد عبود الزمر عن طريق ابن عمه طارق الزمر أحد قادة التنظيم..

ومن هنا يبرز لنا الدورالاستراتيجي الذي لعبه تنظيم الجهاد في بداية الثمانينيات ذلك الدور الذي جعله يسرق الأضواء من التيارات الإسلامية الأخري. وفي مقدمتها تيار الإخوان..

وعلي الرغم من تلك الطفرات الحركية التي قام بها تنظيم الجهاد بداية باغتيال السادات، ونهاية بقتل بعض ضباط الشرطة والمباحث في القاهرة، إلا إنه لا يزال في مستوي تنظيمي وحركي ولا يشكل تحديًا أمنيًاخطيرً ا لنظام الحكم، ولعل السبب في ذلك يعود إلي الأمور التالية:

(١) إفتقاده للخبرة والكوادر الفعالة..

(٢) إفتقاده للإمكانيات المادية (العامل الاقتصادي)..

(٣) عدم وجود نظرية عمل واضحة يتحرك علي أساسها..

(٤) إعتماده علي فقه التراث كمصدر وحيد للتلقي والممارسة..

وبإمعان النظر في هذه النقاط الأربعة يتبين لنا بوضوح مدي صلتها بتركيبة الواقع. إن هذه الأمور هي التي تشكل التحدي الأكبر الذي يواجه تنظيم الجهاد في مصر بالإضافة إلي التحديات الأخري، وفي مقدمتها الحكومة التي تعتبره شغلها الشاغل، والواقع الذي يشكلمعوقًا في طريق نموه واستقراره للتيارات الإسلامية المعارضة له ـ الإخوان والسلفيون ـ وبالإضافة إلي هذا كله التجمعات الجهادية الأخري التي تعمل في معزل عنه ووفق رؤية ومنظور مختلف..

ومن الملاحظ أن أغلب الذين ينتمون لتيار الجهاد في مصر هم من طلبة الجامعات. ومن الذين يدرسون في تخصصات بعيدة عن مجال الفكر الإسلامي وعن الأزهر، وهذا الأمر إن دل علي شيء فإنما يدل علي أن الحركة الطلابية كانت ولا تزال محور نشاط الحركة الإسلامية، وهذا ما أثبتته تجربة الجهاد الأخيرة فقد كانت معظم قياداتها من هؤلاء الطلاب الذين نال بعضهمأحكامًا طويلة بالسجن..

إن قضية الجهاد التي، حملت رقم ٢٦٤ أمن دولة عليا، لم تكن تحوي مجموعة محمد عبد السلام وحدها، وإنما كانت تحوي عدة مجموعات أخري قام جهاز المباحث بربطها ببعضها بحكم التزامها بخط واحد، وهو خط الجهاد وقد صدقت النيابة علي هذا الربط الذي فككه القضاء بحكمه فيما بعد,,(٤)

وكان النص الحرفي للتهمة العامة التي وجهت إلي جميع المتهمين في قضية الجهاد (٢٠٣)متهمًا كما وردت في نص

قرار الاتهام هي ما يلي:
المتهمون من الأول وحتي التاسع والتسعين بعد المائتين عدا المتهمون من الثاني والستين بعد المائة حتي السادس والستين وهم عناصر غير مصرية اتهموا بتمويل التنظيم علي رأسهم عصام العطار ـ حاولوا بالقوة تغيير دستور الدولة وشكل الحكومة فيها وقلب نظامها الجمهوري بأن ألفوا فيما بينهم جماعة إرهابية مسلحة تقوم علي تكفير رئيس الجمهورية ومعاونيه وإباحة اغتيالهم وتستهدف إسقاط الحكومة القائمة عن طريق القيام بثورة مسلحة للاستيلاء علي زمام الحكم في البلاد بالقوة ودبروا لتنفيذ مخططهم، اغتيال كبار المسئولين في الدولة والقيادات السياسية والعسكرية والشخصيات العامة، والتعدي علي أفراد قوات الأمن لسرقة أسلحتهم وشل مقاومتهم لهم أثناء تحركهم، واحتلال مباني وزارة الدفاع، ووزارة الداخلية، والإذاعة والتليفزيون، والسنترالات التليفونية، وغيرها من المباني الحكومية العام لإحكام السيطرة علي البلاد وإعلان بيانات الاستيلاء علي السلطة وتوجيه أفرادهم من خلالها..
أما التهم التفصيلية التي حواها قرار الاتهام فقد ربطت كل مجموعة من المتهمين بحادثة من الحوادث التي ضمتها القضية، والتي وقعت بعد حادث الاغتيال وقبله، وتلك الحوادث كانت في الأغلب عبارة عن أعمال فردية ورد فعل للهجمات الشرسة من قبل رجال الأمن علي الإسلاميين، علي ما سوف نبين..
ولقد كان كم الأسلحة والذخيرة التي تم ضبطها مع المجموعات الجهادية الأخري التي تم القبض عليها في الفترة التالية للاغتيال يفوق حجم الأسلحة والذخيرة التي تم ضبطها مع تنظيم محمد عبد السلام..
وفي أسيوط بعد الأحداث التي وقعت فيها علي يد أفراد الجماعات الإسلامية صبيحة عيد الأضحي عام ١٨ كانت البنادق الآلية ملقاة في الطرقات تبحث عمن يأخذها, كما أن كم الذخيرة والقنابل التي تم ضبطها بالمعادي في منزل واحد من أعضاء مجموعة جهادية تابعة للظواهري، كانضخمًاومخيفًا، وقد توجه النبوي إسماعيل، وزير الداخلية في تلك الفترة لمشاهدته بنفسه، وتم عرضه (بالتليفزيون) آنذاك..
ثم تزعم تيار الجهاد المقدم عبود الزمر الذي حكم عليه بالسجن لمدة تزيد علي الثلاثين عامًا في قضية اغتيال السادات وقضية الجهاد، وذلك بعدما تم تنفيذ حكم الإعدام في زعيمه السابق محمد عبد السلام..
وكان تيار الجهاد قد شكل وحدة مع تيار الصعيد كما ذكرنا أي الجماعة الإسلامية الجهادية وذلك في بداية عام ٠٨ وقبل الإعداد لعملية الإغتيال التي أعد خطتها سويًا, غير أن الدور الأكبر في هذه العملية كان لتيار الجهاد، خاصة أن الأشخاص الذين قاموا بالعملية كانوا من المنتمين إليه، وجندوا عن طريقه..
إلا أن سرعان ما اصطدم التياران ببعضهما بسبب خلافهما حول بعض الرؤي السلفية وبعض المواقف من الواقع، وعاد كل تيار للعمل وحده، وقد برز هذا الخلاف قبل اغتيال السادات ثم تطور حتي وصل إلي ذروته داخل السجون التي حوت قيادات التيارين..
وكثيرًا ما كانت الصحف وأجهزة الإعلام تخلط بين تيار الجهاد وتيار الجماعة الإسلامية الجهادية حين يقع أي حادث في ساحة الواقع وينسبونه للجهاد بينما هو من صنع الجماعة الإسلامية أو العكس, وذلك كما حدث في عين شمس فقد نسبت الأحداث لعناصر الجهاد بينما هي مرتبطة بالجماعات الإسلامية الجهادية، ولا يقتصر هذا الخلط علي أجهزة الإعلام وحدها بل يقع في جهاز الأمن، الممول الأساسي بالمعلومات لهذه الأجهزة..
والحق أن تيار الجهاد قد ركن إلي السكون، ولم يسهم في صنع أي من الأحداث التي وقعت بعد عام ١٨ وأغلب الأحداث التي وقعت بعد هذه الفترة تنسب إلي الجماعة الإسلامية الجهادية ومجموعات أخري مستقلة..
ولعل سبب ذلك يعود إلي أن معظم قادته يقضونأحكامًا طويلة بالسجن, بينما تيار الصعيد الجهادي له قادته خارج السجون، ويتحرك بنشاط واسع بمباركة الأب الروحي عمر عبد الرحمن..
وإن كان النشاط الحركي قد توقف عند تيار الجهاد منذ فترة باستثناء حادث الهروب عام ٨٨ فإن النشاط الإعلامي لم يتوقف, فقد أصدر عدة منشورات تعكس مواقفه من بعض الأحداث، كما أصدر عدة بيانات كان آخرها البيان الذي أصدره عبود الزمر ضد بيان علماء المجلس الإسلامي المستقبل,,(٥)
وكانت أجهزة الأمن قد كشفت عن وجود تنظيم داخل الجيش يرتبط بتيار الجهاد، فيما عرف بعدها بقضية الضباط والتي حملت رقم ٤٣١ لعام ٨٦، كما كشفت عن وجود مايسمي بحركة إعادة تشكيل تنظيم الجهاد، فيما عرف بالقضية رقم ٤٠١ لعام ٧٨,,
وبحكم الضوابط التنظيمية التي يلتزم بها تيار الجهاد فقد اختفي من الساحة بعد حادث الهروب عام ٨٨ ثم عاد إلي الظهور بصورة صدامية، بالغة الشدة، حيث نفذ ثلاث عمليات كبيرة في قلب القاهرة هزت الحكومة بشدة، وإن كان لم يكتب لها النجاح وهذه العمليات هي :
ـ محاولة إغتيال وزير الداخلية حسن الألفي..
ـ محاولة إغتيال وزير الإعلام صفوت الشريف..
ـ محاولة إغتيال رئيس الوزراء عاطف صدقي..
ومثل هذه العمليات إن دلت علي شيء فإنما تدل علي أن تيار الجهاد هو التيار الأكثر فاعلية وخطورة علي الحكم من تيار الجماعات الإسلامية العلني، والتي تعد العمليات التي يقوم بها مجرد عمليات فردية ذات طابع ثأري تنحصر في محيط رجال الشرطة. ومكمن الخطورة في تيار الجهاد هو أنه تحول إلي مجموعة غير معروفة، ولاتتبع أي من القيادات القديمة كعبود الزمر. ومن الممكن أن تكون هذه المجموعات تتبع قيادات خارج مصر تتمثل في العناصر الجهادية القديمة التي

شاركت في الثورة الأفغانية ,,(٦)

أهم الأحداث التي وقعت علي يد تيار الجهاد وضمها ملف القضية ٢٦٤:
(١) حادثة إحراق خمارة لأحد المسيحيين بمنطقة مصر القديمة بتاريخ ٠٨٩١/٤/٣ وقد حوكم علي أساسها ثلاثة أشخاص تحت رقم ٦٥١،٥٥١،٥٤١ بقرار الإتهام، ويلاحظ هنا أن تاريخ الحادثة سابق لفترة التحفظ بأكثر من عام..
(٢) حادثة الهجوم علي محل الذهب، تملكه امرأة مسيحية بمنطقة شبرا ليلة ١٨٩١/٨/١ وقد قتل فيها عامل المحل، واتهم فيها تسعة أشخاص بينهم عبود الزمر..
(٣) حادثة نسف كنيسة مسرة بشبرا ليلة ١٨٩١/٨/٣ وقد حوكم علي أساسها الرائد عصام القمري أحد العناصر العسكرية البارزة في قضية الجهاد..
(٤) حادثة ساحل شبرا التي قتل فيها أحد ضباط المباحث وأصيب آخر وقد وقعت بتاريخ ١٨٩١/٠١/١١ وقد حوكم علي أساسها ثلاثة أشخاص..
(٥) حادثة مقاومة السلطات بمنطقة الهرم في ١٨٩١/٠١/١٣ والتي كان يقودها المقدم عبود الزمر وابن عمه طارق الزمر واستخدمت فيها القنابل والرشاشات' وقد أصيب فيها طارق برصاصة في ساقه قبل أن يستسلم هو ومن معه لرجال الأمن..
(٦) حادثة المعادي التي قتل فيها أحد أفراد الجهاد أثناء مقاومته للقوات التي تحاصر منزله في ١٨٩١/٠١/٢٢ وقد حوكم علي أساسها شخص واحد كان موجودًا برفقة القتيل..
(٧) حادثة الجمالية بمنطقة باب الشعرية بالقاهرة بتاريخ ١٨٩١/٠١/٤٢ التي قتل فيها أحد عناصر الجهاد أثناء الاشتباك مع قوات الأمن التي قدمت للقبض عليه ومن معه..
(٨) حادثة إلقاء قنبلة علي معسكر للأمن المركزي بمنطقة شبرا، وقد حوكم علي أساسها شخص واحد برئت ساحته فيما بعد,ويلاحظ هنا أن تكفير الحكومات التي لا تحكم بما أنزل الله، والسادات علي وجه الخصوص، جاء متأخرًا عند التيار الجهادي, بينما هذه القضية كانت محسومة عند صالح سرية علي ما هو واضح من خلال رسالة الإيمان..

ظهور الشيعة

مفاجأة الثمانينيات والتحدي المصيري لأهل السنة والجماعات..

لم يختلف الوجود الشيعي من مصر طوال فترة التاريخ الإسلامي، وإنما كان يتقوقع وينعزل تحت وطأة الضغوط، وسرعان ما يطل برأسه كلما شعر بالأمان وزوال الضغوط..
وكانت الضربة القاضية التي وجهها الحكم الأيوبي للوجود الشيعي في مصر ومن بعده الحكم المملوكي قد أسهمت في تصفية التيار الشيعي وهروب عناصره إلي الخارج واختفاء التراث الشيعي من ساحة الواقع المصري,,(١)
ثم برز التيار الشيعي في أوائل القرن الحالي وإختفي مرة أخري في الخمسينيات ليعود إلي البروز في فترة السبعينيات، ويستمر وجوده حتي اليوم ,علي الرغم من الضربات التي وجهت إليه بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران..
وكان دخول المحور السعودي الساحة المصرية وسقوط الحركة الإسلامية في قبضة الخط السلفي الوهابي مع دخول الحقبة النفطية قد أدي إلي إعلان الحرب علي الشيعة من منظور سلفي وسياسي مما أدي إلي شهرة التيار الشيعي وتسليط الأضواء عليه..

الحرب المقدسة

وفي منتصف الثمانينيات تقريبًا بدأت الحرب علي الشيعة في مصر، بعد أن فرغت الحكومة منتصفية حسابها من تيار الجهاد، وكانت الحركة الإسلامية هي الأداة التي استخدمت في هذه الحرب، بالاضافة إلي الأدوات الأخري المتمثلة في دور النشر والمحاور الأجنبية وأجهزة الإعلام الحكومية وبعض صحف المعارضة..
ولقد كانت لهذه الحرب جوانب خفية لم يقطن إليها الذين حملوا لواءها من الإسلاميين الذين لم يكلفوا أنفسهم السؤال عن سبب إختيار هذا التوقيت بالذات لإعلان الحرب علي الشيعة، ولماذا اختيرت مصر قاعدة لشن هذه الحرب؟ وهل كانت هذه الحرب في صالح الحركة الإسلامية..
وقضية الشيعة لم تكن بارزة في الوسط الإسلامي بمصر في فترة السبعينيات وأوائل الثمانينيات حيث كانت الحكومة مشغولة بالتيار الإسلامي بعد حادث الاغتيال، وكانت المعتقلات تضم معظم الاتجاهات الإسلامية وقادتها..
وقد استغل الذين أشعلوا الحرب علي الشيعة في مصر العقل السلفي، الذي يهيمن علي تصورات الإسلاميين وأفكارهم، والذي يكن عداءًا شديدًا للشيعةبناءًا علي تصورات تراثية وتاريخية نابعة من من كتب الفرق والملل والنحل، وكتب ابن تيمية خاصة والتي تعد المراجع العقائدية الأساسية للعناصر الإسلامية اليوم بمختلف تياراتها..
ومن هنا فقد بعث في الوسط الإسلامي فجأة كم كبير من كتب التراث التي تهاجم الشيعة فيها وتخلط بينها وبين الفرق الضالة والزائغة التي ظهرت في زمانها..
ولأن الشيعة يخالفون السنة في العديد من الرؤى , خاصة ما يتعلق بالصحابة من معتقدات, فمن ثم فإن الحركة اعتبرت

بمنظور تراثي أن مقاومة الشيعة واجب مقدس لحماية العقيدة السنية والحفاظ علي الإسلام باعتبار أن السنة هي الممثل الشرعي له..
واستغلال القوي المتربصة بحركة المد الإسلامي النزعة السلفية عند المسلمين في محاربة الشيعة يكشف لنا مدي وعي هذه القوة بنقاط الضعف والقوة في التفكير الإسلامي المعاصر,,(٢)
ويمكن القول أن الحرب علي الشيعة في مصر قامت بدعم من السعودية والعراق، والتي كانت في حالة حرب مع إيران في تلك الفترة، وكان أبرز التيارات الإسلامية فيها هو التيار السلفي الذي يرتبط بالسعودية فكريًا وعقائديًا..
وقد تمخضت الحرب الإعلامية علي الشيعة عن كم كبير من الكتب التي تطعن في عقائدها وفي أشخاصها المعاصرين، كالخميني وتشوه ثورتهم ودولتهم, وساهم في كتابتها دعاة الإخوان والسلفيين، وحتي اليسار، كما قامت بنشرها الكثير من دور النشر التابعة لهذه الإتجاهات ومعظمها تم نشره بتمويل خارجي وقارب عددها المائة كتاب..
ولم تقف الحكومة مكتوفة الأيدي وهي تتابع هذه الحرب التي تجري علي الساحة، بل تدخلت داعمة هذه الحرب بحكم تحالفها مع العراق والسعودية، ولتفتح النار علي الشيعة وإيران، وقد دفعت بمؤسساتها الدينية وفي مقدمتها الأزهر ليقوم بدوره في هذه الحرب، كما دفعت بأجهزتها الإعلامية لتنش حربًا بلا هوادة علي إيران، كانت ولا تزال مستمرة حتي فترة قريبة..
لقد شكل الموقف الحكومي العدائي لإيران والشيعة حصانة للتيارات الإسلامية المعادية لهما، والتي انطلقت بحرية واسعة تحت المظلة الحكومية في حربها المقدسة ضد الشيعة،..
والغريب في هذه الحرب أنها كانت من طرف واحد فكل هذه الأبواق التي انطلقت تلعن الشيعة كانت تنعق في فراغ، إذ أنه لا وجود فاعل للشيعة في مصر، يستحق كل هذه الحروب..
إلا أن دهشة المراقب سرعان ما سوف تزول إذا ما علم أن الهدف الأساسي من هذه الحرب هو القضاء علي تأثير الثورة الإيرانية علي الحركة الإسلامية في مصر، وقد كانت كل الدوائر الأجنبية ترشح مصر كدولة قابلة للانفجار الإسلامي بعد إيران..

ودخول تيارات إسلامية كتيار الإخوان والسلفيين في تحالف مع دولة كالعراق تتناقض مع (أيديولوجيتهم) وتصوراتهم، إنما يعكس فكرة وثنية الجماعات السائدة في الوسط الإسلامي, والتي تدفع بتيارات إسلامية إلي تقديم مصالحها الخاصة علي الدعوة والإسلام ذاته، وفي هذه الحرب التزم كثير من دعاة الوسط الإسلامي البارزين الصمت كما رفض بعضهم الاشتراك فيها..
والملفت للنظر في الوسط الإسلامي أن الحرب علي الشيعة قد خفت حدتها، وطويت رايتها بعد إنتهاء الحرب العراقية الإيرانية، مما قد يشير إلي ارتباطها، أي الحرب علي الشيعة، بمحاور أجنبية وبالمواقف تجاه إيران..

رد الفعل

كانت الهجمة الشرسة علي الشيعة قد أحدثت رد فعل علي الجانب الآخر المتمثل في الشيعة المصريين والشيعة العرب المقيمين في مصر, وأغلبهم من العراقيون الهاربون من بطش صدام..
ولما كانت كل الصحف الإسلامية قد إشتركت في الحرب علي الشيعة ولم تكن هناك منافذ يمكن استغلالها للدفاع عن الشيعة سواها، لجأ أنصار الشيعة إلي بعض صحف المعارضة, كما لجأوا إلي استخدام الكتاب..
ولقد كان الجهد الإعلامي الذي بذل من قبل العناصر الشيعية المصرية والعربية يعتبر جهدًا متواضعًا جدًا في مواجهة الحملات الإعلامية الضخمة التي كانت تشن علي الشيعة, والتي تقف وراءها عدد دول وعدد كبير من دور النشر بالإضافة إلي أجهزة الإعلام والمؤسسات الدينية الحكومية..
إلا أن الهجمة علي الشيعة قد أحدثت رد فعل عكسي عند بعض الاتجاهات الإسلامية ودفعت بكثير من الإسلاميين إلي التعاطف مع الشيعة وإيران، وزادت من حركة الإقبال علي الكتاب الشيعي الذي يفد إلي مصر عن طريق دور النشر اللبنانية التي تشترك في معرض الكتاب الدولي كل عام..
وقد تنبه التيار السلفي لهذا الأمر، وقرر التصدي لدور النشر اللبنانية في معرض الكتاب، ووقع أول صدام بين السلفيين، المتمثلين في دور النشر السلفية والسعودية المشتركة فيه، وبين الشيعة المتمثلين في بعض دور النشر اللبنانية، وذلك في معرض عام ٨٨,,
وكان التيار السلفي قد قام بطبع عدة منشورات تحذر الناس من الشيعة ومن قراءة كتبهم، وكان أبرز هذه المنشورات منشور تحت عنوان :**خطر, نموذج من عقائد الشيعة**..
ومنشور آخر يحذر المسلمين من التعامل مع دور نشر معينة هي دور النشر اللبنانية الشيعية، ثم فوجئ السلفيون بوجود دار نشر مصرية مشتركة في المعرض تحتضن الفكر الشيعي، وقد برزت هذه الدار كرد فعل للهجمة علي الشيعة، وأقامت بنشر عدة كتب لمؤلفين شيعة في مجال السياسة والفكر والدعوة، كما كانت تقوم بتوزيع الكثير من كتب الفقه والتفسير والعقائد الخاصة بالشيعة وكذلك بالاضافة إلي نشرها بعض الكتب التي تهاجم العراق والسعودية,,(٣)
وأمام هذا الوضع قامت دور النشر السلفية، المصرية والسعودية والعراقية، بتوزيع كميات كبيرة من الكتب التي تهاجم الشيعة وإيران علي زوار المعرض مجانًا..
ولقد كان هذا الصراع الذي تطور إلي الإحتكاك بين بعض العناصر السلفية والعناصر الشيعية يجري علي مشهد من

رجال الأمن الذين كانوا يراقبون الأحداث عن بعد..
إن الهجمة الإعلامية الواسعة علي الشيعية في مصر قد شكلت دعاية غير مباشرة لها وساهمت دون قصد في ترابط الشيعة المصريين، كما هيأت المناخ لدعوتهم، والموقف لحركة الكتاب الإسلامي خاصة في المعارض الدولية يجد الإقبال المتزايد علي الكتاب الشيعي ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة عند رصد كم المبيعات التي كانت تبيعها دور النشر اللبنانية الشيعية في معرض القاهرة الدولي للكتاب..
ويبدو أن دور النشر السلفية التي تتاجر بالكتاب السلفي، والتي دخلت معترك الصراع ضد الشيعة ونشرت الكثير من الكتب بغرض التجارة أيضًا، كان ينقصها التفاعل مع الأفكار التي تنادي بها, فهذا التفاعل مفقود من الأصل مع الكتاب السلفي, وكان مفقودًا أيضًا مع الكتاب الشيعي الذي يمثل أفكارًا مناقضة لعقيدتها ,فمن ثم فإن هذا الموقف قد شكل حاجزًا نفسيًا بينهم وبين الإسلاميين المتعاملين معهم دفعهم إلي التشكيك في نوايا هذه الدور ومدي إخلاصها للإسلام، وهذا الموقف السلوكي المتناقض من قبل السلفيين مع دعرتهم وطغيان المادة علي مواقفهم يشكك في دعوتهم ويفسر لصالح الطرف الآخر، وهو الطرف الشيعي..

التنظيمات الشيعية

وكان لابد لتلك الهجمة الشرسة علي الشيعة في مصر من أن تفرز شيئًا علي مستوي الداخل خاصة أن الحكومة المصرية تسعي جاهدة للحصول علي رضا السعودية، والتقرب من دول الخليج وهي قد ألقت بثقلها وراء العراق في حربه ضد إيران..
من هنا ظهر ماسمي بالتنظيم الشيعي الخميني الذي ضمخليطًا من المصريين الشيعة، والمتعاطفين معها وبعض العناصر الشيعية العربية المقيمة في مصر..
ويبدو أن الحكومة المصرية لم تكتف بالحرب الإعلامية علي الشيعة وإيران وقررت أن تتجاوز هذا الحد بتوجيه ضربة إلي الشيعة المصريين والمتعاطفين مع إيران بشكل عام، كما لم تكتف بالعناصر المصرية فضمت إليهم مجموعة من الشيعة الخليجين المقيمين في مصر لغرض الدراسة لتؤكد للرأي العام سنتها الثابتة في التنظيمات التي يتم اكتشافها منجهتها أنها علي اتصال بالخارج وتمولها جهات أجنبية..
ولقد شدت عملية الإعلان عن إكتشاف التنظيم الشيعي أنظار دول الخليج خاصة السعودية، والدول التي ينتمي لها عناصر من المقبوض عليهم ضمن أفراد التنظيم كالكويت والبحرين.ونظرًا لثقة الدول الخليجية بجهاز الأمن المصري، فقد طلت الحصول علي تقارير عن هذا التنظيم علي وجه السرعة..
ولكن الدول الخليجية كانت تعيش فترة أمنية بسبب تهديدات منظمات الجهاد والدعوة وحزب الله الشيعية والعمليات التي نفذوها في الكويت والبحرين فقد تصورت هذه الدول، أن هذا التنظيم هو إمتداد لهذه المنظمات، وأن العناصر التي تتبعها قد تم تجنيدها من قبل هذه المنمظات، وهذا أمر له أبعاده الخطيرة علي الأنظمة الحاكمة فيها..
إلا أن الأمر لم يكن كما تصورته أجهزة الأمن في الخليج، فبمجرد وصول التقارير إليها ودراستها من قبلها، إكتشفت أن التنظيم المدعي ليس إلا توليفة من عناصر شيعية متناقضة الاتجاهات لم ترتبط بأحادث معينة، كما أن أقصي ما ضبط بحوزتهم مجموعة من الكتب الشيعية التقليدية والمباحة في دولهم..
قد قامت الحكومة فيما بعد بترحيل العناصر العربية إلي بلادها وهناك تلقتها أجهزة الأمن في بلادها ببرود، وقد حققت معهاتحقيقًا صوريًا سريعًا وأخلت سبيلهم بعدها..
إن المراقب للأحداث السابقة لقضية التنظيم الشيعي من بداية الإحتكاك بين دور النشر السلفية والشيعية في معرض الكتاب عام ٨٨، وترحيل القائم بالأعمال الإيراني، سوف يتبين أن جهاز الأمن كان يهيئ الظروف والأسباب لعملية التنظيم الشيعي..
والجدير بالذكر أن التنظيم المدعي قد ضم القائمين علي دار النشر المصرية الشيعية التي أعلنت فيها الحرب في معرض ٨٨، وضم كذلك احد الطلاب الأجانب الذين بدرسون في مصر، وهو باكستاني الجنسية ..
ولقد كانت (المانشيتات) التي خرجت بها الصحف في يوم ٨٨ /٦/٥١مبالغ فيها إلي حد كبير كما هي عادة الصحف المصرية مع التنظيمات المكتشفة من أيام الإخوان المسلمين وحتي يومنا هذا,,(٤)
والصحف المصرية كان مصدر معلوماتها الوحيد في مثل هذه الأمور هو جهاز الأمن والتقارير التي تصلها منه، ولذلك يلاحظ أن لغة جميع الصحف في التعليق علي مثل هذه الأحداث واحدة، ويبدو هذاواضحًا من متابعة مانشيتات الصحف التي صدرت في ذلك اليوم..
ومن بداية الاعتقالات علي ذمة التنظيم المذكور في ٨٨/٥/٠٣ وحتي ٨٨/٧/٠٢ كان جميع المعتقلين قد تم الإفراج عنهم..
وفي ٩٨/٨/٢١ أعلنت الصحف عن ضبط تنظيم شيعي آخر يضم ٥٢متهمًا، وقد وجهت له نفس التهم التي وجهت إلي التنظيم الأول..
إلا أن الغريب في الأمر أن جهاز الأمن لم يقم بإعتقال إي فرد من أفراد التنظيم الشيعي الأول ويقوم كعادته بربطه بالتنظيم الثاني..
ولعل سر هذا الأمر يكمن في حرص الحكومة علي إقناع الرأي العم بجدية الأمر، وأن المجموعة الشيعية الثانية تملك المؤهلات والمقومات التي تجعل منهاتنظيمًا إرهابيًا يقتنع به الرأي العام من دون الحاجة إلي أسلوب الترقيع وإستيراد عناصر (ديكورية)، سيرًا مع سياسة جهاز الأمن الثابتة تجاه كل المجموعات الإسلامية والسياسية التي تسقط من قبضته..

وقد استخدمت الصحافة كعادتها في مواجهة مثل هذه الأمور (مانشيتات) الإثارة الإعلامية فكان مانشيت جريدة الأخبار:
(٧٥ إرهابيًا في تنظيم شيعي سري.. هدف التنظيم قلب نظام الحكم والقيام بأعمال التخريب في الداخل)
وكان مانشيت جريدة الجمهورية **(حبس ٤١ من أعضاء التنظيم الشيعي متعدد الجنسيات)**
(هدف التنظيم قلب نظام الحكم بالقوة)
(تدريب المتهمين تم في سوريا وإيران والهند وقبرص)
(عضو في التنظيم شارك في علاج الخوميني)
وكان مآل هذا التنظيم وقضيته إلي الحفظ وتم الإفراج عن جميع المعتقلين علي ذمتها..

وفي أكتوبر عام ٦٩ تم القبض علي مجموعة شيعية جديدة تضم (٥٦)فردًا وهي نفس العناصر التي تم القبض عليها سابقًا, ووجهت لهم نفس التهم التقليدية الثابتة لدي جهاز الأمن..
وخرجت الصحف بتاريخ ٢٢/٠١/ ٦٩٩١تردد ما ذكرته في السنوات السابقة بما أملاه عليها جهاز الأمن. وكان خبر الأهرام يقول: **جهاز مباحث أمن الدولة أحبطمخططًا تدعمه إيران.. القبض علي (٥٦) من قيادات التنظيم الشيعي في خمس محافظات..**

جدول يبين أهم نقاط الخلاف بين التيارات الإسلامية في مصر

مرحلة التسعينيات
تيار الجهاد يربح..

دخلت الحركة الإسلامية مرحلة التسعينيات وهى محملة برواسب الثمانينيات..
ودخل تيار الجهاد مع الجماعة الإسلامية في مواجهة مع الحكومة..
وكثرت الصدامات بين عناصر الجماعة الإسلامية ورجال الأمن في صعيد مصر..
وسقط الكثير من رجال الأمن قتلى على يد عناصر الجماعة..
وأصيب جهاز الأمن بهزة شديدة..
وكان رد فعله في غاية الشدة والقسوة..
وخرج الصدام عن حدود رجال الأمن ليصل إلى حسني مبارك الذي نجا من محاولة لاغتياله في أديس أبابا على يد عناصر الجهاد..
ووصل إلى العديد من المسئولين وعلى رأسهم رئيس الوزراء عاطف صدقي ووزير الداخلية حسن الألفي ووزير الإعلام صفوت الشريف الذين نجوا من محاولات الاغتيال..
وتطور الأمر ليصل إلى السائحين الأجانب ويتهدد الاقتصاد القومي..
ووقعت حادثة الأقصر الشهيرة التي أقيل بسببها وزير الداخليةالألفي..
وبقى الإخوان على حالهم يحاولون البروز على الساحة تحت أي لافتة وبواسطة أي حزب..
وتمكنوا من دخول مجلس الشعب ..
وتم توجيه ضربة ثالثة للشيعة..
ومنذ أواخر الثمانينيات وحتي نهاية التسعينيات ودخول الألفية الثالثة حدثت تحولات كبيرة في دائرة الحركة الإسلامية علي المستوي العقدي والحركي, ومن جهة أخري حدثت تحولات في الموقف الحكومي تجاهها..
وشهدت هذه المرحلة إختفاء تيار التكفير الأم وتشتت عناصره في الداخل والخارج وحلول تيارات تكفيرية بديلة..
وضعف التيار السلفي الموالي للسعودية خاصة بعد أزمة الخليج التي أحدثت هزة للخط السلفي وعرت رموزه..(١)
ومن جانب آخر قويت شوكة التيار الشيعي وإزداد انتشاره وتمكن من إستقطاب الكثير من عناصر التيارات الأخري ..(٢)

وأهم هذه التحولات التحول في موقف الجماعة الإسلامية من الحكومة والعنف. حيث برزت عناصر من قياداتها في الداخل والخارج تدعو إلي وقف العنف, والدخول في حوار مع الحكومة وأصدرت عدة بيانات حول هذا الأمر..
واصدار عمر عبد الرحمن فتوي تبيح وقف العنف من سجنه في الولايات المتحدة مما دفع الكثير من العناصر إلي التحمس لفكرة وقف العنف ودعمها..(٣)
وقرار الحكومة الدخول في حوار مع الجماعة الإسلامية وتيار الجهاد الذي تم بوساطة مجموعة من العلماء,,(٤)
وقيام وزير الداخلية السابق محمد عبد الحليم موسي بفتح باب الحوار مع قيادات الجهاد بالسجون, وأخرج عبود الزمر من السجن ليحاور المسئولين في مباحث أمن الدولة ..

إلا أن النتيجة كانت النتيجة إقالة الوزير ليحل الألفي مكانه.,(٥)
وردت جماعة الجهاد علي هذا الموقف الحكومي بالهجوم علي وزير الإعلام صفوت الشريف ومحاولة اغتياله أمام منزله ثم محاولة إغتيال وزير الداخلية الألفي ومن بعدها محاولة إغتيال رئيس الوزراء عاطف صدقي..
وهذه الحوادث الثلاث وقعت في فترات متقاربة من عام ٣٩,,
ودخلت الحكومة في دوامة الصدامات مع الجماعة الإسلامية وتيار الجهاد بصورة أكثر عنفًا مما سبق ,وأغلقت الأبواب في وجه الداعين إلي الحوار والمصالحة الوطنية..
وكانت النتيجة هي سقوط عشرات القتلي من الجانبين في مواجهات شبه يومية خاصة في صعيد مصر أصبحت حديث الشارع المصري.
وجاءت حادثة الإعتداء علي السائحين في الأقصر لتكون القشة التي قصمت ظهر البعير ,وقضت علي آمال الحكومة في تحقيق الأمن والإستقرار للسائحين, وتحسين صورتها أمام الرأي العام في الداخل والخارج..
ودفع وزير الداخلية الثمن وراح ضحية سياسة العصا الغليظة ولحق بسابقه الذي راح ضحية سياسة المصالحة..
كذلك من بين هذه التحولات في تلك الفترة تحول عدد من كوادر وعناصر تيار الجهاد إلي المسالمة, والكفر بفكرة الجهاد والتحول إلي الاعتدال, بل تجاوز بعضهم الحد وسعي مع مجموعة من الإسلاميين إلي تشكيل حزب سياسي..(٦)
يقول مؤسس الحزب: ثمة حقيقة ينبغي أن نضعها واضحة أمام أعيننا وهي أن الصراع السياسي الذي تخوضه السلطة ضد الحركة الإسلامية في مصر هو صراع سياسي مصلحيأولاً وأخيرًا، وليس صراعًا عقائديًا, إنه صراع من أجل السلطة والفزع من قدرة الحركة علي منازعة الأمر من توسده, أما الصراع العقدي الحقيقي فهو مع المتطرفين من غلاة العلمانيين..(٧)
وحول تبرير الموقف المؤيد لفكرة الحزبية يقول: لقد جاءت فكرة الدعوة إلي تأسيس حزب إسلامي جديد في مصر لكي تقطع استرسال الحركة الإسلامية في هذا الخطأ التاريخي, والذي يتأسس علي تراث نفسي أكثر مما يتأسس علي منطق الفكر والمنهجية الشرعية..
لقد آن الأوان لكي نؤسس لمشروع سياسي إسلامي فعال يستثمر الوجود القوي للحالة الإسلامية, ويترجمها أو يجتهد لترجمتها إلي فعل سياسي إصلاحي جاد يدفع ما استطاع من المخاطر والشرور عن الدعوة والوطن..
لقد آن الأوان لكي تخرج قطاعات كبيرة من الحركة الإسلامية المصرية من أجواء الانطواء الحركي الذي تحول إلي كيف مخيف وضعوا أنفسهم فيه ,منعزلين عن العالم الحي ودوامات الحياة الواقعية ,وناظرين إلي ما يدور في ساحة السياسة المحلية نظرات أسطورية, العدو فيها أشبه بالغيلان الغامضة, حيث كثر اهتمام الإسلاميين بالحديث عن المؤامرات بشكل مثير للدهشة والشفقة, ولقد كانت الحركة الإسلامية تبدو أحيانًا عاجزة عن تصور أن الخصم هو بشر من لحم ودم ,وأنه يستخدم آليات منطقية وعملية وليست شيطانية, أو من أفاعيل الجان والشياطين..

إن الحزب الإسلامي يهدف إلي تحقيق أمور أساسية هي:
ـ وقف الهدر في الطاقات الإسلامية وإنهاء مسلسل حرق الأجيال من خلال الدخول في مغامرات تنظيمية عنيفة, أو غير عنيفة تنتهي عادة بخسائر فادحة من الطاقات الإسلامية ومن مقدرات الوطن ذاتهأيضًا..
ـ وقف الهدر في مقدرات الوطن ذاته والأمة بكاملها, إذ أن المواجهات العنيفة مع مؤسسات الدولة أو بعضها يدفع فاتورتها المواطن العادي والقوي الشعبية كلها ,وإذا كانت هناك خصومة مبررة بين الحركة الإسلامية والنظام السياسي فليس من المعقول أن يتخذ المجتمع كله رهينة لحسم هذه الخصومة..
ـ الانتقال بالحركة الإسلامية من كونها قضية أمنية إلي اعتبارها قضية سياسية..
ـ التأسيس لخبرة حركية جديدة للحركة الإسلامية تعتمد علي العمل السياسي العام العلني والسلمي..
ـ اكتساب مظلة سياسية قانونية تستطيع الحركة من خلالها إزالة اللبس الذي وقع لدي الجماهير تجاه الحركة ومشروعها السياسي والإصلاحي..
ـ الإفادة القصوي من الجسور التي يتيحها العمل السياسي العام في الالتحام مع جماهير الأمة..
الحزب السياسي إضافة وليس خصمًا في مجال العطاء الإسلامي للمجتمع, فهو ليسبديلاً عن أي نشاط أهلي آخر في الحالة الإسلامية أو في غيرها سواء, فالعمل الأهلي شيء والعمل السياسي شئ آخر, ومن ثم فهذا التوجه الجديد ليس إهدارًا لجهود الدعاة المسلمين في مختلف المواقع, وليسبديلاً عن جهودهم التربوية والدعوية..(٨)
وهناك تحول آخر تمثل في تسامح بعض العناصر الإسلامية مع المسيحيين, والانخراط معهم في عمل مشترك علي المستوي الاجتماعي السياسي..(٩)
كما شهدت بعض المراكز والمنظمات الخاصة بحقوق الإنسان والدراسات مشاركة بعض العناصر الإسلامية في دائرة نشاطاتها..
تحول آخر برز علي الساحة السياسية تمثل في انخراط العديد من العناصر الإسلامية في محيط الأحزاب ,مثل حزب العمل والأحرار والناصري..
وقد أظهر الإخوان الكثير من التحولات من فترة الثمانينيات وحتي الآن تمثلت فيما يتعلق بموقفهم تجاه الآخر, وإظهار المرونة فيما يتعلق بقضية الحريات, وإظهار التعاطف مع الجانب المسيحي, وتأييد الحكومة في بعض مواقفها السياسية..

إلا أن هذا التحول لم يشفع لهم عند الحكومة, وقد اعتبره البعض تحول من باب رد الفعل وليس من باب القناعة..
كذلك التحول الذي طرأ علي تيار الجهاد، والذي جاء نتيجة الضغوط الأمنية، هو تحول وقتي وليستحولاً نابعًا من أسس فكرية عقدية..
. أما تحول الجماعة الإسلامية فيمكن اعتباره من التحولات العقدية وذلك لكون معتقد الجماعة من الأصل لا ينص علي تبني الصدام مع الحكومة, وإنما تبني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل العلني, وتعد السياسة العدائية من جهة الحكومة تجاهها هي السبب المباشر في تبنيها العنف, الذي لا يخرج عن كونه رد فعل لسياسة القمع الحكومي لها في صعيد مصر..(٠١)
وكان تيار الجهاد قد أصدر بيانًا وصف فيه قرار وقف العنف الذي أصدرته الجماعة الإسلامية بأنه مهادنة وتراجع أمام الحملات الصليبية الجديدة, وردت الجماعة الإسلامية علي هذا البيان معتبرة أنه صورة من صور الإرهاب الفكري والمزايدات المتشنجة..(١١)
أما التحولات التنظيمية فتتركز في إتجاه بعض التيارات الإسلامية إلي المغالاة في السرية والاختفاء كلية من ساحة الواقع في مواجهة الضغوط الأمنية الشديدة من قبل الحكومة, وتحول مناطق كانت ملتهبة فيما سبق إلي مناطق هادئة مثل منطقة إمبابة وشبرا وعين شمس بالقاهرة..
وقد أسهمت حملات الاعتقال المستمرة والإجهاض المبكر للنشاط الإسلامي التي كانت تشنها الحكومة علي الأحياء الشعبية مواطن للتيارات الإسلامية, بالإضافة إلي أحكام الدولة قبضتها علي المساجد والزوايا الصغيرة التي كانت تعد بمثابة قواعد لهذه التيارات ـ أسهم كل هذا في خلق هذه التحولات التنظيمية وتغيير خارطة الحركة الإسلامية في مصر..
ومن جانب آخر أسهم في دفع الكثير من العناصر الإسلامية نحو الهجرة للخارج حيث شكلوا عبئًا أمنيًا شديدًا علي الحكم في مصر بسبب نشاطاتهم المعادية له هناك, والتي كانت بمثابة رد الفعل لسياسة القهر والتضييق الأمني التي مارسها عليهم أثناء تواجدهم بمصر..
وهناك وتحولات تنظيمية وحركية ملموسة لتيار الإخوان فرضها الحصار الأمني والضربات المتلاحقة التي وجهتها الحكومة له, تمثلت فيما يمكن أن نطلق عليه تغيير الثوب. حيث اتجه الإخوان إلي بناء مؤسسات جديدة تحت مسميات جديدة تقف علي رأسها عناصر من الجيل الجديد..

والجدير بالذكر هنا أن أحد أعضاء الإخوان كان قد تقدم بمشروع للحكومة لإنشاء جهاز لإحياء التراث الإسلامي وتحفيظ وتجويد القرآن وتفهم معانيه داخل مصر وخارجها، وطالب بأن يرأس هذا الجهاز شيخ الأزهر وأن يضم في عضويته وزيري الدفاع والداخلية.,(٢١)
وبعد أن فقدت جماعة الإخوان الأمل في الحصول علي الشرعية بعد أن رفض القضاء عودة الجماعة، وحل حزب العمل أصبح لا مجال أمامهم إلا العمل وفق القنوات القائمة..
ويبدو أن الإخوان غير راضين عن هذا الوضع مما دفع بهم إلي القيام بأنشطة سرية لبعث حركتهم ودعمها وتوسيع دائرة انتشارها واستثمار خلو الساحة من التيارات المنافسة لها خاصة تيار الجهاد..
وقد أدي هذا الوضع إلي استفزاز الحكومة التي رأت أن الإخوان قد تجاوزوا الدور المرسوم لهم. فقامت بتوجيه الضربة الأولي لهم فيما سمي بقضية سلسبيل.,(٣١)
ثم وجهت لهم عدة ضربات أخري ، وتم اعتقال عدد من العناصر القيادية وقدمتهم إلي المحاكمة العسكرية بتهمة النشاط السري غير المشروع ومحاولة إحياء جماعة الإخوان المحظورة، وعقد لقاءات مع أعضاء التنظيم الدولي بالخارج.,(٤١)
واستمرت الحكومة في توجيه ضرباتها لشباب الإخوان دون شيوخهم ومرشدهم ,حتي قبيل الدخول في الحملة الانتخابية التشريعية, والتي تمثلت في اعتقال العديد من عناصر الإخوان من مختلف المحافظات..(٥١)

ولقد تبنت الحكومةمؤخرًا سياسة العفو وفتح باب التوبة أمام عناصر التيارات الإسلامية المتشددة وعلي رأسها تيار الجهاد, ويعد هذا الموقفتحولاً جذريًا في موقفها العنيف من هذه التيارات والذي كانت له ردود أفعاله السلبية علي المجتمع وعلي الحكومة في آن واحد..(٦١)
ويبدو أن الحكومة لم تتبن هذه السياسة إلا بعد أن تأكدت من ضرب قواعد التيار الجهادي في الداخل, وعزله عن الخارج, كما أن هذه الخطوة جاءت متأخرة بعد أن تكلفت الكثير في مقاومة تيار العنف..
ولو أن الحكومة رفعت راية الحوار والمصالحة من البداية لكان من الممكن أن توفر علي نفسها عناء المواجهة مع عناصر الخارج الذين فروا من مصر بسبب الضغوط الأمنية عليهم, وسقطوا في قبضة المنظمات المتربصة بالحكم في مصر هناك..(٧١)
وما يمكم قوله في هذا المضمار أن هذه السياسة لم تقض علي ظاهرة العنف, والحل الجذري لمسألة العنف هو حل أشمل وأعمق من هذه الحلول الترقيعية التي هي سنة شبه ثابتة للحكومة في مواجهة مشاكل المجتمع المصري عامة..
وقانون الطوارئ الذي تمسكت به الحكومة منذ إغتيال السادات لم يسهم في الحد من ظاهرة العنف، وهو قد وجد أساسًا لمواجهتها، إلا أنه قد طال التيارات الأخري المعتدلة , وأصبح عبئًا علي المثقفين من شتي الاتجاهات، في الوقت الذي

كانت تصرح فيهدومًا أن قانون الطوارئ لا يستخدم في مواجهة أصحاب الفكر والقلم,,(٨١)
ولقد نجحت الجماعة الإسلامية في دفع الحكومة إلي تحويل وجهتها صوب الصعيد المهمل منذ زمن طويل من قبل الحكومات السابقة..
ومن جانب آخر أدت حالة المواجهة العنيفة بين تيار الجهاد والحكومة إلي توتر في العلاقات الخارجية بين مصر وعدد من الدول علي رأسها السودان وإيران وزيادة التركيز الأمني في سفارات الخارج..
وعلي المستوي الداخلي أدي التركيز الأمني للحكومة علي تيار الجهاد إلي إهمال الشارع المصري مما أدي إلي زيادة رقعة الجريمة في دائرته وافتقاد المواطن العادي للشعور بالأمن..

الهوامش

(١) أنظر لنا كتاب فقهاء النفط, وقد تسبب موقف فقهاء السعودية والرموز الإسلامية المعاصرة من العراق وصدام بعد أزمة الخليج في إحداث هزة في الطرح السلفي وإضعاف مصداقيته, إذ أن نفس هؤلاء الفقهاء والرموز كانوا يناصرون العراق وصدام ويضفون المشروعية علي حربه ضد إيران, ثم سحبوا منه المشروعية وأعلنوا عليه الحرب بعد غزوه الكويت..
(٢) لعل هذا هو أحد أسباب توجيه ضربة ثالثة للتيار الشيعي عام ٦٩، ومن المعروف أن الكتاب الشيعي أصبح ينافس الكتاب السلفي في سوق الكتاب المصري اليوم..
(٣) صدرت فتوي أخري من عمر عبد الرحمنمؤخرًا تنقض فتواه السابقة وتوجب العودة إلي العنف..
(٤) كان علي رأس هذه المجموعة الشيخ الشعراوي والشيخ الغزالي والشيخ كشك والدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور محمد عمارة, وقد أطلق عليها اسم: مجموعة علماء الإصلاح..
(٥) كان ذلك في مايو عام ٣٩ ونشر الخبر في مجلة روز اليوسف, أنظر عدد رقم ١٤٦٣ يتاريخ٣٢ / ٨٩٩١/٢,
(٦) هو حزب الإصلاح وقد ضم عناصر من تيار التكفير وتيار الجهاد من محافظة الشرقية, ويذكر أن بعض عناصر الجهاد الذين أعلنوا توبتهم أدلوا بمعلومات هامة لجهاز الأمن والصحف عن نشاطات تيار الجهاد في الداخل والخارج ومصادر تمويله, أنظر شهادة أحدهم في روز اليوسف عدد٥٨٥٣و٦٨٥٣بتاريخ٣/٣/ ٧٩
(٧) انظرمراجعات في أوراق الحركة الإسلامية لجمال سلطان وهو مؤسس الحزب وكان من عناصر جماعة التكفير سابقًا, وتأمل هذا الاعتراف الذي ينسف عقيدة تيار الجهاد والتكفير وغيره الذين يعتقدون بكفر حكام الزمان ويبنون أسس المواجهة معهم علي هذا الأساس..
(٨) المرجع السابق..
(٩) تمثل هذا التحول في حزب الوسط الذي ضم بين مؤسسيه عناصر مسيحية , وقد رفضت الحكومة التصريح بإقامة هذا الحزب آنذاك..
(٠١) بدأت هذه السياسة علي يد زكي بدر وزير الداخلية السابق عام ٦٨,,
(١١) كان قادة الجماعة الإسلامية قد أطلقوا مبادرتهم السلمية من داخل السجون في يوليو من عام ٧٩، ورفضت من قبل قادة الجهاد وكان البيان المشار إليه بتاريخ ٩٩ / ٣/٧٢أنظر جريدة الحياة عدد ٩٩، / ٤/٠٢وقد أعلن أحد قادة تيار الجهاد من داخل السجن وهو نبيل المغربي المحكوم عليه في قضية الجهاد عام ١٨ وقضية طلائع الفتح بأحكام تصل إلي خمسينعامًا ـ عن تأييده لمبادرة وقف العنف في بيان نشر في الصحف قال فيه: إن الجهاد شرع لتحقيق مصلحة, فإذا اقترن بإراقة دماء أو قتل أنفس ولم يحقق المصلحة التي شرعها له, أصبح غير مطلوب شرعًا, وانتفت مشروعيته, أنظر الأهرام عدد ٣١/ ٧/ ٠٠٠٢,,

(٢١) كان ذلك في دورة مجلس الشعب قبل الماضية..

(٣١) كانت سلسبيل أحد شركات الكمبيوتر التابعة للإخوان التي قبض علي أفرادها بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم والإرتباط بالتنظيم الدولي للإخوان وجمع معلومات عن المجتمع المصري وتسريبها للخارج..

(٤١) أعلن الإخوان أن الهدف من هذه الضربة هو تعويق الإخوان والحيلولة بينهم وبين الإشتراك في الإنتخابات التشريعية القادمة, بينما نفت الحكومة هذا الإدعاء, ويذكر أن بعض قيادات الإخوان مثل مأمون الهضيبي وآخرين شاركوا في هذه الإنتخابات، وقد حملت قضية سلسبيل الأخيرة رقم ١٣٦/,,٥٩
(٥١) أنظر صحف ٠٠٠٢/٨/٩١ - ٠٠٠٢/٩/٢٢ - ٠٠٢/٩/٤٢، وكان مأمون الهضيبي، ابن المرشد الراحل حسن الهضيبي ضمن أعضاء مجلس الشعب آنذاك, ولم يتمكن من النجاح في الدورة التي نجح فيها (١٦) من عناصر الإخوان بينهم إمرأة فيما بعد، وكان قد صرح أن الإخوان سيواصلون دعوتهم دون اللجوء للعنف والعدوان، وأن الحكومة لن تستطيع القضاء علي الإخوان,أنظر جريدة الحقيقة، عدد ٦/٢/٩٩٩١..
(٦١) أفرجت الحكومة عن ٠٠٢١ من المعتقلين ممن ينتمون إلي الجماعة الإسلامية حسبما نشر في الصحف آنذاك, أنظر جريدة الأحرار عدد تاريخ ٩٩,/ ٤/٨٢
(٧١) كان وزير الداخلية السابق حسن أبو باشا أول من دعا إلي فتح الحوار مع التيار الإسلامي, وأقام ندوات الرأي تحت إشراف وزارته وصرح: لا خصومة مع التيار الديني وأن الدولة حريصة علي الحوار مع التيارات الدينية, أنظر مجلة أكتوبر عدد ٩/ ٣٨٩١/٠١,,
(٨١) صرح وزير الداخلية العادلي أن القضاء علي الإرهاب أشبه بالقضاء علي الجريمة, ولا يمكن القول أن فلول الجماعات قد إنتهت بلا عودة, وأن جزء كبير من تمويل الجماعات يأتي من أسامة بن لادن, أنظر روز اليوسف عدد ٩٩,/ ٢/ ٦٨٦٣/١

المنطلقات العقدية

تتفق التيارات الإسلامية العاملة في حقل الحركة الإسلامية في مصر علي التزام بمنطلق عقدي ثابت ينبع من التراث، وينحصر في خط السلف..
والخط السلفي فرض نفسه علي الساحة الإسلامية في فترة السبعينيات مع بروز الدور السعودي الوهابي على الساحة المصرية بعد المرحلة النفطية..
وتبنت التيارات الإسلامية الأطروحة السلفية دون تعمق في مكوناتها وجذورها ومعالمها,,
وكان تبنيها للسلفية تبني شعاري يبعدكثيراً عن المضمون والحقيقة..
تلقفت هذه التيارات السلفية من خلال الوهابية وليس من خلال البحث والتقصي..
والوهابية رسمت السلف على طريقة ابن تيمية ذلك الفقيه المنبوذ الذي حصر السلف في دائرة الحنابلة المتطرفين..
من سقطت تيارات الحركة في الفخ الوهابي الذي صور لها السلف على أنهم ابن تيمية وتلاميذه..
ومن المعروف أن الوهابية تقوم على أساس أفكار ابن تيمية التي هى امتداد لأفكار الحنابلة المتطرفين لا لأفكار السلف..(١)
من هنا يمكن القول أن الأطروحة السلفية التي تتبناها الحركة الإسلامية هى في حقيقتها أطروحة حنبلية..
وعناصر التيارات الإسلامية أشبه بحنابلة العصر..
وأطروحة ابن تيمية الحنبلية هي التي قام علي أساسها فكر تيار الجهاد بشقيه، وفكر التيار السلفي، وفكر تيار التوقف المتولد من تيار التكفير..(٢)
كذلك فكر جماعة الإخوان مع بعض التحفظات..(٣)
ولم يتحرر من هذه الأطروحة سوي تيار التكفير الأم..
تيار التكفير لتنبيه أطروحة اجتهادية جديدة تقوم علي أساس النص مع نبذ أقوال السلف واجتهاداتهم..
والتيار الشيعي بالطبع لتبنيه خط أهل البيت وتراثهم الذي تولد منه تراث مغاير لتراث السنة.
ويبدو تأثير الأطروحة الحنبلية الوهابية علي المنطلقات الفكرية للتيارات الإسلامية في المواقف التالية:

ـ تبنيها موقف العداء من الحكومات..
ـ تبنيها موقف العداء من المسيحيين..
ـ تبنيها موقف العداء من الجماهير..
ـ رفعها لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة البدع والمنكرات..

إن المنطلقات الفكرية اتيارات الحركة الإسلامية في مصر تتركز في محيط يتكون من ثلاث ركائز سلفية تحدد هواية التيارات الفكرية ومواقفها ونظريتها في مواجهة الواقع وهذه الركائز هي:

ـ عقيدة أهل السنة..
ـ الكتاب والسنة..
ـ إجتهادات السلف..

ولقد جعلت هذه الركائز الثلاثة التيارات الإسلامية تعيش بعقل الماضي في مواجهة الحاضر مما أدي إلى عزلتها وتخلفها عن الواقع، فكريًا وحركيًا، عدا تيار الشيعة الذي تميزت أطروحته بتبني فكرة الإمامة وفتح باب الإجتهاد مما دفع به إلى الترفع عن الإنشغال بالفرعيات والشكليات التي هي محل اهتمام التيارات الأخري..

وتم اعتماد اجتهادات ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وابن كثير والذهبي ومحمد بن عبد الوهاب..

ومن المعاصرين عبد العزيز بن باز وصالح بن عثيمين وابن فوزان وابن بابطين وابن جبرين وغيرهم من فقهاء الوهابية الذين يمثلون السلف في منظورهم..(٤)

أما التيار الشيعي فقد ولدت تبعيته لخط الأئمة من أهل البيت حركة تتبني اجتهادات ونصوص مغايرة انبنت عليها مواقف مختلفة من خلال ما أثر عن الفقهاء القدامى والمراجع المعاصرين..(٥)

من هنا اختلف المنطق العقدي للتيار الشيعي عن المنطلقات العقدية للتيارات الأخري، لاختلاف مصادر التلقي وإختلاف رموز السلف..

السلف عند أهل السنة هم الفقهاء..

والسلف عند الشيعة هم أهل البيت..

وأهل السنة كانوا في حركة سلام مع الواقع وتحالف مع الحكام علي مر الزمان..

والتيار الشيعي كان علي العكس من ذلك..

وكلا الموقفين إنعكس علي المنطلقات العقدية لكلا التيارين,,(٦)

هوامش /

(١) لا يوجد في أطروحة السلف أية إشارة لفكرة القبور والتوسل وشد الرحال إليها وهى الفكرة التي قامت على أساسها الوهابية..

(٢) ضربت أطروحة ابن تيمية بعد وفاته في الحبس (٧٢٦ه) أيام المماليك وتم حظر أفكاره وتجريم أتباعه , حتى ظهر محمد بن عبد الوهاب وقام ببعثها من جديد..

(٣) يتبنى الإخوان الانفتاح على الواقع وممارسة العمل السياسي الذي كان يرفضه التيار السلفي والجهاد والجماعة الإسلامية طوال الفترات السابقة, إلا أن موقف الإخوان تشوبه بعض المحاذير والقيود النابعة من الخط السلفي الذي لا يمكن الارتداد عنه مخافة رد فعل التيارات الأخرى والسعودية..

(٤) تنتشر في وسط الحركة كتب هؤلاء دون كتب الآخرين من الفقهاء على مستوى الماضي والحاضر..

(٥) كانت حركة الاضطهاد والبطش والتنكيل التي صاحبت الشيعة وأئمتهم طوال عصور السلف وما بعدها قد دفع بهم إلى تبني السرية أو ما سمى بالتقية واللجوء لوسائل تنظيمية حركية وهو ما ولد لدى الشيعة فقه آخر يتصادم مع فقه أهل السنة المسالم للواقع والحكام..

(٦) انظر الفروق بين عقائد السنة وعقائد الشيعة وتناقض المواقف بينهما في كتابنا: عقائد السنة وعقائد الشيعة, وكتابنا: أزمة العقل والنقل بين السنة والشيعة, وانظر الباب القادم المنطلقات العقدية منطلق الشيعة..

أولا: منطلق الإخوان

يقول حسن البنا محددًا منهج جماعة الإخوان: الإخوان دعوة سلفية: لأنهم يدعون إلي العودة بالإسلام إلي معينة الصافي من كتاب الله وسنة رسوله..

وطريقة سنية: لأنهم يحملون أنفسهم علي العمل بالسنة المطهرة في كل شيء..

وحقيقة صوفية: لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس ونقاء القلب والمواظبة علي العمل والإعراض عن الخلق والحب في الله والإرتباط علي الخير..

وهيئة سياسة: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم من الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج وتربية الشعب علي العزة والكرامة والحرص علي قوميته إلي أبعد حد..

وجماعة رياضية.. لأنهم يعنون بأجسامهم ويعلمون أن المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف..

ورابطة علمية ثقافية: لإن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة علي كل مسلم ومسلمة..

وشركة اقتصادية: لأن الإسلام يعني بتدبير المال وكسبه..

وفكرة اجتماعية: لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامي، ويحاولون الوصول إلي طريق علاجها وشفاء الأمة منها..(١).

كان هذا هو تعريف شمولي بجماعة الإخوان علي لسان قائدها ومؤسسها حسن البنا..

الإخوان والقوة

ثم حدد البنا طريق جماعة الإخوان من خلال مراحل ثلاث:

(١) مرحلة الدعاية والتعريف..

(٢) مرحلة التكوين وتخير الأنصار..

(٣) مرحلة التنفيذ والعمل..

وفي محيط الرد علي تساؤل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القدوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلي غايتهم، وهل يفكر الإخوان في إعداد ثورة عارمة علي النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر..؟

يجيب البنا علي هذه التساؤلات من خلال نظريات ثلاث:

الأولي: إن القوة هي شعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة..)

الثانية: إن الإخوان يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط ثم بعدها قوة الساعد والسلاح..

الثالثة: هل تكون القوة أول علاج أم إن أخر الدواء الكي..؟

وهل من الواجب أن يوازي الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة، وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف..؟

أم من واجبه أن يستخدم القوة، وليكن ما يكون..؟

هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون علي أسلوب إستخدام القوة قبل أن يقدموا عليه، والثوة أعنف مظاهر القوة، فنظر

الإخوان إليها أدق وأعمق، وبخاصة في وطن كمصر جرب حظه من الثورات، فلميجّن من وراءها إلا ما يعلمون، وأما الثورة فلا يفكر الآخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها,,(٢)
وحول موقف الإخوان من الحكم، وإن كان في منهاجهم أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم والوسيلة إلي تحقيق ذلك..؟
يجيب البنا: إن الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من أركانه..
وإن الإخوان لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وعلي هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة علي هذا الحال، فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة علي المصلحة الخاصة,,(٣)
وبالنسبة لمسألة الجهاد لم يحدد البنا في رسالته التي أفاض فيها وتوسع حول هذه المسألة- لم يحدد الجهة التي يجب أن يتجه الإخوان بالجهاد نحوها وترك الأمر عائمًا,,(٤)
وقد حدد البنا لأفراد الإخوان عشرة مفاهيم، طالبهم بحفظها وإعتبرها بمثابة أركان للبيعة الإسلامية وهذه المفاهيم هي:
الفهم والإخلاص للعمل والجهاد والتضحية والطاعة والثبات والتجرد والأخوة والثقة,,(٥)

الإخوان والأحزاب

يقول البنا: والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعًا قد وجدت في ظروف خاصة ولدواع أكثرها شخصي لا مصلحي..
ويعتقدون الإخوان أن هذه الحزبية قد أفسدت علي الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم وأتلف أخلاقهم، ومزقت روابطهم وكان لها في حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر..
ويعتقدون كذلك أن النظام النيابي، بل حتي البرلماني في غني عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة في مصر.. (٦)
كان هذا هو موقف الإخوان بالأمس من قضية الأحزاب أما موقف الإخوان فقد تغير واتجه إلي النقيض، وأبرز ملامح هذا التغير هي دخولهم الانتخابات البرلمانية ضمن حزب من الأحزاب التي كانوا يناصبونها العداء بالأمس، وهو حزب الوفد، بل إن الأمر تجاوز هذا الحد إلي المطالبة بإقامة حزب يتبني مواقف ومبادئ الإخوان..
في معرض الإجابة علي سؤال حول إذا ما رفضت الحكومة عودة الإخوان فهل توافقون علي قيام حزب للإخوان. أجاب التلمساني:إذا قمنا كحزب فسوف نسير علي الخط الذي رسمته الجماعة وهو الدعوة للخير والإصلاح, لو قرأ الناس رسائل البنا لوجدوا أننا لا ننكر فكرة الأحزاب.. (٧)
والناظر بإمعان إلي رأي البنا في تعدد الأحزاب ببساطة أنه ينكر أساليب الأحزاب إلي أهدافها أما الحزبية كفكرة، أو كواقع, فليس له اعتراض عليها، وكلنا سار علي فهمه من بعده..
إن من حق كل إنسان أن يؤمن بما شاء, فمن آمن بالحق فجزاؤه علي الله في الآخرة، ومن رضي بالضلالة فعقابه عند الله في الآخرة كذلك , إما في هذه الحياة الدنيا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وليس بعد ذلك من حرية لصاحب كل رأي, وإذا كان الإنسان حرًا في أن يؤمن أو يكفر، فمن باب أولي أنه حر فيما دون ذلك.. (٨)
ويقول منشور تحت عنوان**عقيدتنا :**
ـ أعتقد أن الأمر كله لله وأن سيدنا محمد [خاتم رسله للناس كافة وأن الجزاء حق، وأن القرآن كتاب الله، وأن الإسلام قانون شامل لنظام الدنيا، وأتعهد بأن أرتب علي نفسي حزبًا من القرآن الكريم، وأن أتمسك بالسنة المطهرة، وأن أدرس السيرة النبوية وتاريخ الصحابة الكرام..
ـ أعتقد أن الاستقامة والفضيلة والعلم من أركان الإسلام.. وأتعهد بأن أكونمستقيمًا أؤدي العبادات، وأبتعد عن المنكرات فاضلاً أتحلي بالأخلاق الحسنة، وأتخلي عن الأخلاق السيئة، وأتحري العادات الإسلامية ما استطعت، وأوثر المحبة والود علي التحاكم والتقاضي، فلا ألجأ إلي القضاء إلامضطرًا، وأعتز بشعائر الإسلام ولغته وأعمل علي بث العلوم والمعارف النافعة في طبقات الأمة..

ـ أعتقد أن المسلم مطالب بالعمل والكسب، وأن في ماله الذي يكسبه حقًامفروضًا للسائل والمحروم.. وأتعهد بأن أعمل لكسب عيشي، وأقتصد لمستقبلي، وأؤدي زكاة مالي وأخصص من إيرادي لأعمال البر والخير، وأشجع كل مشروع اقتصادي إسلامي نافع، وأقدم منتجات بلادي وبني ديني ووطني، ولا أتعامل بالربا في شأن من شئوني ولا أتورط في الكماليات فوق طاقتي..
ـ أعتقد أن المسلم مسئول عن أسرته وأن من واجبه أن يحافظ علي صحتها وعقائدها وأخلاقها وأتعهد بأن أعمل لذلك جهدي، وأن أبث تعاليم الإسلام في أفراد أسرتي ولا أدخل أبنائي أبدًا مدرسة لا تحفظ عقائدهم وأخلاقهم، وأقاطع كل الصحف والنشرات والكتب والهيئات والفرق والأندية التي تناوئ تعاليم الإسلام..
ـ أعتقد أن من واجب المسلم إحياء مجد الإسلام بإنهاض شعوبه وإعادة تشريعه وأن رأية الإسلام يجب أن تسود البشر، وأن من مهمة كل مسلم تربية العالم علي قواعد الإسلام، وأتعهد بأن أجاهد في سبيل هذه الرسالة ما حييت، وأضحي في سبيلها بكل ما أملك..
ـ أعتقد أن المسلمين جميعًا أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية، وأن الإسلام يأمر أبناءه بالإحسان للناس جميعًا

وأتعهد بأن أبذل جهدي في توثيق روابط الإخاء بين جميع المسلمين وإزالة الجفا والإختلاف بين طوائفهم وفرقهم..
ــ أعتقد أن السر في تأخر المسلمين ابتعادهم عن دينهم، وأن أساس الإصلاح العودة إلي تعاليم الإسلام وأحكامه، وأن ذلك ممكن لو عمل له المسلمون, وإن فكرة الإخوان المسلمين تحقق هذه الغاية, وأتعهد بالثبات علي مبادئها والإخلاص لكل من عمل بها وأن أظل جنديًا في خدمتها أو أموت في سبيلها..

هوامش منطلق الإخوان:
(١) انظر رسالة المؤتمر الخامس..
(٢) انظر المرجع السابق..
(٣) المرجع السابق..
(٤) انظر رسالة الجهاد..
(٥) انظر رسالة التعليم..
(٦) المرجع السابق..
(٧) المجلة السعودية التي تصدر في لندن عدد رقم ٥٥٢/٩١/٢١/,,٤٨
(٨) مجلة المختار الإسلامي عدد رقم ٠٣/ نوفمبر ٤٨، وانظر فصل موقف الحركة من العمل السياسي..

ثانيًا: منطلق القطبيين

نهض التيار القطبي علي أساس أطروحة سيد قطب وأفكاره التي طرحها في الوسط الإسلامي في فترة الخمسينيات والستينيات وهي أطروحة واكبت المتغيرات الجديدة علي الساحة آنذاك, واستطاعت استقطاب شباب الإخوان من الجيل الجديد الذي وجد في أطروحة البنا التقليدية عدم القدرة علي مواكبة هذه المتغيرات..
وجاءت حوادث الخمسينيات ومواقف قيادات الإخوان وما نتج عن هذا من تصفية الجماعة وتشتيتها من قبل عبدالناصر، ..جاءت لدعم قطب وتصوراته عن الدعوة والحركة والجهاد لصالحه
وكان من المفروض أن يظهروا مرونة أمام الطرح الجديد وأمام المتغيرات من حولهم, إلا أنهم تعصبوا لطرح البنا ورفعوا راية المواجهة مع الطرح الجديد..
إلا أن الحرب التي أعلنها الإخوان علي قطب وطرحه بالإضافة إلي الضربة التي وجهتها له الحكومة في منتصف الستينيات لم تسهم في القضاء علي تياره ,بل زادته قوة وفاعلية وساعدت علي انتشاره في الآفاق علي حساب الإخوان, لكن الجيل الذي تشبع بفكر قطب لم يحكر نفسه في دائرة تياره تنظيميًا ,وإنما إلتزم بذلك قطاع محدد منه بينما توزعت القطاعات الأخري ما بين تيار التكفير الذي خرج من تحت عباءته وتيارالجهاد فيما بعد..
ولقد إعتمد التيار القطبي علي طرح قطب وحدد في دائرته المنطلق الفكري الخاص به بداية, ومع دخول مرحلة السبعينيات والتحام القطبين مع الواقع والتيارات الأخري اضطروا إلي تبني الطرح السلفي مع بعض التحفظات، تلك التحفظات التي دفعت التيار السلفي والجهادي إلي الاصطدام به ونبذه.(١)
ولا توجد إصدارات أو منشورات تكشف لنا فلسفة الطرح القطبي ومنطلقاته الفكرية ومواقفه من الواقع والأحداث كما هو حال التيارات الأخري، فالتيار القطبي موغل في السرية ولا يعطياهتمامًا للجانب الإعلامي.

معالم الطرح

ويمكن تحديد المنطلقات الفكرية للتيار القطبي من خلال كتاب في ظلال القرآن وكتاب في معالم الطريق..(٢)
وتتركز أفكار سيد قطب التي حواها كتابه الظلال ولخصها في كتابه معالم في الطريق فيما يلي:
ــ الحكم بجاهلية المجتمعات المعاصرة وعلي رأسها المجتمعات الإسلامية..(٣)
ــ كفر الحكومات القائمة في بلاد المسلمين وعدم جواز مشاركتها في الحكم..
ــ وجود جهاد هذه الحكومات..
ــ التشكيك في إسلام جماهير المسلمين..
ــ الدعوة إلي عزلة الواقع شعوريًا..
وهذه النقاط الخمسة هي ما يدور حولها منطلق التيار القطبي.. (٤)
وبالطبع فإن تبني مثل هذا الطرح إنما يوجب السرية المطلقة. وهو ما التزم به التيار القطبي منذ ظهوره. إلا أنه رغم تبني فكرة الجهاد من قبله فإنه لا يتبني أية مخططات حركية أو تنظيمية لتطبيقها فهي فكرة في طور الإرجاء إلي حين ما يتم تأسيس القاعدة المسلمة حسبما أشار إلي ذلك سيد قطب في مؤلفاته.. (٥)
وعلي ضوء فكرة جاهلية المجتمع وعدم جواز تولي المناصب في ظل الحكومات رفض التيار القطبي العمل السياسي

ودخول مجلس الشعب والمشاركة في النشاطات الإسلامية إذ أن نتائج مثل هذا العمل ومثل هذه النشاطات دعم للمجتمع الجاهلي الذي يجب تقويضه..(٦)

بين قطب والبنا

وعلي الرغم من إصرار الإخوان علي نفي التناقض بين طرح البنا وطرح قطب إلا أن طرح قطب يصرح بهذا التناقص، فطرح البنا وليد المرحلة الملكية مرحلة الاستعمار..

وطرح قطب وليد المرحلة الجمهورية مرحلة الصدام بين عبد الناصر والحركة الإسلامية..

وطرح البنا وليد مرحلة التحالف بين الحكم والتيار الإسلامي،..

وطرح قطب وليد المرحلة الاستبدادية..

وطرح البنا وليد المرحلة (الليبرالية)..

من هنا كانت نظرة البنا إلي الواقع نظرة معتدلة متسامحة، وكانت نظرة قطب إلي الواقع نظرة معادية متطرفة..

وعلي ضوء هذا كله فإن من الصعوبة بمكان نفي هذا التناقض, وأن محاولات الإخوان لنفيه لا تخرج عن كونها محاولة دعائية لصالحهم وإظهار تيارهم بمظهر التيار المترابط،..

وإظهار طرح قطب علي إنه إمتداد لطرح البنا, وهذا من شأنه أن يدعم طرح الإخوان،..

وأمام ضغط التيار القطبي دفع الإخوان بمحمد قطب ليصدر بيانًا يكشف فيه حقيقة أفكار شقيقه وبعدها عن قضية التكفير وكونها لا تخرج من منهج رسالة التعليم التي وضعها البنا، ولا تخالف الكتاب والسنة..(٧)

ونفي آخر نسبه قطب إلي الآراء التي برزت في الساحة الإسلامية والتي يذهب أصحابها إلي تعطيل الكثير من الأحكام الشرعية لكونها خاصة بالعهد المدني ,ونحن نعيش المرحلة الملكية التي يباح فيها زواج المشركات, ولا يجوز فيها الجهاد مؤكدًا أن قطب لا يتحمل وزر هؤلاء.. (٨)

قال قطب فيما يتعلق بالمرحلة الملكية:فأما اليوم وقد عادت الأرض إلي الجاهلية, وارتفع حكم الله سبحانه عن حياة الناس في الأرض, وعادت الحاكمية إلي الطاغوت, ودخل الناس في عبادة العباد بعد أن أخرجهم الإسلام منها، الآن تبدأ جولة جديدة أخري للإسلام ـ كالجولة الأولي ـ تأخذ في التنظيم كل أحكامها المرحلية حتي تنتهي إلي إقامة دار إسلام وهجرة, ثم تمتد حول الإسلام مرة أخري فلا تعود للهجرة ولكن لجهاد وعمل كما حدث في الجولة الأولي,,(٩)

جدول يبين نقاط الخلاف بين طرح البنا وطرح قطب

المسألة	البنا	قطب
المجتمع	مسلم	جاهلي
الحكومات	مسلمة	كافرة
الجهاد	غير وارد	وارد
المناصب	جائزة	غير جائزة
العمل السياسي	وارد	غير وارد
الدعوة	علنية	سرية

هوامش منطلق القطبين

(١) اتهم التيار القطبي بفساد العقيدة من قبل التيارات الاسلامية داخل المعتقل في فترة الثمانينيات, ورفضت عناصر التيار السلفي والجهادي الصلاة وراء أفراده بسبب تبني قطب لآراء المعتزلة فيما يتعلق بالأسماء والصفات في كتابه في ظلال القرآن ونسبوا إليهم تكفير المسلمين..
(٢) حوى كتاب معالم في الطريق فصولاً من الظلال مثل مقدمة سورة الأنعام التي حواها فصل لا إله إلا الله, ومقدمة سورة التوبة التي حواها فصل الجهاد في سبيل الله, وكانت الجماعة الإسلامية في السبعينيات قد نشرت فصل لا إله إلا الله تحت عنوان لا إله إلا الله منهج حياة وذلك في بداياتها الأولي..
(٣) يقول سيد قطبمعرفًا المجتمع الجاهلي: هو كل مجتمع غير المجتمع المسلم وإذا أردنا التحديد الموضوعي قلنا: هو كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده, متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي, وفي الشعائر التقليدية, وفي الشرائع القانونية, وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا, المجتمعات الشيوعية والمجتمعات الوثنية والمجتمعات اليهودية والمسيحية, وأخيرًا يدخل في اطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة, انظر الظلال جـ /٥١١/٦و٠٧٢ /٧و٣٦٤,,/٨
(٤) بنفي الإخوان نسبة هذه الأفكار لقطب، كما ينفون وجود ما يسمي بالتيار القطبي، انظر كتاب سيد قطب بين العاطفة والموضوعية وهو من نشر دار الدعوة الإخوانية، وانظر بيان محمد قطب شقيق سيد قطب حول أفكار شقيقه ضمن وثائق الكتاب..
(٥) يقول قطب: المجتمع الجاهلي لا يتحرك كأفراد إنما يتحرك ككائن عضوي تندفع أعضاؤه بطبيعة وجوده وتكوينه للدفاع الذاتي عن وجود كيانه، فهم بعضهم أولياء بعضطبعًاوحكمًا, ومن ثم لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة المجتمع آخر ذات الخصائص ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوي, فإما إذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي, لأنهم لا يملكون مواجهة المجتمع الجاهلي المتكامل أفراده وتقع الفتنة في الأرض عامة بغلبة الجاهلية علي الإسلام, بعد وجوده ويقع الفساد في الأرض وطغيان الجاهلية علي الإسلام, وطغيان ألوهية العباد علي ألوهية الله, ووقع الناس عبيدًا للعباد مرة أخري، وهو أفسد الفساد.. الظلال جـ ٢٧ /١٠وما بعدها..
(٦) يقول قطب.. الإسلام لم يكن يملك أن يتمثل في نظرية مجردة ليعتنقها من يعتنقها اعتقادًا ويزاولها عبارة, ثم يبقي معتنقوها علي هذا النحو أفرادًا ضمن الكيان العضوي للمجتمع الحركي الجاهلي القائمفعلاً , فإن وجودهم علي هذا النحو ـ مهما كثر عددهم ـ لا يمكن أن يؤدي إلي وجود فعلي للإسلام, لأن الأفراد المسلمين نظريًا الداخلين في التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي, سيظلون مضطرين حتمًا للاستجابة لمطالب هذا المجتمع العضوية, يتحركون طوعًا أو كرهًا بوعي أو بغير وعي لقضاء الحاجات الأساسية لحياة هذا المجتمع الضرورية لوجوده, وسيدافعون عن كيانه وسيدفعون العوامل التي تهدد وجود وكيانه, لأن الكائن العضوي يقوم بهذه الوظائف بكل أعضاء سواء أرادوا أو لم يريدوا, أي أن الأفراد المسلمين نظريا, سيظلون يقومون فعلا بتقوية المجتمع الجاهلي الذي يعلمون نظريًا لإزالته, وسيظلون خلايا حية في كيانه بعناصر البقاء والإمتداد وسيعطونه كفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ليحيا ويقوى, وذلك بدلا من أن تكون حركتهم في اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي.. الظلال جـ ٩٦: ٠٧وأنظر معالم في الطريق../١٠
(٧) انظر نص البيان ضمن وثائق الكتاب, وانظر سيد قطب بين العاطفة والموضوعية..
(٨) محمد توفيق بركات. سيد قطب منهجه في الحركة والنقد الموجه إليه..
(٩) في ظلال القرآن جـ ٠١ /٤٧: ٥٧

ثالثاً منطلق التفكير

يمكن تحديد فلسفة جماعة التفكير التي أسسها شكري في ثلاث نقاط رئيسية هي:

ـ الموقف من التراث..

ـ العزلة..

ـ التوسمات..

فبالنسبة للنقطة الأولي فإن تيار التفكير يرفض التراث رفضًا قاطعًا ولا يعترف بأي انتاج فقهي أو فكري سابق، وفي الوقت نفسه لا يعتبر نتاجاته محض إجتهاد، بل يعتبرها الحق الذي لا مراء فيه..

وعلي هذا الأساس يرفض إتباع الفقهاء والإقتداء بهم، ويعتقد أنه يمكن فهم الكتاب والسنة مباشرة دون الاستعانة بأهل العلم، وهو يستمد هذا الموقف من خلال قوله تعالي:**{ولقد يسرنا القرآن للذكر}** القمر/٢٢,,

ولأجل هذا إبتدع شكري قاعدة تنص علي أن من قلد كفر، أي من إتبع أحدًا من الفقهاء يخرج من ملة الإسلام، وقد استدل علي رأيه هذا بقوله تعالي: {**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله}** التوبة/١٣,,

يقول شكري:إن تسمية الأشياء باسمها الشرعي هو مناط الهدي والتدين بالدين الإسلامي الصحيح، وأنه إذا فسدت هذه الأسماء ووضعت أسماء علي غير مسمياتها الحقيقية أختل التوازن والمعيار تمامًا، وبالتالي يمكن تسمية الشر باسم الخير والقبح باسم الجمال..

وأنه قد طرأ علي ما يسمي بالفقه الإسلامي مصطلحات غريبة، ومصادمة للأسماء سميت الأشياء بغير اسمها الشرعي حيث قالوا في الفقه »مسلم فاسق« بينما كلمة فاسق والفسق في الشريعة تدل علي كافر وكفر، وكذلك كلمة ظالم أيضًا قالوا: مسلم ظالم مع ثبوت خلاف ذلك في الشريعة حيث يقول الله سبحانه :**{والكافرون هم الظالمون}** البقرة/ ٤٥٢

إن علينا أن نسمي الأسماء بأسمائها، وأن ننضبط فيها بالضابط الشرعي، وإنه لا حجة علي ولا علي أحد إلا بالأسماء الشرعية بضابطها الشرعي، وإنه لو أتانا أحد باسم علي غير مسني فليس أمامنا إلا أن نقول **{إن هي إلا أسماء سيمتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان}** يوسف/ ٠٤

وعلي سبيل المثال نريد أن نضبط مدلولا صحيحًا لكلمة مساجد الله فقد توضح لافتة علي مسجد لا تنطبق عليه الصفة الشرعية للمساجد وسمي مجسد الله,ولكن لكي يحاججني أحد فيقول لي: لماذا لا تصلي في المساجد فعليه أن يثبت أن هذه المساجد حقيقة مساجد الله بالصفة الشرعية التي بينها الله في كتابه بقوله تعالي:

٨١/**{وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا}** الجن

{في بيوت إذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه} النور/٦٣,,

{ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله} التوبة/٧١,,

إن قضية الأسماء التي أشار إليها شكري في قوله السابق تعد ركنًا أساسيًا من أركان مذهبه, فهي أداة المفاصلة الفكرية بينه وبين التراث وبينه وبين التيارات الإسلامية الأخري, فالشرك والمعصية والجهاد والمساجد، كل هذه قضايا لها معان ومدلولات مختلفةتمامًا عند شكري عن المعاني والمدلولات المطروحة في التراث..

من هنا فإن روية شكري في المساجد المعاصرة أنها مساجد ضرار لا تصح الصلاة فيها، لأنها أسست علي غير التقوي،

وقد استثني من هذا التعميم أربعة مساجد هي المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصي، ومسجد قباء بالمدينة المنورة ,,(١)
وحتي هذه المساجد الأربعة لا تصح الصلاة فيها جماعة إلا خلف إمام يكون من أفراد جماعة التفكير، أما الصلاة الإنفرادية فتجوز لإفرادها..
وقد قرأ شكري الكثير من كتب الفقه والأصول والحديث مثل كتاب الموافقات للشاطبي والأحكام للآمدي، وابن حزم، ..،وأصول الفقه لأبي زهرة، وتفسير القرآن لابن كثير، والبخاري وسيرة ابن هشام
ومن المعاصرين لم يقرأ سوي كتب سيد قطب..
إلا أن شكري لم يسلم بصحة ماورد في هذه الكتب، وإعتبر أنها وقعت في أخطاء جسام علي حد تعبيره..
يقول شكري: إنني أطلع في الكتب من حيث المبدأ، ولا أنكر الاجتهاد من حيث المبدأ، بل أوجبه ولا أنكر علي أحد أن ينقل فكره إلي غيره كتابه أو مشافهة، ولكن أنكر كتبًا بعينها للخطأ الذي فيها، وأن يكون موضوعها غير مباح في أصله, أو أن يكون الكاتب قد أدخل نفسه فيما سكت عنه الرسول عمدًا غير نسيان.. (٢)
والمتأمل في كلام شكري السابق يظن للوهلة الأولي أن شكري يتبني رؤية مرنة تجاه التراث من الممكن أن تؤدي به إلي الاعتراف ببعض النتاجات الفقهية, أو بعض الفقهاء, إلا أن هذا الظن سرعان ما يتبدد حين يتعمق في أفكار شكري وآرائه التي تصطدم بالقواعد الفقهية الثابتة، وتخالف مخالفة صريحة ما أجمع عليه الفقهاء..
فحول العبادة يقول شكري:العبادة في الإسلام يقصد بها عبادة الله وحده يعني طاعته من غير شريك في الطاعة, ولا يقصد بها اشتراك الله مع غيره في أن يطاع ,وهي مقررة من مقررات العقول, وثابتة من ثوابت الشريعة, وينبني عليها أن طاعة غير الله في معصية شرك عقلاً ونقلاً.. (٣)

وحول الشرك يقول: وقد استدلوا خطأ وفهموا خطأ ـ يقصد الفقهاء بقول الله تعالي: **{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}** النساء/٨٤
فقالوا أن الشرك هنا هو السجود للأصنام، والاستقسام بالأزلام وما شابه ذلك، وأن ما دون الشرك من وجهة نظرهم هو السرقة والزنا وشرب الخمر وسائر الكبائر, وكذبوا حيث لا دليل علي ما قالوه عقلي، ولا نص في تفسير الشرك وما دون الشرك«..(٤)
وقد جاءت النصوص القاطعة الكثيرة التي تبين أن المعاصي شرك بلفظ الشرك وكفر بلفظ كقول النبي (ص): من حلف بغير الله فقد أشرك..
كقوله: بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة,,(٥)
وتيار التفكير يرفض بناء علي ما سبق مسألة الاجتهاد ويفسرهاتفسيرًا مختلفًاتمامًا عن التفسير المتعارف عليه لها، فالاجتهاد عنده إنما يكون مع النص، ولا يجوز في حالة انعدامه لأنه يعتبر في هذه الحالة محاولة قياس بالرأي، أو بمثابة تشريع للأمة لا يوجب الإتباع وباطل من أساسه، وعليه فإن تيار التكفير لا يعترف بالإجماع أو القياس أو المصالح المرسلة، وغير ذلك من الأصول والقواعد الفقهية اللازمة كأدوات يعتمد عليها المجتهد لاستنباط الحكم الشرعي..
يقول أحد دعاة التفكير: إن الكتاب والسنة هما الحجة، ولا حجة غيرهما، ولهذا فإننا نضرب بالإجماع وبالقياس ويعمل أهل المدينة وحجة رأي الصحابة وبرأي الفقهاء عرض الحائط.. ولا نستدل إلا بالكتاب والسنة.. (٦)
والغريب أنه رغم تبني تيار التكفير هذه الرؤية تجاه التراث عامة والاجتهاد خاصة فإنه يلتزم بعدة قواعد اجتهادية من استنباط شكري في مقدمتها قاعدة تقول : المصر علي المعصية كافر..
وقاعدة المعصية شرك وقاعدة التوقف..(٧)
وكانت الجماعة قد قامت في أوائل السبعينات بمحاولة الهجرة إلي صحراء المنيا , لكن الحكومة اكتشفت مركز تجمعهم هناك وألقت القبض عليهم..
وفي مواجهة هذا الوضع أجري شكريتعديلاً علي مسألة الهجرة وأباح لأتباعه أن يهاجروا إلي اليمن ثم إلي جزيرة العرب, إلي أن استقر الأمر بعد ذلك بإباحة الهجرة إلي أي مكان, شرط حصول الأمان فيه..
وفي مقدمة قصيدته **من قبل الطوفان،** والتي يتحدث فيها عن الهجرة يقول شكري: لقد كان في داخلي ـ وأنا لا أدري ـ تحديدًا لأرض الهجرة, بل حدس غالب في أن هذه الأرض وهذه الهجرة هي نجاة لي, ولكل من هاجر إليها, وأن دمارًا وهلاكًا سيصيب ما عداها من الأرض، وما عداهم من الناس, ولكني كنت مقيدًا لا أستطيع حتي أن أهاجر, كانت الهجرة وهمًا، وأملاً,وأيضًا إحساسًا صادقًا..
تقول القصيدة:
من قبل الطوفان اسمعني.. يا عبدالله
وأخرج من أرضك واتبعني.. في أرض فلاده
أرضي في قلبي لم يعبد فيها الشيطان
أرضي في فكري أحمله في كل مكان
في قلب المؤمن ـ طهرها ـ فيض الإيمان

فأحمل أزوادك واتبعني يا عبدالله
بكفينا زادا في الدنيا... هذا القرآن
في أرض الهجرة يا صاحبي.. طهر وسلام
وعبادة صدق وخشوع.. بين الكلام
وفرار من سخف الدنيا.. ومن الآثام
صدقني في الأرض الواسعة أمان.
فتعالي لله تعالي ياعبدالله
ماذا يعنيك من الدنيا بعد الإسلام
ساكر علي عرش الطاغي أهدمه في غير كلام
سأموت شهيداًمنصوراً ديني الإسلام
وأموت علي ظهر جوادي بطعان ليس من الخلف
ويكفي سيفي أدفعه فالجنة في ظل السيف
لن أشكو.. لن أزرف دمعات الثكلي خلف القضبان(٨)

العزلة

وتبدو النزعة الانعزالية واضحة في فكر شكري من خلال تجميده للموقف الحركي للجماعة أمام الواقع والأحداث، ومن خلال رفضه للانفتاح علي الواقع, وأهم صور العزلة التي تميز تيار التكفير عن غيره من التيارات الإسلامية الأخري هي رفضه العمل في الحكومة أو الخدمة في الجيش أو الدراسة في الجامعات..

لقد أدي هذا التصور الشاذ الذي تبنته جماعة التفكير إلي عزلتها عن التيارات الأخري, كما أدي اعتقادها بأن الحق ينحصر في دائرتها إلي الحكم بكفر الجماعات الأخري, وبالإضافة إلي عزلة المساجد وعزلة التراث وعزلة الفكر المعاصر الذي أشرنا إليهاسابقاً، هناك عزلة أخري أشد غرابة، وهي عزلة نتاجات العصر وبخاصة المادية, فشكري يعتقد أن القوة هي السيف لا غير ولايعترف ولا يقر باستخدام الأسلحة الحديثة..

ولأن شكري يعتبر نفسه يعيش مرحلة الاستضعاف فمن ثم هو يرفض إقامة صلاة الجمعة، ويعتقد أنها لا تجوز إلا حين تكون الجماعة المسلمة ممكنة وظاهرة، وتعتبر الهجرة الفريضة الواجبة علي كل فرد في جماعة التفكير وسيلة العزلة الحركية عن الواقع..

التوسمات

وتعد قضية التوسمات النظرية الحركية التي يتحرك علي أساسها تيار التكفير من الدلالات الهامة علي قضية العزلة، والمقصود بالتوسمات استلهام خطة التحرك من خلال النصوص الواردة بالسنة حول علامات آخر الزمان, التي تنبأت بها الأحاديث, وفي مقدمتها نبوءة نزول عيسي ابن مريم وحدوث الملحمة القتالية الكبري بين المسلمين والمسيحيين، والتي يعدها شكري صورة الصراع الوحيدة بين الحق والباطل التي يجب أن ينتظرها المسلمون..

وعلي ضوء قضية التوسمات لا يجيز شكري أي صورة من صور الصدام الحركي مع الواقع، ولا يقر فكرة الجهاد، ولا يؤمن بوجوب إقامة دولة إسلامية في هذا الزمان, أو في أي زمان فليس هناك من النصوص الواردة في السنة حول علامات آخر الزمان ما يشير إلي ذلك..

ووقوع الملحمة الكبري بين المسلمين والمسيحيين في آخر الزمان والتي سوف تكون أداة القتال فيها هي السيف ـ كما يؤكد شكري ـ هي الصورة الوحيدة للاستخلاف في الأرض, وجماعة التفكير تعتقد أنها تلك التي سوف تعيش تلك الملحمة وأن لم تكن هي فستكون ذريتها, وإذا كانت الهجرة هي خطوة انتظار علي طريق حدوث الملحمة الكبري..

وجماعة التكفير تحاول التأكيد من خلال أحاديث السنة التي تتحدث عن علامات الساعة الصغري ـ أن زمان الملحمة قد أوشك واقترب, وعليه فلا يجوز لأفراد الجماعة ممارسة النشاط الحركي أو السياسي أيًا كانت صوره وأشكاله، حتي لو غزت البلاد جيوش أجنبية وتطلب الأمر إعلان الجهاد للدفاع عنها..

وقد وجهت المحكمة العسكرية التي مثل أمامها شكري وجماعته بتهمة قتل الشيخ الذهبي وزير الإوقاف عام ٧٧إلي الجماعةسؤالاً عن موقفهم من اليهود إذا قاموا بغزو مصر، فكانت إجابتهم هي: رفض مواجهة اليهود والهرب إلي مكان آمن..!

ويعتقد شكري أن الجيوش الإسلاميةحقًا لم تقاتل أبدًا عبر التاريخ الإسلامي إلا بالسيف والرمي والخيل, ولن تكون هناك جيوش إسلامية تقاتل إلا بهذه الوسائل ,حيث أن الجهاد متوقف حتي يحين وقت الملحمة الكبري في آخر الزمان بين المسلمين والروم, والتي سوف تكون أدوات القتال فيها هي السيف والخيل والرمي..

ومن مؤلفات شكري المخطوطة:

مؤلف تحت عنوان: **الحجيات** ويتركز موضوعه في إبطال كل صور الإستدلال والإستنباط التي أعتمد عليها الفقهاء وفي مقدمتها أصول الفقه كما يبطل المذاهب والتقليد..

ومؤلف تحت عنوان: **الاصرار** ويتحدث فيه عن كفر المصر علي المعصية..

ومؤلف تحت عنوان: **الهجرة** ويتحدث فيه عن الهجرة ووجوبها علي المسلمين..
ومؤلف تحت عنوان: **الخلافة** ويستعرض فيه لإستخلاف الفئة المسلمة الظاهرة علي الحق في آخر الزمان وأسلوب بلوغها غايتها من الناحية الشرعية..
ومؤلف تحت عنوان: **التبين** ويلخص فيه فكرته عن المجتمع والأفراد الذين لاينتمون إلي جماعته..
ومؤلف تحت عنوان: **التوسمات** ويحدد فيه الموقف الحركي للجماعة في مواجهة الواقع والذي يتلخص في انتظار الملحة الكبري بين المسلمين والروم (أوروبا) الذين يدخل تحتهم اليهود والمسيحيين والتي اقترب ميعادها حسب النصوص النبوية التي تتحدث عن الفتن وعلامات آخر الزمان والنبوءات حسب اجتهاد شكري..
ومما يجب ذكره هنا أن تيار التوقف الذي برز في الثمانينات وتولد من فكر شكري قد قام برفض الكثير من أفكاره, وتبني أفكارًا تكفيرية أكثر تطرفًا في مواجهة الواقع كفر علي أساسها شكري ومجموعته..
وما يميز تيار التوقف عن تيار التكفير الأم ما يلي:
ـ الحكم علي المجتمع بالكفر إجمالاً..
ـ رفض فكرة التوقف في أصحاب المعاصي..
ـ رفض فكرة الهجرة والانتظار ..
ـ تبني الصدام المسلح مع الحكومة..
ـ استحلال المخالفين..

هوامش منطلق التكفير

(١) استوحي شكري مصطفي فكرة المسجد الضرار من قوله تعالي في سورة التوبة: **{والذين اتخذوا مسجدًا ضرارًا}** وهم مجموعة من المنافقين بنوا مسجدًا للتآمر علي المسلمين. انظر كتب التفسير والسيرة..
(٢) انظر أقوال شكري مصطفي في قضية الذهبي التي حكم عليه بالإعدام فيها ضمن وثائق الكتاب..
(٣) انظر المرجع السابق ضمن وثائق الكتاب..
(٤) انظر وثائق الكتاب..
(٥) انظر اللواء الإسلامي، ومجلة المصور عدد رقم ٢٨/٦/٨١/٠١٠٣,,
(٦) يعتبر شكري أن المصر علي المعصية كافر إذا مات ولم يتب منها, وأن المعصية شرك، وأن الشرك كل لا يتجزأ، وقد قالت بذلك الخوارج من قبل، والفقهاء يفرقون بين المعصية والشرك ولا صلة بينهما، وعندهم الشرك شركان شرك أكبر وشرك أصغر..
(٧) التوقف يعني عند شكري عدم الحكم بإسلام الفرد حتي تبلغه دعوته فإن آمن بها حكم بإسلامه وأن رفضها حكم بكفره..
(٨) مخطوطة ديوان شكري مصطفي..

رابعًا: منطلق السلفيين

برز التيار السلفي في مصر كوليد لحركة المد الوهابي الذي ظهر في الجزيرة العربية وانتقل إلي مصر عن طريق بعض الهيئات الإسلامية خاصة جماعة أنصار السنة المحمدية..

ويعد تراث ابن تيمية وتلاميذه الركيزة الأساس التي يستمد منها التيار السلفي مفاهيمه ومنطلقاته العقدية, فمن ثم هو تيار انعزالي يرفض خوض العمل السياسي، كما يرفض العمل الجماعي مع التيارات الإسلامية الأخري..

وبرفع التيار السلفيشعاراً يقول: نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، ولا نخرج علي حكام المسلمين ونحب طاعتهم لله ونبغض معصيتهم له ولا نعينهم عليها..

وهذا الشعار إنما يعكس فقه السلف وعقيدتهم في قضية الطاعة والخروج علي الحكام والتي شذ عنها ابن تيمية وأجاز الخروج علي الحكام في حالة تعطيل الشرائع, وله فتوي شهيرة في هذا الأمر تعتمد عليها التيارات الجهادية اليوم..

وسوف نعرض لمفهوم العقيدة كما جاءت في هذه الكتب وذلك في نقاط أساسية وهي:

١ ــ التوحيد، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الصفات. أي صفات الله تعالي..

الثاني: توحيد الربوبية أن الله وحده خالق كل شئ..

الثالث: توحيد الألوهية وهو إستحقاقه سبحانه أن يعبد وحده ولا شريك له..

٢ ــ لا يكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، أي من يرتكب ذنبًا من المسلمين لا يكفر وأن أصر عليه ما لم يستحل الذنب، أي لا يقر بحرمته..

٣ ــ أن الإنسان مخير وليس مسير..

٤ ــ أن أهل الكبائر من أمة محمد [لا يخلدون في النار..

٥ ــ أن الصلاة جائزة وراء كل بار وفاجر من المسلمين..

٦ ــ الإيمان بالقدر خيره وشره..

٧ ــ من أظهر بدعة أوفجوراً لا يرتب إمامًا للمسلمين..

٨ ــ وجوب طاعة ولي الأمر، وإن جار إلا في معصية..

٩ ــ الحج والجهاد ماضيان إلي يوم القيامة مع أولي الأمر من المسلمين..

١٠ ــ الإيمان لا يثبت إلا بالعمل مع التصديق..

١١ــ الحكم بغير ما أنزل الله قد يكونكفراً يخرج من الملة..

هذه أهم النقاط الأساسية التي تتكون منها العقيدة السلفية، ويلاحظ هنا أنها تصطدم ببعض التيارات الإسلامية التي تنادي بتكفير المجتمع والناس، وتدعو إلي جهاد الحكم, كما يلاحظأيضًا مدي التناقض بينها وبين موقف التيار السلفي ومن الواقع ومن الحكومات ذلك الموقف المفرط في الإعتدال والمهادنة..

ولو قسنا البند السابع والثامن والحادي عشر علي واقع التيار السلفي وموقفه من الحكومات فسوف لا نجد لهاوجودًا وكأنها ليستجزءًا من العقيدة..

يقول عبد الرحمن عبد الخالق أحد أقطاب التيار السلفي من المعاصرين: إن طاعة الكفار في شيء من تشريعهم هو أكبر أنواع التولي لهم,وبالتالي هو أعظم أسباب الكفر من الدين والتعرض لسخط رب العالمين, وكل منهج وعقيدة وطريق غير الإسلام فهو باطل ,ويجب علي المسلم البراءة من الباطل كله والكفر بالطواغيت جميعًا, فإعلان البراءة من الكافرون وكفرهم هو الأمر الثاني واللازم بعد وجوب الالتزام بالإسلام كله، للالتزام بين الله وحده وإتباع صراطه المستقيم، فمن اتبع صراط الله واهتدي بهدي رسوله وجب عليه أن يعلن مفارقة كفر الكافرين ـ وبهذا يعلن إن إعانة الكفار علي المسلمين لاشك أنه كفر ـ الذي نهانا الله عنه تجاه الكافرين وأخبرنا أنه من جملة موالاتهم هو اتخاذهم بطانة أي وزراءوعمالاً في الأمور الحساسة من أمور الدولة والحكومة الإسلامية,,(١)

أما المفهوم الثاني من مفاهيم التيار السلفي فهو مفهوم الدعوة ويحتم الإسلام علي أهله دعوة الناس إلي الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر, والحرص علي هدايتهم والرغبة الأكيدة في تحولهم إلي الإسلام, ولما كان هذا لايأتي إلا بالدخول إلي النفس من مداخلها واستجلاب رضاها وراحتها, فإن الإسلام جعل سبيل الدعوة من الكفار وغيرهم هو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسني, كما قال تعالي:**(ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهوأعلم بالمهتدين)** النحل ٥٢١/

والتيار السلفي يعتبر أن اللين في عرض الدعوة هو المنهج الشرعي الذي يجب أن يتقدم به المسلم وينبط كل صور العداء والمنابذة للواقع والحكام,وحين برز تيار جهيمان العتيبي، وقام بحادثة الحرم الشهيرة. أصدر السلفيون بيانًا هاجموا فيه هذا التيار وأعلنوا براءتهم منه ووصفوا أتباعه بالخوارج..

يقول البيان الذي نشر في الصحف تحت عنوان **خوارج وليسوا سلفيين** : جاء علي لسان إمام المسجد الحرام الشيخ محمد بن سبيل قوله:إن المسلمين الذين اقتحموا المسجد الحرام هم جماعة من المتدينين المتعصبين, ويدعون إنهم من السلفيين وهم معروفون من قبل العلماء والمشايخ بمكة، وليسوا من الدين في شيء..

وهذا الذي قاله إمام المسجد الحرام حق لا شبهة فيه، فهذه الجماعات الخارجة عن إجماع الأمة وعن السير علي نهج السلف الصالح ولا يمكن أن تكون من السفلية في شيء, لأن السلف مجمعون أن المهدي لا يدعي بالرؤي والأحلام, وأن الدين لا يفرض بالسيف والسنان, ومجمعون كذلك أنه لا يجوز الخروج بالسيف علي الإمام والحاكم الذي يعلن الإسلام, ومجمعون كذلك علي حرمة بيت الله الحرام، وأنه لا يجوز القتال فيه،..

وهؤلاء خالفوا إجماع الأمة في كل هذا وقد حذرنا من هذه الطائفة الضالة منذ ظهرت أول رسالة لمهندس أفكارها وهو (جهيمان بن سيف العتيبي) وذكرنا أنها فئة جديدة من الخوارج المعاصرين، وأنهم يسيرون علي نهجهم في محاربة المسلمين علي المعصية، وتفريق الأمة وتضليل العلماء وسب طلبه العلم, وتحريم طلب المعاش وإنكار العلوم الدنيوية والمكتشفات العلمية العصرية, والدعوة إلي هجر المجتمعات والعيش في البراري والقفار..

وكل هذا الذي خرجت به هذه الطائفة المارقة ينافي الدين ويضاد العقل والمنطلق، وقلنا إنهم أخطر علي المسلمين من اليهود والنصاري، من حيث يدرون أو لا يدرون..

وهذا المنهج الذي أنتهجته هذه الطائفة في الدين يخالف المنهج السلفي للإسلام الحق الذي بعث به محمد حيث كان رحمة وهداية للناس بوجه عام وللمؤمنين بوجه خاص..

والسلفية تعني السير علي منهج الرسول وسلف الأمة الصالحين, وإتباع أئمة الدين المشهود لهم بالخير, فالأئمة الأربعة وسائر العلماء المخلصين, كابن تيمية وابن القيم وابن كثير, ومن سار علي نهجهم من المصلحين والدعاة..

والسلفية التي نسبها هؤلاء المارقون لأنفسهم ليسوا منها في شيء, لأنهم منشقون مبتدعون كما انشق الخوارج عن جيش علي بن أبي طالب, وكان علي الحق، واستحلوا دماء المسلمين وحرماتهم فقاتلهم علي ذلك..

وعلماء المملكة العربية السعودية الذين أفتوا بمروق هذه الطائفة كعبد العزيز بن باز، وابن سبيل هم أئمة السلفية في العصر الحاضر,,(٢)

ويلخص لنا عبد الرحمن عبد الخالق مفاهيم التيار السلفي في النقاط التالية:

أولا: الهدي هو ما كان من الله سبحانه وتعالي ورسوله فقط **{قل أن الهدي هدي الله} { فماذا بعد الحق إلا الضلال}** وإن هذا الهدي محصور في كتاب الله وسنة رسوله فقط وليس وراء هذه طريق ثالث يقرب إلي الله ويباعد من النار..

ثانيًا: أن كل عقيدة تخالف كتاب الله وسنة رسوله فهي عقيدة باطلة يجب حربها والقضاء عليها..

ثالثًا: أن كل زيادة أو نقص في تشريع العبادات والسلوك يراد به التقرب إلي الله وإصلاح النفس إنما هو بدعة مرفوضة حتي لو كان هذا قد صدر ممن ينتسبون إلي الإسلام ويدعون إليه..

رابعًا: إن كل من أدعي علمًا غيبيًا في كتاب الله وسنة رسوله زاعمًا أنه قد وصله بطريق الجن أو الفيض أو الفتح أو الاتصال بالسماء فإنما هو كاذب مارق..

خامسًا: إن أقوال العلماء في أمور الدين لا تؤخذ قضية مسلمة فقط بلا لابد من عرضها عليالكتاب والسنة فما وافق أخذ وما خالف ذلك رد وإذا جاز لنا أحيانًا الأخذ بها والعمل إذا لم نعلم الدليل فإنما ذلك إليحين معرفتنا الدليل، ومتي عرفنا الدليل حكمنا به علي القول..

سادسًا: إن الصحابة (رض) كانوا أعبد الناس وأتقي الناس وأنهم تحققوا بهذين الأصلين: الكتاب والسنة أن من كان علي

مثل ما كانوا عليه فقد إهتدي ومن شد يمينًا أو يسارًا فقد ضل,,(٣)
ويستعرض لنا عبدالعزيز بن بار قضية الحاكمية بقوله: إن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله ,وأنه مقتضي العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه , وأن الإعراض عن ذلك أو شيء منه موجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيتها, أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان, وفي حال الإختلاف والتنازع الخاص والعام سواء كان بين دولة وأخري, أو بين جماعة وأخري، أو بين مسلم وآخر, الحكم في ذلك سواء, فالله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين, ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآرائهم خير من حكم الله ورسوله وتماثلها وتشابهها، أو تركها داخل محل الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية, وإن كان معتقدًا أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل, فالواجب علي عامة المسلمين وآمرائهم وحكامهم وأهل الحل والعقد فيهم أن يتقوا الله عز وجل، وأن يحكموا شريعته في أبدانهم ويقوا أنفسهم ومن تحت ولايتهم عذاب الله في الدنيا والآخرة، وأن يعتبر بما حل في البلدان التي أعرضت عن حكم الله، وسارت في ركاب من قلد الغربيين, وإتبع طريقتهم من الإختلاف والتفرق وضروب الفتن وقلة الخيرات ,وكون بعضهم يقتل بعضًا، ولايزال الأمر عندهم في شدة، ولن تصلح أحوالهم ويرفع تسلط الأعداء عليهم سياسيًا وفكريًا إلا إذا عادوا إلي الله سبحانه وسلكوا سبيله المستقيم ,,(٤)
وإذا جاء دور الحديث عن الجهاد فإن مفهومه يختلف عند التيار السلفي فحسب نصوص العقيدة السلفية لا يكفر الحاكم ولا يجب الخروج عليه مادام يعلن الإسلام أو حسب الحديث الصحيح عنده (ما أقام فيكم الصلاة)..
ومن هنا يتبين لنا أن فكرة الحاكمية لا وجود لها عند السلفيين، وهي نقطة خلاف أساسية بينهم وبين التيارات الإسلامية الأخري, وفي مقدمتها تيار الجهاد، وعليه فهم يجيزون الجهاد في الوقت الحاضر خلف الحكومات المسلمة في نظرهم كحكومة آل سعود, كما أجازوا الجهاد في أفغانستان..
والتيار السلفي ربط فكرة الجهاد بوجود خليفة للمسلمين وفي هذا رفض غير مباشر لفكرة ممارسة الجهاد في الوقت الحاضر بشتي صوره وأشكاله, إلا أنه لم يوضح لنا السبيل نحو إيجاد الخليفة أو الإمام الذي سوف نجاهد وراءه, كما لم يعطيناتبريرًا كافيًا لجوار ممارسة الجهاد في أفغانستان، أو تحت لواء السعودية، وبالنسبة لمسألة الجهاد فإن السلفيين لا يعتبرون جماعة حسب مفهوم الجماعة عند التيارات الإسلامية، وهم لا يريدون أن يتبلور نشاطهم إلي صورة تنظيمية تمثل تميزًا عن الواقع، وتضعهم تحت أعين الحكومات، وإنما يفضلون أن يمارسوا نشاطهم الذي ينحصر في تلقي العلم الشرعي وطلبه بالشكل التقليدي..
وعلي أساس هذه الرؤية هم ينظرون إلي الجماعات الأخري العاملة في الحقل الإسلامي بعين الشك فهم يرون أن علي المسلمين السعي إلي تلقي العقيدة والعلم الشرعيأولاً , ثم بعد ذلك يفكرون في تأسيس الجماعات..
ويتخذ السلفيون من علماء السعودية مراجع فقهية لهم ويراسلونهم طلبا للفتوي, فمن ثم هم يتبينون جميع قضايا المذهب الوهابي الذي تلتزم به أولئك العلماء ويدعون إليها..
ولما كان المذهب الوهابي قد ركز جبهة العداء والمواجهة في دائرة التيار الصوفي والتيار الشيعي والأضرحة باعتبارها شركًا في منظوره ينادي به ويتبناه الشيعة والصوفية, فقد تبني التيار السلفي قضية مواجهة الشيعة والصوفية بالإضافة إلي تبنيه قضية مواجهة تيار الإخوان لإعتداله في مواجهة هذين التيارين، وتساهله في أمور هي من الأساسيات عنده كمسألة اللحية ومواجهة البدع والمنكراته والعلاقة بالمسيحيين والأحزاب..(١)
وقد تبني التيار السلفي أيضًا مواجهة تيار الجهاد لخروجه علي خط السلف الذين لايرون الخروج علي الحاكم ومنابذته بل نصحه وطاعته، وأن الجهاد لا يكون إلا خلف الإمام, كما يتهم التيار السلفي تيار الجهاد بالقصور العلمي حيث إنه تعجل الصدام والمواجهة قبل أن يقوم بتحصيل العلم الشرعي, ولو قام بهذا التحصيل لما تبني قضية المواجهة مع الحكام..
وعلي الرغم من قشرية التيار السلفي وتبنيه الشكليات والأمور الهامشية وبعده عن الواقع والعمل السياسي, فقد ابتلي في الفترة الأخيرة بخلافات وتصدعات أدت إلي بروز تيارات جديدة من داخله تنادي بتكفير الحاكم وتكفير المسلمين الذين يوالونه والذين يرشحون أنفسهم لانتخابات مجلس الشعب من الإسلاميين,,(٦)
ويعتبر التيار السلفي مقاومة البدع جوهر رسالته فمن ثم هو لا يكف عن الهجوم علي العلماء والرموز والتيارات الإسلامية التي تخالفه باعتبار هؤلاء جميعًا مبتدعة, وقد صنف دعاة السلفية الكثير من الكتب التي يكتظ بها الواقع الإسلامي في مصر وبعضها يفد من السعودية, في الهجوم علي العلماء والرموز والتيارات الإسلامية، وأغلب هذه الكتب من تأليف شباب حديث عهد بالإسلام.,(٧)
يقول أحدهمآسفًا مناجيًا علماء السلف عما وصل إلي حال علماء العصر: كيف لو رأي أي الذهبي ــ مؤلفات غزالي هذا العصر- أي الشيخ محمد الغزالي- وهي تهاجم السنة النبوية, وتسخر من حملتها والمتمسكين بها من الشباب السلفي..؟
كيف لو رأي مؤلفات المودودي وما فيها من انحراف عقدي وعقلي وسلوكي..؟
وكيف لو رأي مولفات القرضاوي وهي تدافع عن أهل البدع وتنتصر لها,,(٨)
ويحدد عبد الرحمن عبد الخالق ــ منظر التيار السلفي ــ الأصول العلمية للدعوة السلفية , كما حددها في كتاب له يحمل هذا العنوان فيما يلي:
الأصل الأول: التوحيد.. (علي نهج ابن تيمية ومحمد عبدالوهاب)
الأصل الثاني: الإتباع.. (الإتباع بالدليل علي ضوء المنهج السلفي)
الأصل الثالث: التزكية.. (الإمتثال الحقيقي لكلام الله وكلام الرسول)

كما يحدد أهدافها فيما يلي:
ـ إيجاد المسلم الحقيقي .. (هداية الناس)
ـ ايجاد المجتمع المسلم.. (اقامة شرع الله)
ـ إقامة الحجة لله.. (تبليغ المعاندين)
ـ الإعذار إلي الله بأداء الأمانة.. (خلو المسئولية أمام الله)
فالداعي علي المنهج السلفي لابد وأن يجعل نصب عينه الهدفان الأخيران، فهما الهدفان اللذان سيتحققان له ولابد, أما الهدفان الباقيان فالأمر فيهما بيد الله سبحانه وتعالي وحده، إن شاء الله أن يعجل بهما فعل، وإن شاء أن يؤجل ذلك..
ثم يحدد بعد هذا كله مميزات الدعوة السلفية فيما يلي:
ـ تحقيق التوحيد..
ـ تحقيق الوحدة..
ـ تيسير فهم الإسلام..
ويعد النموذج السعودي القائم هو النموذج الإسلامي الملتزم بنهج السلف لكونه الرافع راية التوحيد المطبق لأحكام الشريعة في منظور التيار السلفي, وهو بهذا التصور يحكم بالشرك والكفر علي جميع المجتمعات والدول القائمة في العالم الإسلامي غير أنه لا يشهر هذا الحكم ولا يصدع به إلا في حدود ظهور الكفر البواح, أما في حدود الهيئات والتيارات والأفراد فهو .. يظهره كما هو واضح من موقفه من الشيعة والصوفية والمخالفين علي العموم
ومما سبق يمكن تحديد المنطلقات الفكرية للتيار السلفي فيما يلي:
ـ الإلتزام بنهج السلف عقيدة وفقهًاوسلوكًا..
ـ تبني المذهب الوهابي..
ـ رفض فكرة التكفير..
ـ رفض فكرة الجهاد..
ـ الاهتمام بالعلم الشرعي..
ـ مقاومة البدع..
أما خطه الحركي فيتركز في التصدي للتيارات والهيئات والأفراد المخالفين وتركيز الجهود الفكرية في مواجهة الشيعة والصوفية والعلمانيين..

قائمة ببعض الكتب المنتشرة في الوسط السلفي :

١ ـ فتيا في حكم القيام والإنحناء والألقاب..
٢ ـ الأسماء والصفات/ لابن عثيمين.
٣ ـ أهوال يوم القيامة/ عبدالملك كليب..
٤ ـ منهاج الفرقة الناجية/ محمد جميل زينو..
٥ ـ تحفة الواعظ/ أحمد فريد..
٦ ـ الجنة دار الأبرار/ أبوبكر جابر الجزائري..
٧ ـ تحريم مصافحة الأجنبية/ محمد إسماعيل..
٨ ـ تنبيهات عامج/ لابن عثيمين..
٩ ـ رسالة في التحاكم لشرع الله/ ابن باز..
١٠ ـ ففروا إلي الله/ أبو ذر القلموني..
١١ ـ صفات الأوائل/ الألباني..
٢١ ـ عقيدة المؤمن/ أبوبكر جابر الجزائري.
٣١ ـ عقيدة أهل السنة/ ابن عثيمين..
٤١ ـ الصلاة/ عبدالملك كليب..
٥١ ـ العقيدة الإسلامية وما يضادها/ ابن باز..
٦١ ـ الأذكار والأدعية للفرقة الناجية: الجزائري..
٧١ ـ الجنة نعيمها والطريق إليها..
٨١ ـ عبادة الأوثان: الأصنام والتماثيل والتصوير..
٩١ ـ السحر والسحرة والوقاية من الفجرة..
٠٢ ـ عذاب القبر ونعيمه..
١٢ ـ العقيدة الإسلامية/ محمد جميل زينو..
٢٢ ـ منهاج المسلم/ أبوبكر جابر الجزائري..
٣٢ ـ الدعوة إلي الله/ ابن باز..

٤٢ ـ حكم السفر إلي بلاد الكفار/ ابن باز..
٥٢ ـ الفكر الذي يعذر صاحبه بالجهل، وحكم من يكفر غيره من المسلمين/ عبدالله البابطين.
٦٢ ـ الدماء الطبيعية/ ابن عثيمين..
٧٢ـ رسالة في بيان الشرك/ عبدالله البابطين..
٨٢ ـ أحكام الجنائز/ محمد حسين..
٩٢ ـ حماية الدين والوطن من غزو الخلاعة والفتن/ عبدالله محمود..
٠٣ ـ النهي عن الاستعانة والاستنصار في أمور المسلمين بأهل الذمة والكفار..
١٣ ـ وجوب إعفاء اللحية/ الكاند هلوي..
٢٣ ـ تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن/ الخطيب الحسيني..
٣٣ ـ إعلان الكير علي المفتونين بالتصوير/ التويجري..
٤٣ ـ حكم الإسلام في التجنس بالجنسية الأجنبية/ مجموعة كتاب..
٥٣ ـ أفات وشرور اللسان..
٦٣ ـ تدهور أخلاق النساء..
٧٣ ـ حجاب المرأة المسلمة..
٨٣ ـ الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخري..
٩٣ ـ التحذير من مختصرات الصابوني..
٠٤ ـ الاستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب..
١٤ ـ تطهير الجنان واللسان من دون الشرك والكفران/ أحمد حجر..
٢٤ ـ مطالع البدور مع منازل السرور في وصف الحور/ مجدي فتحي..

ملاحظات حول هذه الكتب:

أولا: أن هذه الكتب لا تمثل تطورًا فكريًا جديدًا في الخط السلفي..
ثانيًا: أن أغلب مؤلفي هذه الكتب هم من علماء السعودية..
ثالثًا: إن هذه الكتب تعكس قضايا تراثية غير مرتبطة بالواقع..
رابعًا: أن أغلب هذه الكتب مشاع لمن يطبعها..
خامسًا: أن دور النشر السلفية تتنافس فيما بينها علي طبع هذه الكتب ونشرها واستيراد الجديد منها من السعودية ونشره في مصر..
سادسًا: أن كثيرًا من شباب التيار السلفي قد أخذ يجاري هذه الظاهرة ويقلدها ويقوم بتأليف الكتب المنقولة من التراث بالكامل..
سابعًا: أن هناك الكثير من الكتب الأخري التي كتبت بأقلام شباب التيار السلفي والتي هي مقتبسة بالكامل من كتب التراث، أو مبنية علي فتوي معاصرة لأحد علماء السعودية فيما يتعلق بحكم تعليم النساء. وشروط الصلاة والنكاح وحكم الزنا واللواط والسجائر والمخدرات وتلاوة القرآن والتصوير والفن والملابس الإفرنجية الخ..
ثامنًا: أن هذه الكتب تنتسب لكتاب معاصرين من السعودية وقطر ومصر، وقد تعمدنا اختيارهم لنلقي الضوء علي الاهتمامات الفكرية السائدة في الوسط السلفي والقضايا التي تشغله, وهذا لا يعني أن هذه الكتب علي الرغم من انتشارها الساحق بين شباب التيار السلفي وتيارات أخري قد طغت علي كتب ابن تيمية وتلاميذه..
تاسعًا: إنه من الواضح انعدام البعد السياسي في هذه الكتابات..

كتب تراثية منبوذة في الوسط السلفي:

ـــ الإمامة والسياسة لابن قتيبة..
ـــ مروج الذهب والمعادن الجوهر للمسعودي..
ـــ تاريخ الأمم والملوك للطبري..
ـــ النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هامش للمقريزي
ـــ العتب الجميل علي أهل الجرح والتعديل للعلوي..
ـــ الأغانيللأصفهاني..
ـــ الامتاع والمؤانسة أبوحيان التوحيدي..
ـــ العقد الفريد لابن عبد ربه..
ـــ الفتوح لابن الأعثم..
ـــ تفسير النسفي للنسفي..
ـــ تفسير الرازي لفخر الدين الرازي..
ـــ تفسير الكشاف للزمخشري..
ـــ إحياء علوم الدين للغزالي..

ـ نور الأبصار في مناقب آل البيت الأبرار للشبلنجي..
ـ جامع كرامات الأولياء للنبهاني..
ـ بعض كتب المذاهب الفقهية الثلاثة: الشافعي والحنفي والمالكي..

نماذج من الكتب السلفية التي ترد علي المخالفين:
ـ الجواب المفيد في كفر جاهل التوحيد..
ـ القول السديد في أن دخول مجلس الشعب مناف للتوحيد..
ـ إعلان الحرب علي مجلس الشعب..
ـ منه الرحمن في نصيحة الإخوان..
ـ ردع الجاني المتعدي علي الشيخ الألباني..
ـ سمط اللاليء في الرد علي الشيخ الغزالي..
ـ الإستيعاب لأدلة الحجاب والنقاب..
ـ نهي الصحبة عن النزول بالركبة..
ـ المفيد في حكم التماثيل والأناشيد..
ـ الشهب والحراب علي من حرم النقاب..
ـ الرد علي من أجاز تهذيب اللحية..
ـ فوائد البنوك حرام وهاكم البيان..
ـ براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة..
ـ العذر بالجهل والرد علي بدعة التكفير..
ـ إلقاء الأضواء علي ما في كتاب المرأة المسلمة من النقصان والأخطاء..
ـ التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار..
ـ نهاية البيان في أحكام الجان..
ـ النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب..
ـ رفع الجناح عما هو من المرأة مباح..
ـ الرأي السديد في بيان أنه لا يقال فلان شهيد..
ـ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد..
ويلاحظ أن الكتب التي تلقىرواجاً بين المسلمين أو بشعر السلفيون بخطرها على أفكارهم سرعان ما يقوموا بتهذيبها ونشرها من جديد..

هوامش منطلق التيار السلفي

(١) انظر كتاب الحد الفاصل بين الإيمان بالكفر، ومثل هذا الكلام لا وجود له في واقع التيار السلفي, وأقل ما يمكن أن ينتج عنه هو تغيير موقفهم من السعودية التي يعتبرونها قبلتهم، والتي توالي أمريكا (الكافرة) وتدعم الغرب الصليبي بالمال والنفط..
(٢) كاتب هذا البيان هو عبد الرحمن عبد الخالق وهو مدرس مصري يقيم في الخليج منذ فترة طويلة, ويلاحظ أن البيان يعكس الرؤية السلفية تجاه الواقع، والسعودية علي وجه الخصوص، كما يحدد في الوقت ذاته براءة التيار السلفي من كل صور العنف والصدام مع الحكام..
(٣) انظر الكتاب والسنة عقيدة ومنهاج، ويتبين لنا من خلال هذه النقاط موقف التيار السلفي من قضية المذهبية التي يرفضهارفضاً قاطعًا, وللمؤلف كتاب حول هذه القضية تحت عنوان: السلفيون والأئمة الأربعة..
(٤) انظر رسالة في وجوب التحاكم إلي شرع الله..
(٥) انظر فصل موقف الحركة من قضية الحريات..
.. (٦) انظر رسالة القول السديد في أن دخول مجلس الشعب مناف للتوحيد
(٧) انظر قائمة بهذه الكتب في نهاية الفصل..
(٨) أنظر كتاب منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف السعودية للمدخلي..

خامسًا: منطلق الجهاد

اعتمد تيار الجهاد منذ بروزه في منتصف السبعينيات النهج السلفي كمنطلق عقدي له وكانت (رسالة الإيمان) التي وضعها صالح سرية تعد أول أطروحة فكرية تعكس نظرية تيار الجهاد، وجاء المهندس محمد عبد السلام فرج من بعده ليضع كتابه ..(الفريضة الغائبة) الذي اعتمده تيار الجهاد كأطروحة فكرية له في المواجهة مع الحكومة

ومع دخول فترة الثمانينيات وتعدد المجموعات الجهادية برزت عدة أطروحات جهادية وضعها عبود الزمر وأيمن الظواهري وكرم زهدي وعصام دربالة بالإضافة إلي عناصر أخري من الجيل الجديد..(١)

إلا أن ما يجب ملاحظته هنا هو أن تلك الأطروحات لم تتجاوز الخط السلفي، بل تشبعت به وبدت في صورة أكثر تطرفًا في مواجهة الواقع من أطروحتي سرية وفرج,,(٢)

ويبدو البعد السلفي أكثر وضوحًا في أطروحة الجماعة الإسلامية من تيارالجهاد الذي يتبني السرية المطلقة وبعض المفاهيم السياسية , بالإضافة إلي المرونة في التعامل مع الواقع,,(٣)

وسوف نعرض هنا المقارنة بين رسالة الإيمان والفريضة الغائبة لفرج ثم نعرض لفتوي ابن تيمية الشهيرة الخاصة بقتال الحكام، والتي كان لها أكبر الأثر في حركة الجهاد وصدامه مع الواقع..

الفريضة الغائبة

إكتسب كتيب الفريضة الغائبة أهمية كبيرةنظرًا لارتباطه بحادث الاغتيال واعتبر وثيقة التنظير الفقهي التي اعتمد عليها تنظيم الجهاد في إباحته لدم السادات واستحلاله للمال العام, ومحاولة قلب نظام الحكم..

ويحسن بنا أن نقف هنا علي أهم النقاط التي طرحها الكتيب المذكور:

النقطة الأولي: موقف علماء المسلمين المعاصرين من فريضة الجهاد، وقد اتهمهم الكتاب بتجاهل هذه الفرصة وإهمالها بالرغم من أهميتها القصوي، وبالرغم من علمهم أنها السبيل الوحيد لعودة الإسلام ورفع صرحه من جديد علي حد تعبير الكاتب..

النقطة الثانية: أن القوة هي السبيل الوحيد لعودة الإسلام، وقد أشار الكاتب إلي أن طواغيت هذه الأرض ـ ويقصد بها الحكام ـ لن تزول إلا بقوة السيف..

النقطة الثالثة: أن إقامة الدولة الإسلامية واجبة لتحكم بما أنزل الله وأن إقامة هذه الدولة ليست مستحيلة في هذا الزمان.

النقطة الرابعة: أن الأحكام التي تعلو المسلمين اليوم هي أحكام كفر..

النقطة الخامسة: أن حكام هذا العصر في ردة عن الإسلام..

النقطة السادسة: إن إعانة الخارجين علي شريعة الله ـ الحكام وأعوانهم حرام..

النقطة السابعة: أن حكام اليوم تنطبق عليهم أحكام التتار الذين عاصرهم ابن تيمية وأفتي بردتهم..

النقطة الثامنة: رفض الجمعيات والهيئات التي تعمل باسم الإسلام كجمعية الشبان المسلمين والأزهر باعتبارها تأمر بأوامر الحكومة، وتعمل في دائرة خطها العام..

النقطة التاسعة: رفض فكرة الإصلاح عن طريق تولي المناصب والمراكز في الدولة ورفض فكرة الدعوة بالحكمة وإقامة قاعدة جماهيرية كسبيل لإقامة الدولة الإسلامية..

النقطة العاشرة: رفض فكرة الهجرة من المجتمع، وكذلك رفض فكرة طلب العلم والانشغال به عن الجهاد..
النقطة الحادية عشرة: أن قتال الحكام أولي من قتال الاستعمار باعتبار أن الحاكم هو سبب وجود الاستعمار وهم العدو القريب كما ذكر الكاتب..
هذه هي أهم النقاط التي وردت بكتاب الفريضة الغائبة وهي علي ما يبدو تعتبر انقلابًا في المفاهيم السائدة في أذهان الناس عن الإسلام, وخاصة في بلد كمصر يأخذ الناس فيه الدينأخذًا ليّنًاومتساهلاً, ولكنها علي كل حال لم تكن مفاجأة للعاملين في الحقل الإسلامي بمصر بشتي تياراتهم وتوجهاتهم, بحكم أنهم يملكون رصيدًا من الوعي التراثي الفقهي، الذي اعتمد المؤلف عليه كمرجع أساس في تأليف كتابه..
وقد احتوي كتاب الفريضة الغائبة علي أطروحات تراثية بحتة خالية من أي بعد سياسي أو تنظيمي، تلك الأطروحات التي تكتظ بها كتب الفقه وأخرجها محمد عبد السلام، وحاول ربطها بالواقع وبالحركة الإسلامية، من هنا يمكن القول أن الكتاب المذكور إنما هو محاول لعرض فريضة الجهاد من منظور سلفي وهو يعكس مدي هيمنة الطابع السلفي علي تفكير المؤلف..

رسالة الإيمان

حوت رسالة سرية النقاط التالية:
١ ــ الحكم بتكفير الحكام وجاهلية المجتمع واعتباره دار حرب..
٢ ــ جواز العمل الحزبي والإسلامي والمساهمة من خلاله في الانتخابات ودخول البرلمان والمشاركة في الوزارات إذا كانصريحًا بأنه يسعي من هذا الطريق للوصول إلي السلطة وتحويل الدولة إلي دولة إسلامية..
٣ ــ يجوز للمسلم أن يدخل في مختلف إختصاصات الدولة بأمر من الجماعة الإسلامية يستغل منصبه لمساعدة الجماعة للحصول علي السلطة، أو التخفيف عنها في حالة المحنة أو إفادتها بأي طريق, ولا مانع أن يصبحوزيرًا حتي مع حكم طاغية إذا كان بهذه النية..
٤ ــ الجهاد هو الطريق لإقامة الدولة الإسلامية..
٥ ــ لا يجوز موالاة الكفار والأنظمة الكافرة، ومن فعل ذلك فهو كافر..
٦ ــ من مات دفاعًا عن حكومة كافرة ضد من قاموا لإقامة الدولة الإسلامية فهو كافر إلا إذا كان مكرهًا فإنه يبعث علي نيته..
٧ ــ من اشترك في حزب عقائدي غير إسلامي فهو كافر، كذلك من اشترك في جمعية عالمية كالماسونية، أو أعتنق فلسفة مخالفة كالوجودية أو البرجمانية..
٨ ــ كل من ينفذ أوامر الدولة الكافرة ضد الإسلام والحركة الإسلامية فهو كافر..
٩ ــ في حالة وجود مرشح إسلامي وأمامه مرشح إشتراكي أو قومي أو شيوعي، وانتخب الفرد غير الإسلامي فإنه يكون كافرًا بهذه المواقف..
١٠ ــ كل القوانين المخالفة للإسلام في الدولة فهي قوانين كفر وكل من أعدها أو ساهم في إعدادها أوجعلها تشريعات ملزمة فهو كافر كذلك من طبقها دون اعتراض عليها أو إنكار لها..
١١ ــ تحية العلم والجندي المجهول والسلام الجمهوري من طقوس الجاهلية، وهي صورة من صور الشرك..
٢١ ــ الذين يحاربون دعاة الإسلام لأنهم يمزجون الدين بالسياسة كفار لأنهم قصروا الإسلام علي جانب، وكفروا بالجوانب الأخري..
٣١ ــ المعارضون لأحكام الإسلام الذين يتهمون الدين بالتخلف والرجعية كفار كذلك الذين يعترضون علي حكم من أحكام الله ولا يرضون عنها مثل الذين يعترضون علي الزي الإسلامي ويتهمونه بالتخلف فإن هؤلاء غير راضين عن الإسلام أصلاً..
٤١ ــ التفريق بين الإمتناع الجماعي والإمتناع الفردي، بمعني أن الترك الجماعي لأي ركن من أركان الإسلام كفر.
وهذا الأمر يكشف لنا مدي قابلية سرية للإنفتاح علي الواقع والإجتهاد في الأمور والمسائل التي تخص العمل الإسلامي، بينما لا نري هذا الأمر واضحًا عند عبدالسلام لتقيده الحرفي بالتراث والتزامه الدقيق بآراء الفقهاء في شتي المسائل والقضايا التي تتعلق بممارسة الجهاد والموقف من الواقع..
إن ظروف حادثة الفنية وتوقيتها لم يتح الفرصة الإعلامية للتركيز علي سرية ورسالته, بعكس الظروف والملابسات التي مر بها كتاب الفريضة الغائبة، والتي خدمته إعلاميًا بشكل يفوق حجمه الفكري وأطروحته السلفية..،
ومن خلال هذه النقاط يتبين لنا مدي الاختلاف في الموقف من الواقع والتعامل مع هيكله ومؤسساته بين سرية وعبد السلام، ولعل سبب هذا الخلاف يعود إلي طبيعة الشخصيتين، فشخصية سرية التي تنسب لفلسطين وتجاربه في دائرة الثورة الفلسطينية والتنظيمات الإسلامية, بالإضافة إلي ثقافته, تختلف تمامًا عن شخصية محمد عبد السلام خريج الهندسة الذي لم يمارس تجارب ذات أهمية بحكم نشأته في الواقع المصري الذي يسوده الجمود والفقر الثقافي، وبحكم ثقافته التراثية..
وعليه فإن الأطروحات المرنة التي طرحها سرية من خلال رسالته كجواز العمل الحزبي الإسلامي، ودخول الإنتخابات والمشاركة في الوزرات والعمل في مختلف اختصاصات الدولة لأجل خدمة الحركة الإسلامية ودعمها، كل ذلك أصبح مرفوضًا من قبل تيار محمد عبد السلام، ومن تيار الجهاد بصفة عامة..

وبالمقارنة بين الأطروحتين نجد أن أطروحة سرية هي أقرب إلي الواقع وإلي النضج السياسي, من أطروحة فرج ,والتي حوت إشارات تتعلق ببعض الممارسات الحركية للأفراد العاملين في صف جماعة الجهاد, كاستحلال المال العام وأموال الكتابيين من اليهود والنصاري وتسخيرها في خدمة أهداف الجماعة، وكذلك استحلال دماء المحاربين للإسلام سواء أكانوا من جنود الحكومة أو من الكتابين الذي يقومون بنشاطات معادية للأسلام، وهناك إشارات تتعلق ببعض الممارسات التنظيمية كتبني الخداع والكذب في مواجهة الأعداء, وجواز الانغماس في صفوف الكفار, إن كان في ذلك مصلحة للمسلمين كما ذكر ذلك ابن تيمية..

أما عبود الزمر فيعرف منهج جماعة الجهاد بقوله: هو مجموعة الأفكار والإجراءات التي تحدد الطريق الذي تنتهجه في هذا الواقع لتحقيق الغاية العظمي التي من أجلها وضع هذا المنهج, وذلك بالوسائل المشروعة وفي ضوء الإمكانيات المتاحة، أو بمعني آخر هو ذلك الإطار المنضبط بالشرع الحنيف, الذي يوجه ويحكم حركة الجماعة في طريقها نحو إحلال البديل الإسلامي محل الأنظمة الجاهلية..

ثم يحدد عبود مصادر المنهج في النقاط التالية:

ـــ القرآن الكريم..

ـــ السنة المطهرة..

ـــ الإجماع..

ـــ أقول أئمة السلف..

ـــ الفتاوي المباشر للعلماء المعاصربين الثقات في القضايا الجديدة لضمان الضبط الشرعي الصحيح للفكر والحركة..

وعن خصائص المنهج يقول:

ـــ التجرد المطلق في طرح قضايا الإسلام فهو السبيل الوحيد للوصول إلي الحق..

ـــ الشمول في غير تجزئة ولا نقصان حيث لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاط به من جميع جوانبه.

ـــ الوضوح في مواجهة الجاهلية ومفاصلتها وتحديد المواقف من أهل البدع والأهواء..

ـــ الفاعلية في علاقة الإنسامن بربه وتأثيره في المجال البشري الذ يحيط به..

ـــ الواقعية في تناول قضايا الواقع ومعالجة أمور الدين فيها كما أمر الله ورسوله كالإستفادة العلمية من العلوم الواقعية النافعة لإدارة الحركة والدولة..

ـــ إنه دعوة سلفية أصولية للعودة إلي منهج واعتقاد السلف الصالح في عصر ساد فيه الإنحلال..

ـــ الأتزان الحركي في البناء والمضيقدمًا نحو الهدف، ما يتطلبه ذلك من مفهوم القدرة وحد الإستطاعة المادي والتنظيمي..

وتبرز أهمية المنهج في كونه يحدد رؤية إسلامية صالحة للتطبيق في الواقع القائم, كما يساعد علي تجميع الاتجاهات الإسلامية ويقضي علي ظاهرة الشخصانية في الوسط الإسلامي, ويحمي الجماعة من تحمل الأخطاء الفردية لقادتها وأعضائها, حيث يكون هو مقياس الخطأ والصواب, وهو من جهة أخري يعمل علي توجيه طاقات وحركة الجماعات المختلفة بما يحقق الفائدة المرجوة لصالح الحركة الإسلامية, وتختفي بوجوده الخلافات الفكرية التي تنشأ داخل الكيان الواحد..

ويهدف المنهج إلي إحداث الوحدة المرجوة بين أوصال الحركة الإسلامية لتكون يدًا واحدة علي من سواها, ورسم وتحديد معالم الطريق الذي ينبغي أن تسلكه بالسبل المشروعة, لتحقيق غايتنا المنشودة بكل أبعادها وحماية حركة الجماعة من الإنحراف, أو الشطط علي المدي القريب أو البعيد, وإعداد جيل علي مستوي من الفهم والوعي بقضيته, وقادر علي تحقيق الأهداف المنوطة بالجماعة..

وتنحصر عناصر المنهج فيما يلي:

أولا: الغاية: هي إرضاء المولي عز وجل وذلك يكون بالإخلاص له سبحانه وبمتابعة سنه نبيه [وذلك لأن الإخلاص والمتابعة هما شرط قبول العمل كما قال ابن القيم الجوزية..

ثانيًا: إعادة الخلافات الإسلامية: حيث إنه إعادة لما تتحقق عبودية الناس به لله تعالي وقد أجمع العلماء علي وجوب تنصيب خليفة، والخلافة التي نعنيها هي خلافة علي نهج النبوة تقوم علي حراسة الدين وسياسة الدنيا..

ثالثًا: الأسس: وهي القواعد الأساسية التي يرتكز عليها وفكر الجماعة وتعتبر بمثابة الضابط الذي يحكم حركتها نحو تحقيق الأهداف المنوطة بها وهذه الأسس وهي:

ـــ السلفية: وذلك بالعودة إلي الكتاب والسنة بفهم السلف لصالح في مجال الإعتقاد ومجال الفهم وحدود الإجتماع والإختلاف..

ـــ العلمية: وذلك بالإستفادة من العلوم الواقعية النافعة للحركة الإسلامية والإستعانة بشخصيتها مثل العلوم السياسية والعسكرية والاقتصادية والإدارية والتنظيمية والإعلامية..

ـــ الإنقلابية: وهي الرفض المطلق لكل النظم والمجتمعات الجاهلية لصدورها عن غيرالإسلام والإنقلابية التي نعنيها هي التغيير الجذري في شتي مناحي الحياة وصورها..

ـــ الشمولية: وهي عدم التجزئة في أخذ الإسلام أو تطبيقه..

رابعًا/ الواقع: إنه من الضروري أن تكون الحركة الإسلامية علي وعي كامل ودارية تامة بالواقع الذي تعيش فيه إذ أن

المتناول لهذا الواقع بالتشريح ينتهي إلي حتمية إحلال البديل الإسلامي المنشود..
والواقع ينقسم إلي ثلاثة أقسام:
ــ واقع العالم: بعد أن خفت صوت الإسلام وخبا حكمه من جنبات الأرض بسقوط الخلافة الإسلامية عام ٤٢٩١علي أيدي المتآمرين وأن الشيطان أن يستكمل صولته ويتم وثبته ليبسط نفوذه علي البسيطة بأسرها..
ــ واقع الأمة الإسلامية: وبعد أن إزدهرت الإمة الإسلامية في ظل الخلافة الإسلامية ثلاثة عشر قرنًا من الزمان ساد فيها المسلمون الدنيا بأسرها، ومع تدفق الناس إلي دين الإسلام كثر الغثاء وقل النقاء فأصبح الكثير من المسلمين لا يمثلون الإسلام كما مثله المسلمون الأوائل..
ــ الجماعات الإسلامية: وفي المقابل وعلي الجانب الآخر بقيت الجماعات الإسلامية علي تعددها وتشتتها اختلافات في تقدير الإمكانيات وتقييم الواقع وإختيار الوسائل فإن جاز للبعض أن يفترق من أجل خلاف في الاعتقاد يوجب المفارقة فالواجب في حق المثقفين الإتحاد..
خامسًا:/ البديل.. إن البديل الإسلامي المنشود المتمثل في الخلافة الإسلامية علي نهج النبودة أصبح ضرورة لإنقاذ العالم من جاهليته وأمسي عبئًا ملقي علي عاتق الجماعات الإسلامية تترنح به كواهلهم التي أعيتها الفرقة والخلاف وإن كان الهدف واحد والغاية سامية..
سادسًا/ الطريق أصبحلزامًا علينا أن نرسم الطريق الذي ينبغي علينا أن نسلكه إلي غايتنا العظمي, مستخدمين الوسائل والأساليب المشروعة لتحقيقها ,فلا نقول بالمقولة الباطلة إن الغاية تبرر الوسيلة, لأن الله طيب لايقبل إلا طيبًا فلم يترك الإسلام وسائل تحقيق أهدافه دون تحديد بل إنه أرسي دعائمها في دقة وإتقان لا مثيل لها..
ونحن كحركة شمولية في تناولها للإسلام في مجال الآخذ أو التطبيق, لا نري صواب قصر وسائل تحقيق الأهداف علي أي من السبل المشروعة, كالجهاد أو الدعوة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ إن المنهج الانقلابي هو ذلك الطابع الذي يصبغ حركة جماعتنا نحو تحقيق غايتها السامية, وذلك بالثورة الإسلامية علي النظم الجاهلية القائمة واقتلاع جذور الباطل وإحداث التغيير الشامل في كل جوانب الحياة بإحلال البديل الإسلامي رافضين بذلك كل الحلول الجزئية الرامية إلي التدرج في التطبيق أو تطبيق الحدود فقط.
وتشتمل عملية البناء والتكوين في تصور عبود علي ما يلي:
ــ التعليم، أي تعلم العلوم الشرعية والعلوم الواقعية.
ــ التربية، ويتم من خلالها إعداد الإنسان الصالح الذي يقي بشرط الخلافة في الأرض. وتربيته روحيًا وبدنيًا.
ــ الإعداد، وهو مجموعة الأعمال التي تقوم بها قيادة الجماعة وأجهزتها التنفيذية المختصة بغرض إعداد الأعضاء بكافة مستوياتهم ليكونوا قادرين علي تنفيذ المهام المنوطة بهم مع توفير الامكانيات التي تقي باحتياجات الخطة العامة في هذا الشأن..
وتري جماعة الجهاد أن الدعوة إلي الله واجب متعين عليها منوط بالقدرة, يسقطه إختصاص طائفة منها بذلك, والأصل في الدعوة العلانية، وقد يلجأ الدعاة إلي الأسرار بهآخذًا بالحيطة والحذر, كما نري الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, وذلك بدعوة غير المسلم إلي إعتناق الإسلام والعصاة من المسلمين إلي إلتزام شرع الله، وهو واجب متعين علي أفرادها حال رؤيتهم للمنكر حتي يزول..

منطلق الجماعة الإسلامية

خطفت الجماعة الإسلامية الأضواء من المجموعات الجهادية الأخري بكثرة صداماتها مع الحكومة، إلا أن هذه الصدامات تقوم علي أساس عقائدي وفكري يعد أن أضعف من مطلق جماعة الجهاد, علي الرغم من تبنيها نفس المنطلقات الفكرية السلفية, ففي الوقت الذي تتبني فيه الجماعة الإسلامية مجاهدة الحكومات لا تري في نفس الوقت كفرها إلا وفق ضوابط فقهية شديدة ومعقدة, ونفس الوضع ينطبق علي الجماهير، وحتي علي رجال الأمن الذين يواجهونهم..

وقد حدث صدام بين الجماعة وبين جماعة الجهاد داخل السجن بسبب الموقف الشرعي من الجماهير ورجال الأمن, حيث تبنت الجماعة قضية العذر بالجهل, أي عذر الجماهير ورجال الأمن وحتي وزير الداخلية عدوهم اللدود وغيره من الوزراء, باستثناء رئيس الجمهورية , الفكرة التي ترفضها جماعة الجهاد والتي رفضت التسليم بإمامة عمر عبد الرحمن لتيار الجهاد بسبب عماه, بينما أصرت الجماعة الإسلامية علي إمامته لتوافر الشروط الفقهية فيه,,(٤)

وتعتبر الجماعة الإسلامية أن مجرد تطبيق الشريعة الإسلامية من قبل أي حكومة كاف وحده للحكم عليها بالإسلام وموالاتها، وعلي هذا الأساس أيدت الجماعة جعفر نميري حين تبني فكرة التطبيق في السودان كما أعلنت تأييدها لضياء الحق في باكستان لنفس السبب، ولنفس السبب أيضًا تقف نفس الموقف من آل سعود,,(٥)

وقد قامت الرموز الرئيسية الثلاثة في الجماعة الإسلامية وهم ناجح إبراهيم وعاصم عبدالماجد، وعصام دربالة بوضع نظرية الجماعة التي أسموها **(ميثاق العمل الإسلامي)** ذلك الميثاق الذي حدد فلسفتها ونظريتها وأيديولوجيتها العامة في تسع نقاط قاموا بشرحها ,وتجميع الأدلة من الكتاب والسنة حولها ,وتحصينها بأقوال السلف وأفعالهم..

وهذه النقاط التسع هي التي يتحدد فكر الجماعة ومواقفها علي أساسها، وهي التي تشكل المنظار العقدي والسياسي لها كما تشكل من جهة أخري دستورها الشرعي الذي تقيس علي أساسه كل الأحداث والمتغيرات التي تجري وتدور من حولها..

وقد استفتح الميثاق بذكر قوله تعالي:**{وعد الله الذين أمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضي لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا يعبدونني لا يشركون بي شيئًا}** النور/ ٥٥,

والميثاق يحدد في وضوح أنه يجب علي المسلم،أولاً أن يجعل الله غايته، وأن يتجرد ويخلص له ويلتزم لتزامًادقيقًا بسنة نبيه وأن يتبني بالإضافة إلي هذا عقيدة السلف، أي عقيدة أهل السنة والجماعة، بكل تفاصيلها وجميع جوانبها، وهذا يقتضي منه نبذ العقائد الأخري ومحاربتها كعقيدة الشيعة والصوفية، والمسلم مطالب أيضًا في نظر الجماعة أن يفهم الإسلام بشموله، أي يفهمه كدين ودولة ، ومصحف وسيف، وعبادة وشريعة، وأخلاق وسياسة، ولكن علي طريقة السلف وليس علي طريقة أهل العصر..

والميثاق حدد هدف الجماعة وهو إدخال أناس في عبودية الله، ونقلهم من حياة الشرك والجاهلية التي يعيشونها ليعيشوا عبادًا صالحين في ظل دولة إسلامية راشدة, فذلك هو الهدف الذي خلفهم الله لأجله **{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}** الذاريات ٦٥,,

أما الطريق لتحقيق دولة الخلافة فهو الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, أي طريق البيان وتعبئة الجماهير وتوعيتها ــ والجهاد في سبيل الله أي مواجهة الحكام المبدلين لشرع الله, الذين لايحكمون بما أنزل الله وخلعهم وتنصيب

الخليفة العادل..
يقول الميثاق: إن الجهاد حتمية يفرضها الشرع وتمليها علينا عدة فروض شرعية في مقدمتها الاجماع ـ أي إجماع علماء السلف علي وجوب خلع الحاكم الكافر, وإجماعهم علي وجوب قتال أي طائفة ذات شوكة تمتنع عن شرائع الإسلام، وإجماعهم علي وجوب نصب خليفة عادل للمسلمين..

إن الجهاد حتمية مفروضة علي المسلمين..
ـــ حتمية تمليها طبيعة هذا الدين..
ـــ حتمية تدفع إليها الجاهلية..
ـــ حتمية يحكيها التاريخ..
لقد جاء الإسلام ليحدد للمسلمين إن الله وليهم **{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا}**
وهذه هي البداية الصحيحة أن نقطع عن القلوب كل ولاء إلا لله سبحانه ولرسوله وللمؤمنين..
هذه هي الوشيجة..
هذه هي الرابطة..
وما عدا ذلك فجاهلية عمياء سواء كانت رابطة الدم والنسب أو رابطة الأرض والوطن أو رابطة القوام والعشيرة أو رابطة اللون واللغة..
كلها روابط جاهلية وقد أسقط الإسلام كل هذه الولاءات..
إن الجماعة والعمل الجماعي هو الترجمة الوحيدة لأمر الله ورسوله بالوحدة وعدم الفرقة وبالتعاون علي البر والتقوي وبالإعتصام بدينه وهي الصورة الصحيحة للموالاة الكاملة بين المؤمنين..
وإن ترك العمل الجماعي وتفضيل الفردية والعشوائية في العمل عليه إنما يعني معصية أمر الله ورسوله ..
ثم حدد الميثاق دائرة العداء (الظالمين) كما حدد للجماعة غاية واحدة، وفكر واحد، وعقيدة واحدة تجتمع عليها وهي كما ذكرنا، عقيدة السلف فهي الطريق الوحيد الذي من الممكن أن تجتمع الجماعة في دائرته مع أي راية فكرية أخري، أي أنه ليست هناك وحدة إلا تحت راية السلف وفي ظل عقيدتهم..
ولا شك أن إلقاء الضوء علي ميثاق الجماعة سوف يكون له أثره في فهم منظورها للواقع والأحداث ومواقفها وممارساتها فيما يتعلق بالعمل السياسي والتي سوف تعرض لها في الفصول القادمة..

ومما سبق يمكن تحديد المنطلقات الفكرية لتيار الجهاد والجماعة الإسلامية فيما يلي:
ـــ تبني فكرة الصدام المسلح مع الواقع والحكام وتكفيرهم..
ـــ تبني عقيدة أهل السنة وعقائد ونهج السلف..
ـــ تبني الخط الوهابي..
ـــ تبني العداء والمواجهة مع التيارات والهيئات المخالفة..
ـــ تبني مقاومة البدع والضلالات..
ـــ إقامة دولة الخلافة..
ـــ الانفتاح على الواقع بقدر محدود حسب الحاجة..

جدول يبين أهم نقاط الخلاف بين رسالة الإيمان والفريضة الغائبة
نقطة الخلاف
المجتمع
الحكومات
العمل السياسي
الجهاد
الجماهير
الاجتهاد
تولي المناصب الرسمية

رسالة الإيمان
جاهلي
كافرة
جائز
وارد
حسب موقفها من الإسلام والحكومة

وارد
وارد

الفريضة الغائبة
جاهلي
كافرة
غير جائز
وارد
مسلمة

غير وارد
غير جائز

هوامش منطلق الجهاد والجماعة الإسلامية

(١) أبرز نقاط أطروحتي الزمر والظواهري هي تشددهم في مواجهة الإخوان المسلمين والعلماء الذين اعتبروا عملاء للحكومات وينطبق عليهم ما ينطبق علي هذه الحكومات من الكفر والجهاد, أما أطروحة عاصم دربالله فهي أطروحة سلفية بحتة تمثل خطة الجماعة الإسلامية..
(٢) تجاوزت المجموعات الجديدة من تيار الجهاد القضايا والمفاهيم التي طرحها سرية وفرج بخصوص التعامل مع الواقع، واستباحته, فقد كفرت هذه المجموعات العلماء وحتي الجماهير في أغلب الأحيان والتيارات الإسلامية المعتدلة..
. (٣) أنظر مقارنة بين تيار الجهاد والجماعات الإسلامية في نهاية باب التيارات.
(٤) أصدر تيار عبودمنشورًا داخل السجن تحت عنوان عدم جواز إمامة الأعمي، وقد ردت عليه الجماعة الإسلامية..
(٥) أرسل عمر عبدالرحمن برقية تأييد لجعفر النميري من داخل السجن أثناء محاكمة الجهاد واعتبرت الجماعة كل من طبق الإسلام فهو مسلم، حتي لو كان حسني مبارك, وقد توقفت الجماعة سنوات طويلة في السادات حتي حكمت بكفره واستباحة دمه, بعد أن أعلن رفضه لفكرة الربط بين الدين والدولة, وتهكمه علي الحجاب واعتقاله للعلماء قبيل مصرعه عام ١٨، ولولا إكتشاف فتوي ابن تيمية الخاصة بالحكام معطلي الشرائع ما كان قد قتل السادات, وقد صدرت بعد ذلك فتوي من الدكتور عمر بتكفير مبارك أعتمدتها الجماعة..

سادسًا: منطلق الشيعة

يتميز الشعب المصري بميله الشديد نحو أهل البيت وحبه الكبير لهم. ويبدو هذا الأمر بوضوح في حركة الزيارات المستمرة لمقامات آل البيت, خاصة مقام رأس الحسين والسيدة زينب، والسيدة نفيسة..

والجدير بالذكر أن الحكومة تعلن حالة الطوارئ في جهاز الأمن كل عام عندما يحل الإحتفال بمولدهم حيث تتدفق الملايين من أبناء الشعب المصري علي القاهرة لإحياء ذكراهم كما تعلن حالة الطوارئ في مواصلات الأقاليم التي تربط المحافظات والمدن الأخري بالقاهرة..

ولقد ساعدت عقيدة حب أهل البيت لدي الشعب المصري علي انتشار الطرق الصوفية وشيوعها بين صفوفه, خاصة في المناطق الريفية لكونها الجهة الإسلامية الوحيدة التي ترفع شعار آل البيت..

ومن جهة أخري ساهمت تلك العقيدة بطريق غير مباشر في انتشار التشيع بين المصريين, وذلك لكون الشيعة يرفعون شعار أهل البيت أيضًا ولكن بمضمون آخر أكثرشمولاً والتزامًا من الطرق الصوفية..

والفارق الجوهري بين السنة والشيعة هو أن الشيعة يحصرون مصدر التلقي والإتباع في أهل البيت وحدهم بينما السنة يتلقون الدين من الجميع بلا تمييز دون أهل البيت..

والدعوة إلي التشيع في مصر ليست وليدة اليوم، وهناك الكثير من العائلات المصرية المتشعية أبًا عن جد، وقد برزت عدة هيئات شيعية في مصر في فترة الستينات والسبعينيات، وعندما كانت العلاقات وطيدة بين مصر وإيران في عهد الشاه المخلوع،..

وفي مقدمة الهيئات الشيعية التي كانت تمارس نشاطها في مصر جماعة التقريب. والتي ضمت إليها الكثير من علماء الأزهر, كما كانت هناك جمعية أهل البيت التي حلت بعد قيام الثورة في إيران، وجميع أعضائها ومؤسسيها من الشيعة المصريين، وذلك بالإضافة إلي النشاطات التي كانت تمارسها المراكز الثقافية التابعة لإيران والعراق في السبعينيات خاصة في معرض القاهرة الدولي للكتاب, حيث كانت توزع كميات كبيرة من كتب الفقه الشيعي بحكم كونه يمثل تراث البلدين..

ومن بين كتب الشيعة التي طبعت في مصر في منتصف السبعينيات:

كتاب أصل الشيعية وأصولها والمراجعات الذي يضم مناقشة علمية بين أحد علماء الشيعة، وبين شيخ الأزهر الراحل سليم البشري وكتاب عقائد الشيعة ومصادر الحديث عند الإمامية، وعلي ومناوئوه, والشيعة وفنون الإسلام..

وهذه الكتب وغيرها لاتزال تباع في أسواق الكتب والمعارض حتي اليوم, كما أن دور النشر اللبنانية الشيعية وغيرها تأتي بالكثير منها في معرض القاهرة الدولي للكتاب كل عام.

عقيدة الشيعة

تتركز عقيدة الشيعة حول قضية الإمامة فهذه القضية هي ما يميز الطرح الشيعي عن الطرح السني وشتي الأطروحات الأخري، والإمامة أصل من أصول الدين عند الشيعة بالإضافة إلي أصل التوحيد. (لا إله إلا الله) وأصل النبوة (محمد رسول الله) وأصل المعاد أي الإيمان بالغيب ومتعلقاته مثل الإيمان بالكتب وبالرسل والملائكة والحساب والجنة والنار, وأصل العدل أي نفي الظلم عن الله سبحانه, والإمامة والإقرار بإمامة علي الحسن والحسين وسائر الأئمة الأثني عشر..

ومفهوم الإمامة يتلخص في كون الأئمة نواب الرسول وحججه علي العباد من بعده ,من منظور أنه ما دام الرسول هو خاتم الرسل فلابد أن يكون قد وضع للأمة من بعده مرجعًا لحفظ الدين وتبليغه للناس، وإقامة الحجة عليهم، وذلك لحسم الخلاف والردة التي تسود الأمة بعد غيابه..

والردة والخلاف سنة ثابتة مرت بها جميع الأمم، ولابد أن تمر بها أمة محمد ، ومن غير الجائز شرعًا وعقلاً في منظور الشيعة أن يموت الرسول (ص) دون أن يضع للأمةخطوطًا واضحة تسير عليها من بعده، مادامت سوف تقع فيما وقعت فيها الأمم السابقة ,خاصة أنه لا نبي بعده, فحاجة الأمة إلي هذه الخطوط أشد وأكثر ضرورة..

وهنا تبرز فكرة الوصية حيث أن الشيعة يعتقدون أن الرسول أوصي لعلي من بعده بالإمامة، إلا أن الأمة خالفت هذه الوصية وبالتالي وقعت فيما وقعت فيه الأمم السابقة وقد امتدت آثار هذا الانحراف إلي عصرنا الحالي..

ولا تزال آثاره تنعكس علي الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان, إذ أتخذ المسلمون حكامًا من بعد الرسول أحلوهم مكان الأئمة واستعان هؤلاء الحكام بفقهاء لإضفاء المشروعية عليهم، وبالتالي برزت صورة أخري للإسلام تفوح منها رائحة السياسة والمصالح،..

وأمام هذا الوضع اعتصم الشيعة بأئمة أهل البيت واعتبروهم الحجج الإلهية التي تعبر عن الإسلام الصحيح الذي ورثه لهم الرسول ورفضوا الصورة الأخري من الإسلام التي فرضها علي الأمة الحكام (الإسلام السني)..

ولا تنحصر أدلة الشيعة فيما يتعلق بقضية الإمامة في حدود العقل وحده بل إن الشيعة يعتقدون أن الإمامة قضية شرعية أوجبتها نصوص القرآن والروايات الصحيحة الواردة عن الرسول (ص) قبل أن يوجبها العقل,,(١)

وإن فكرة الإمامة هي استمرار لفكرة النبوة وامتداد لها، وكان ارتباط الشيعة بأئمتهم يمثل تحديًا للحكام علي مر الزمان, كما كان حصرهم مصدر تلقي الدين في حدودهم قد آثار فقهاء الاتجاه الآخر الذين حصروا مصدر التلقي في الصحابة والتابعين وغيرهم ممن لا يعترف بهم الشيعة,,(٢)

ولقد أدي هذا الموقف إلي اضطهاد الشيعة وأئمتهم من قبل الحكام والفقهاء، وحتي العامة الذين كان يحركهم الفقهاء، وعاش التشيع مراحل من الإرهاب الفكري والبطش والتنكيل طال الأتباع، كما طال الأئمة الذين قتلوا جميعهم علي أيدي الخصوم والحكام بداية من الإمام علي وحتي الإمام العسكري الحادي عشر..(٣)

ونظرًا لإندثار معظم الفرق التي كانت تواجه فرقة أهل السنة وتعرقل مسيرتها ,فمن ثم لم يبق في مواجهتهم اليوم سوي الشيعة, ولكون الشيعة يملكون أطروحة متماسكة ترتكز علي الكتاب والسنة برواية آلي البيت, بالإضافة إلي فقههم وعلومهم ,فقد أصبحوا بالتالي يشكلون تحديًا لأهل السنة ولأطروحتهم التي تعتمد علي الكتاب والسنة برواية الصحابة والتابعين وغيرهم , بالإضافة إلي تراث الفقهاء المختلفين من المذاهب الأربعة وغيرهم, ذلك التراث الذي فتح ثغرات في خط أهل السنة ,خاصة أنهم لا يتحفظون في مصدر التلقي – استثمرها الحكام علي مر الزمان,,(٤)

ورغم الضغوط استمر التيار الشيعي في التنامي والانتشار، واستمر الطرف الآخر في حربه وعرقلة مسيرته..

والتيار الشيعي في مصر اليوم كان يعيش الطور التقليدي حتي جاءت الثورة الإسلامية في إيران فزجت به في خضم السياسة ,والتآمر لقلب نظام الحكم نتيجة للموقف الحكومي المتحالف مع أمريكا والسعودية ضد إيران..

ومنذ قيام الثورة الإسلامية سلطت الأضواء علي الشيعة في مصر, وأعلنت عليهم الحرب من قبل الحكومة والتيارات الإسلامية..

وقد أسهمت هذه الحرب في الدعاية للتيار الشيعي وإبرازه، بل وزيارة انتشاره, ويمكن القول أن التيار الشيعي ينطلق فكريًا من خلال الطرح الشيعي القائم علي أساس فكرة الإمامة وولاية آل البيت والتبري من أعدائهم..

والطرح الشيعي يتميز بالمرونة في مواجهة الواقع كما يتميز باحترام العقل. والمرونة والعقل هما ما يميزانه عن الأطروحات الأخري، وبالتالي فإن التيار الشيعي يتبني تصورات حركية هي أبعد ما تكون عن التيارات الأخري..

كما يتبني العقل ويعطيه قدره ومكانته التي أوجبها القرآن وحض عليها..

وعلي ضوء العقل نبذ الشيعة جميع الروايات المنسوبة للرسول التي تتعارض مع القرآن ولا يقبلها العقل، فمن ثم جعلوا العقل المصدر الثالث للفقه بعد الكتاب والسنة..

ولكون الشيعة توالي آل البيت وتتبرأ من النواصب الذين عادوهم وتآمروا عليهم من الصحابة والتابعين وغيرهم، فإن هذا التصور نتج عنه موقف تبناه الشيعة تجاه جميع نظم الحكم التي قامت من بعد وفاة الرسول وحتي اليوم, وعلي رأس هذه الأنظمة حكم الخلفاء الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان الذين يقدمهم أهل السنة،..

وفي التصور الشيعي الحكم سلطة الإمام وحده، فهو الشخصية الوحيدة المؤهلة لتطبيق الشرع تطبيقًا سليمًا بعيدًا عن الشبهات، فمن ثم لا يجوز لأحد أن يتصدي لتطبيق الشرع علي المسلمين سواه, وبما أن الأئمة قد ظهروا ولم تتح لهم الفرصة الحكم وتطبيق الشرع عدا الإمام الثاني عشر وهو المهدي المنتظر, فإن علي الشيعة أن يعيشوا مرحلة الانتظار حتي يظهر الإمام ويقيم العدل، ويقضي علي الجور في ظل الدولة الإسلامية العالية,,(٥)

وبالطبع فإن مثل هذا التصور لابد وأن ينعكس علي التيار الشيعي وفلسفة التحرك في مواجهة الواقع, ويدفع به إلي تبني مهج الاعتدال والتخلي عن فكرة الصدام مع الحكم, بالإضافة إلي رفض أفكار وتصورات أخري كثيرة تتبناها التيارات الإسلامية الأخري وعلي رأسها فكرة تطبيق الشريعة الإسلامية..

وعلي ضوء ما سبق يمكن تحديد المنطلقات الفكرية للتيار الشيعي فيما يلي:
ـــ تبني تراث وعلوم آل البيت..
ـ تبني رؤية نقدية للتراث..
ـــ تبني خطة الاعتدال في مواجهة الواقع..
ـــ رفض فكرة جهاد الحكومات..
ـــ رفض الأفكار السلفية والوهابية..
ـــ رفض فكرة العزلة عن الواقع..
ـــ تبني فكرة ممارسة العمل السياسي..
ـــ رفض فكرة تطبيق الشريعة..
ـــ رفض التفكير والإرهاب الفكري..

نماذج من الكتب الشيعية المتداولة في مصر:

ـــ المرجعات..
ـــ أصل الشيعة وأصولها..
ـــ معالم المدرستين (السنة والشيعة)..
ـــ الميزان في تفسير القرآن..
ـــ عقائد الإمامية..
ـــ تفسير شبر..
ـــ تبصرة المتعلمين في أصول الدين..
ـــ نهج البلاغة للإمام علي..
ـــ الصحيفة السجادية، وهي أدعية مأثورة عن الإمام زين العابدين الإمام الرابع..
- مفاتيح الجنان وهو مجموعة من الأدعية المأثورة عن أهل البيت..
-الكافي..
-من لا يحضره الفقيه..
-بحار الأنوار..

ساقط هوامش الفصل

حوادث الحركة

> حادث المنشية
> حوادث السبعينات
> حوادث الثمانينات
> حوادث التسعينيات

كان حادث المنشية عام ٤٥ أول صورة من صور الصدام بين الحكم والحركة الإسلامية في العصر الجمهوري, ثم تلتها أحداث عام ٥٦ التي تعد صورة الصدام الثانية في عهد عبدالناصر..

وجاءت حادثة الفنية العسكرية عام ٤٧ لتبرز تيار الجهاد في أول صدام بينه وبين الحكم في الجمهورية الثانية، ثم تأتي بعد هذه الحوادث الثلاثة حادثة إغتيال السادات عام ٨١ , ثم حادثة إحتلال مدينة أسيوط في نفس العام الذي ارتبط بالجماعة الإسلامية..

وتوالت الحوادث بعد ذلك بمحاولة إغتيال وزيري الداخلية السابقين حسن أبوباشا، والنبوي إسماعيل، ومحاولة إغتيال رئيس تحرير مجلة المصور..

..وهذه الحوادث تعد في حقيقتها طفرات حركية لا يجب أن تتخذ مقياسًا لقدرة الحركة وميزانها علي ساحة الواقع

ويتميز عام ٨٨ من دون أعوام الثمانينيات بكثرة حوادثه، وفي مقدمتها حادث ديرامواس بالمنيا وعين شمس بالقاهرة ثم حادث هروب ثلاثة من عناصر الجهاد من سجن ليمان طره..

وكان تيار الجماعة الإسلامية هو التيار الذي إرتبط بأغلب هذه الحوادث..

ويمكن القول أن مرحلة الثمانينيات بحوادثها المتلاحقة لفتت أنظار الدوائر الأجنبية إلي الحركة الإسلامية، وبدا اهتمامها بدراسة وتتبع النشاط الإسلامي في مصرملحوظًا..

وتواتر هذا الكم من الحوادث قد شكل قلقًا أمنيًاكبيرًا للحكومة ودفع بها إلي انتهاج سياسة أكثر تطرفًا في مواجهة الحركة الإسلامية، إلا أن هذه السياسة رغم شدتها لم تحل دون وقوع حوادث جديدة، وقد خلقت ردود أفعال عكسية..

وجاءت مرحلة التسعينيات لتؤكد هذا التصور، فقد إزدادت الحوادث وكثرة الصدامات بين رجال الأمن وعناصر الجهاد، وكثر سقوط الضحايا من الجانبين، وتعرض وزير الداخلية حسن الألفي ووزير الإعلام صفوت الشريف ثم رئيس الوزراء عاطف صدقي لمحاولة إغتيال، وتواترت بعدها الإعتداء علي السائحين ورجال الأمن في صعيد مصر..

وفي ظل هذا الوضع كان يصعب التنبؤ بأن سياسة الحكومة سوف تحسم هذا الصراع وتستأصل تيار الجهاد الذي يقود الصدام معها، كما يصعب التنبؤ بحجم الحدث القادم..

حادث المنشية

وقعت حادثة المنشية في ٤٥/٠١/٦٢ في مدينة الإسكندرية بينما كان عبد الناصر ـ رئيس الوزراء آنذاك يلقي خطابًا في الجموع المحتشدة إذ اطلقت عليه عدة رصاصات من مسدس محمود عبد اللطيف الواقف علي مقربة من عبد الناصر الذي لم يصب بشيء ,وتم القبض علي الجاني في مكان الحادث، وقد أشار عبد الناصر بأصابع الاتهام إلي جماعة الإخوان المسلمين التي ساعرت بنفي صلتها بالحادث، وإنها لم تكن علي علم به..

. وقام عبدالقادر عودة بإرسال خطاب إلي عبد الناصر تضمن الموافقة علي شروطه بالمصالحة بين الإخوان والثورة علي أساس ما دار بينه وبين قيادات الإخوان في الإجتماع الأخير ببيته، وأعلن شجبه لحادث المنشية ,,(١)

ورغم محاولات الإخوان البراءة من الحادث وتقديم البراهين التي ترفع الشبهات عنهم أصر عبد الناصر علي تقديمهم للمحاكمة العسكرية التي أصدرت أحكامها السالفة..

وتبقي هناك ثلاث أسئلة تحتاج إلي إجابة حول هذا الحادث..

الأول: هل قام محمود عبد اللطيف بمحاولة الاغتيال بتحريض من الإخوان, أم بدافع شخصي منه..؟

الثاني: وهل قام بتدبير الحادث بالاتفاق مع عبد الناصر..؟

الثالث: لماذا لم يقتل الحرس محمود عبد اللطيف في مكان الحادث..؟

والسؤال الأول: قد أجاب عنه الإخوان من خلال بياناتهم وأقوالهم في محكمة الشعب..

أما السؤال الثاني والثالث: فلم نجد لهما إجابة في مصادر الطرفين..(٢)
من هنا بقي حادث المنشية محل جدل بين المؤرخين لهذه الفترة، كما كان محل جدل بين ضباط يوليو..(٣)
إلا أن ما يجب ذكره هنا هو أن هذا الحادث حقق لعبد الناصر ضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد, إذ تمكن من تصفية جماعة الإخوان العقبة الرئيسة في طريقه، ثم التخلص من محمد نجيب، وكسب تعاطف الجماهير وتأييدها وهو أمر لم يكن متحققًا له من قبل..

حوادث السبعينات

حادثة الفنية العسكرية

وقع حادث الكلية الفنية العسكرية في الساعة الثانية من صباح الخميس الموافق الثامن عشر من إبريل عام ٧٤واستمر أربع ساعات..
وكانت المجموعة التي اقتحمت الكلية تتكون من ستة عشر فردًا بينهم عدد من الطلبة بقيادة الدكتور صالح سرية, وأسفر الصدام الذي وقع بين المقتحمين وحرس الكلية عن إصابة (٧٢)شخصًا بعضهم من طلبة الكلية.. (٤)
وكان الهدف من اقتحام الكلية هو الاستيلاء علي الأسلحة التي فيها والتوجه مع أفراد المجموعة والعناصر الأخري الموالية خارج الكلية لمحاصرة اللجنة التنفيذية العليا حيث يجتمع السادات مع قيادات الدولة,,(٥)
إلا أن العملية فشلت داخل الكلية وحاصر الحرس المهاجمين وتم القبض عليهم وقدموا للمحاكمة العاجلة..
وقد إتهمت الحكومة ليبيا بالوقوف وراء الحادث، وكان الدكتور صالح سرية سبق له إجراء عدة اتصالات مع كبار المسئولين فيها,,(٦)
وصدر حكم الإعدام علي سرية وإثنين من طلبة الكلية الذين شاركوا في الحادث وهما كارم الأناضولي، وطلال الأنصاري,,(٧)

حادث الشيخ الذهبي

لجأت جماعة التكفير إلي تصفية الخصوم بعد أن توافرت لديها الإمكانيات المادية التي تعينها علي القيام بعمليات التصفية عن طريق التبرعات التي كانت تصلها من أنصارها في الخارج خاصة في السعودية..(٨)
وقد قامت الجماعة بالاعتداء علي عدد من العناصر المنشقة عنها ومحاولة قتلهم، كما اقتحمت أحد بيوت الخصوم وحطمته علي رأس صاحبه بعد أن أحدثت به إصابات خطيرة,,(٩)
ثم قامت عناصر الجماعة بإقتحام بيت الدكتور محمد حسين الذهبي في منطقة حدائق حلوان جنوبي القاهرة وكان يتولي وقتها وزارة الأوقاف ـ واختطفته من وسط عائلته حيث تم حبسه في أحد أوكار الجماعة, وشدد جهاز الأمن في مطاردة عناصر الجماعة والبحث عن الدكتور الذهبي, وتم القبض علي قياداتها وعلي رأسهم شكري مصطفي, ولكن بعد أن قتل الشيخ الذهبي،..
وكان مبرر اختطاف الذهبي وقتله كما أعلن وتداولته أجهزة الأمن وقتها هو الانتقام منه لهجومه علي الجماعة وطعنه في أفكارها، إلا أن هناك روايات أخري لهذا الإختطاف والإغتيال..(١٠)
وقد استنكرت التيارات الإسلامية هذا الحادث، وعلي رأسها تيار الإخوان والجماعة الإسلامية بالجامعة المصرية، وأصدرت البيانات التي تشجب فيها هذا الحادث,,(١١)

الهوامش

(١) كان عبدالقادر عودة قد رفض مذكرة المصالحة في اجتماع الهيئة التأسيسية من قبل, وفي رسالته لعبد الناصر وافق علي حل الجهاز السري, وأكد أنه لو ثبت صلته بالحادث فله أن يحل دمه، انظر نصوص محكمة الشعب, وكتاب الإسلام والداعية للهضيبي..
(٢) انظر مصادر الإخوان وميتشل وعبد العظيم رمضان..
(٣) انظر المراجع السابقة ومذكرات البغدادي ونجيب والحكومة الخفية في عهد عبد الناصر لجمال حماد، وقد أثارت هذه المراجع الكثير من الشبهات حول الحادث..
(٤) توفي تسعة من المصابين ستة من الحرس واثنين من الطلاب, أحداهما من طلبة الكلية الفنية العسكرية والآخرين من كلية الهندسة جامعة الإسكندرية أما التاسع فلم تعرف هويته..
(٥) كان من ضمن خطة الاستيلاء علي الكلية تخدير الحرس عن طريق وضع مواد مخدرة في الأطعمة والمشروبات التي سوف تقدم في احتفال بالكلية في نفس يوم الحادث, إلا أن المخدر لم يقم بدوره ,مما أربك قادة العملية وأدي إلي الصدام الدموي مع الحرس، ويذكر أن نفس هذا الأسلوب قد طبقه تنظيم الجهاد عام ١٨ عندما حاول أحد المنتمين له في صفوف الجيش تخدير أفراد الوحدة العسكرية التي يعمل بها عن طريق تقديم

(جاتوه) محشو بالمادة المخدرة, وذلك بهدف الاستيلاء علي الأسلحة الموجودة بالوحدة إلا أن المخدر لم يؤد دوره..
(٦) انظرجريدة أخبار اليوم عدد ٤٧/٤/٠٢,,
(٧) أعفي الإنصاري من حكم الإعدام وحكم عليه بالسجن المؤبد, بينما نفذ حكم الإعدام في صالح وكارم بعد أن رفضا تقديم طلبا بالعفو عنهما إلي السادات, وقد تحول الأنصاري بعد ذلك إلي تيار التكفير داخل السجن..
(٨) قام شكري مصطفي بتهجير عدد من عناصر الجماعة إلي الخارج لدعم الجماعة, فهاجر عدد منهم إلي اليمن وهاجر آخرون إلي العراق والسعودية, وكانوا يرسلون ثلاثة أرباع دخولهم إلي الجماعة في مصر..
(٩) كان صاحب هذا البيت هو أحد عناصر تيار الجهاد الذي تم الإفراج عنه في قضية الفنية العسكرية وهو حسن الهلاوي، والذي شارك بعد ذلك في تأسيس مجموعة جهادية قامت بقتل أحد جنود الحراسة الخاصة بسفارة دولة أجنبية والاستيلاء علي سلاحة , وحكم عليه بالسجن ستة أعوام إلا أنه تمكن من الهرب إلي الأردن, ثم انتقل منها إلي السعودية , وسلمته السلطات السعودية إلي مصر مؤخرًا, حيث أعلن توبته وساهم في الهجمة الحكومية علي تيار الجهاد, وكافأته الحكومة باخلاء سبيله والعفو عن الحكم الصادر ضده..
١٠) تروي الجماعة أن الذهبي كان أحد عناصر الجماعة وارتد عنها، ثم اختلس مبلغ (٠٥١) ألف جنيه كان قادمًا من السعودية كتبرع للجماعة..
١١) انظر بيان الجماعات الإسلامية ضمن وثائق الكتاب، وكذلك بيان الإخوان وتحت عنوان عزاء للعالم الإسلامي نشرت مجلة الدعوة نعيًا للدكتور الشيخ الذهبي انظر عدد ٧٧,, ٤١/٧/

حوادث الثمانينيات

حادثة الزواية الحمراء

تعد هذه الحادثة من أضخم الحوادث الطائفية التي وقعت في مصر بين المسلمين والمسيحيين، وقد وقعت في أحد المناطق الشعبية المزدحمة في مدينة القاهرة وهو حي الزاوية الحمراء في ١٨/٦/٧١ وتتلخص وقائع الحادثة في هجوم مسلح قام به عدد من المسيحيين علي المسلمين أثناء تأدية صلاة العشاء في أحد المساجد, وأسفر عن مصرع عدد من المسلمين وإصابة الكثيرين,,(١)

وقد أدي هذا الحادث إلي تدخل قوات الأمن ومحاصرة الحي وفرض حظر التجول واعتقال الكثيرين من المسلمين والمسيحيين..

وكان هذا الحادث قد آثار التيارات الإسلامية ودفعها إلي إعلان الجهاد ضد المسيحيين، وكان من الممكن أن يتطور الأمر إلي حدوث مذبحة للمسيحيين في حي الزاوية الحمراء, لولا تدخل قوات الأمن ومحاصرة الحي.,

وجاء في نداء وجهته جماعة الإخوان علي صفحات مجلة الدعوة بخصوص هذا الحادث ما يلي:

نطالب المواطنين ألا ينساق أحد وراء المخططات الأجنبية التي ترمي إلي المساس بالأمن الداخلي من جراء إستفزازات لامبرر لها، والتي بدت نذرها في الأحداث الأخيرة, أحداث الزواية الحمراء, نتيجة لسياسة أتبعها البطريرك شنودة، وأشار إليها السادات في مايو الأسبق,,(٢)

وفي بيان وزع سرًا حول الحادث تحت عنوان **مذبحة رهيبة للمسلمين في قلب القاهرة، عشرون قتيلاً ثمانون جريحًا برصاص النصاري..**

أعلن الإسلاميون غضبتهم علي نصاري مصر وإستعدادهم للإنتقام من العصابات النصرانية علي حد تعبير البيان الذي اختتم بالقسم علي الإنتقام بقوله سننتقم سننتقم, ولن يضيع دم المسلمين سدي أبدًا بعد اليوم, واسلمي يا مصر, وانطقي يا أرض الله: لا إله إلا الله محمد رسول الله«..(٣)

حادث الإغتيال

كان حدث الإغتيال طفرة تاريخية ضخمة بالنسبة لقدرات الحركة الإسلامية وإمكانياتها، وبدا دور الحظ فيه واضحا..

وكان ظهور شخصية كشخصية خالد الإسلامبولي ذلك الضابط الصغير يعد طفرة أيضًا بالنسبة للواقع المصري الذي يجنح بطبيعته إلي الاعتدال السلبي في مواجهة الأحداث..

وحوادث اغتيال الحكام في تاريخ مصر تعد علي الأصابع, ومن هنا كان حادث الاغتيال مفاجأة للجميع علي المستوي الداخلي والخارجي، وحتي بالنسبة للعاملين في الحقل الإسلامي..

ولقد تم التجهيز والإعداد لهذا الحادث وسط ظروف صعبة ومعقدة حتي أن خالد ورفاقه كانوا يعتبرون العملية مغامرة انتحارية لن يخرجوا منها علي قيد الحياة، ولأجل ذلك كتب كل منهم وصيته ووضعها في جيبه..

وكانت وصية خالد التي ضبطت معه وقت الحادث تنص علي تبرئة سائق العربة التي أقلت المجموعة نحو المنصة, وعدم صلته بهم ,كما تنص علي تبرئة الجنود الذين سرحهم خالد من معسكره قبل العملية وأحل محلهم رفاقه..

ولأجل ذلك أيضًا قال خالد مقالته المشهورة في الوسط الإسلامي:**أنا أدرك أن سيارتي بمجرد توقفها أمام المنصة سوف تتفحم ولكني سأحاول..**

وقد حاول ونجح وقفز بالحركة الإسلامية إلي وضع يفوق حجمها بكثير، كما قفز بتيار الجهاد الذي ينتمي له قفزة تاريخية جعلت التيارات الإسلامية الأخري تتضائل أمامه، وفي مقدمتها تيار الإخوان..

لا غرابة القول أن الحركة الإسلامية لاتزال تعيش علي حساب هذا الحادث الذي غير وجه تاريخها المعاصر حتي اليوم، ولعل هذا الحادث هو الدافع الأكبر لكل الأحداث التي وقعت بعده, كما كان الدافع الأكبر لتيقظ القوي الأجنبية للحركة الإسلامية في مصر..

ولم يكن قتل السادات بسبب إعترافه بالكيان الصهيوني، أو تصفيته للقوي الوطنية بقرارات سبتمبر، أو بسبب الفساد الذي تفاقم في عصره ,كل تلك الأسباب لا تشكل دوافع للقتل عند تيارات الجهاد, وإنما الدافع الأساس عنده يتمثل في الموقف

الشرعي من السادات, الذي أصبح موقفهحرجًا في أيامه الأخيرة في نظر كثير من التيارات الإسلامية..
وكان تيار الجهاد هو السابق نحو إستصدار فتوي شرعية تبيح دم السادات استخلصها من فقه السلف، وعلي وجه الخصوص فقه ابن تيمية الذي تعد فتواة بشأن الحكام المعطلين لشرع الله ـ وقد اعتبر السادات معطلا للشرع ـ هي الأساس الذي بني عليه الإغتيال، وكل الحوادث الأخري التي وقعت بين التيارات الإسلامية والحكومة..

وكان كتاب الفريضة الغائبة الوثيقة الشرعية الأولي التي ظهرت في الوسط الإسلامي بمصر لتحدد الموقف الشرعي من الحكام ,وما يتعلق بقتالهم, وكانت هذه الوثيقة هي التي إعتبر بسببها محمد عبدالسلام العقل المفكر لحادث الإغتيال، ..وصاحب الفتوي التي قتل السادات علي أساسها
وهكذا قاد كتاب الفريضة الغائبة صاحبه نحو حبل المشنقة علي الرغم من كونه لم يكن من المشاركين في عملية الإغتيال..(٤)

وسوف نستعرض فيما يلي مجموعة من الحقائق حول حادث الإغتيال:
ـ تم تجنيد خالد الإسلامبولي عن طريق محمد عبدالسلام الذي قام باحضار أفراد المجموعة التي شاركته في الحادث، وهم حسين عباس، ومحمد عبد الحميد عبدالسلام، وعطا نايل، كما قام بتجهيز بعض قطع السلاح اللازمة للعملية..
ـ قام خالد بتسريح الجنود الثلاثة من طاقم العربة، وإستبدل بهم حسين وعبدالحميد وعطا طايل، باستخدام البطاقات الخاصة بهؤلاء الجنود ,لتسهيل تحرك زملائه داخل الوحدة العسكرية أثناء فترة التجهيز الطاقم للإشتراك في العرض..
ـ كان حسين عباس الحائز علي المركز الأول في الرماية العسكرية حين كان في الجيش,وهو أول من أطلق النار علي السادات من العربة وأصابه في رقبته, ثم تقدم خالد ورفاقه نحو المنصة ,بعد أن ألقوا قنابلهم وركزوا نيرانهم علي السادات ليصاب جسده وحده سبعين رصاصة..
ـ غلب علي العملية طابع التركيز علي السادات وحده مما أتاح الفرصة لنجاة بقية المسئولين وفي مقدمتهم مبارك ووزيرالدفاع..
ـ تبين أن الحرس الخاص بالسادات لم يكن موجودًا بأكمله وقت الحادث وأن جزءًا منه كان بصحبة جمال السادات في أمريكا..
ـ قبل الحادث وقعت خلافات بين حرس رياسة الجمهورية وبين المخابرات ومباحث أمن الدولة حول أحقية أي منهم في حراسة المنصة, وكان سبب هذا الخلاف يعود إلي أن الحرس الخاص بالسادات لم يكن كافيًا, فقد أحدثت المجموعة التي صحبت جمال السادات في رحلته لأمريكاخللاً أمنيًا في ساحة العرض، وجعلت تلك الأجهزة الثلاثة تتنصل من تحمل مسئولية حراسة المنصة في ظل هذا الواضع..
ـ كانت عملية الإغتيال معروفة في بعض القطاعات الإسلامية خاصة في صعيد مصر، وذلك قبل وقوع الحادث بأيام..
ـ اشترك حراس السفير الأمريكي وحراس المسئولين في إطلاق النار علي خالد ورفاقه مما أدي إلي مقتل بعض الموجودين في العرض ,وقد تبين فيما بعد أنهم قتلوا برصاصات مجهولة..
- أصيب خالد بسبع رصاصات في بطنه وكانت إصابته قاتله..
ـ تمكن حسين عباس من الفرار من ساحة العرض بعد وقوع الحادث، واستمر هاربًا مدة ثلاثة أيام، وكان إعتقاد المخابرات الحربية وقتها أن الذين ارتكبوا الحادثة ثلاثة أفراد ,حتي ظهرت بعض الدلائل التي أشارت إلي وجود شخص رابع، وذلك بعض استعراض الصور التي التقطت أثناء الحادث، ومشاهدةفيلمًا صوره التليفزيون الأمريكي لعملية الاغتيال..
ـ تمكنت المخابرات الحربية من الوصول إلي حسين عباس عن طريقة حيلة ماكرة إذ استطاعت بأسلوب تمثيلي أن تقنع خالد بأن زميلهم الرابع قد توفي، ولابد من معرفة البيانات الخاصة به حتي يمكن تسليم جثمانه إلي أهله، وبحسن نية أخبرهم خالد بما كشف لهم شخصية حسين عباس..
ـ مكث خالد خمسة أيام بعد الحادث وهو يظن أن السادات لم يمت, وكانت المخابرات الحربية تزكي في نفسه هذا الظن حتي أنها أشاعت في المستشفي التي يرقد فيها مع عطا وعبدالحميد, وهي مستشفي الشرطة, أن السادات قد شفي من إصابته وهو قادم إلي المستشفي لزيارة قائليه..
ـ لم تثبت تحريات المخابرات الحربية أو مباحث أمن الدولة وجود توجهات سياسية لمرتكبي الحادث, كما لم يعثر علي ملفات سابقة لهم تكشف ارتباطهم بأي من التيارات السياسية السائدة, حتي تم اكتشاف كتاب الفريضة الغائبة بحوزة حسين عباس فكان الخيط الذي أتي بمحمد عبدالسلام..
ـ فور إكتشاف محمد عبدالسلام اتصل وزير الدفاع أبوغزالة والذي كان قد أصيب في الحادث برئيس مدينة الدلنجات التابعة لمحافظة البحيرة مسقط رأس محمد عبدالسلام, وطلب منه موافاته بمعلومات عنه علي وجه السرعة, ثم أبلغ مباحث أمن الدولة التي قامت بإعتقال العشرات من أقاربه ومعارفه وجيرانه حتي تمكنت من الوصول إليه..
ـ بعد وقوع الحادث شلت حركة الجيش والشرطة طوال اليوم، وكان من الممكن لأي مجموعة منظمة أن تستولي علي الحكم..
ـ أفاد عدم الإعلان المباشر من قبل الإذاعة بموت السادات في ارتباك المجموعة المكلفة بالاستيلاء علي الإذاعة من قبل

تنظيم الجهاد وبالتالي فشل العملية..
ـ أثبت الطب الشرعي أن الرصاصة القاتلة التي أصابت السادات في العمود الفقري لم تكن من بنادق خالد ورفاقه وإنما من سلاح مجهول وجاءت من جهة المنصة..
ـ فرضت المخابرات العسكريةستارًا حديديًا علي مجموعة الاغتيال بينهم وبين مباحث أمن الدولة التي كانت تحاول جاهدة الحصول علي معلومات تتعلق بشخصيات الحادث..

ـ لم يتعرض خالد ورفاقه إلي أي صورة من صور التعذيب علي يد المخابرات الحربية, أما بقية الأفراد الذين اعتقلوا في قضية الاغتيال وفي مقدمتهم محمد عبدالسلام فقد تعرضوا للتعذيب علي يد مباحث أمن الدولة..
ـ كان من المقرر اشتراك شخص خامس في عملية الاغتيال وهو ضابط برتبة مقدم يدعي ممدوح أبو جبل، لكن خالد رفض ,وكان هذا الضابط هو الذي أحضر لخالد أبر ضرب النار ,وقد أخرجته المخابرات من القضية، واعتبرته شاهد ملك وصاح فيه محمد عبدالسلام من القفص حين دخل القاعة المحكمة ليدلي بشهادته : تب إلي الله يا ممدوح..
ـ طوال فترة وجود خالد ورفيقيه في مستشفي الشرطة التي نقلوا إليها بطائرة عمودية من مكان الحدث كانوا مكبلين بالسلاسل في الأسرة , ويقف فوق رؤوسهم رجال الشرطة العسكرية شاهرين مسدساتهم في وجوههم..
ـ في يوم م ٦ أكتوبر وبعد إغتيال السادات خرجت جريدة المساء بمانشت كبير يقول: **الرئيس شاهد العرض العسكري وعاد إلي بيته بالجيزة..**
ـ في الساعة التاسعة من صباح يوم السابع من أكتوبر توجهت لجنة تحقيق نحو مستشفي الشرطة لاستجواب الثلاثة بعد أن حصلت علي بعض المعلومات الشخصية عنهم وكان أول سؤال وجه إليهم: كيف تسللوا إلي ساحة العرض..؟
ـ تم تقديم مجموعة الضباط العسكريين المسئولين عن ترتيبات العرض العسكري، وتأمين ساحة العرض إلي المحاكمة في .قصية عسكرية سرية تحت اسم القضية رقم ٣,
ـ عرف خالد بموت السادات قدرًا عن طريق أحد أطباء المستشفي الذي أخبره بتولي مبارك الحكم، وقد تم نقل هذا الطبيب من المستشفي بعد ذلك..
ـ حققت النيابة العسكرية مع كل الذين أصيبوا في حادث الإغتيال للإشتباه في صلتهم بخالد الإسلامبولي..
ـ كانت الفتوي الشرعية الخاصة بالإغتيال مركزة علي السادات وحده فمن ثم أفرغ عبدالحميد بقية نيرانه في سقف المنصة بعد التأكد من موت السادات، ولعل هذا الأمر يفسر لنا عدم التركيز علي المسئولين الآخرين, كما يفسر لنا لماذا إكتفي خالد بكمية من الذخيرة تكفي لعملية الهجوم فقط..(٥)
ـ رفض خالد وضع خطة للانسحاب بعد تنفيذ الحادث فقد كان يعتقد أنها لاتجدي في مواجهة الحراسة الهائلة التي تحيط بالسادات..
ـ كانت إصابة بشظية في عينه اليسري وشظية في أذنه وقد إخترقت رصاصتان طرفا ملابسه من ناحية الصدر، بالإضافة إلي رصاصة إخترقت الكاب العسكري بفارق سنتيمتر واحد عن رأسه, وكان شغله الشاغل هو معرفة ما إذا كان لأفراد مجموعة الاغتيال ذيول داخل الجيش، وقد تعرضت جهات التحقيق لضغوط شديدة منه لمعرفة ما إذا كانت اعترافات مرتكبي الحادث قد كشفت عن شيء من هذا القبيل..
ـ إعتقل عدد من المواطنين قاموا بذبح عجل إبتهاجًا بمصرع السادات، كما إعتقل مواطنون آخرون كانوا يوزعون المشروبات بعد الحادث..
وكانت محاكمة الاغتيال أشبه بتمثيلية قصيرة كان الهدف منها إحتواء الرأي العام..(٦)
وكان من الواضح أن الأحكام قد أعدتمسبقًا, كما كان الواضح أن هناكضغوطًا سياسية لإنهاء المحاكمة في فترة تسبق ميعاد الإنسحاب الإسرائيلي من سيناء في إبريل ٢٨,,
ويبدو أن الولايات المتحدة وإسرائيل كانتا تريدان كشف توجه النظام الجديد من خلال هذه المحاكمة، هل سوف يسير علي خطي السادات ,ويلتزم بخطة السلام مع إسرائيل..؟

وتم حجز القضية للنطق بالحكم قبل إبريل في يوم ٢٨ /٦/٣علي الرغم من أن الدفاع لم يكن قد إستكمل مرافعته,,(٧)
وجدير بالذكر أن بعض المحامين كانوا قد تقدموا للمحكمة بطلب تأجيل للنطق إلي ما بعد إبريل حيث أن هناك مؤشرات بوجود ترابط بين القضية والإنسحاب الإسرائيلي من سيناء, إلا أن طلب هؤلاء المحامين قد قوبل بالرفض، كما رفضت لهم طلبات أخري تقدموا بها مع بقية هيئة الدفاع , حتي وصل الأمر في النهاية إلي طرد المحامين من المحكمة, والقبض علي بعضهم..
وكانت الجلسة الأخيرة مليئة بالغرائب والأحداث التي تكشف مدي صورية المحاكمة حيث أمر القاضي بإخلاء الأقفاص من المتهمين بعد إخلاء القاعة من الأهالي والصحفيين, بحجة إعادة التيار الذي كان قد قطعوه عمدًا لهذا الغرض، ولما عجزوا عن إخراج المتهمين من الأقفاص بعد مصادمات مع الحرس, قرروا نقل منصة القضاة والنيابة إلي قاعة أخري ومن هناك أصدروا أحكامهم بالإعدام والسجن علي المتهمين الغائبين أمام الصحفيين ورجال الإعلام الذي فوجأوا بالأمر..(٨)
وإذا كانت هناك مؤشرات تربط بين المحاكمة والانسحاب الإسرائيلي, فإن مجرد صدور الأحكام علي هذه الصورة لا

يكفي، ومن هنا فربما هذا يؤكد ما أشيع من أن أمريكا وإسرائيل أصرتا علي التأكد من تنفيذ حكم الإعدام في خالد ورفاقه وأرسلتا مندوبين لهذا الغرض,,(٩)

حادث أسيوط

كان الحادث الذي وقع صبيحة يوم عيد الأضحي عام ١٨ هو رد فعل مباشر لحادث الاغتيال, ولقد كان هذا الحادث ضربة موجعة للحكومة في وقت حرج لم يأخذ نصيبهكاملاً من التركيز الإعلامي, إذ كانت الأضواء والأنظار متجهة وقتها نحو المنصة، وقد ساهم هذا الوضع بصورة غير مباشرة في إعانة الحكومة علي التعتيم عليه..

إن ما يجب تحديده بداية بشأن هذا الحادث هو أنه كان هناك مخطوط لضرب قواعد الأمن المركزي بمدن الصعيد الرئيسية مثل أسيوط والمنيا، وتلك كانت مهمة الجماعة الإسلامية بالتنسيق مع تنظيم الجهاد بقيادة عبود الزمر، إلا أنه بعد وقوع حادث الاغتيال انقطعت الاتصالات بين القاهرة وبين الصعيد، وقد كان عبود هاربًا آنذاك كما أن الشخص المكلف بالاتصال هو من أفراد الجماعة الإسلامية قد اختفي، وهنا قررت المجموعات المكلفة بضرب معسكرات الأمن المركزي في الصعيد التجمع في أسيوط حيث توجد القيادة، وأدي الجميع صلاة العيد في مسجد قريب من المديرية، وتحت حراسة قوات الأمن التي كانت مستنفرة في طرقات وشوارع المدينة، وكانت ترصد المسجد، ثم انطلقوا من هناك نحو المديرية,,(١٠)

كان عدد الأفراد المتجهين نحو المديرية لا يزيد عن الثلاثين فردًا معظمهم من طلبة الجامعات، ولم يسبق لمعظمهم تلقي أية تدريبات عسكرية, كما كان بعضهم لايزال يرتدي الجلباب، وهو مطلق لحيته بينما إرتدي بعضهم ملابس الأمن المركزي,,(١١)

وكان تسليح المجموعة لا يزيد عن خمسة بنادق وبعض المسدسات اليدوية الصنع ذات الطلقة الواحدة، وبعض المدي والخناجر, لكن هذه المجموعة لم تقتحم المديرية ,وإنما الذين إقتحموها هم الأفراد المرتدون لملابس الأمن المركزي يتقدمهم بعض قادة الجماعة الإسلامية ,الذين ارتدوا ملابس ضباط الأمن, وإستولوا علي مخزن الأسلحة فيها, وبدأوا في إطلاق النار علي قوات الأمن..

وعمت الفوضي المدينة وفر جنود الأمن من أمام أفراد الجماعة الإسلامية الذين إنطلقوا في شوارعها يطلقون النار علي تجمعات قوات الأمن التي تصادفهم, مما أدي إلي حالة من الارتباك والفوضي بين صفوف رجال الأمن الذين لم يستطيعوا من هول المفاجأة تحديد ماهية الجهة التي تعتدي عليهم..

والطريف في هذا الحادث أن جنود الأمن المركزي قد اشتبكوا مع بعضهم البعض في قتال بالأسلحة الرشاشة, بسبب أن بعض المهاجمين من أفراد الجماعة كانوا يرتدون ملابسهم, وتناثرت جثث القتلي من جنود الأمن في شوارع المدينة, كما تكدست جثثهم داخل عربات الأمن الواقفة بالميادين والطرقات..

وهوجم مقر مباحث أمن الدولة المدينة وكان رجال المباحث قد فروا وتركوه فور وقوع الأحداث..

وعلي الرغم من هذه المذبحة وحالة الفوضي والإضطراب التي سادت المدينة, إلا أن الإتصالات لم تنقطع بينها وبين القاهرة التي أبلغت بالحادث فتقرر إرسال مجموعات من القوات الخاصة تساندها الطائرات العمودية, واستقل وزير الداخلية آنذاك النبوي إسماعيل الذي كان مختفيًا بعد فراره من ساحة العرض , طائرة من هذه الطائرات المتجهة إلي أسيوط، وصبت القوات الخاصة نيرانها علي المدينة, فإزداد الأمر سوءًا وتساقط العديد من جنود الأمن المركزي بنيران القوات الخاصة, كما أصيب عدد من أفراد الجماعة الإسلامية الذين فروا تاركين المدينة..

ولم تتمكن القوات الخاصة من القبض سوي علي اثنين منهم في مكان الأحداث كانت اصابة أحدهم خطيرة، بينما الثاني اصيب في ساقه..

ولم يتحرك النبوي إسماعيل من أسيوط إلا بعد أن تم القبض علي بعض أفراد الجماعة وقادتها بعد مطاردات خارج المدينة وأخذهم مكبلين بالأغلال معه في الطائرة العائدة إلي القاهرة,,(٢١)

ولم تفصح المصادر الحكومية عن عدد القتلي من جنود الأمن في هذا الحادث, إلا أن العدد كان يتجاوز المائة, في الوقت الذي لم تخسر فيه المجموعة المهاجمة سوي بضعة أفراد..

وكان حادث أسيوط هو الحادث الرئيس في قضية الجهاد التي حوكم ضمن أفرادها عدد كبير من أفراد الجماعة الإسلامية الذين شاركوا في الحادث,وقد ارتدي قادتهاجميعًا البدل الحمراء يوم النطق بالحكم إعتقادًا منهم بأنه سوف يحكم عليهم بالإعدام, لكن الأحكام في القضية جاءت معتدلة جدًا علي غير ما كان يتوقع المراقبون وحصل معظم الذين شاركوا في أحداث أسيوط علي حكم المؤبد,.

الهوامش

(١) تطور الأمر إلي إشتباكات مسلحة بين المسلمين والمسيحيين في جميع أرجاء الحي..

(٢) انظر مجلة الدعوة عدد رقم (٣٦) يوليو ٣٨٩١,,

(٣) انظر نص ابيان ضمن وثائق الكتاب، وقد هاجم السادات هذا المنشور والكنيسة في خطابه آنذاك في ٠٨/٥/٤١ ثم تحفظ علي عدد من القساوسة ضمن اعتقالا سبتمبر عام ١٨ بالإضافة إلي البابا شنودة..

(٤) انظر فصل الجهاد وكتاب الفريضة الغائبة..

(٥) تثار كثير من التساؤلات حول نوعية هذه الفتوي، ولماذا خصت السادات وحده، والجواب ببساطة يكمن في العقيدة السلفية، ومدي التقيد الحرفي بها، والخوف من الإنحراف عنها، ومن المعروف أن مسألة إراقة الدماء من المسائلة شديدة الحساسية في فقه السلف، وقد قيل إن بعض عناصر تنظيم الجهاد الذين شاركوا في حادث الإغتيال وحوادث أخري نتج عنها مقتل البعض قد صاموا ستين يومًا كفارة للقتل الخطأ..

(٦) كان المتهمون في قضية الإغتيال يؤخذون إلي المحكمة في عربات نصف مجنزرة خاصة بأسري الحرب, وكانت أيديهم وأرجلهم مكبلة بالأغلال في أرضية العربات التي كانت تسير في حراسة مشددة علي جانبي الطريق تظللها الطائرات العمودية..

(٧) حضر محاكمة الإغتيال أكثر من ثلاثين محاميًا يمثلون مختلف الإتجاهات، وكان ترافعهم بالمجان, وقد أنسحب المحامون من المحكمة احتجاجًا علي عدم جدية المحكمة في الأخذ بدعوتهم, وانتدبت المحكمة محامين جدد رفضهم المتهمون فأعادت المحكمة المحامين الأول مرة أخري, وكان الدفاع قد طالب بحضور جيهان السادات والرئيس مبارك ووزير الدفاع وآخرين كشهود نفي في القضية، لكن هيئة المحكمة رفضت هذا الطلب, وقيل أن بعض المحامين الذين كانوا يترافعون في قضية الإغتيال قد جمعوا مبالغ كبيرة من الخارج باسم المتهمين في القضية ثم اختفت هذه المبالغ بعد ذلك..

(٨) كانت الضجة الكبيرة التي أحدثها المتهمون في الأقفاص والشعارات التي رفعوها والأناشيد التي أنشدوها وإصرارهم علي إخراج الكاتب أنيس منصور من قاعة المحكمة ,وقد كان موجودًا فيها, وخرج في أثر هذه الضجة, كانت من الأسباب التي دفعت بالقاضي إلي محاولة إخراجهم من الأقفاص ونطق الحكم بدونهم..

(٩) يقال إن شارون والسفير الأمريكي حضرا تنفيد الحكم في خالد وحسين عباس, كما يقال إن شارون شاهد التنفيد علي شريط فيديو..

(٠١) يلاحظ هنا مدي تأثير الخط السلفي علي أفراد المجموعة حيث أصروا علي تأدية صلاة العيد التي هي بمثابة سنة، وليس فرضًا وهم مقدمون علي عملية عسكرية خطيرة تحتاج إلي الكتمان الشديد..

(١١) الطريف أن بعض أفراد المجموعة التي شاركت في أحداث أسيوط كان قد تدرب علي البندقية الآلية علي الورق حيث رسمها أحدهم بدقة ودرسها لهم، وذلك قبل القيام بالعملية بفترة وجيزة..

(٢١) كان من بين الذين تم القبض عليهم في مكان الحادث بعد إصابتهم عاصم عبد الماجد أحد قيادات الجماعة الإسلامية الجهادية وأحد المتهمين في قضية الإغتيال، وكرم زهدي زعيم الجماعة وأحد المتهمين في قضية الاغتيال أيضاً، وقد أخذ النبوي جميع المقبوض عليهم في طائرة عمودية استقلها معهم نحو القاهرة مكبلين بالأغلال من أقدامهم وأيديهم وكان في قمة الغيظ والغضب وينهض ما بين الحين والآخر ليقوم بسحق المقبوض عليهم بقدمه ثم يعود لمقعده في الطائرة وقد كرر هذا الأمر عدة مرات..

حادثة الفيديو

كانت حركة إنتشار نوادي الفيديو في الأحياء المصرية الشعبية قد شكلتإستفزازًا كبيرًا للتيارات الإسلامية, خاصة تلك التيارات السلفية المتشددة والمنغلقة ,والتي تتخذ من تلك الأحياء مراكز لنشاطها، وظاهرة انتشار الفيديو في الأحياء المصرية هي إحدي نتاجات الإنفتاح الاقتصادي الذي أعلنه السادات، والذي يعده البعض مجرد إنفتاح ترفيهي، وليس إنفتاحًا إنتاجيًا..

ويعود سبب انتشار أجهزة الفيديو في البيوت المصرية علي الرغم من ثمنها الباهظ بالنسبة لدخل الفرد المصري، إلي العمالة المصرية المهاجرة التي تتدفق عائدة في كل عام حاملة معها هذه الأجهزة..

ونظرًا لأن التيارات الإسلامية بمجملها تنظر إلي الحركة الفنية ونتاجاتها نظرة عدائية، وتحملها مسئولية الفساد الأخلاقي السائد في المجتمع المصري، فمن ثم كانت نظرتهم لنوادي الفيديو, التي اقتحمت عليهم الأحياء وتسللت بأفلامها المختلفة إلي البيوت والأسر لتغير من نمط حياتها المعتادة, وتدفع بها إلي إنحرافات أخلاقية بدأت تطفو علي سطح الواقع,,(١)

وفي مواجهة هذا الوضع كان من المتوقع أن تكون الغضبة الإسلامية من جهة تيار الجهاد, لكن المفجأة كانت غير متوقعة فقد قاد عملية إحراق نوادي الفيديو تيارجديد هو تيار التوقف..

ولقد كان رد فعل الحكومة تجاه حركة إحراق نوادي الفيديو عنيفا، فقد خشيت أن تكون هذه الحركة بداية لهجمة إسلامية شاملة علي الحركة الفنية خاصة أن بعض المسارح قد أحرقت في فترة مواكبة لحادث الفيديو..(٢)

وقد تمثل رد الحكومة في توجيه ضربة قوية لبعض التيارات الإسلامية المتشددة. كما تمثل في تقديم المتهمين في حادث الفيديو إلي المحاكمة العسكرية، ثم صاحب هذا الرد دعوة من الحكومة إلي رجال الدين بضرورة العمل والدعوة للتوفيق بين الدين والفن..

وامتلأت صفحات الصحف بالندوات والمقالات من رجال الأزهر, وكبار الكتاب حول قضية الدين والفن,وأصبحت شغل الرأي العام في تلك الفترة،..

وتم أعتقال عدد كبير من الإسلاميين علي ذمة قضية الفيديو، والغريب أنهم كانوا ينتمون إلي اتجاهات فكرية مختلفة وتعرضوا لصور مختلفة من التعذيب علي يد رجال مباحث أمن الدولة, وإستمروا رهن الاعتقال حوالي العام حتي أخلي سبيلهم, بينما القضية صدر فيها قرار اتهام وأحيلت إلي المحكمة عام ٦٨ تحت رقم ٤١٢ أمن دولة عليا وضمت (٧٧) متهمًا..

وكانت قضية الفيديو محل تنازع بين الجهات القضائية وبين الدفاع، إذ كانت هيئة المحكمة مشكلة من ضباط عسكريين، بينما المحاكمة مدنية، واستمرت القضية معلقة في المحاكم فترة طويلة بينما المتهمون مطلقوا السراح.. (٣).

ولم تقتصرحركة إحراق نوادي الفيديو علي القاهرة وحدها، بل امتدت إلي الأسكندرية وبعض مناطق محافظة الجيزة، وقد ضمت النيابة في قرار الإتهام الصادر في القضية بعض الحوادث القديمة السابقة لحادثة الفيديو, والتي لم يكن قد عرفت الجهة التي تقف وراءها وألصقتها بالمتهمين في القضية, مثل حادثة إحراق كنيسة الفرنساوي, ودار سينما كريم بالقاهرة. كما أعلنت عن ضبط بعض قطع السلام مع المتهمين بالإضافة إلي مواد حارقة..

والجدير بالذكر إن إحراق نوادي الفيديو كان من منطلق تأدية رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويظهر لنا تأثير الرؤية السلفية في الحادث، وقد قام ابن تيمية، مرجع معظم التيارات الإسلامية، في تاريخه بدور مشابه لهذا الدور, إذا حرق بنفسه بعض دور اللهو وبعض الحانات في زمانه..

الهوامش

(١) راجت تجارة الأفلام الجنسية بعد ظهور الفيديو وانتشاره ,وكان دخول الفيديو الريف المصري قد تسبب في تغيير نمط حياة الفلاح ودفعه إلي إهمال أرضه بسبب الإدمان علي سهرات الفيديو..

(٢) شب حريف بمسرح الهوسابير ومسرح الجلاء ومسرح نجم بالقاهرة, ولم يحدد الجاني، ولما جاءت أحداث الفيديو ربطت الحكومة تلك الأحداث بالتيار الإسلامي..

(٣) كان بين المتهمين في قضية الفيديو عناصر متهمة بالإعداد لاغتيال الرئيس مبارك أثناء إفتتاحه أحد الجسور الجديدة..

حوادث الإغتيالات

أحدث تيار التوقف طفرة كبيرة في الوسط الإسلامي بارتباطه بحوادث الاغتيالات : أبو باشا ـ مكرم ـ نبوي , فهو بهذا قد خرج عن عزلته التي يفرضها عليه منهج التكفير الذي يتبناه، وتبني فكرة الصدام المسلح مع الواقع فخطف الأضواء من تيار الجهاد، وأحدث مفاجأة في الوسط الإسلامي..

وما كان يتصور أحد أن يكون تيار التوقف هو الذي يقف وراء هذه الحوادث، وقد إتجهت الأنظار علي الفور نحو تيارالجهاد، وكان هذا تصورجهاز الأمن أيضًا، إذ بمجرد وقوع حادث الاعتداء علي أبي باشا حلت الغضبة الشاملة علي عناصر الجهاد، وبأثر رجعي وتم إعتقال كل من سبق إعتقاله في أحداث عام ١٨,.

وإتجهت إصبع الاتهام بداية وقوع حادث أبي باشا إلي مجموعة من العناصر التي كانت معتقلة علي ذمة قضية الجهاد، وأخلي سبيلها، وأحيطت هذه المجموعة بهالة إعلامية ضخمة، ثم تبين بعد ذلك عدم صلتها بالحادث، ثم اتجهت إصبع الاتهام إلي مجموعة ثانية من العناصر الإسلامية التي كانت معتقلة علي ذمة الجهاد، وتبين عدم صلتها بالحادث أيضًا, وذلك بعد أن أكد جهاز الأمن أكثر من مرة أنها المجموعة المسئولة عن الحادث..

وبعد قوع الاعتداء علي رئيس تحرير مجلة المصور تكشفت خيوط جديدة أمام جهاز الأمن قادته إلي جهة جديدةتمامًا غير الجهة التي كان يسير فيها من قبل..

ثم وقع حادث الاعتداء علي النبوي ليزيد من تعقيد الموقف وليؤكد لجهاز الأمن أن ما بين يديه من خيوط جميعها مقطوعة، وأنه لابد من وجود صلة بين حوادث الثلاث، ولابد أن تكون المجموعة التي ارتكبت هذه الحوادث واحدة، وهي لاتزال بعيدة عن قبضته، وكالعادة لعبت الأقدار لعبتها في كشف غموض هذه الحوادث أمام جهاز الأمن، ولتقوده إلي تيار التوقف الذي ربط الحوادث به بعد أن أعتقل أحد عناصره قدرًا، ودخلت قوات الأمن في صدامات مسلحة مع بعض أفراده إنتهت بمصرع أحد رجال الأمن وأحد عناصر التوقف,,(١)

وكانت هذه الصدامات المسلحة مع عناصر التوقف هي الدليل القاطع والبرهان الساطع لدي جهاز الأمن الذي ربط التوقف بهذه الحوادث، وخدمته الأقدار في كثير من الحوادث السابقة ,التي لم يكن له دور يذكر في كشف غموضها,,(٢)

وبقدر الهزة الأمنية الشديدة التي أحدثتها تلك الحوادث بجهاز الأمن بقدر الهجمة الشرسة التي قام بها علي الوسط الإسلامي وتيار الجهاد خاصة..

والشخصيات الثلاث التي ارتبطت بحوادث الاغتيال كانت لها مواقفها العدوانية الصريحة من الحركة الإسلامية ,فالوزيران السابقان النبوي، وأبو باشا، إرتبطا بقضايا وممارسات التعذيب التي وقعت في الفترة مابين عام ١٨ وعام ٤٨ وراح ضحيتها عدد من العناصر الإسلامية ,,(٣)

وكما هي عادة جهاز الأمن شنت حملة واسعة من الاعتقالات بين صفوف الإسلاميين في منطقتي الخارقانية وسنتريس. حيث وقعت الصدامات بين عناصر التوقف ورجال الأمن, واعتبر جميع المعتقلين أعضاء في تنظيمات مناهضة لنظام الحكم، وتم تحويلهم إلي النيابة بعد أن تعرضوا لصور مختلفة من التعذيب علي يد رجال المباحث..

وأستقبلت النيابة هذه الجموع وغربلتها لتصفي في النهاية علي ثلاثة وثلاثين فردًا صدر بهم قرار الاتهام وأحيلوا للمحاكمة في القضية رقم ٣٢ لعام ٧٨، والتي عرفت إعلاميًا بـ (الناجون من النار)..

وإستمرارًا للسياسة المتبعة في مثل هذه القضايا من قبل جهاز الأمن والنيابة، وكما حدث مع قضية الجهاد من قبل، كان لابد أن يتبع هذه القضية قضية أخري تضم المنتمين، وقد قامت النيابة بإعداد قرار اتهام خاصة بالانتماء إلا أنها توقفت إنتظارًا لصدور الحكم في القضية الأولي وحتي لا يتكرر ما حدث في قضية الجهاد عام ٤٨,,(٤)

وقد نص قرار الإتهام في القضية رقم ٣٢ علي أن المتهمين، موضوع القضية، قد اشتركوا في اتفاق جنائي الغرض منه إرتكاب جرائم القتل ومقاومة السلطات والسرقات, بتحريض من الخمسة عشر متهما الأول, الذين أنشأوا ونظموا وأداروا التنظيم الحزبي،غير المشروع ذا الطابع العسكري، وقد شكلوا فيما بينهم جماعة إرهابية سرية تقوم علي تكفير المجتمع، وتدعوا إلي مناهضة المبادئ الأساسية التي يقوم عليها نظام الحكم في البلاد, والحض علي كراهيتها والإزدراء بها ,وإباحة إغتيال عدد من كبار المسئولين في الدولة الحاليين والسابقين، وبعض الشخصيات العامة ورجال الصحافة، وقد فصل القرار بعد ذلك كيفية إرتكاب المتهمين للجرائم المنسوبة إليهم, والتوقيتات والأماكن والشخصيات الذين نسب إليهم محاولة قتلهم، والذين لقوا حتفهم أو أصيبوا خلال الأحداث التي وقعت وضمتها القضية..

وهذه الصورة النصية من قرار الإتهام هي نفس الصورة التي وجهت لعناصر الجهاد من قبل عام ١٨، ووجهت إلي المتهمين في كل القضايا المرتبطة بالحركة الإسلامية من بعد، وبدأ وكأنها رواية ثابتة وصحيحة عند نيابة أمن الدولة تطبقها علي كل فئة تتهم بالخروج علي الوضع القائم ..(٥)
وعلي الرغم من إتهام مجموعتين سابقتين من العناصر الإسلامية في نفس القضية وإخلاء سبيلهم..(٦)
وعلي الرغم من عدم ضبط أي من المتهمين في أماكن الحوادث, وربط القضية علي أساس حادثي الخارقانية وسنتريس,علي الرغم من ذلك كله صاغت النيابة القضية ورقعتها قدر الإمكان، ودفعت بها إلي المحاكمة، فأصبحت تشبه إلي حد كبير قضية الجهاد عام ١٨ ,والتي كانت الأحكام الصادرة فيها بمثابة اتهام لجهاز الأمن وجهاز النيابة..

الهوامش
(١) كان ذلك في حادثة سنتريس التي قتل فيها محمد كاظم، وقد سبقتها حادثة الخارقانية التي قتل فيها أحد رجال الأمن، واستمر المتهم الأول في قضية الناجون من النار ,وهو طبيب هاربًا. إلي أن تم القبض عليه هو وزميل له من عناصر القضية..
(٢) من تلك الحوادث اقتحام إحدي محل الذهب في مدينة نجح حمادي بمحافظة قنا، وحادثة إحراق إحدي الخمارات بالقاهرة، وحادثة نسف كنيسة مسرة بالقاهرة, وغيرها من الحوادث التي لم يعرف فاعلها، وتوصل إليه رجال المباحث، عن طريق التعذيب في تحقيقات عام ١٨ بعد حادث الإغتيال حيث إعترف بإرتكابها عناصر الجهاد,..
(٣) لا يخفي علي أحد الدور الذي لعبه النبوي وحسن أبوباشا بعد أحداث عام ١٨ حيث كانا يشرفان علي تعذيب المعتقلين في فترة التحقيقات المباحثية ,التي قتل فيها عدد من العناصر الإسلامية تحت التعذيب، أما رئيس تحرير المصور فهو من الصحفيين الذين كانت تربطهم صداقة حميمة بحسن أبوباشا بالإضافة إلى ارتباطه بجهاز الأمن، وقد إعتادت مجلة المصور التي يرأس تحريرها علي نشر التقارير الأمنية الخاصة بالتيارات الإسلامية علي صفحاتها..
(٤) نفت المحكمة في قضية الجهاد وجود ما يسمي بتنظيم الجهاد وبالتالي لا يجوز قانونًا تقديم قضية تحت اسم الانتماء لتنظيم الجهاد بعد صدور الحكم بنفي وجود التنظيمأصلاً , والنيابة تريد أن تكرر ما حدث مع قضية الجهاد، وقد صدر الحكم في قضية الناجون من النار بتاريخ ٩٨٩١ /٢/٩ ,وحكم بالسجن المؤبد علي خمسة من قادة التنظيم, بينما حكم علي الباقين بمدد مختلفة, وتم تبرئة سبعة أشخاص، ويذكر أن هذه القضية استمر نظرها أمام المحكمة ثمانية عشر شهرًا بدأت في ٨٨٩١/٤/٢,.
(٥) لم يتعرف الثلاثة المجني عليهم في حوادث الاغتيال علي الذين أطلقوا النار عليهم، ولم يحددوا أحدًا من المتهمين أثناء الأدلاء بشهادتهم في المحكمة..
٦) تحول أفراد المجموعتين اللتين سبق اعتقالهما علي ذمة حوادث الإغتيالات إلي شهود نفي في القضية..

حادثة الهروب

تسبب حادث الهروب في هزة أمنية كبيرة للحكومة، خاصة أن الثلاثة الذين هربوا من العناصر الخطرة في تنظيم الجهاد، ..وقد وقع الحادث في أحدي السجون القديمة التي تقع جنوب القاهرة قريبًا من مدينة حلوان الصناعية

وأصدر وزير الداخلية فراره بإقالة مدير مصلحة السجون بعد الحادث مباشرة، وقد بدأت الدعوة إلي تطوير السجون المصرية وتحديثها تبرز من جديد. ثم عادت إلي الإختفاء مرة أخري، وفتر حماس المنادين بها داخل جهاز الأمن وخارجه، كعادة أية دعوة تبرز في الواقع المصري وترتبط بحدث ما سرعان ما تبدد وتتلاشي مع زوال الحدث..

ولم تكن خطة الهروب ذات مستوي تنظيمي دقيق، كما إنها لم تعتمد علي وسائل تكنولوجية حديثة، وإنما كانت خطة تقليدية تعتمد علي إمكانيات بسيطة، وسر نجاحها يكمن في عزم الأفراد الذين قاموا بها بالإضافة إلي فوضي السجون المصرية,,(١)

والهاربون الثلاثة تكمن خطورتهم في ارتباطهم بأحداث قتل لرجال الأمن ، فأول الهاربين وهو الرائد عصام القمري كان قد شكل تنظيمًا سريًا داخل الجيش, وتمكن من تجنيد عدد من الضباط ولما اكتشف أمره هرب, ثم دخل في صدام مسلح مع قوات الأمن بحي الجمالية الشعبي بالقاهرة القديمة، حيث كان يختبئ مع اثنين من رفاقه، وقد أصيب في هذا الصدام عدد من رجال الأمن, بينما قتل أحد رفاق القمري الذي تمكن من الفرار مع رفيقه من مكان الحادث..

وقد إرتبط قبل هذا الحادث بعملية نسف كنيسة مسرة بالقاهرة التي أصيب فيها عدد كبير من المسلمين والمسيحيين كانوا يحضرون عرسًا داخل الكنيسة,,(٢)

وكان ضمن الأفراد الذين كانوا يحاكمون في قضية الجهاد وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عامًا، وثاني الهاربين هو محمد الأسواني كان طالبًا بكلية الحقوق وقد قام بالإعتداء علي أحد جنود الحراسة والإستيلاء علي سلاحه الذي استخدمه فيما بعد في قتل أحد ضباط المباحث وإصابة آخر.(٣)

وثالث الهاربين هو خميس مسلم، ويعمل سائقًا وقد شارك الأسواني في حادث الإعتداء علي ضباط المباحث,,(٤)

ومما يذكر في هذا المضمار أن هناك شخص رابع كان يستعد للهروب مع الثلاثة غير أنه لم يتمكن من فتح زنزانته وقت الهروب ,ولم يستطع الثلاثة مساعدته وهو نبيل المغربي المحكوم عليه بالمؤبد في قضية الجهاد..

وكان قد سبق له محاولة الهروب قبل ذلك عدة مرات، وفي مواجهة هذا الحادث، وكماهي عادة جهاز الأمن المصري في تحديد مرتكبي أي حادث يرتبط بالحركة الإسلامية قامت قوات الأمن بحملة اعتقالات واسعة في صفوف الإسلاميين خاصة من سبق اعتقالهم علي ذمة التنظيم الجهاد،..

وكانت نتائج حادث الهروب علي مستوي الحكومة تمثلت في إقالة مدير مصلحة السجون كما سبق أن ذكرنا وتغيير طاقم الحراسة والإدارة في سجن ليمان طره، وتقديمهم للتحقيق, كما وصل الأمر إلي رياسة الجمهورية التي طلبت من الحكومة سرعة ضبط الهاربين والتحقيق في أسباب الحادث,,(٥)

وقد أعلنت حالة الطوارئ في قوات الأمن، وفي وزارة الداخلية التي كانت قيادتها في اجتماعات مستمرة لبحث تطورات الأمر، وعاش الوسط الإسلامي أيامًا طويلة من الرعب والفزع حتي تم للحكومة الخلاص من هذه الورطة الأمنية المزعجة..

وكان من بين الذين شملهم التحقيق في هذا الحادث المحكوم عليهم في تنظيم الجهاد، وفي مقدمتهم عبود الزمر الذي صرح أثناء التحقيق معه أن الهاربين الثلاثة خرجوا للانتقام, وقد تم حبسهم حبسًا انفراديًا لمدة ستة شهور كعقاب لهم علي هروب زملائهم..

ويبدو أن عملية الهروب كانت متعجلة وفي غير ميقاتها الصحيح,إذ لم يرتب لها الترتيب الكافي خارج السجن، ولم يجد الهاربون المكان الآمن الذي يلجأون إليه، كما لم تستطع العناصر التي استقبلتهم بعد هروبهم أن توفر لهم الإمكانيات اللازمة لخروجهم من البلاد..(٦)

ولقد تعرض وزير الداخلية إلي ضغط شديد من الحكومة والرأي العام كان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلي معالجة الحادث معالجة عنيفة، وكان بطش قوات الأمن بالإسلاميين بلا حساب، وقد سقط القمري وخميس صرعي بنيران قوات الأمن بينما تم القبض علي الأسواني..

وكان من الممكن القبض علي القمري وخميس أحياء، ولكن قوات الأمن كانت في حالة هياج عصبي، وقد صور لها الأمر وكأنه صراع حياة أو موت, ولم تحدث ردود فعل في الرأي العام نتيجة معالجة الحادث بهذه الصورة العنيفة، فالحكومة كانت قد هيأته مسبقًا لهذه النتيجة..

الهوامش

(١) كانت إمكانيات الهروب عبارة عن آداة حديدية إستخدمت في فتح أبواب الزنازين، وبعض المفرقعات التقليدية المصنوعة من رءوس عيدان الكبريت ,وبعض قطع السلاح الأبيض، وسلم من القماش المجدول وكانت هذه الأشياء تم إعدادها في داخل السجن..
(٢) هذه الحوادث كلها ضمتها قضية الجهاد عام٨١وكانت من بين التهم التي وجهت للقمري في القضية..
(٣) حكم علي الأسواني بالمؤبد في قضية الجهاد..
(٤) حكم علي خميس بالسجن المؤبد في نفس القضية..
(٥) توفي أحد جنود الحراسة في السجن الذي وقعت به حادثة الهروب أثناء التحقيق معه ويبدو أنه قتل تحت التعذيب.
(٦) كان الهاربون يختبئون عند بعض عناصر الجهاد في منطقة شبرا، ثم انتقلوا إلي منطقة الشرابية الشعبية المجاورة، حيث إكتشفهم رجال الأمن قدرًا ,حين كانوا متوجهين للقبض علي صاحب المنزل الذي يختبئون فيه, ووقع اشتباك أدي إلي مصرع القمري وفرار خميس والأسواني الذي قبض عليه في كمين بمنطقة غمرة بالقاهرة, بينما قتل خميس حين اقتحمت عليه قوات الأمن مخبأه في منطقة المعادي، ومما يذكر في هذه الحادثة أن الأسواني كان ذاهبًا لتسلم المال من شخص يعمل موظفًا في أحد بنوك الدولة، وقد اختلس مبلغًا كبيرًا من بنك آخر بإذن صرف مزور سلمه لشقيق الأسواني لتغطية نفقات سفر الهاربين إلي خارج مصر..

حادثة عين شمس

في الحادي عشر من أغسطس ٨٨ تحركت حشود من قوات الأمن مجهزة بالأسلحة الخفيفة والقنابل المسيلة للدموع والقنابل الدخانية والدروع إلي منطقة عين شمس، وبالتحديد إلي مسجد آدم الذي تتخذه الجماعة الإسلاميةمركزًا لنشاطها، ..وكان الهدف هو إعتقال العناصر الإسلامية المتجمعة داخله
وكان وزير الداخلية قد أعلن فيما بعد أن العناصر المتطرفة المتجمعة بالمسجد كان تنوي الخروج في مظاهرة بعد صلاة المغرب, وقد استصدرت قوات الأمن إذنًا من النيابة بمنع هذه المظاهرة,,(١)
والذي حدث أن قوات الأمن بمجرد اقترابها من المسجد اشتبك معها أفراد الجماعة الإسلامية وقذفوها بالطوب والحجارة والكرات المشتعلة بعد أن أغلقوا المسجد وصعدوا إلي أعلاه، كما أن عناصر أخري منهم قد اعتلت أسطح المنازل المجاورة, وأخذت تلقي علي قوات الأمن الزجاجات الفارغة والحجارة والكرات المشتعلة، ويبدو أن أفراد الجماعة الإسلامية كانوا علي علم بقدوم قوات الأمن, وقد استعدوا لهم بأخذ الأماكن المناسبة, ودفعوا بالأحداث من عناصرهم إلي عرقلتها في الأزقة والشوارع المحيطة بالمسجد..
وفي مواجهة هذا الوضع بدأت قوات الأمن في إطلاق النار والقنابل المسيلة للمدوع، وطلقات الخرطوش في كل اتجاه, وقد أصيبوا بحالة من الفوض والإرتباك، وتراجعوا عن المكان..
وكانت النتيجة أن أصابت طلقات الأمن وقنابله عددًاكبيرًا من الأهالي الذي يسكنون البيوت المحاطة بالمسجد، وأسرع السكان يغلقون نوافذ بيوتهم بعد أن تساقطت داخلها قنابل الدخان والقنابل المسيلة للدموع وتسببت في خنق الأطفال والنساء والعجزة، كما اخترقت رصاصات الأمن كثيرًا من النوافذ وأصابت من في داخلها من الأهالي, ولم تتمكن قوات الأمن من اعتقال أحد من العناصر الإسلامية في أول يوم، بعد فرضها حظر التجول، مما حال دون إسعاف المصابين من الرجال والأطفال والنساء الذين توفي عدد منهم متأثرًا بجراحه في المستشفيات فيما بعد..
والجدير بالذكر أن أهالي المنطقة قد ساهموا بدور ملحوظ في الهجوم علي قوات الأمن بعد أن وجدوا نيرانهم وقنابلهم تنصب علي مساكنهم، وتصيب أطفالهم ونسائهم..
.. واستمر الحصار للمنطقة عدة أيام كما أن الاشتباكات كانت علي أشدها طوال الأيام الثلاثة الأولي من بداية الأحداث

وعن خسائر الجانبين في تلك الحادثة فكانت مقتل أربعة مواطنين وإصابة مائة بينهم عدد من النساء والأطفال..
أما خسائر قوات الأمن فكانت مصرع ضابط وإصابة عدد من الجنود، وقد اعتقل علي ذمة هذا الحادث أكثر من مائتي شخص بينهم عدد من الأطفال، وأغلبهم من المواطنين والأهالي الذين لا صلة لهم بالتيارات الإسلامية..
ويلاحظ أن معالجة الحكومة للحادث كانت عنيفة كما عالجت حادث الهروب من قبل, وكما عالجت حادث ديرمواس من بعد، وأن ذلك الكم الكبير من الأهالي المصابين غير القتلي منهم ليؤكد هذه الحقيقة..
يقول وزير الداخلية الراحل زكي بدر في حديث لمجلة المصور: إنني كمسئول عن الأمن الداخلي لهذا الوطن أقول بكل وضوح إنني لن أسمح بتكرار ما حدث في أسيوط في قلب مدينة القاهرة بحيث يتحول هؤلاء المتطرفون إلي سلطة تفرض بالإرهاب إرادتها..(٢)
ونظرًا لضخامة ما حدث في عين شمس فقد استدعي الأمر تدخل جهاز المخابرات ورياسة الجمهورية، بالإضافة إلي مباحث أمن الدولة وبعض الدوائر الأجنبية، ومعاينة الحادث ميدانيًا وكتابة تقارير وافية عنه، وكان السبب المباشر لهذا التدخل هو مشاركة الجماهير في الحدث وصدامها مع قوات الأمن, وهذا أمر ينذر بالخطر، ويشير إلي تواجد جماهيري فعال للجماعات الإسلامية بالوسط الشعبي..
وقد كان الهدف من وراء الدراسة الميدانية هو محاولة كشف ما إذا كان هناك ترابط بين الأهالي وبين الجماعات الإسلامية

في دائرة الحدث، أم أن غضبة الجماهير كانت لأسباب مستقلة من رد فعل لهجمة قوات الأمن الشرسة وليست لها صلة بموقف الجماعات..

وفي يوم ٩/٢١/٨٨، أي بعد وقوع الأحداث الأولي بحوالي أربعة أشهر اغتيل أحد ضباط المباحث الذين يتولون الإشراف علي منطقة عين شمس, في شارع سوقي مزدحم من قبل مجموعة من العناصر, وأثناء قيامه بمهمة تفقدية في المنطقة..

ومرة أخري أشارت الحكومة بإصبع الاتهام إلي الجماعات الإسلامية وتم تطويق المنطقة، وأعلنت حالة التأهب بين قوات الأمن، وجرت حملات تفتيش واسعةبحثًا عن الجناة..

والغريب أن الحكومة أعلنت قبل وقوع الحادث عن هوية الجناة وكونهم ينتمون لتنظيم الجهاد, كما حددت أسماء بعضهم، وعلي هذا الأساس تم اعتقال عشرات من العناصر الإسلامية م المنطقة، ولم يتم التوصل إلي الجناة..

وفي يوم ٨٨ /٩/ ٠٢خرجت علينا الصحف بخبر مصرع شريف محمد الذي أدعت الحكومة مسئوليته عن مصرع ضابط المباحث مع اثنين من رفاقه في إشتباك مع قوات الأمن بمنطقة شبرا الخيمة..(٣)

وقد حامت شبهات كثيرة حول مصرع الضحايا الثلاثة حيث إنه لم تكن هناك أدلة تثبت وقوع اشتباك بينهم وبين قوات الأمن، كما لم تحرز أية قطع سلاح بحوزة القتلي, أو في المنزل الذي أعلنت المصادر الحكومية وقوع الاشتباك فيه..

وكانت بعض صحف المعارضة قد أثارت هذا الأمر علي صفحاتها وطالبت الحكومة بتحري هذا الأمر..(٤)

واستمرت منطقة عين شمس تحت الحصار وقوات الأمن ترابط في شوارعها وتتحرش بالأهالي الذين ضاقوا بهذا الوضع فترة طويلة بعد هذه الحوادث..

الهوامش

(١) حديث زكي بدر وزير الداخلية لمجلة المصور العدد رقم ٢٣٣٣ ـ ٨٨/٨/٩١,,

(٢) المصور العدد السابق..

(٣) نشرت جريدة الشعب في عددها الصادر بتاريخ ٩٨/١/٣ عدة تحقيقات عن أحداث عن الشمس منها تحقيق حول مقتل الشباب الثلاثة في شبرا علي يد قوات الأمن وشككت في ارتباطهم بمقتل ضابط المباحث..

كما نشرت علي صدر صفحاتها الأولي مانشيت يقول: **إخترقنا الحصار الأمني في عين شمس,** وعلي صفحتها الداخلية مانشيتا يقول: **الفزع بين الناس، والمدرعات مازالت علي نواصي الشوارع،** وكانت الجريدة قد نشرتخبرًا علي صفحتها الأولي يقول: **الأطفال يتعرضون للتعذيب بمبني مباحث أمن الدولة،** وهؤلاء الأطفال من بين تلاميذ المدراس الذي اعتقلتهم قوات الأمن في منطقة عين شمس..

(٤) استجوبت جريدة الشعب بعض أهالي منطقة عين شمس الذين عاصروا الأحداث، وقد أفادوا بأن الإشتباكات كانت من جانب واحد وهو جانب قوات الأمن، كما أفادوا بأنهم يخشون الخروج من بيوتهم بعد السادسةمساءً..

والجدير بالذكر هنا أن جميع المعتقلين علي ذمة أحداث عين شمس وفيهم عدد كبير من العامة الذين لا صلة لهم بالجماعات والذين تم إحالتهم إلي المحاكمة قد أخلي سبيلهم بعد أن أصدر القضاء حكمه ببراءة الجميع ونفي التهم المنسوبة إليهم بعد فترة اعتقال ومحاكمة استمرت حوالي العامين..

حوادث متفرقة

حادثة دير مواس

وديرمواس أحد مراكز محافظة المنيا وكانت المعقل الثاني للجماعة الإسلامية بالصعيد، وبها جامعة تأتي في المرتبة الثانية في الاضطرابات بعد جامعة أسيوط, وكانت محاولة بعض العناصر المسيحية أقامت كنيسة في أرض فضاء متنازع عليها هي الشرارة التي إشعلت نار الحادث, وأدت إلي وقوع الصدام بين المسلمين والمسيحيين, مما أدي إلي تدخل قوات الأمن، ..وقد وقع الحادث يوم الجمعة الموافق ٨٨/٩/٢

وكانت قوات الأمن قد عالجت الحادث بشيء من العنف، مما أدي إلي سقوط ثلاثة مواطنين صرعي، وإصابة أكثر من خمسة وعشرين شخصًا كما أصيب عدد من الضباط والجنود..

وإعتقل علي ذمة هذا الحادث أكثر من مائتي شخص من الأهالي والعناصر الإسلامية ,وقدم عدد منهم إلي النيابة التي أمرت بحبس أكثر من أربعين فردًا علي ذمة التحقيق، وهذا الحادث شأنه شأن حوادث طائفية كثيرة تحدث في مصر تتكتم الحكومة الأنباء حولها وتحاول التعتيم الإعلامي عليها والتقليل من أهميتها,.

حادثة إمبابة

وقع هذا الحادث في أواخر رمضان من عام ٨٨ عندما هاجمت قوات الأمن أحد المساجد التي تتخذها بعض التيارات الإسلاميةمقرًا لها ,وأرادت اعتقال العناصر الإسلامية التي كانت معتكفة داخله، ونتج عن هذا وقوع صدام بين الطرفين استخدمت فيه قوات الأمن الرصاصات المطاطية, بينما استخدم الإسلاميون الطوب والحجارة بعد أن أغلقوا أبواب المسجد وصعدوا إلي سطحه..

وفي مواجهة هذا الوضع قررت قوات الأمن اقتحام المسجد بعد أن أمطرته بوابل من النيران,واعتقلت كل من فيه، وأصيب في هذا الحادث عدد كبير من الإسلاميين، بينهم عدد من الأحداث وقدموا إلي نيابة أمن الدولة بتهمة مقاومة السلطات..(١)

حادثة الخارقانية

وقع هذا الحادث في يوم ٧٨ /٨/٨١وبعد قوع حادث الإعتداء علي وزير الداخلية السابق حسن أبوباشا ,وكان رجال المباحث قد قبضواقدرًا علي أحد عناصر جماعة التوقف وهو يحاول نزع لوحة سيارة واقفة في أحد الشوارع فكان الخيط الذي قاد رجال الأمن إلي الاشتباه في صلة جماعة التوقف بالحادث..

حادثة سنتريس

بعد وقوع حادث الخارقانية نشطت قوات الأمن في البحث عن الجناة وقد ازدادت يقينًا أنهم هم الذين ارتكبوا حوادث الإغتيالات..

وقادت التحريات قوات الأمن إلي منطقة تدعي سنتريس تابعة لمحافظة المنوفية، وينتشر فيها أفراد التوقف، وحاصرت أحد الأماكن المشتبه بوجود الجناة فيها, واشتبكت مع من بداخله ,مما أدي إلي مصرع أحد عناصر التوقف وهو محمد كاظم الذي أعلنت الداخلية من قبل أنه هو الذي أطلق النار علي أبو باشا,,(٣)

حادثة ديروط

وقع هذا الحادث في أوائل إبريل عام ٨٨ عندما حاصرت مجموعة من عناصر الجماعة الإسلامية الجهادية إحدي الفرق المسرحية، وهي تستعد لعرض مسرحيتها في إحدي القري التابعة لمركز ديروط بمحافظة أسيوط في صعيد مصر, ومنعتها من إقامة العرض، وتم استدعاء قوة من رجال الأمن التي اشتبكت مع أفراد المجموعة مستخدمة القنابل المسيلة للدموع وقنابل الدخان, بينما رد أفراد المجموعة علي قوات الأمن بالكرات المتلهبة، ثم تطور الأمر إلي اشتباك بالأسلحة النارية نتج عنه مصرع أحد العناصر الإسلامية, وإصابة آخرين, بعد أن سيطرت قوات الأمن علي الموقف واعتقلت بعض أفراد المجموعة..

الهوامش

(١) وقع هذا الحادث في أواخر رمضان من نفس العام ومنطقة إمبابة كان ينتشر فيها تيار الجماعة الإسلامية والتيار السلفي..

(٢) تم القبض فيما بعد علي المتهم الأول والمتهم الرابع في قضية الناجون من النار وكان من بينهم أيضًا محمد كاظم الذي قتل بعد ذلك في حادث سنتريس المذكور..

(٣) كان محمد كاظم من الذين قبض عليهم ضمن جماعة التكفير بعد أحداث عام ١٨ وكان هو الذي قتل رجل الأمن في حادثة الخارقانية..

حوادث التسعينيات

كانت فترة الثمانينيات مليئة بالأحداث التي تعد طفرة في تاريخ الحركة, إلا أن أحداث التسعينيات غطت فيها، وأثبتت أن تيار الجهاد يتطور حركيًا بصورة سريعة, وأن سياسة الحكومة تجاهه قد أتت بنتائج عكسية ..

وما يميز أحداث التسعينيات عن غيرها من الأحداث التي سبقتها هو أن الأحداث السابقة ارتبطت بعدة تيارات، بالإضافة إلي تيار الجهاد، وبينما أحادث التسعينات انحصرت في دائرة تيار الجهاد وحده بشقيه: الجماعة الإسلامية وتنظيم الجهاد

وما يميز أحداث التسعينيات أيضًا هو أنها تعد أكثر خطورة علي الحكم، وأكثر تقدمًا من الجانب الحركي، ولعل هذا ما دفع الحكومة إلي التأكيد علي وجود دعم خارجي ودول معادية تقف من وراء تيار الجهاد,.

وتتركز حوادث التسعينيات فيمايلي:

- حوادث الإغتيالات لكبار المسئولين..
- حوادث الإعتداء علي السائحين..
- حوادث الإعتداء علي أصحاب الأقلام..
- حوادث الإعتداء علي رجال الأمن..
- حوادث الإعتداء علي المرشدين..

أما حوادث الاعتداء علي كبار المسئولين فهي:

- إغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب في ٠٩/٠١/٢١ ,,(١)
- محاول إغتيال وزير الداخلية حسن الألفي في ٣٩/٨/٨١,,(٢)
- محاولة إغتيال وزير الإعلام صفوت الشريف في ٣٩/٥/٧٢,,(٣)
- محاولة إغتيال عاطف صدقي رئيس الوزراء في ٣٩/١١/٥٢,,(٤)
- محاولة إغتيال مبارك في أديس في ٦٢/٦/,,٥٩

وأما حوادث السياحة فقد بلغت سبعة عشرحادثًا أشهرها:

- حادثة الإعتداء علي الأتوبيس السياحي في طريق أسيوط الأقصر في ٢٩/٢١/٥٢,,
- حادثة الإعتداء علي الأتوبيس في قنا..
- حادثة الإعتداء علي الأتوبيس السياحي بالغردقة (٥).
- حادثة الإعتداء علي الأتوبيس السياحي بالهرم..(٦)
- حادثة الإعتداء علي السائحين في متحف التحرير بوسط القاهرة ..(٧)
- حادث الإعتداء علي السائحين في الأقصر عام ١٩٩٧..

وتعد الحادثة الأخيرة من أخطر حوادث السياحة التي تسببت في هزة كبيرة للحكم نتج عنها إقالة وزير الداخلية اللواء حسن الألفي..(٨)

ثم جاءت حوادث الإعتداء علي الكتاب، وأصحاب الأقلام والتي انحصرت في الآتي:

- إغتيال الكاتب فرج فودة في ٢٩/٦/٨,,
- محاولة إغتيال نجيب محفوظ في ٤٩/٠١/٥١,,

وتأتي بعد ذلك حوادث الإعتداء علي رجال الزمن التي كانت مستمرة بلا انقطاع في صعيد مصر كذلك حوادث الإعتداء علي المرشدين الذين يقدمون المعلومات لرجال الأمن من عناصر الجماعة الإسلامية..(٩)

وجاء علي لسان وزير الداخلية السابق محمد عبد الحليم موسي أن عدد قتلي الحوادث حتي مارس ١٩ بلغ (٩٣)شخصًا:

(٢١) من المواطنين..

(١٣) من الجماعات..

(٥) من الأمن..(٠١)

وفي أسيوط وحدها نفذت (٨٤) عملية خلال عام ٢٩ راح ضحيتها (٦٨)فردًا من رجال الأمن والمواطنين, من بينهم مساعد مدير أمن أسيوط وبعض ضباط المباحث, وبعد إغتيال مدير أمن قنا وعدد آخر من ضباط الأمن تبنت الحكومة خطة شاملة لمواجهة هذه الحوادث, بدأت في إبريل ٣٩ وأسفرت عن مصرع الكثير من العناصر الإسلامية وعناصر الأمن منذ بداية تنفيذ الخطة وحتي نهاية عام ٨٩..

وصرح وزير الداخلية حسن الألفي في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام ٥٩ أنه تم القبض علي ٦٩٪ من المتهمين في حوادث الإرهاب, كما صرح فيما بعد أن الإهاب يتراجع,,(١١)
وفي الفترة ما بين يناير ٥٩ وفبراير من نفس العام قتل أكثر من ثلاثين فردًا من عناصر الجماعة الإسلامية في مقابل سبعة عشر من رجال الأمن,,(٢١)
وفي مدينة سمالوط التابعة لمحافظة المنيا قتل تسعة من العناصر المدنية المتهمة بالتعاون مع رجال الأمن, من قبل عناصر الجماعة الإسلامية بينهم مدرس وخادم مسجد والآخرون من الخفراء.. (٣١)
وقد وقعت في شهر فبراير وحده من نفس العام خمسة حوادث بنوادي الفيديو في القاهرة..(٤١)

إلا أنه مع الضربات الأمنية المتلاحقة لعناصر الجماعة الإسلامية في صعيد مصر والحصار الذي فرض عليهم من الداخل والخارج والضغوط التي تعرضوا لها من قبل قياداتهم في السجون, وفي الخارج من أجل وقف العنف، كذل ذلك قد أسهم إلي حد كبير في تراجع موجة العنف بل إلي انتهائها، ومنذ عام ٨٩ تقريبًا لم تقع حادثة تذكر في صعيد مصر أو في مناطق أخري.. (٤١)

الهوامش

(١) تم تبرئة جميع المتهمين في قضية المحجوب لعدم كفاية الأدلة, ووضعوا رهن الاعتقال ولفقت لبعضهم قضايا من الداخل..
(٢) حوكم المتهمين في محاولة إغتيال الألفي في القضية رقم ٠١/ جنايات عسكرية، وصدر الحكم بإعدام خمس أفراد وبراءة اثنين من أصل سبعة عشر فردًا كانوا يحاكمون في القضية..
(٣) قبض علي أربعة عشر متهمًا في قضية صفوت الشريف وصدر الحكم بإعدام ستة منهم..
(٤) قبض علي ستة عشر متهما في قضية صدقي وحكم علي ستة منهم بالإعدام..
(٥) حكم بالإعدام علي اثنين من أصل ستة عشر متهمًا حوكموا في قضية أتوبيس الغردقة..
(٦) لم تصدر أحكام بالإعدام في قضية أتوبيس الهرم، ويذكر أنه قد حوكم (٩٤) شخص، في قضية ضرب السياحة وحكم بالإعدام علي سبعة منهم..
(٧) قتل في هذا الحادث (٠١) سائحين ألمان، وأصيب ثمانية..
(٨) وقعت هذه الحادثة بتاريخ ٧٩٩١/١١/٧١,.
(٩) انظر إحصائيات بهذه الحوادث في ملاحق الكتاب..
(٠١) الأهرام عدد ٩٥/٦/٢٤,,
(١١) انظر صحف تلك الفترة..
(٢١) انظر صحف تلك الفترة،وأيضًا وثائق الكتاب.
(٣١) وقعت هذه الحوادث بتاريخ ٠١،٢، ٩١، ٤٢ فبراير و ٥٩,, /٩/٣انظر وثائق الكتاب.
(٤١) انظر فصل تحولات ومراجعات..

رموز الحركة

> حسن البنا
> سيد قطب
> شكري مصطفي
> عمر عبدالرحمن
ابن تيمية

هناك العديد من الرموز الإسلامية التي كان لها أكبر الأثر في قيام تيارات وبعث وتوجهات وإحياء جماعات في الساحة الإسلامية بمصر، وهذه الرموز منها ما ينحصر تأثيرها في حدود مصر, ومنها من إمتد تأثيره إلي خارج مصر..
وهناك رموز من خارج مصر امتد تأثيرها إلي واقع الحركة عن طريق رموز أو تيارات أخري..
ومن الرموز المحلية التي أحدثت أثرًا في واقع الحركة الإسلامية حسن البنا، وسيد قطب، وشكري مصطفي، وهذه الرموز إمتد تأثيرها إلي خارج مصر أيضًا حيث أصبح لها تواجد في واقع الحركة الإسلامية في كثير من بقاع العالم الإسلامي..
ومن الرموز التي انعكست أفكارها وتصوراتها وأطروحتها علي واقع الحركة من خارج مصر: أبو الأعلي المودودي والخميني..
وهناك رموز إنحصر تأثيرها في حدود تيار محدد لم تتجاوزه كعمر عبدالرحمن الذي ارتبط به تيارالجماعة الإسلامية..
إلا ما يجب ذكره هنا هو أن غياب هذه الرموز عن ساحة الحركة اليوم قد أوجدفراغًا كبيرًا, وتسبب في هزة شديدة للتيارات التي تشبعت بأفكار هذه الرموز وأطروحتها..
وقد ارتبط تأثير الرموز الفاعلة في واقع الحركة الإسلامية بمصر بواقع السبعينيات وإمتد إلي فترة الثمانينيات وما بعدها حيث أن الفترات السابقة، الخمسينيات والستينيات لم يكن هناك وجود لنشاط إسلامي بارز فيها..
وسوف نعرض هنا لهذا الرموز التي لا تزال تلقي بظلالها علي الواقع مركزين علي الجانب الفكري والحركي في شخصية هذه الرموز وهو ما يعنينا في هذا الباب..

حسن البنا

كان البنا رجل مرحلته، فقد إستطاع بدعوته التقليدية أن يسود قطاعًاكبيرًا من المجتمع المصري، وأن يتغلغل في مؤسساته، وحتي في مؤسسات الدولة مثل الجيش والشرطة, لتدخل دعوة الإخوان المعترك السياسي وتنافس الأحزاب..
وقد هيأ المناخ السائد بالإضافة إلي الطبيعة المصرية السبل أمام البنا لكي يحقق أكبر الإنجازات لدعوته في فترة قياسية، هي الفترة من عام ٨٢ فترة ظهور الدعوة إلي فترة الحرب العالمية، التي بدأت عام ٩٣,,
إلا أنه يمكن القول أن تلك الإنجازات التي حققها كان تعتمد علي جهد البنا وحده، أو جهد العناصر التي جندها لدعوته، بالإضافة إلي إمكانيات الجماعة المحدودة، وإنما كانت هناك عوامل أخري سياسية في دفع حركة الإخوان إلي الأمام ودعمها, وربما كان القصر الذي إرتبط معه البنا بعلاقة قوية أحد هذه العوامل وربما كان الإنجليز، وربما كانت قوي أخري,,(١)
وكان وجود الإخوان بلا منافس قوي لهم علي الساحة في الميدان الإسلامي, سواء في مصر أو في خارجها قد جعل من البنازعيمًا دوليًا للمسلمين ,خاصة بعد سقوط رمز المسلمين المتمثل في دولة الخلافة عام ٤٢,,
وكان البنا كغيره من الزعماء الذين فرضوا أنفسهم علي الساحة المصرية لابد وأن يكون له موقفه من القضايا الوطنية التي تشغل الساحة والأحزاب والمشتغلين بالعمل السياسي..
ولعل المواقف التي تبناها البنا في الفترة ما بعد انتهاء الحرب العالمية وقيامه بتأسيس التنظيم السري ــ وهي مواقف سياسية بحتة ــ كانت السبب المباشر في اغتياله عام ٩٤,,
واغتيال البنا في فبراير ٤٩ كان بمثابة إنذار للجماعة لكونها تجاوزت الحد، ولم يكن الهدف منه ضرب الجماعة أو القضاء عليها'ولم يكن اغتيال البنا اغتيالاً للدعوة, كما لم يكن اغتيالاً للإسلام كما يصور أتباع الجماعة، وإنما كان اغتيالاً سياسيًا بحتًا..
ولا شك أن هناك الكثير من الأسرار التي كان يحتفظ بها البنا لنفسه فيما يتعلق بعلاقاته مع القصر والإنجليز وشتي القوي السياسية الأخري، تلك الأسرار التي كان يقرؤها في عينيه، في بعض مواقفه وتحركاته القريبون منه من قيادات الجماعة,,(٢)
ولقد عمل الإخوان ولا يزالون يعملون علي إضفاء القداسة والعدالة المطلقة علي شخص البنا، عاملين علي تبرئته من جميع الشبهات وأضعينه في مصاف القيادات الربانية التي قلما جاد بها الزمان,,(٣)
والحق أن الإخوان أضروا البنا كما أضروا دعوتهم بهذا الموقف, إذ فتحوا الأبواب علي مصارعها للخصوم والمنشقين عليهم ليدلوا بدلوهم في قضية الإخوان ومؤسسها البنا,,(٤)
وجميع الكتابات التي ظهرت عن حسن البنا لم ترض الإخوان, ولم تحز علي تشجيعهم, فقد اعتبروا أن البنا زعيمهم، وأن القضية قضيتهم, فمن ثم هم أحق الناس بالكتابة عنها والتأريخ لها، إلا أن المطلعين علي كتابات الإخوان عن البنا من خارج دائرة التيار الإسلامي ينظرون إلي هذه الكتابات بعين الشك ولا يسلمون بكل ما فيها..
والإخوان قد أغلقوا باب النقد ــ شأنهم في هذا الشأن التيارات الإسلامية الأخري ــ وبالتالي فهم ليسوا علي استعداد لقبول أية صورة من صور النقد أو الهجوم علي شخص البنا أو جماعة الإخوان..(٥)
والحاصل أن طرح البنا إنما هو نتاج حركة سلام مع الواقع لذا فإنه لايظهر من خلال أطروحته ما يؤكد عداؤه للواقع ومنابذته له..

من هنا يمكن القول أن الشهرة السياسية للإخوان، والحجم الإعلامي الذي كسبوه كان نتيجة لصدام الحكم بهم, لاصدامهم هم بالحكم, أما شهرة البنا ومكانته فقد جاءت نتيجة للمرحلة التي برز فيها, مرحلة اختفاء المنافس الإسلامي وسيادة الركود الفكري، ووجود الاستعمار..

وهي نفس العوامل التي صنعت من عبدالناصر زعيمًا علي المستوي القومي..

والشيء الملفت للنظر أنه رغم الدور الإعلامي البارز الذي قام به الإخوان من أجل الدعاية لأنفسهم ولشخص البنا, فإنهم لم يستطيعوا أن يتجاوزا بشخصيته حدود جماعتهم، وفشلوا في كسب تعاطف التيارات الأخري نحوه..

بقي البنا للإخوان، بينماخلق التيارات الإسلامية الأخري لها زعامات بديلة, ويعود السبب المباشر لتبني التيارات الإسلامية ذلك الموقف من البنا إلي الأمور التالية :

ـــ افتقاد طرحه للعمق..

ـــ عدم تبني نظرية مواجهة للواقع..

ـــ علاقته بالقصر وموقفه من الحكومة..

ـــ مرونته تجاه الشيعة والصوفية..

ـــ مرونته تجاه التيارات السياسية وتبنيه الأفكار الوافدة..

ـــ موقفه من بعض القضايا السلفية..

وكانت أول صورة من صور الصدام مع فكر البنا وطرحه عام ١٥ حين دعا الشيخ تقي الدين النبهاني القاضي الشرعي إلي تأسيس حزب التحرير الإسلامي والإنشقاق عن الإخوان بسبب عجز فكرهم عن مواجهة الواقع,,(٦)

وكانت الصورة الثانية للصدام مع طرح البنا تتمثل في طرح سيد قطب الذي تناقض تمامًا مع طرحه..(٧)

وكانت الصورة الثالثة للخروج علي خط البنا تتمثل في بروز تيار التكفير داخل المعتقل، وعجز المرشد السابق حسن الهضيبي عن احتوائه,,(٨)

وكانت الصورة الرابعة تتمثل في تيارات السبعينيات: التيار السلفي وتيار الجهاد، والجماعة الإسلامية التي أعلنت الحرب علي الإخوان المسلمين ووجهت النقد اللاذع للمؤسس حسن البنا..

فالتيار السلفي إعتبر البنا تجاوز العقيدة السلفية وتبني قضايا الفرق الضالة فيما يتعلق بمسألة الأسماء والصفات التي هي من أساسيات التوحيد في منظور السلفيين ,كما تسامح مع الصوفية والشيعة وتغاضي عن الممارسات الشركية التي يمارسوها حسب منظورهم..(٩)

والتيار الجهادي اعتبر علاقة البنا بالقصر ومداهنته للحكومة وعدم تبنيه خطة لمواجهة الواقع (الجاهلي) بالإضافة إلي تبنيه الأفكار المستوردة كالديمقراطية وغيرها. ذلك كاف للتشكيك فيه ونبذه ,,(٠١)

لقد نجح البنا في أن يحقق لفكره وأطروحته الشيوع والإنتشار والتمكن من خلال جماعة قوية، إلا أن الأمر لم يستمر كذلك بعد مصرعه، فقد واجهت الجماعات نكسات كثيرة في مواجهة حزب التحرير والتيار القطبي وتيار التكفير ثم التيار السلفي وتيار الجهاد فيما بعد..

هوامش حسن البنا

(١) انظرة شهادة الشيخ الغزالي ضم وثائق الكتاب وقد رفع الإخوان عريضة يعلنون فيها ولاءهم للملك فؤادعام ٠،٣٣ وحين اعتلي فاروق عرش مصر حشد الإخوان الآلاف من الجوالة الذين قدمهم البنا لفاروققائلاً : هؤلاء جنودك يا مولاي..

(٢) ذكر لي الشيخ فهمي أبو غدير محامي جماعة الإخوان أنه قد وقع صدام بينه وبين حسن البنا أدي إلي مقاطعة أبو غدير له، وأن البنا إختفي قبل مصرعه وعين أسماء تحل محله لحين عودته كان علي رأسها الباقوري..

(٣) يربط الإخوان بين حسن البنا وبين حديث الرسول : يأتي علي رأس كل مائة عام من يجدد أمر الدين في أمتي.

(٤) أنظر الكتب التي كتبت في جماعة الإخوان وعلي رأسها: الإخوان المسلمون لميتشل,الإخوان المسلمون والجهاز السري لعبد العظيم رمضان، الصامتون يتكلمون لسامي جوهر,وعبد الناصر والإخوان لعبد الله إمام, والإخوان المسلمون أوراق خفية وهي ترجمة عربية لدراسة فرنسية لإبراهيم زهمول, وقصة ثورة ٢٣ يوليو لأحمد حمروش, واللدودان: الوفد والإخوان لزهير ماردينى وغيرها ..

(٥) انظر فصل مأزق الحركة، وفصل الحركة بين الجمود والتصحيح..

(٦) كان تأسيس الحزب في القدس وتبني الفكرة الانقلابية التي رفضها الإخوان الذين حاولوا احتواء التيار الجديد وضمه إلي صفوفهم من جديد دون جدوي..

(٧) انظر باب المنطلقات العقدية والفصل القادم..

(٨) سوف يأتي الحديث عن شكري مصطفي..

(٩)المقصود أن البنا تبني قضية التأويل فيما يتعلق بالأسماء والفات التي قال بها الخلف من أهل السنة والشيعة والمعتزلة ويفسرون بها صفة اليد بمعني القدرة والبصر بمعني الإحاطة والنزول بمعنى الرحمة ,ويرفضون فكرة رؤية الله سبحانه في الآخرة,والمقصود بالممارسات الشركية هي التوسل بالأولياء وزيارة المقامات التي تعد من الممارسات البارزة عند الشيعة والصوفية, أنظر العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية وكتب العقائد الأخري التي تبرز عقيدة أهل السنة..

(١٠) انظر فصل الحركة والعمل السياسي..

سيد قطب

كان سيد قطب من الأقلام البارزة بالحفل الأدبي في مصر، وكانت له صداماته الفكرية مع العقاد وطه حسين وغيرهما,,(١)

وفي عام اغتيال البنا كان في أمريكا ضمن بعثة حكومية من أجل التخصص في البرامج العلمية، ودخل أحد مستشفيات سان فرانسيسكو للعلاج حيث جاء خبر إغتيال حسن البنا, ورأي فرح الأمريكان بهذا الخبر..

وكان موقف الأمريكان هذا قد لفت انتباه سيد قطب لجماعة الرخوان، وصمم أن يتعرف عليهم حين يعود إلي مصر..(٢)

وقد بدأت علاقة سيد قطب بالإخوان عام ١٥ حين انجذب نحو دعوة الإخوان عاطفيًا وتسلم بعد ذلك رئاسة تحريرجريدة الإخوان المسلمون التي تنطق بلسان الجماعة..(٣)

وقد انتمي سيد قطب للإخوان في فترة حرجة حيث أن العلاقة بين الإخوان والقصر قد ساءت, والبوليس السياسي يطارد شباب الإخوان, في الوقت الذي تسعي فيه قيادة الإخوان نحو المصالحة مع الملك، وعودة الجماعة لممارسة نشاطها بعد أن أصدر قرار بحلها بعد اغتيال النقراشي..(٤)

ولم يكن سيد قطب يدرك خبايا اللعبة السياسية التي تجري بين القصر والإخوان, كما لم يكن يدرك ماهية علاقة الإخوان بالأطراف الأخري ,وعلي رأسهم ضباط الجيش..

ولم يكن الإخوان ليعطوهدورًا ابارزًا في دائرة الجماعة، وهو حديث العهد بها..

ومن هنا فإن دوره في محيط الأخوان كان ينحصر في المحيط الإعلامي والفكري، وحتي تلك الفترة التي دخلت فيها جماعة الإخوان في صدام مع عبد الناصر لم يكن سيد قطب قد بلور أفكاره وأبرز طموحاته..

وكانت علاقة قطب بالإخوان غير معروفة لضباط يوليو الذين كانوا قد عينوهمستشارًا لشئون العمال..

وحين وقعت أحداث كفر الدوار طلب قطب الإستعانة بالتنظيمات العمالية الإخوانية للحيلولة دون تغلغل الشيوعية بين العمال، ورفض هذا الطلب..(٥)

وقد رشح سيد قطب لتولي وزارة التربية والتعليم في تلك الفترة، وقبل قطب الترشيح غير أن عبد الناصر عدل عن ترشيحه فيما بعد وقرر ترشيحه لوزارة الشئون الاجتماعية التي رفضها,,(٦)

ويروي رجال الإخوان الذين عاصروه في السجن الأول في الخمسينيات أن قطب تأثر كثيرًا بحادثة قتل مجموعة من عناصر الإخوان علي أيدي الحراس في سجن ليمان طرة وكان لهذه الحادثة أثر كبير علي فكره,,(٧)

وكان سيد قطب ينفق علي بيوت بعض الإخوان المعتقلين ويرسل لهم المساعدات من داخل السجن، وقد تضاعف دخله من كتبه التي كانت تصدر وهو في السجن..

وبعد اعتقال قطب للمرة الثانية عام ٥٦ وصدور الحكم بإعدامه جرت اتصالات بين عبد الناصر وبينه كان الهدف منها أن يقدم قطب له تأييدًا أو اعترافًا بخطئه وساق إليه شقيقته أمينة قطب, إلا أن هذه الإتصالات قطعت برفض قطب التنازل لينفذ فيه حكم الإعدام في ٦٦/٨/٨٢,,(٨)

ولقد أعطي إعدام قطب دفعة لفكره أسهمت في شيوعه وانتشاره بين المسلمين في كل مكان من أرجاء العالم الإسلامي ليصبح المصدر الأساس في نمو وقيام الكثير من التيارات الإسلامية، ومنذ ذلك الحين أصبح قطب الملهم الأول والأب الروحي للحركات الإسلامية في مختلف بقاع العالم الإسلامي..

وسيد قطب لم يستفد شيئًا من فكر البنا الذي كان دون فكره بكثير، وإنما تحققت له الفائدة الفكرية التي أسهمت في بلورة أفكاره الإسلامية واشتعالها علي يد أطروحات المفكر الباكستاني أبو الأعلي المودودي,,(٩)

من هنا فإن جماعة الإخوان لم تحتمل أفكاره، بل حاربتها وضيقت عليها وحملتها وحملت قطب مسئولية التصدع الذي أصاب الجماعة في الستينيات ,ونشوء الأفكار المتطرفة, إلا أن ما يمكن قوله في هذا المضمار هو أن قطب لم يكنمسئولاً عن فكر التكفير، أو شق الصف وإنما المسئول الأول هو فكر الإخوان الذي لم يكن علي مستوي المرحلة، وقد وجد لمرحلته بينما يصر الإخوان علي مواكبة الواقع به رغم تبدل الظروف وكثرة المتغيرات..

وإن الفرق بين رؤية البنا ورؤية قطب هو الفرق بين مرحلتين لكل منهما ملابساتها وظروفها، وفكر البنا أقرب ما يكون إلي الجمعيات والهيئات والأحزاب..

وفكر قطب أقرب ما يكون إلي التنظيمات السرية فقد أحيا قطب فكرة الجاهلية وفكرة الحاكمية وفكرة الجهاد, تلك الأفكار الثلاثة التي تلقفتها التيارات الإسلامية وترجمتها إلي حركة وبلورت علي أساسها مواقفها من الواقع..

ومن جهة أخري فإن أفكار قطب قد زادت من الصعوبات ووضع العراقيل في طريق الإخوان, وتسببت في إحراجهم أمام الواقع وأمام التيارات الأخري, ففي الوقت الذي يتهم فيه تيار الإخوان بالمداهنة والعمالة للحكومة من قبل التيارات الإسلامية، يتهم أيضًا بالتطرف والسعي لقلب نظام الحكم من قبل الحكومة, رغم إعلان براءته من التطرف ومن قطب ومن التيارات المناهضة للحكومة..

واليوم قد تخطت التيارات الإسلامية في مصر فكر سيد قطب كما تخطت من قبله فكر البنا والمودودي وإنحصر تأثير قطب في محيط التيار القطبي, وبعض المجموعات الصغيرة والناشئة الجدد في الحقل الإسلامي ويعود السبب في هذا التراجع إلي العوامل التالية:

ـــ هيمنة الفكر السلفي الوهابي علي تصور التيارات الإسلامية..
ـــ تبلور فكرة الجهاد واتضاح معالمها وكذلك فكرة الحاكمية والجاهلية، نتيجة لزيادة التباعد بين الإسلام والواقع..
ـــ زيادة جرعة العداء للتيار الإسلامي لدي الحكومة..

وكانت هيمنة الفكر السلفي الوهابي علي التيارات الإسلامية في مصر قد دفعت بهم إلي النظر لأطروحة قطب بعين الشك، فقطب في نظر التيار السلفي انحرف عن عقيدة السلف حين تبني ـمثلاً ـ في تفسير قوله تعالي **{الرحمن علي العرش استوي}** قول المعتزلة والشيعة الذين يفسرون الاستواء بمعني الاستيلاء..(٠١)

وبالإضافة إلي ذلك فإن قطب تبني أطروحات وأفكارًا يسارية حين تصدي لبعض القضايا التاريخية مثل قضية عثمان بن عفان,,(١١)

وتيار التكفير الذي قام علي أساس أطروحة سيد قطب، سرعان ما تخطاها ليؤصل فكره وأطروحته علي أساس اجتهادات شكري مصطفي, وكذلك تيار الجهاد الذي هضم فكرة الجاهلية والحاكمية ودخل في صدام مع الواقع لم يجد في أطروحة قطب البراهين الشرعية التي تعنيه علي تبرير مواجهته للواقع وجهاده, فمن ثم لجأ إلي التراث السلفي ليستمد منه هذه المشروعية..(١٢)

وكان إزدياد التباعد بين الإسلام والواقع وإزدياد حملات القمع والبطش والتضييق علي التيار الإسلامي من قبل الحكومة بالإضافة إلي شيوع الإنحراف ومظاهر الفساد ـ كان ذلك كلهمبررًا كافيًا للحكم علي الواقع بالجاهلية وعلي الحكومة بالكفر من جهة التيار الجهادي دون الحاجة إلي فكر قطب..

هوامش سيد قطب

(١) أنظر المجلات الأدبية في تلك الفترة..

(٢) هذه رواية الإخوان حول تعرف قطب بهم وانضمامه لصفوفهم وفيها نظر فليس من المقبول على شخص مثل قطب أن يكون في عزلة عما يجري في الساحة المصرية ولم يسمعشيئاً عن الإخوان..

(٣) كان كتاب (العدالة الإجتماعية في الإسلام) الذي صدر لقطب عام ٩٤ قد لفت إنتباه الإخوان له, وقد زار وفد من القيادات الطلابية الإخوانية قطب وناقشه في هذا الكتاب بعد عودته من أمريكا, وقرروا تدريسه في برنامجهم الثقافي آنذاك..

(٤) كان الإخوان قد اتهموا الملك بتدبير إغتيال البنا ثم قاموا بتشكيل وفد برئاسة الهضيبي لتهنئة الملك بعيد ميلاده في ١٥/١١/٤١ , وفي تلك الفترة كان قد إنشق عن الإخوان عدة عناصر بارزة من مكتب الإرشاد وغيره, علي رأسها الشيخ محمد الغزالي والشيح سيد سابق والشيخ الباقوري وصالح عشماوي وغيرهم, ومما يذكر هنا أن اختيار الهضيبي مرشدًا للإخوان يعد السبب الرئيسي للخلافات التي وقعت آنذاك, ويعود الموقف من الهضيبي إلي كونه فرض علي الإخوان من قبل القصر..

(٥) انظر مجلة لواء الإسلام عدد ٣ و ٤ /٧٨, مقال، في الذكرى الحادية والعشرين لإستشهاد سيد قطب وهذه الرواية لبعض عناصر الإخوان المعاصريين لقطب..

(٦) لواء الإسلام العدد السابق، وقد ذكرت المجلة علي لسان عناصر من الإخوان أن سبب العدول عن ترشيح قطب هو اعتراض السفارة الأمريكية بالقاهرة بسبب ميوله الإسلامية, ويذكر أن قطب تبني فيما بعد فكرة رفض قبول المنصب في الحكومات غير الإسلامية..

(٧) لواء الإسلام العدد السابق..

(٨) كان عدد من عناصر الإخوان قد تقدموا بالتماسات لعبد الناصر من أجل إخلاء سبيلهم، وبعضهم قبل العمل كجاسوس علي زملائه في السجن..

(٩) كان سيد قطب قد تأثر بأفكار أبو الأعلي المودودي زعيم الجماعة الإسلامية بباكستان وكانت أطروحة المودودي علي قدر من الوعي السياسي وتفوق أطروحة البنا بمراحل, حيث إنها كانت نتاج مرحلة التمكن وإقامة الدولة بمتطلباتها وتحدياتها ,وقد ترجمت معظم مؤلفات المودودي إلي العربية, ولاقت قبول التيارات الإسلامية في فترة النشأة الفكرة بالسبعينيات, وعلي رأس الكتب التي كانت متداولة للمودودي في مصر: كتاب منهاج الانقلاب الإسلامي،والجهاد في سبيل الله، والحجاب، و تدوين الدستور الإسلامي، و نحن والحضارة الغربية، و نظرية الإسلام السياسية، و القانون الإسلامي وطرق تنفيده، و معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام، ثم كتاب المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله، الرب، العبادة، الدين) الذي تأثر به قطب..

(٠١) انظر سورة طه في ظلال القرآن..

(١١) أنظر كتاب العدالة الاجتماعية..

(٢١) قام تيار التكفير أول ما ما قالمتأثرًا بأفكار قطب ثم انقلبت عليه كذلك تأثر تيار الجهاد بكتاب معالم في الطريق لقطب واستمد منه الدفعة العدائية الأولي ضد الواقع ونظام الحكم..

شكري مصطفي

عندما وجه عبدالناصر ضربته الثانية للحركة الإسلامية في منتصف الستينيات قامت عدة مظاهرات في أنحاء متفرقة من البلاد شارك فيها طلبة الجامعات..

وكانت المظاهرات تشكل صورة من صور الاحتجاج علي الاعتقالات التي وقعت آنذاك ويسودها الطابع الإسلامي..

وقام بعض الطلاب بتوزيع كمية من المنشورات المعادية لعبد الناصر والناطقة بلسان الإخوان مما دفع السلطات إلي توسيع دائرة الاعتقالاتظنًا منها أن الإخوان لا تزال لهم بقايا لم تستأصل بعد..

وتبين بعد ذلك أن المنشور المعادي الذي كان ينطق بلسان الإخوان كانمنشورًا مزيفًا وضعه أحد طلاب جامعة أسيوط وقام بنفش خاتم الإخوان علي قطعة من الحجر أخذ يختم بها كل منشور..

وهذا الطالب الذي كان من المشاركين في المظاهرات كان يدعي شكري مصطفي وكان وقتها طالبًا في السنة الأولي بكلية الزراعة جامعة أسيوط..

وتم القبض علي شكري ليدخل المعتقل،ولتبدأ مرحلة التحولات الفكرية في حياته، والتي اختتمت بتأسيسه تيار التفكير، وتزعمه له حتي قبض عليه مرة أخري بعد حادثة الشيخ الذهبي عام ٧٧ وحكم عليه بالإعدام..

نشأة جماعة التفكير ..(١)

كانت ميول شكري قبل اعتقاله في الستينياتميولاً قطبية, ولما بدأت تظهر طلائع التكفير داخل المعقل علي يد بعض رجال الإخوان، وفي مقدمتهم الشيخ علي إسماعيل ـ شقيق الشيخ عبد الفتاح إسماعيل أحد الذين أعدموا مع سيد قطب , انتمي لها شكري علي الفور، وأصبح أحد أتباع هذا التيار الذي بدأ يطرح قضية تكفير عبد الناصر، ثم انتقل إلي تكفير الذين يمارسون التعذيب علي المعتقلين ليتطور بعد ذلك إلي تكفير المخالفين له من الإخوان..

ولم يكن الطريقسهلاً أمام تيار التكفير الذي لم يكن قد احتوي سوي عدد قليل من المعتقلين فقد تصدي له الإخوان بقوة، وحاصروه وأصدروا في مواجهته البيانات الداحضة، وتمكنوا في النهاية من إعادة الشيخ علي إسماعيل وآخرين إلي صفوفهم مرة أخري..

إلا أن شكري ثبت علي موقفه، ولم يرجع عن فكر التكفير، ومعه بضعة أفراد يعدون علي الأصابع، وبدأ شكري يعكف وحده ويقنن نظرية التكفير, وأخذ يتبحر في كتاب اللغة وأصول الفقه والتفسير والحديث، ويستنبط من خلالها ما يدعم فكره وآراءه ويدون الكشاكيل، ويكتب القصائد الشعرية التي تعكس همومه وأفكاره، والأحداث التي كان يواجهها داخل المعتقل,,(٢)

وكانت شخصية شكري وصلابة رأية وإصراره علي خط التكفير قد أدي إلي حدوث مشاكل كثيرة داخل المعتقل بينه وبين التيارين الآخرين تيار الإخوان، وتيار القطبين, مما دفع المباحث إلي ترحيله بين المعتقلات ,لكن هذا الأمر لم يخفف من حدة المشاكل التي تقع بسبب أفكاره في كل مكان يتم ترحيله إليه..

ولقد إستطاع الإخوان تحجيم تيار التكفير ومحاصرته داخل المعتقلات، وأصدروا في مواجهته الردود والنشرات، التي جمعها فيما بعد في كتاب صدر تحت عنوان **(دعاة لا قضاة)**.. (٣)

وفترة الاعتقال التي عاشها شكري من عام ٥٦ حتي عام ١٧ قد أتاحت له فرصة التفرغ لتأسيس مذهبه ووضع خطوطه العريضة, وهي فترة ربما كان يخطط فيها لمرحلة ما بعد الخروج, حيث أن الظروف داخل المعتقلات كانت تحول بينه وبين الانتشار ,خاصة أن الإخوان كانوا يقفون له بالمرصاد..

ورغم الصدامات الفكرية المتكررة بين شكري والآخرين داخل المعتقل إلا أن فكره لم يكن قد تبلور بصورته الكاملة، ولم يكن قد فرغ من وضع نظريته في العمل إلا في أواخر الستينيات..

يقول شكري في مقدمة إحدي قصائده وهي قصيدة **هاجر إلي الله** التي كتبها عام ٦٦:

وجاء الحل العبقري من السماء,جاءت المعجزة لنجاتي.. لقد إعتقلت.. وبدأت في طريق الهجرة إلي الله وأنا لا أدري, أن الذي يشكو من كل ما حوله، ويخالف كل ما حوله، ويعتقد أن ما حوله باطل فليس أمامه إلا أن يزيل الباطل أو يزول هو عنه..

وكان عنوان قصيدته هاجر إلي الله هي بداية الحل العبقري لمشكلة الضالين حسب تعبيره وسوف نقتطف من قصيدته هذه ثلاثة أبيات تعكس رؤية شكري آنذاك..

تقول القصيدة:

ماذا يضرك من جند وملحمة
فاترك ضلالة من ضلوا وغيهم
أعدت شاردها لله فاجتمعت من
مادام حزبك حزب غير منحدل
واتبع نبيك واستوثق علي رسل
بعد مختلف الأهواء والنحل

وقد إنعكست الصراعات التي كانت تدور بين شكري والإخوان في المعتقل علي شعره ,فقام بكتابة قصيدة تحت عنوان **(العودة)** وذلك في عام ٨٦,,

يقول شكريمقدمًا لقصيدتهشارحًا جوها للقارئ : والآن جاء دور الملاحم وإعداد النفس في سبيل الله ومواجهة التحديات التي تواجهها من القريب والصاحب بالجنب, وقد سجلت هذه القصيدة ثلاثة معارك مختلفة:
الأولي: معركة النفس مع النفس في الحرص علي الأهل والماضي القديم..
الثانية: معركة مع من تركوني في وطيس المعركة وفروا، أقصد بالذات جماعة الإخوان الذين كنتيومًا معهم، ثم خذلوا الحلق وخذلوا أنفسهم ومضوا..
الثالثة: معركة مع الكفر وأئمة الكفر في مصر..
لقد خضت هذه المعارك تقريبًا وحدي كما هو مبين في القصيدة وكما هو في الحقيقة، إن الوحدة لا تمنعني مادام معي الإصرار علي الحق، والصبر عليه والرجاء في نصر الله والثقة في وعده..
ونظرا لطول القصيدة سوف نقتطف منها مجموعة من الأبيات تعكس المعارك الثلاث التي ذكرهاسابقًا:
يقول شكري في قصيدته:
ديار كموا قومي أثارت فؤاديا
وقفت بأرض ما عليها علامة من
فياليتني عنها بعيد مسافة
فناديتهم لما رأيت سوادهم
فلا سمعوا صوتي ولا قال قاتل
زمان مضي في غير حق قضيته
أنا اليوم في أرض كثيرة قيودي
أتعرف ما الدين الذي يرغمونني
أتعرف ما الرب الذي يعبدونه
أأخذل مظلوما وأنصر ظالمًا
أباحوا دماحرًا وعرضًامبرءًا
وأقسم لا أبقي علي الأرض ساعة
تراني مغلوب تراني غالبا
وذكرًا كموا قومي أجدت جراحيا
الأهل إلا ذكريات خواليا
ويااليت تلك الأرض ليست بلاديا
وقلبت وجهي سائلا ومحييا
هلم ولا ردواعليّ سلاميا
فمر كساعات قصار زمانيا
ولم أعط العدو قياديا
عليه في وتمجيده سجونيا
ويأبون إلا أن يكون إلهيا
وأحني له في الجاهلية جبينيا
وداسوا بأقدام اليهود تراثيا
أنازع إلا والحديد لباسيا
ولكن محالا أن تراني شاكيا
ولم تكن تقتصر قصائد شكري التي كتبها في المعتقل علي شرح أفكاره وتبيانها وإستعراض الأحداث التي مرت به، وعايشها ,وإنما تعدت ذلك إلي تدوين القصائد الرثائية في في بعض شباب الحركة الإسلامية آنذاك الذين تعاطفوا معه وناصروه، والذين سقطوا علي الطريق في عام ٩٦,,
كتب شكري قصيدة رثاء في شاب يدعي فاروق المنشاوي وكان قد سقطقتيلاً بالسكين في سجن ليمان طره..
وكانت اخر قصيدة كتبها قبل خروجه من المعتقل في رثاء شاب من شباب الإخوان يدعي محمد منيب وذلك في عام ١٧,
والجدير بالذكر هنا أن منيب هذا هو طالب جامعي من أسيوط قتل تحت التعذيب في السجن الحربي عام ٥٦ ــ هو الذي قاد شكري إلي الخط الإسلامي في بداية حياته..
يقول شكري عن منيب: ولقد نسي الأصحاب ــ من جماعة الإخوان محمد منيب وغيره ممن قتلوا في هذا الميدان، وألهتهم فرحة الخروج من السجن وإستشراق الدنيا ذكر من قتل في ساحة الإسلام..
تقول القصيدة:
أقيمت لي درب الهوي.. الزينات..

وهفت ريحة الأحباب حفت بي علي الطرقات..
وجاءت زوجتي كالصبر.. لم تندم علي مافات..
ضحكت.. وقلبي الملآن لم يضحك..
فنار الثأر في جنبي تكويني علي الجنبات..
وكان طرح الإخوان في مواجهة شكري يعتمد علي النقاط التالية:
تبيين معني الشهادتين وحقيقتهما..
تبيين معاني: الجحود. الكفر. الشرك. الردة. النفاق..
تبيين معني الحاكمية..
تبيين معني الجهل والخطأ في العقيدة..
تبيين معني الكفر بالطاغوت..
تبيين معني الطاعة والإتباع والإمام الحق..
رفض التعامل المباشر مع القرآن..
وكان ترحيل شكري بين المعتقلات فقد أتاح له فرصة نشر أفكاره وتعميمها,وقد ساعدته مقوماته الشخصية القوية العنيدة علي الصمود والثبات في مواجهة تيار الإخوان الذي كان يحوي عدة عناصر ذات باع كبير في الفقه.,(٤)
وفي مواجهة ضغوط المعتقل ـ تلك الشخصية التي استطاعت أن تهيئ الأسباب بعد خروجها من المعتقل، وتتمكن من جذب قطاع كبيرمن الإسلاميين إلي دعوته، إلا أن هذا العناد كان السبب المباشر في القضاء عليه، وعلي دعوته حين قرر التصدي للمنشقين وتصفية الخصوم والدخول بالجماعة في طور الصدام المسلح مع الواقع ضاربًا عرض الحائط بشتي صور النصح والمعارضة التي أبدأها رفاقه والذين رفضوا أن يزج بالجماعة في مثل هذه المتاهات,,(٥)
الهوامش

(١) جماعة التفكير والهجرة هو الاسم الذي أطلقته أجهزة الأمن علي الجماعة, أما الاسم الحقيقي لها فهو جماعة المسلمين..
(٢) اقتبسنا بعض قصائد شكري هنا للاستدلال بها علي فكره ورؤيته..
(٣) طبع هذا الكتاب عن طريق دور النشر الإخوانية ,انظر كتاب دعاة لا قضاة سلسلة (كتاب الدعوة) ط القاهرة..
(٤) يقول الإخوان إن المخابرات كانت تنقل شكري في المعتقلات بهدف إثارة البلبلة في صفوف الإخوان وزرع الشقاق بينهم.
(٥) انظرشهادة الشيخ عبدالرحمن أبوالخير أحد أعضاء جماعة التفكير في كتابه حكايتي مع جماعة التكفير طبع الكويت..

عمر عبدالرحمن

كان إرتباط الدكتور عمر عبدالرحمن بحادث الإغتيال عام ١٨ هو أول صورة من صور البروز العلني له علي الساحة الإسلامية, وهو من رجال الأزهر، وكان يتولي التدريس بالمعهد الديني التابع للأزهر بأسيوط قبل أن يتم القبض عليه بعد وقوع حادث الإغتيال,,(١)

وأدى تواجده بمدينة أسيوط مركز نشاط الجماعة الإسلامية إلي التنبه له من قبل عناصر الجماعة والالتفاف حوله، بعد أن وجدوا في أفكاره الإلتزام بعقيدة السلف، وتبني قضية الجهاد بالإضافة إلي موقفه المعادي للإخوان الذين يزاحمون الجماعة في أسيوط, ويمثلون العقبة في سبيلها,,(٢)

من هنا وجدت الجماعة الإسلامية الناشئة في الدكتور عمر رمزها المنشود، فاعتبرته الأب الروحي لها وضابط حركتها عن نهج السلف..

ويعد الشخصية الإسلامية الوحيدة في مصر التي تبنت فكرة المواجهة مع الحاكم والخروج عليه وقد تسبب بموقفه هذا في إحراج رجال الأزهر , كما تسبب في إحراج فقهاء السعودية الذين يتبنون نهج السلف لكنهم لايتبنون فكرة الخروج علي الحاكم.,(٣)

لقد أدي الخط السلفي الجهادي الذي تبناه عمر عبدالرحمن إلي الصدام مع تيار الإخوان والتيار السلفي وحكره في دائرة الجماعة الإسلامية وحدها,,(٤)

وعلي الرغم من موقف عمر عبدالرحمن المتشدد تجاه الحكام إلا أنه لا يتبني نظرية عدائية واضحة ومحددة تجاههم, فمن الممكن أن يلتقي مع الحاكم في حالة إلتزامه بتطبيق الشريعة الإسلامية..

ويذكر أنه قد أرسل برقية لتأييد جعفر النميري في السودان لقيامه بتطبيق الشريعة الإسلامية هناك، وقد عاد الدكتور عمر لمزاولة نشاطه في الساحة الإسلامية بعد الإفراح عنه عام٨٤وبعد أن تم اعتقاله في حادث إغتيال السادات وحوكم مع الإسلامبولي ثم مع عناصر الجهاد بعد ذلك وبرئت ساحته، وبرز نشاطه خاصة في محافظة الفيوم مسقط رأسه مما أدي إلي اعتقاله مرة أخري عام ٥٨ وقدم إلي المحاكمة بتهمة القيام بنشاط معاد للحكومة وحكم ببراءته..

ثم قبض عليه عام ٩٨ بتهمة إحداث الشغب في مدينة الفيوم، وقدم للمحاكمة مرة أخري وأخلي سبيله حيث سافر إلي الولايات المتحدة الأمريكية وأقام فيها منذ مارس عام ٠٩ ,,(٦)

والدكتور عمر ليس شخصية قيادية يمكن أن تشكل تحديًا أمنيًا للحكم في مصر كما يصور جهاز الأمن وأجهزة الإعلام فليس هو إلا مجرد فقيه سلفي إرتبط بحدث ضخم ,كما ارتبط بتيار لازال يشكل تحديًا أمنيًا للحكم ويحاول جهاز الأمن إثبات استمرار هذا الارتباط..

وفي حوار له نشر في مجلة المصور نفي الدكتور عمر وجود صلة بينه وبين الجماعة الإسلامية في مصر وتحدي وزير الداخلية إن كانت لديه وثائق تدينه فليبرزها..

وأعلن في حوار آخر لمجلة أكتوبر (العدد ٨٤٣ ـ ٠٢ ـ ٢٩٩١) حرمة السياحة بشكلها الحالي في مصر وبرر عمليات الإعتداء علي السياح بأنها من باب النهي عن المنكر..

وحدد موقف الجماعة من المسيحيين بقوله: إن ما تتبناه الجماعة الإسلامية هو المحافظة علي دماء النصاري وأموالهم ما داموا محافظين علي العهد الذي بينهم وبين المسلمين، وما بقوا في ذمة المسلمين ويحترمون النظام الإسلامي..

وقال: لا نريد من الحكومة سوي تطبيق شرع الله، وأن تطلق الحكومة الدعوة في طريقها، وتظهر دعوة الحق، وأن يطبق الشرعكاملاً وإلا فالثورة..

وإن عمليات الإعتداء علي رجال الأمن لن تتوقف إلا بعد فتح باب الحوار والإفراج عن المعتقلين والتأدب في معاملة المسلمين,عندئذ تجلس الجماعة مع العلماء الثقات..

وحمل مسئولية تفاقم الوضع في الصعيد محددًا أن العنف ليس أصليا ولا ذاتيًا عند الجماعة الإسلامية وإنما هو رد فعل.. (٧)

وقد قامت أجهزة الأمن والإعلام بالتركيز علي شخص عمر عبدالرحمن وتضخيمه ونسبت إليه الوقوف وراء تيار الجهاد في مصر ودعمه بالمال والفتوي, إلا أنها لم تثبت ذلك بدليل قطعي..

وعلي الرغم من هذا التركيز لم يدرج اسم عمرعبدالرحمن ضمن العناصر المطلوبة للمثول أمام القضاء في مصر، كما لم تصدر ضده أية أحكام غيابية, كما هو حال أيمن الظواهري، ومحمد الإسلامبولي شقيق خالد الإسلامبولي، ومصطفي حمزة، وغيرهم من عناصر الجهاد التي حكم عليها بالإعدام غيابيًا..

وما يجب قوله في النهاية أن هذه الرموز الأربعة لا تزال حية وباقية على الساحة الإسلامية وفي دائرة الحركة..

الهوامش

(١) حصل الدكتور عمر علي رسالة دكتوراه في سورة التوبة وهي سورة خاصة بالجهاد..

(٢) كان الدكتور عمر قد اعتقل مع الإخوان لفترة قصيرة في أواخر الستينيات ثم اختلف معهم، وعمل بالسعودية فترة من الزمن عاد بعدها إلي

مصر. ويذكر أنه هاجم الإخوان بشدة في إحدي المؤثرات الإسلامية التي أقيمت بمسجد النور الذي صادرته الحكومة بالقاهرة بسبب الزيارة التي قام بها مرشدهم التلسماني للبابا شنوده لتهنئته بعد رفع التحفظ عليه..

(٣) هاجم ابن باز كبير فقهاء السعودية عمرعبدالرحمن لتبنيه فكرة الخروج علي الحاكم واتهمه بتبني فكر الخوارج..

(٤) اصطدم تيار عبود الزمر بعمر عبدالرحمن والجماعة الإسلامية التي تتبني رؤية سلفية معتدلة تجاه الواقع بينما تتبني جماعة الجهاد رؤية متطرفة نابعة من الخط القطبي..

(٥) لا يري أهل السنة الخروج علي الحاكم إلا في حالة الكفر البواح وهي حالة لم تقع في التاريخ الإسلامي, أو وقعت وتغاضوا عنها, والحاكم بتطبيقه الشريعة يكون قد خرج من دائرة الكفر البواح ودخل دائرة الإسلام, مما يوجب طاعته في نظر الدكتور عمر..

(٦) أقام عمر عبدالرحمن في الولايات المتحدة وأدين في حادث نسف مبني التجارة العالمي بنيويورك. في فبراير ٢٩٩١, وقبض عليه في أول يوليو من نفس العام, وحكم عليه بالسجن مدي الحياة، ويذكر أن الإتصالات لا تزال مستمرة مع الجماعة الإسلامية..

ابن تيمية

برز ابن تيمية في العصر المملوكي في دائرة القرن الثامن الهجري..

وكان المذهب السائد في عصره وموطنه بلاد الشام هو المذهب الشافعي بينما هو كان ينتمي للمذهب الحنبلي, إلا أن علاقته بالحنابلة لم تكن على ما يرام, فقد كانت له آرائه واجتهاداته الخاصة التي اصطدم بسببها مع فقهاء عصره من الحنابلة وغيرهم..

كان ابن تيمية يتميز بلغته الحادة التي تستفز الجميع وكثيراً ما يحصن أفكاره بفكرة السلف والإجماع..

ولم تنحصر صدامات ابن تيمية في محيط الفقهاء وحدهم بل تعدتها لتصل إلى الصوفية والشيعة والأشاعرة والفلاسفة وحتى العامة..

وهذا كله قد أدى إلى صدور العديد من الردود والفتاوى فيه, بالإضافة إلى منع تداول أوراقه وإنزال العقوبة بتلاميذه,مما أدى لانحسار فكره واضمحلال دعوته..

وانتهي الأمر بحبسه ومعه تلميذه ابن القيم ليموت في الحبس عام (٧٢٦هـ) ..(١)

وبموته انتهت سيرته وأصبح في ذمة التاريخ حتى ظهر محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب و تبنىأفكار ه وقام ببعثها من جديد..

ولم يلق طرحهقبولاً لا من أسرته, ولا من الفقهاء المعاصرين له,ولم يجد من بنصره, مما دفع به إلى الفرار من موطنه والطواف في العراق والشام ثم العودة بلا نتيجة لجزيرة العرب..

ونتيجة لافتقاد ابن عبد الوهاب للمؤهلات الفقهية وأدوات الدعوة تحصن بأفكار ابن تيمية..

ولما كانت أفكار ابن تيمية شاذة ومن الصعوبة ترويجها وسط المسلمين خاصة, اتجه للبحث عن نصير من أمراء جزيرة العرب..

وكان أن التقى بمحمد بن سعود أمير الدرعية..

وتم توقيع اتفاقية بين ابن سعود وابن عبد الوهاب نصها: الدم الدم.. الهدم الهدم ..(٢)

ولم ينجح ابن عبد الوهاب نشر أفكاره, التي هى أفكار ابن تيمية, إلا بسيوف آل سعود الذين وجدوا في دعوته السبيل لتحقيق حلمهم في السيطرة على جزيرة العرب..

وسادت الدعوة الوهابية جزيرة العرب بقوة السيف لا بالحوار والعقل..

وتحقق لآل سعود ما أرادوا..

وعلى يد ابن عبد الوهاب برزت فكرة شيخ الإسلام التي ألصقت بابن تيمية..

إلا أنه في أواخر العشرينيات وقع الصدام بين الوهابيين المتعصبين وعبد العزيز آل سعود بسبب محاولاته تحديث الدولة واستخدامه الهاتف واللاسلكي الذي اعتبروه من عمل الشيطان, وكذلك بسبب إرسال ولده سعود ليدرس في بلاد الشرك, أي مصر..(٣)

و تمكن عبد العزيز بمساعدة الانجليز من القضاء على الوهابيين المتعصبين لتسود لهجزير ة العرب وبسميها باسم عائلته..(٤)

وظلت الدعوة الوهابية حبيسة الجزيرة العربية حتى ظهور النفط الذي وفر لها الدعم المادي و ساعدها على الانطلاق خارجها..

وكانت أول بذرة وهابية في مصر تمثلت في جماعة أنصار السنة المحمدية التي برزت في عام ١٩٢٦م..

إلا أنها لم تنجح في نشر الدعوة الوهابية في مصر, وتم إيقاف نشاطها من قبل عبد الناصر الذي كان على علاقة سيئة مع السعوديين..

وظلت الساحة الإسلامية في مصر هادئة ولا ذكر فيها لابن تيمية ولا تلاميذه حتى مجئ السادات الذي فتح الأبواب على مصارعها للمد الوهابي, ليدخل السعوديون بقوة وبرموا شباكهم على الشباب المسلم الناشئ, ويشيعوا أفكار ابن تيمية وابن عبد

الوهاب, ويروجوا لفكرة شيخ الإسلام..

وبسبب الفراغ الذي كانت تعيشه الساحة الإسلامية آنذاك, وعدم وجود تيار إسلامي وطني جاذب بعد انهيار دور الأزهر, تلقفها الشباب منهم تلقف الكرة..

وبرزت الجماعات الإسلامية في ظل هذا المناخ الذي صور لها ابن تيمية كممثل للسلف .وحملت روحه العدوانية المصادمة للواقع..

والسؤال هنا هو : هلحقاً ابن تيمية كان يمثل السلف..؟

والجواب بالطبع لا, وهو ما يتضح لنا من كم الردود التي صدرت ضده على مستوى الماضي والحاضر, والتي تؤكد خروجه حتى على مذهب إمامه ابن حنبل ومذهب أهل السنة بصفة عامة..(٥)

ولما كانت الجماعات الإسلامية الناشئة في حالة خصام مع الواقع , وقد هيئت للصدام معه بفعل أفكار سيد قطب. وما روجه الإخوان عن عبد الناصر,بالإضافة إلى مواقف السادات الاستفزازية كل ذلك دفع بهم نحو ابن تيمية الذي بررت أفكاره الشاذة لها التصادم مع الواقع الذي تعيش في حالة عداء معه..

ووجد تيار الجهاد عند ابن تيمية الفتوى التي استبيحت على أساسها دماء السادات, وكذلك الفتاوى التي أباحت له استحلال دماء المسيحيين وأموالهم..

ووجد التيار السلفي في أفكار ابن تيمية المبررات الشرعية التي تعينه على مخاصمة الواقع والانعزال عنه, وتبرر له التصادم مع الشيعة والصوفية وعدم الاعتراف بالآخر..

ووقف الإخوان موقفاً سلبياً من الوهابية وأفكار ابن تيمية..

وهو ما شكل دعماً لها..

هوامش

(١)انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج١, وفيه تفاصيل سيرة ابن تيمية والمحاكمات التي جرت له,وانظر ترجمة ابن تيمية في كتب التراجم..

(٢)انظر محمد بن عبد الوهاب لابن باز, وتاريخ الجزيرة العربية في عصر محمد بن عبد الوهاب لخزعل, وانظر لنا أئمة الوهابية..

(٣) الوهابيون يسمون مصر بلاد الشرك في أدبياتهم بسبب كثرة الأضرحة والمقامات فيها والتي تعدأصناماً في منظورهم..

(٤) كان إعلان الدولة السعودية في عام ١٩٣٢م..

(٥) انظر دفع شبه من شبه وتمرد على الإمام أحمد للحصني,وتبيين كذب المفتري على الإمام الأشعري,والمواعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكي,وابن تيمية لبس سلفياً لمنصور عويس, وغيرها كثير..

مواقف الحركة

..> الحركة والقضية الفلسطينية
> الحركة والعمل السياسي..
> الحركة والحريات..
> الحركة والخارج..

الحركة والقضية الفلسطينية

تعد القضية الفلسطينية في مقدمة القضايا التي تحظي باهتمام الحركة الإسلامية في مصر وعلي الأخص تيار الإخوان الذي يمثل التيار الرئيسي فيها..

إلا أن هذا الموقف مر بتذبذبات كثيرة نتيجة لبعض المتغيرات السياسية والفكرية التي طرأت علي ساحة الحركة..

ويبدو هذا الأمر بشكل أكثر وضوحًا عند تيار الإخوان بحكم أنه التيار الإسلامي الوحيد, الذي يملك مساحة إعلامية بارزة

ومنافذ متعددة بستطيع من خلالها إبراز مواقفه أمام الرأي العام, وتجاه شتي قضايا الساعة..
أما بقية التيارات الإسلامية الأخري ـ خاصة تلك المضطهدة من قبل الحكومة ـ لم تحظ بتواجد إعلامي علي الساحة يمكن من خلاله إلقاء الضوء علي مواقفها وتصوراتها تجاه القضايا والأحداث المحيطة بها..
ولعل هذا الأمر تعود أسبابه إلي طبيعة هذه التيارات ذاتها وأطرها الفكرية والأيدولوجية التي تغرض عليها العزلة عن الواقع وعدم الاكتراث بما يجري علي ساحته..
ومن هنا يمكن القول أن موقف الحركة الإسلامية تجاه القضية الفلسطينية أمر يمكننا تحديده بسهولة بالنسبة لتيار الإخوان أما بالنسبة للتيارات الأخري فجميعها تتخذ موقفامبهمًا لايتعد الدائرة النظرية..
وجميع التيارات الإسلامية العاملة في الساحة المصرية تعتبر القضية الفلسطينية قضية إسلامية في المقام الأول لا يجور أن يرفع فيها غير شعار الإسلام والجهاد..
وربما يكون هذا الموقف قد شكل تباعدًا بين الحركة والمقاومة الفلسطينية ,حيث إن الفصائل الفلسطينية تتبني الخط العلماني الذي يشكلاستفزازًا اكبيرًا للإسلاميين وتياراتهم المختلفة..
ولقد شكلت حركة الانتفاضة التي برزت في الأرض المحتلة عنصر جذب للحركة الإسلامية تجاه القضية الفلسطينية، وذلك لكون الانتفاضة ترفع شعارات إسلامية, وتتزعمها تيارات إسلامية دفعت بالحركة إلي تبني موقف أكثر وضوحًا تجاه الصراع العربي الصهيوني..
وإذا كانت التيارات الإسلامية في مصر- عدا الشيعة- تتفق علي مصدر موحد للتلقي وهو المصدر السلفي الذي يبلور تصوراتها وموقفها وممارساتها,فقد انعكس ذلك بوضوح علي مواقف تلك التيارات من القضية الفلسطينية..
والتيار الوحيد من بين هذه التيارات الذي تحرر نسبيًا من الإطار السلفي ومن عقل الماضي وانفتح علي الواقع هو تيار الإخوان، فمن ثم نراه التيار الأكثر تواجدًا علي الساحة السياسية في مصر..
وهذه الرؤية السلفية التي أشرنا إليها انعكست علي مواقف التيارات الإسلامية تجاه القضية الفلسطينية وتجاه قضايا أخري سياسية. ويتضح هذا في وقوف هذه التيارات موقف المرتاب من المتغيرات والتطورات التي تجري علي الساحة الفلسطينية اليوم، فتيار الإخوان الذي يعترف بالحكومة ويتبني المواقف المعتدلة تجاهها في سعيه نحو الشرعية قد تأثر كثيرًا بموقف الحكومة تجاه القضية الفلسطينية، ويبدو هذا الأمر بوضوح في موقف الإخوان المذبذب من اتفاقية كامبد ديفيد في عهد السادات..
أما التيارات الأخري فلكونها تتخذموقفًا معاديًا للحكومة فقد دفعها هذا الموقف إلي رفض سياستها وممارستها خاصة تلك التي تتعلق بالقضية الفلسطينية..
ولايفوتنا أن نذكر هنا مدي ما تمثله العقيدة الإسلامية من قوة دافعة ومؤهلة للعداء تجاه اليهود الذين يشكلون العدو الرئيس في حلبة الصراع من أجل تحرير فلسطين,وهذا البعد العقائدي قد أسهمأيضًا في حركة التباعد بين الحركة الإسلامية والواقع الفلسطيني بعد أن نحي الحل العسكري وتم الاعتراف بالكيان الصهيوني, مما شكلاستفزازًا اكبيرًا للحركة التي تعتقد أن الصراع مع اليهود لا يمكن حسمه بمثل هذه الأمور التي تعد في نظرهاتناقضًا مع الإسلام ولحرافًا عنه..
وقد انشغلت الحركةكثيرًا بأفغانستان واندفع الكثير من العناصر الإسلامية للانضمام إلي المقاتلين هناك، بحيث سحبت البساط من تحت القضايا الأخري التي تحولت إلي قضايا ثانوية أمامها وفي مقدمتها القضية الفلسطينية..
وهو ما يكشف لنا مدي هيمنة البعد السلفي علي تصور الحركة ومواقفها, كما يكشف لنا مدي سهولة استقطاب الحركة ودفعها تجاه قضية معينة عن طريق هذا البعد, حتي لو كانت هذه القضية هامشية أو ثانوية بالنسبة لها..
وفي الوقت الذي دفع البعد السلفي بالحركة إلي التحالف مع الأفغان، دفعها من جهة أخري إلي محاربة الثورة الإيرانية، ..وهو نفسه الذي دفعها إلي أن تقف من الثورة الفلسطينية موقف المرتاب
وهذا الموقف أخذ في التغير وبدأت تظهر بوادر الاهتمام بالقضية الفلسطينية في الوسط الإسلامي، وهو مرتبط أساسًا بحركة الانتفاضة وحركة الجهاد وحماس , فهذه الحركات هي التي لفتت أنظار الإسلاميين في مصر لرفعها شعار الإسلام والجهاد في مواجهة اليهود..
ولا يكاد يكون هناك فارق يذكر بين موقف الحركة الإسلامية في مصر من القضية الفلسطينية وموقف الحركات الإسلامية الأخري في لبنان أو السودان أو المغربي العربي أو شتي بقاع العالم الإسلامي، فكل هذه الحركات ترفض الاعتراف بالكيان الصهيوني في فلسطين، وتعتبر حق اليهود في تملك فلسطين أكذوبة تاريخية لعبتها الحركات الصهيونية..
وهناك اتفاق تامأيضًا علي تبني رؤية حركية واحدة تتمثل في ضرورة خوض الجهاد المسلح من أجل القضاء علي اليهود، وتحرير فلسطين, غير أن هذه الرؤية لم تخرج إلي طور التنفيذ في المرحلة الراهنةنظرًا لظروف الحركات الإسلامية السياسية ومواقفها من حكوماتها ,وموقف الحكومات منها وذلك باستثناء حزب الله الذي يخوض وقد تبعته في ذلك بعض الفصائل الفلسطينية..

الحركة والبعد التاريخي للقضية

ومحاولة إلقاء الضوء علي موقف الحركة الإسلامية في مصر من القضية الفلسطينية بعني إلقاء الضوء علي موقف الإخوان من هذه القضية, وذلك بحكم أن الحركة الإسلامية في مصر ممثلة في جماعة الإخوان المسلمين, هي أول من فجر الصراع ضد اليهود، وأول من حمل لواء هذه القضية في الساحة الإسلامية..
من هنا فإن الحديث عن موقف الإخوان المسلمين تجاه القضية الفلسطينية يعني ضمنًا الحديث عن موقف الحركة

الإسلامية والبعد التاريخي لهذا الموقف، وذلك بحكم أن الإخوان هم أول من فجر الصراع ضد الوجود الصهيوني في فلسطين في الساحة الإسلامية..
والموقف الإسلامي الذي أبرزته الإخوان المسلمين تجاه القضية الفلسطينية كان يسبق فترة إعلان الدولة الصهيونية في فلسطين ,ويبدو لنا هذا الأمر بوضوح من خلال متابعة تصريحات الإخوان وبياناتهم علي لسان المرشد المؤسس حسن البنا في فترة الثلاثينيات.. (١)
يقول البنا: إن القضية الفلسطينية أعادت الجهاد إلي الواقع مرة أخري عندما قام الفلسطينيون يحسنون من جديد صناعة الموت، وعندما سري هذا التيار من نفس الفئة المجاهدة القليلة في جوار الحرم المقدس إلي الإسلام والعرب في بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها..(٢)
ويقول: أيها الفلسطينيون لو لم يكن من نتائج ثورتكم إلا أن كشفتم غشاوات الذلة وحجب الإستسلام عن النفوس الإسلامية، وأرشدتم شعوب الإسلام إلي ماهو في صناعة الموت من لذة وجمال وروعة وربح لكنتم الفائزين.. (٣)
لقد خص الإخوان القضية الفلسطينية بموقف خاص منذ بداية نشأة الجماعة، وظهور المشكلة الفلسطينية, ويظهر لنا هذا من خلال رصدهم للأحداث والصدامات التي وقعت بين عرب فلسطين وقوات الإنتداب البريطاني, والتي برزت في أقصي صورها بعد ثورة عام ٦٣٩١,,(٤)
ولأن الإخوان يعتقدون أن الصراع بين المسلمين واليهود صراع له طبيعة خاصة تفرده عن سائر الصراعات الدولية, فمن ثم هم لا يجعلون من بين وسائل حلوله الحل السلمي, لأنه في حقيقته صراع بين الإسلام واليهود منذ قيام الدولة الإسلامية الأولي في عهد الرسول,,(٥)
وقد حفلت جريدة **الإخوان المسلمون** ومجلة **النذير** الناطقتان بلسان جماعة الإخوان في فترة الثلاثينيات والأربعينيات بكثير من المقالات والبيانات ذات اللهجة الحادة الشديدة العداء لليهود، والتي تحرض المسلمين في كل مكان علي وجوب جهادهم وإستئصالهم من فلسطين,,(٦)
وتمتع القضية الفلسطينية بمكانة خاصة عند الإخوان ينبع من تلك المكانة الخاصة لفلسطين في نفوسهم، وفي نفوس المسلمين عامة..
يقول البنا: وفلسطين تحتل من نفوسناموضعًا روحيًا قدسيًا فوق المعني الوطني المجرد، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة وبركات النبيين والصديقيين ومهد السيد المسيح عليه السلام, وفي كل ذلك ما ينعش النفوس ويغذي الأروح,,(٧)
ويقول: ولقد فهم المسلمون الأوائل ذلك، وحققوه عمليًا في خلافة عمر، وعلي مسلمي اليوم أن يفهموا معني هذه الآية **{ سبحان الذي أسري بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي الذي باركنا حوله}**

وأنه يجب عليهم حماية المسجد الأقصي وحراسته حتي يظل مسجدًا إلي يوم القيامة ولا يعود معبدًا يهوديًا في يوما ما,,(٨)
ومن الدلائل التي تشير إلي أن الإخوان قد جعلوا قضية فلسطين قضيتهم الأولي في فترة الثلاثينيات والأربعينيات عمليات التعبئة المستمرة منذ قيام ثورة عام ٦٣٩١، وتحريضهم علي الجهاد، ونشاط الجماعة السياسي الواسع لتعبئة الرأي العام ضد المخطط الصهيوني الذي بدأت بوادره في الظهور بمساعدة بريطانيا، والتحذيرات المتعاقبة التي وجهها المرشد حسن البنا إلي الحكومة المصرية آنذاك من الخطر الصهيوني..
وفي عام ٨٣٩١ حذر البنا المصريين بقوله: إنهم سيضطرون إلي أن يدفعوا عن أنفسهم في المستقبل عائلة الخطر الصهيوني بعد أن ترسخ قدمه علي قد خطوات من الحدود المصرية، وحينئذ لا تنفع الجهود ويصدق علينا المثل السابق أكلت يوم أكل الثور الأبيض,,(٩)
وفي اجتماع لقيادات الإخوان عام ٥٤٩١ قال البنا: نريد أن نؤمن حدودنا الشرقية بحل قضية فلسطينحلاً يحقق وجهة النظر العربية، ويحول دون تغلب اليهود علي مرافق هذه البلاد, نحن نطالب بهذا لأنه تأمين لحدودنا، ومصلحة مباشرة لنا,,(٠١)
وقال البنا في شهاداته أمام لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية عام ٦٤٩١: إن الإخوان المسلمين يعارضون الهجرة اليهودية إلي فلسطين لأنها تنطوي علي خطر سياسي واقتصادي وحقنا أن تكون فلسطين عربية,,(١١)
وقال صالح عشماوي: إن قيام دولة يهودية علي حدود مصر الشرقية لتهددنا في كياننا, وفي استقلالنا وفي تجارتنا، وفي أخلاقنا وفضائلنا.,(٢١)
وفي عام ٦٤ حذر البنا الحكومة المصرية من خطورة المخطط اليهودي علي سيناء، وطالبها بالعمل علي توطين المصريين فيها بإقامة المصانع والجامعات وتقوية شوكتها علي حدود فلسطين,,(٣١)
وفي أثناء حرب عام ٨٤٩١ أفتي الشيخ سيد سابق عضو مجلس الإرشاد وأحد فقهاء الإخوان بتأجيل أداء فريضة الحج، وتقديم المال للجهاد في فلسطين,,(٤١)
إن التيار الإسلامي هو الذي قاد حركة الجهاد والمواجهة ضد العدو الصهيوني منذ بداية ظهوره علي أرض فلسطين، ومن قبل ظهور جماعة الإخوان المسلمين، وقد تمثلت هذه الحركة في الانتفاضات الشعبية ضد وعد بلفور، وتأسيس الحزب العربي الفلسطيني بقيادة المفتي الحاج أمين الحسيني..

ثم شهد عام ٣٣ انعقاد مؤتمر القدس الذي طالب بحشد القوي الإسلامية من أجل فلسطين لتتفجر بعد ذلك أول ثورة مسلمة بقيادة الشيخ عز الدين القسام الذي استشهد عام ٥٣، ليكون استشهاده الشرارة التي فجرت الثورة الشعبية عام ٦٣,,
وقد كانت هناك رابطة قوية بين جماعة الإخوان المسلمين في مصر والإخوان في قطاع غزة قبل سقوطه في قبضة اليهود، وكان القطاع يضم ثماني شعب للإخوان,,(٥١)
ولكن الضربات التي وجهت إلي جماعة الإخوان بعد ذلك علي يد النقراشي الذي أصدر قراره بحل الجماعات واعتقال أفرادها ,وفي مقدمتهم الشيخ محمد فرغلي، ثم إغتيال مرشدها حسن البنا في ٩٤٩١/٢/٢١ أي بعد قرار الحل بأربعة وثلاثين يومًا، حال دون إستمرار الجهاد المسلح حتي بعد أن عاد الإخوان إلي نشاطهم بقرار ملكي فيما بعد,,(٦١)
وفي العهد الناصري ضربت حركة الإخوان مرة أخري، وبذلك طوق نشاطها وجمدت مسيرتها, وإنعكس هذا الوضع علي الأراضي العربية الخاضعة لمصر والأردن وفلسطين بعد التقسيم ,وعلي الأراضي المغتصبة لتتوقف حركة المقاومة الإسلامية في فترة الخمسينيات والستينيات..
ثم جاءت هزيمة ٧٦ حيث بدأ الإتجاه الإسلامي في البروز داخل الضفة والقطاع وأخذ يبرز في نهاية السبعينيات ليتبلور في مرحلة الثمانينيات ويدخل طور المواجهة مع الكيان الصهيوني..
ومن خلا استعراض موقف الإخوان السابق المواكب للقضية الفلسطينية من بدايتها، والذي هو في مضمونه موقف الحركة الإسلامية عامة في تلك الفترة, التي كانت تمثلها جماعة الإخوان وحدها دون تيار آخر منافس، يتبين لنا أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للحركة الإسلامية، وأنه من الصعب الفصل بين الإسلام والقضية..
وما يدعو الحركة الإسلامية إلي التمسك بالبعد العقائدي في موقفها تجاه اليهود الصهيوني في فلسطين هو تمسك الجانب اليهودي بنفس البعد في صراعه مع العرب، فالكيان الصهيوني في فلسطين يرفع شعار التوراة ويستخدم سلاح الدين، وهذا الموقف يبرر أن يرفع علي الجانب الآخر شعار القرآن, ويستخدم في مواجهة اليهود سلاح الدين..
، وهذه هي الإستراتيجية التي يدعوا لها الإخوان والتيارات الإسلامية الأخري، ويطالبون الحكومات العربية أن تتمسك بها كوسيلة وحيدة لحسم الصراع مع اليهود..
ولعل ما يزيد الموقف الإسلامي قوةورسوخًا تجاه القضية الفلسطينية هو إخفاق الاتجاهات والتيارات الأخري التي رفعت رأية العلمانية في مواجهة اليهود ضمن أطر (أيديولوجية) قومية يسارية حصرت القضية في الحدود العربية تحت شعار فلسطين عربية..
ولقد حاولت هذه الاتجاهات والتيارات أن تسد الفراغ الذي أحدثه غياب الحركة الإسلامية عن ساحة الصراع مع اليهود, إلا أنه من الواضح أنها عجزت عن ذلك، وقد بدا هذا العجز في تخليهاعن الكفاح المسلح وإتجاهها للاعتراف بإسرائيل تحت ضغوط داخلية وخارجية..
ثم جاءت الإنتفاضة الإسلامية من داخل الأرض المحتلة لتزيد الأمور تعقيدًا في مواجهتها، وتزيد من رسوخ الموقف الإسلامي من جهة أخري، إلا إنه قد تم ضرب الانتفاضة بواسطة جبهة عرفات الذي فتح له اليهود الباب للعودة إلي فلسطين ضمن إتفاق معه, يمارس من خلاله سلطة محدودة في قطاع غزة والضفة الغربية تيسر لليهود مواجهة التيار الإسلامي الجهادي في الداخل والقضاء عليه..
وفي مواجهة هذا الوضع اضطرت الاتجاهات والتيارات غير الإسلامية إلي التمسح بالإسلام في محاول منها لاحتواء الانتفاضة وكسبها إلي وصفها، ولم تعد تلك الكلمات والشعارات والقومية لها تأثير في ساحة العمل الفلسطيني اليوم وهي التي كان لها بريقها الجذاب في فترة الخمسينيات والسيتينات فترة إنتعاش النهج القومي..
وعلي الرغم من عودة جماعة الإخوان إلي الظهور اليوم في عدة بقاع عربية مثل مصر والسودان والأردن وتحالفها مع حكوماتها, إلا أنه من الصعوبة بحال أن تعود إلي تبني الكفاح المسلح ضد اليهود ,وهي وإن كانت تنادي به وتدعو إليه فمن باب الإثارة السياسية والإعلامية..
أما التيارات الإسلامية الأخري، خاصة تلك التي تتبني الخط الجهادي والتي لا ترتبط بالحكومات، وهي متحررة من ضغوطها تعد أقرب إلي خوض الكفاح المسلح من الإخوان..

الهوامش

(١) يقول الأستاذ كامل شريف: لم يكن إهتمام الإخوان بقضية فلسطين وليد الحوادث التي أعقبت قرار التقسيم، ولكنه سبق ذلك التاريخ بزمن طويل، فالإخوان كانت تضع برنامجها مهمة الدفاع عن القضايا الإسلامية في مختلف أنحاء المعمورة، وكان دورهم دائمًا موئلاً للمجاهدين الأحرار من مختلف بلاد العروبة ومواطن الإسلام, وكان لفلسطين دائمًا المقام الأوفي من عنايتهم وإهتمامتهم، فهي أولي القبلتين وثالث الحرمين الشريفين, وهي تحتل مركزَ أوسطًا في البلاد العربية وضياعها يعزل العالمي والإسلامي بعضه عن بعض، ولو نجح اليهود في احتلالها لأصبحت دائمًا مباءة خطر لعناصر البشر وبركانًا زاخرًا بالنار يزعزع أمن البلاد العربية وسلامها' انظر الإخوان المسلمون في حرب فلسطين. ط القاهرة عام ١٥٩١
(٢) انظر أعداد مجلة النذير وجريدة الإخوان المسلمون في تلك الفترة, وكذلك كتابات المرشد المؤسس حسن البنا.
(٣) مجلة النذير عدد ٨٣٩١/٨/٠٢وجريدة الإخوان المسلمون عدد ٩١/٢١/٣٣٩١
(٤) مجلة النذير عدد ٦٣٩١/٠١/٧٢ وجريدة الإخوان المسلمون عدد ٦٣٩١/٤/٩٢
(٥) راجع أعداد النذير والإخوان المسلمون في تلك الفترة..
(٦)انظر تصور الإخوان للقضية الفلسطينية لعبدالفتاح العويس، وهو كتاب نشرته إحدي دور النشر الإخوانية, والجدير بالذكر أن الدكتور العويس

قد كتب هذا الكتاب الوثائقي في مدينة الخليل التي يعملأستاذاً امساعدًا بجامعتها ليعكس وجهة نظر إخوان الداخل..
(٧) راجع أعداد الأخوان والنذير في تلك الفترة..
(٨) جريدة الأخوان المسلمون عدد ٨٤٩١,,/٥/١
(٩) جريدة »الأخوان المسلمون» عدد ٦٤٩١/٦/٩٢,,
(٠١) مجلة النذير عدد ٨٣٩١/٧/٥٢,,
(١١) جريدة الأخوان المسلمون عدد ٥٤٩١,,/٠١/٠٢
(٢١) الأهرام عدد ٦٤٩١/٣/٦,
(٣١) مجلة النذير عدد ٨٣٩١/٧/٨١, وعدد ٨٣٩١/٠١/٧٢
(٤١) جريدة »الأخوان المسلمونعدد ٦٣٩١ ومجلة النذير عدد ٨٣٩١ وجريدة الإخوان عدد ٩/٤/٦٤٩١وكتاب سيناء بين أطماع /٦٢/٥/٤٢/٠١ الاستعماريين والصهيونية طـ عام ٧٦٩١,,
(٥١) مع الحركة الإسلامية في البلاد العربية. لعبدالله أبوعزة طـ دار القلم. كويت..
(٦١) المرجع السابق..

موقف إخوان اليوم

شنت جماعة الإخوان حملة عدائية شديدة علي اليهود من خلال مجلة الدعوة التي كانت تنطق بلسانها في فترة السبعينيات إلا أنها تراخت في موقفها تجاه مبادرة السادات آنذاك , مما دفع ببعض التيارات الإسلامية إلي مهاجمتها،..

وكان في مقدمة التيارات الإسلامية التي هاجمت الإخوان في تلك الفترة تيار حزب التحرير الإسلامي الذي يقف للإخوان بالمرصاد، وقد جعل من السياسة شغله الشاغل، وقام بإصدار الكثير من المنشورات التي تهاجم اتفاقية كامب ديفيد وتهاجم علماء الأزهر الذين أيدوها..

وقد كانت سياسة الإخوان في تلك الفترة عدم استفزاز السادات,,(١)

ومع التطور المتلاحقة في فترة الثمانينيات علي مستوي الساحة الإسلامية والساحة الفلسطينية بدأ الإخوان يعربون عن مواقفهم تجاه القضية الفلسطينية بشكل أكثر وضوحًا وتحديدًا من فترة السبعينيات ,حيث بدأت تبرز توجهاتهم الرسمية مع حالة شبه الشرعية التي منحهم إياها عهد مبارك, حتي وصل الأمر بهم إلي الاتفاق شبه التام مع سياسة الحكومة تجاه القضية الفلسطينية، ثم الإتفاق مع منظمة التحرير، وتبني أكثر مواقفها وتأييدها,,(٢)

ومما يذكر أن ياسر عرفات قام بزيارة مقر الإخوان أثناء إحدي زيارته للقاهرة والتقي بالمرشد العام السابق لجماعة الإخوان محمد حامد أبوالنصر وببعض قادة الإخوان..

إلا أن الزيارة علي ما يبدو لم تجد حماسًا من الإخوان، ولم تسلط عليها الأضواء, وقد نشرت صورة المرشد وإلي جواره عرفات في إحدي الصفحات الداخلية لمجلة لواء الأسلام في برواز صغير، وكتب تحتها: **ياسر عرفات في زيارة المرشد العام للإخوان المسلمين**..

وكان من ضمن ما ذكر تعليقًا علي الزيارة أسفل الصورة: إن اللقاء تناول بقاء القضية الفلسطينية في إطارها الإسلامي وعي دربها الإسلامي ضمانًا للعلاج الصحيح والمواجهة الصحيحة مع قوي الاستعمار والاحتلال اليهودي..

وقد أصدر الإخوان بيانًا حول المؤتمر الدولي جاء فيه: قضية فلسطين عند الإخوان المسلمين هي قضية الإسلام والمسلمين جميعًا، وليست قاصرة علي العرب أو الفلسطينيين, وإن كان الشعب الفلسطيني المسلم الدور الأساسي في حلها، والإخوان المسلمون يؤيدون الإنتفاضة الفلسطينية المباركة، ويطالبون المسلمين جميعًا شعوبًا وحكومات بمساندتها وتأييدها بكل ما يتاح من وسائل..

ومعلوم أن سياسة العدو الصهيوني قائمة علي التوسع وعدم الالتزام بحدود معينة كما أنها قائمة علي عدم الالتزام بأي قرار من أي هيئة دولية أو غيرها إذا لم يكن في صالح التوسع والتهويد، ولو اضطرتهم الظروف للموافقة علي قرار فإنهم لن يتورعوا من نقضه في أي وقت يرون مصلحتهم في نقضه، لهذا فالإخوان ينظرون إلي المؤتمر الدولي نظرة كلها شك وإرتياب ,ولا يطمئنون إليه ولا يثقون في نتائجه كوسيلة لحل عادل للقضية الفلسطيني, ونحذر من أن يكون المؤتمر الدولي وسيلة لتمييع القضية وإدخالها في حلقة مفرغة، ولإيقاف الانتفاضة ثم إتاحة الفرصة للعدو الصهيوني ليحكم قبضته علي الأرض المحتلة وشعبها الفلسطيني، ولذلك فنحن نرفضه للأسباب السابقة,,(٤)

وعلي الرغم من المواقف السياسية المعتدلة لجماعة الإخوان تجاه منظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها, إلا أنه لا تخلو مجلة لواء الإسلام الناطقة بلسانهم في تلك الفترة ,من مقالات هجومية شديدة اللهجة ضد المنظمة والفصائل الفلسطينية, وضد ياسر عرفات شخصًا، كما هاجمت المجلة زهدي الطرزي مندوب فلسطين في الأمم المتحدة، واتهمته بالتخاذل,.

وما يذكر في هذا المقام أن عرفات كان يومًا من المنتمين لصفوف الإخوان وكان معه بعض القادة الفلسطينيين, وعندما برزت فتح في قطاع غزة عام ٦٥ وأصدرت أول بياناتها طاردتها المخابرات المصرية, وإعتقلت عناصرها ظنًا منها أنها امتداد لحركة الإخوان ..

وحول مفهوم الإخوان للقضية الفلسطينية يقول المرشد أبو النصر: إن مفهوم الإخوان للقضية الفلسطينية ولكل قضايا العالم الإسلامي مفهوم له مرتكزاته وأصوله، والضوابط والأصول من شرع الله، وإن كان ثمة اجتهاد ففي السبل والوسائل مع وجوب إتفاقها مع الغايات وتحقيقها للأهداف، وأسلمه القضية الفلسطينية تعني أن التفريط في شبر أو التنازل عن شبر من الأرض خيانة، والرضا بكيان دخيل يقاسمنا أرضنا هو أفدح من الخيانة، والبحث عن شعارات غير شعارات الإسلام تتحرك تحتها في مواجهة عدو يحتل أرضنا. وأنتهك وينتهك، وسفك ويسفك دماءنا، أو البحث عن مسارات أو دروب كمسار المؤتمر الدولي ومظلته، أو التسكع في دهاليز الهيئات الدولية تنتظر الفتات أو شن الأقلام تدبج بيانات الاستنكار والشجب والاحتجاج ـ لا يعد هذا وذاك إلا الفرار من المعارك والإعراض عن المواجهة وتولية الأدبار وقت الزحف، إن المفهوم الإسلامي للقضية لا ينحي الخيار العسكري بل يرتكز عليه,,(٥)

ويلاحظ هنا لهجة الكلام المتشددة التي كانت مناسبة ذكرها هي إعلان الدولة الفلسطينية التي أعلن الإخوان تأييدهم وترحيبهم بقيامها، ولا شك أن كلام المرشد يتناقض مع تأييده لقيام الدولة الفلسطينية التي تسعي للحصول علي الشرعية بالطريق السلمية، وتبذل الجهود من أجل الاعتراف بها دوليًا, وهذا أمر يتطلب طرق أبواب الهيئات الدولية، وعقد المؤتمرات الدولية, والتوسع في النشاط الدبلوماسي وغير ذلك من الوسائل التي استنكرها المرشد في كلامه السابق، وإعتبرهاتفريطًا, بل اعتبر الخيار العسكري هو الحل الذي ينادي به الإسلام، وأن الذين يقبلون غير هذا الحل يعدون من الفارين وقت الزحف, فهل يستقيم مثل هذا الطرح مع تأييد قيام الدولة الفلسطينية التي نحت الحل العسكري جانبًا والتي هي وليدة دهاليز السياسة..؟

وقد وجه الإخوان رسالة مفتوحة إلي المجلس الفلسطيني في بداية انعقاد دورته التاسعة عشر في الجزائر أوضحوا فيها وجهة نظرهم بالنسبة للقضية الفلسطينية. تلك الوجهة التي ترتكز علي ما يلي:

١ ـ القضية الفلسطينية وأرض فلسطين المباركة هي قضية المسلمين جميعًا، وليست قضية الفلسطينيين وحدهم.
٢ ـ لا يجوز لنا أن نقر العدو المغتصب علي وجوده، وقيام كيانه علي أي جزء من أرض فلسطين التي اغتصبها.
٣ ـ إن الجهاد وإتخاذ العدة اللازمة للسير فيه هو السبيل لتحرير الأرض الفلسطينية بكاملها مهما كثرت التضحيات ومهما صعب الطريق..

٤ ــ التأكيد علي ضرورة وحدة الشعب الفلسطيني في مواجهة العدو الصهيوني المغتصب وإستنكار الإخوان لأي تصرف قد يحدث فرقة بين صفوف الشعب الفلسطيني المجاهد علي وجه الخصوص..
٥ ــ وجوب دعم الانتفاضة الباسلة، والتأكيد علي حتمية إستمرارها حتي تحقق كامل أهدافها..
٦ ــ التنبيه دومًا إلي حقيقة الحلول السلمية التي يلوح بها وهي في الحقيقة وسيلة للحصول علي تنازلات تدريجية ولإحباط المشاعر المتأججة ولإيقاف الإنتفاضة الباسلة، وتمييع الموقف حتي يحكم العدو قبضته ويحقق غرضه,,(٦)
والإخوان يعلمون أن البيان الذي أعلن بقيام الدولة الفلسطينية الصادر عن المجلس الوطني يعني الاستعداد للمشاركة في مؤتمر دولي للسلام يقوم علي أساس قرارت مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و ٨٢٣ و ١٨١ كما تضمن بيان المجلس السياسي، ويعني ضمنًا اعترافًا بالكيان الصهيوني..
يقول المرشد في معرض تأييده لقيام الدولة الفلسطينية: والإخوان المسلمون إذ يعلنون ترحيبهم وتأييدهم لإعلان الدولة الفلسطينية المستقلة, ليؤكدون أن الأساس الوحيد في ذلك الحق الطبيعي للشعب الفلسطيني في إقامته دولته وحكومته علي كل أرض فلسطين، وبحكم كونها جماعة إسلامية النهج وتتخذ من الإسلام منظورها الأساسي لكل ما يجري حولها من أحداث ومتغيرات ملزمة بحكم العقيدة أن تتحالف مع الانتفاضة الإسلامية في الأرض المحتلة، وأن تسخر منافذها الإعلامية ومؤسساتها الاقتصادية لنصرها ودعمها..
والأمر الذي نراه واضحًا هو أن الإخوان كثيرًا ما يلجأون في مواجهة مثل هذه الأمور إلي إمساك العصا من المنتصف فهم يؤيدون كل الأطروحات السلمية السياسية التي تهدف إلي حل القضية الفلسطينية, حتي ولو كان فيها الاعتراف بالكيان الصهيوني الذي اعترفت به الحكومة، والتي هي حكومة مشروعة في نظرهم، وفي نفس الوقت يؤيدون الإنتفاضة في الداخل، والإخوان مرغمون علي ما يبدو لسلوك مثل هذه السبل حتي لايقعوا في حرج مع الحكومة، وحتي لا يظهروا أمامها بمظهر الجماعة المتطرفة..
لقد استفادت جماعة الإخوان من التجارب الطويلة مع الحكومة فمن ثم هي تضع نصب أعينها مصلحتها في التواجد علي الساحة السياسية ,وهي مصلحة مقدمة علي جميع المصالح الأخري تفرض عليها دائمًا الظهور بمظهر المعارضة المستأنسة ,والانسحاب الفوري إذا ما كشرت الحكومة عن أنيابها..
ونظرًا لأن قضية العلاقات مع الكيان الصهيوني تمثل حساسية بالغة عند الحكومة, فمن ثم لا يريد الإخوان استفزازها في هذا الجانب، وربما هذا يفسر لنا موقفهم السلبي من حركة ثورة مصر التي كانت تسعي لمحاربة الوجود الصهيوني بمصر ورفض محاميهم المشاركة في الدفاع عن المتهمين في قضية هذه الحركة التي شارك فيها محامون ينتمون إلي معظم التيارات السياسية في الحقل المصري..
والجدير بالذكر إن الإخوان قد أقاموا عدة موتمرات شعبية من أجل نصرة القضية الفلسطينية, ومن أشهرها المؤتمر الذي نظمه ما سمي بالمؤتمر الإسلامي الدائم للدعوة الإسلامية, والذي كان يرأسه المرشد الراحل عمر التلمساني ويضم الهيئات والجماعات الإسلامية العاملة في حقل الدعوة الإسلامية..
وقد أقيم الموتمر في الجامع الأزهر في ٥٢ رجب عام ١٠٤١ هـ وشارك في هذا المؤتمر عدد من الدعاة البارزين في الوسط الإسلامي علي رأسهم المرشد الراحل عمر التلمساني. والشيخ حافظ سلامة، والمراقب العام للإخوان المسلمين بالأردن..
وفي نفس الفترة أقام الإخوان مؤتمرًا آخر في مدينة الإسكندرية شارك فيه عدد من الإخوان البارزين, وكان موضوع المؤتمر هو القدس الأسير..
وعقب الإعتداء الصهيوني علي المفاعل العراق أقيم مؤتمر آخر بمسجد النور في القاهرة تحدث فيه مرشد الإخوان التلمساني. والشيخ حافظ سلامة والشيخ محمد الغزالي، وبعض قيادات الجماعة الإسلامية..
وطالب المتحدثون بالغاء كل خطوات التطبيع, وسحب السفير المصري من دولة العدوان الصهيوني، وطرد السفير الإسرائيلي من مصر، وإعداد الأمة للجهاد..
وقد وجه شباب الجماعات الإسلامية ــ شباب الإخوان ــ من خلال المؤتمر خطابًا مفتوحًا إلي السادات حول الموقف من العدو الصهيوني جاء فيه: يوم أن عارضنا معاهدة السلام ما كنا نهدف إلي انتقاد تصرف أو معارضة عمل ما, أو الإثارة ضد شخص ما, نحن أبعد ما نكون عن الشخصيات, لأن ديننا الإسلام الذي نعتز به ونلح في تطبيق منهاجه يأمرنا أن نترفع بنصحنا فوق مستوي الشخصيات، كما نعرف اليهود كما يعرفهم أي مسلم قرأ في كتاب الله, إنهم أشد عداوة للمؤمنين، وليس بعد قول الله من قول..

وطالب الخطاب بإلغاء عملية التطبيع، وتجميد خطواتها، وسحب السفير المصري من تل أبيب، وطرد السفير الإسرائيلي من مصر، ودعوة الشباب للجهاد المقدس تحت راية الإسلام، وإعداد الأمة لخوض الجهاد وإشعار الولايات المتحدة بإستنكار الشعب المصري لمواقفها المتراخية من العدو الصهيوني..
ولقد كانت هذه المؤتمرات التي عقدت في بداية عام ١٨ هي آخر المؤتمرات الجماهيرية التي أقامها الإخوان من أجل القضية الفلسطينية ,إذ تم بعدها التحفظ عليهم ضمن المعارضة بقرارات سبتمبر الشهيرة في نفس العام ,ولم تسنح لهم فرصة ممارسة نشاطهم الجماهيري بعد الإفراج عنهم إلا من خلال الأحزاب التي تحالفوا معها مثل حزب الوفد، ثم حزب الأحرار وأخيرًا العمل,,(٧)

وكانت نقابة المهندسين ونقابة الأطباء تقوم بدور كبير من أجل الانتفاضة الفلسطينية, وهي نقابات كانت تسيطر عليها عناصر إخوانية شبابية كانت تقود النشاط الطلابي في الجامعة المصرية من خلال الجماعات الإسلامية, وقد قامت هاتان النقابتان بدور ملحوظ في جمع التبرعات من أجل دعم الانتفاضة في الداخل, بالإضافة إلي نشاطها الثابت في دعم الأفغان..(٨)

وسعي جماعة الإخوان الدائم من أجل الحصول علي الشرعية ومحاولاتها المستميتة للاعتراف بها كتنظيم أو كحزب سياسي ,جعلها في حالة تذبذب دائمة في مواقفها السياسية تجاه القضايا والأحداث التي تتعلق بالقضايا العربية والدولية والفلسطينية علي وجه الخصوص..

الهوامش

(١) قام حزب التحرير الإسلامي بإصداره هذه البيانات في عام ٩٧ بالكويت التي كان يتخذ منها قاعدة لنشاطه في تلك الفترة, ومما يذكر أن حزب التحرير لا وجود له يذكر ي مصر..

(٢) في العدد التاسع عشر من مجلة الدعوة كتبت مقالة تحت عنوان: **فلسطين قضية إسلامية** قالت: إن قضية فلسطين تعتبر جانبًا من جوانب القضية الكبري.. قضية الإسلام.. وقالت موجهة كلامها إلي حكام المسلمين: إنكم تسعون إلي حل قضية فلسطين تحقيقًا للسلام, ولو حلت قضية فلسطين وظل المسلمون علي ماهم عليه من التفريط في دينهم فلن يتحقق السلام علي الأرض، حتي لو أجمع حكام المسلمين جميعًا علي حل واحد بالنسبة لفلسطين، إن قضية فلسطين بدأت تضيع يوم أن رضي المسلمون بالجامعة العربية ,واقتصر الاهتمام بها علي العرب ,ولو أنهم صمموا علي إقامة الجامعة الإسلامية لاشترك في حل هذه القضية ما يزيد علي سبعمائة مليون علي وجه الأرض/ مقال كلمة الدعوة ٧٧ /٢١

وفي مقال الافتتاحية بالدعوة كتب المرشد الراحل عمر التلمساني يقول دفاعًا عن موقف الإخوان من اتفاقية كامب ديفيد، وكان البعض قد اتهمهم بمعارضتها علي استحياء: إننا نعارض ما كان للمعارضة داع, وننصح ما كان للنصح دافع, المعارضة في مفهوم الإخوان المسلمين للنصح قبل الانتقاد، والتوجيه قبل التشهير, وتصحيح المسار قبل الاتهام..

وأكد رفضه لصورة المعارضة التي تسب وتهاجم وحدد النقد بأسلوب المسلم العف النظيف.. الدعوة العدد ١٣ ديسمبر /٨٧مقال الإخوان المسلمون بين سخط المؤيدين وغضب المعارضين..

وتحت عنوان :**لا نخاف السلام** كتب التلمساني يقول: إننا لانخاف السلام ولا نخشاه. إننا نسعي إليه بكل جهدنا، ولكنه السلام الذي يوقف كل متمرد عات ظلوم مغرور بقوته وقوة من يساندونه عند حجمه الطبيعي, وفي وضعه الطبيعي الذي يقي أمتنا، ويحفظ ديننا ويشيع الأمن والطمأنينة في أرجاء أوطاننا, إننا ننصح وفي إخلاص ابتغاء وجه الله../ الدعوة عدد ٨٣ ـ يوليو ٩٧,

وتحت عنوان :**الاعيب شيحة الإسرائيلية** كتب التلمساني يقول: منظمة التحرير وقعت في ألاعيب السياسة، وقدمت تنازلات ضخمة لإسرائيل../ الدعوة عدد رقم ٤٤ ـ يناير ٠٨ ,ومما يجدر ذكره هنا أن هناك مجموعة من الصحفيين وأساتذة جامعة تل أبيب قد زاروا مكتب الدعوة بالقاهرة، وتقابلوا مع أعضاء الإخوان، ودار بينهم حوارحول القضية الفلسطينية, وقد نشرت جريدة الأهرام تعليقًا حول هذا الأمر في عددها الصادر بتاريخ ٠٨٩١، /٢٢/٣ويبدو أن أسلوب اللين في معارضة خطوات السادات وسياساته تجاه القضية الفلسطينية قد أخذت في التراجع مع نهاية السبعينيات, وبدأ الإخوان يعيرون لهجتهم تجاه مفاوضات السلام بين مصر وإسرائيل..

وقد كتب التلمساني يقول: نحن ملزمون بأن إسرائيل لا تريد صلحًا حتي ولاصلحًا منفردًا ,الدعوة (ايقاف المفاوضات لا يكفي. لا بد من الإلغاء). العدد رقم ٥ ـ يوليو ٠٨,,

وكان التلمساني قد طالب الحكومة في مقالته السابقة بأن تعمل علي إعداد الشعب لخوض غمار الجهاد ضد إسرائيل.. وكتب صالح عشماوي أحد قادة الإخوان في نفس العدد السابق مقالا تحت عنوان :الطريق إلي القدس قال فيه : إن المفاوضات مع إسرائيل فاشلة وأن الطريق إلي القدس، والطريق إلي كابول طريق واحد..

وربما يكون هذا الموقف المتشدد من قبل الإخوان قد فاجأ السادات في فترة حكمه الأخيرة, وكان من الأسباب التي دفعته إلي إصدار قراره بإغلاق مجلة الدعوة التحفظ علي الإخوان مع جماعات المعارضة الأخري عام٨١

(٣) كان التلمساني قد صرح في حديث نشر خارج مصر أنه يؤيد عملية التفاوض مع إسرائيل, وقال إن الرسول شرح لنا التفاوض فتفاوض مع اليهود والمشركين في المدينة.. أريد أن أتفاوض مع إسرائيل سنة اثنين ثلاثة أو خمسة.. والأيام دول, وقد نشرت هذا التصريح في مصر مجلة المختار الإسلامي الشهرية في عددها رقم ٤٣ يونيو ٦٨,

٤) نشر في نفس العدد مقالاً تحت عنوان :الإخوان المسلمون وعشر سنوات علي زيارة السادات للقدس, وختم بالسؤال التالي: تري هل تغيرت المواقف بعد عشر سنوات من الزيارة المشئومة للكيان البغيض..؟

٥) لواء الإسلام العدد رقم ٤ مايو ٧٨,

٦) لواء الإسلام العدد رقم ٩ ديسمبر ٨٨ وقد نشر فيه أول لقاء مع جرحي الإنتفاضة الفلسطينية في القاهرة..

٧) لمزيد من التفاصيل حول هذه المؤتمرات يمكن مراجعة عدد الدعوة رقم ٦٣ يوليو,,١٨,

٨) مما يذكر أن المباحث المصرية اعتقلت في تلك الفترة الكثير من الشباب الفلسطيني المقيم بمصر والوافد عليها وحققت معهم حول صلتهم بالإنتفاضة في الداخل, كما اعتقلت مجموعة فلسطينية كانت تخطط لتهريب بعض الأسلحة إلي الداخل وعن طريق سيناء ,وكانت نقابة المهندسين قد أقامت مؤتمرًا لنصرة الجهاد الفلسطيني والأفغاني حضره مفتي الجمهورية آنذاك, انظر لواء الإسلام العدد الثاني مايو٧٨كما أقامت نقابة الأطباء مؤتمرًا لنصرة فلسطين في ٨،٧ يونيو ٠٩, وكان شعار المؤتمر: إسرائيل الكبري عام ٧٩٩١,,

الإخوان والإنتفاضة..

حظيت حركة الإحياء الإسلامي داخل الأرض المحتلة بتركيز إعلامي كبير من جماعة الإخوان, ولا يكاد يخلو عدد من أعداد مجلة لواء الإسلام الناطقة بلسانهم من مقال أو بيان من بيانات الإنتفاضة, كما أصدرت دور النشر الإخوانية عدة كتب حول الانتفاضة بأقلام مصرية وفلسطينية..

وحظيت أيضًا بتركيز الاتجاهات الإسلامية الأخري وإن كان هذا التركيز لم يبرز إعلاميًا لافتقاد هذه الاتجاهات إلي المنافذ الإعلامية التي تملكها جماعة الإخوان,,(١)

ومن الملاحظ أن تركيز الإخوان الإعلامي ينحصر في دائرة حركة حماس وحدها، والتي تنشر لها بياناتها كاملة علي صفحات لواء الإسلام، ولا يخلو عدد من أعدادها من ذكر أخبارها ونشاطاتها، وهي علي الأغلب نشاطات إعلامية سياسية..

وربما كان التزام حركة حماس بخط الإخوان، وهي تعد إحدي التنظيمات التي إنبثقت من خلال حركة الإخوان المسلمين في الأرض المحتلة, هو الدافع إلي تبني مواقفها وبياناتها من قبل جماعة الإخوان في مصر..

ويبدو أن هذه المسألة غير واضحة عند التيارات الإسلامية، والتي تعتبر الإنتفاضة حركة جهادية وليدة الواقع، وأنها تتكون من عدة إتجاهات من أبرزها حركة حماس, وتنظيم الجهاد الذي يقوم بمعظم عمليات التصدي والمواجهة للصهاينة وأعوانهم من الفلسطينيين..

ومع بدء العام الثالث للانتفاضة نشرت مجلة لواء الإسلام البيان رقم ٥١ لحركة حماس جاء فيه: إن حركة المقاومة الإسلامية حماس حين اتخذت قرارها بتفجير الانتفاضة وأصدرت بيانها الأول المؤرخ في ٧٨٩١/٢١/٤١ أي بعد أربعة أيام فقد من بدء العمل الجهادي وسمتها هذا الاسم المبارك الانتفاضة, وأعلنت للشعب الفلسطيني المجاهد بداية عهد جديد من تاريخه، ووقف الشعب خلفها بكل قوته، لم تكن تقصد من ورائها كل الشعب تعجيل عملية المفاوضات مع جزاري شعبنا. (٢)

وقد وجه مرشد الإخوان أبو النصر رسالة إلي ياسر عرفات طالب الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة وخارجها أن يواصلوا جهادهم وألا ينخدعوا بالحلول الاستسلامية,,(٣)

وتحت عنوان: **الانتفاضة بين المؤامرات الداخلية والخارجية** كتب المرشد يقول: تدخل الانتفاضة الفلسطينية المباركة عامها الثالث لتسجل خلال هذه الفترة الوجيزة حقيقة لم يعد في استطاعة أحد أن ينكرها أو يتجاهلها ألا وهي أن ما حققته هذه الانتفاضة المباركة من إنجازات علي صعيد القضية الفلسطينية ـ قضية العرب والمسلمين المركزية ـ في عامين يفوق ما حققته أعمال المقاومة طوال أربعين عامًا, كما أنها أكدت أن لدي الشعب الفلسطيني العربي المسلم,ولدي كل الشعوب المسلمة من الطاقات الهائلة ومقومات الانتفاضة ضد الظلم والطغيان، وفي مواجهة الاستعمار بشتي أشكالها ما يمنحها الاستمرارية في الرفض والمقاومة والجهاد حتي تحقق أهدافها وتصل إلي غاياتها..

إلا أن هذه الحقيقة وإن كانت تحيي الآمال عريضة في قلوب كل المسلمين, تسيء جهات كثيرة وتجعلها بشتي الوسائل وشتي سبل التآمر للقضاء علي الانتفاضة، أو تحويلها عن المسار أو تفريغ مضمونها ومفهومها, ونحسب أن المبادرات والمناورات السياسية التي تطرحها كثير من الجهات علي مختلف الساحات, ليست إلا وسيلة من وسائل تصفية الإنتفاضة وصولاً لتصفية القضية والانتهاء من شتي همومها، أو تهربًا من شتي تبعاتها, أو لإرساء معالم قواعد وأوضاع في المنطقة في إطار الخريطة الجديدة التي تسعي واشنطن ويهود علي وجه التحديد لفرضها علي العالم العربي والإسلامي,,(٤)

وقد اعتبر الإخوان أن الإنتفاضة أعادت للقضية الفلسطينية هويتها الإسلامية واستطاعت أن تحفظ هذه الهوية للشعب الفلسطيني، وأن تحد له طريق التحرير الذي لا طريق سواء..(٥)

واستغل كتاب الإخوان فرصة ظهورالانتفاضة للهجوم علي القيادات الفلسطينية العلمانية ,وعلي فصائل المقاومة خارج الأرض المحتلة , حتي أن بعض هؤلاء الكتاب طالب بتنحية هذه القيادات التي نحت الخيار العسكري, ورحبت بالتفاوض مع اليهود,,(٦)

وفي الوقت الذي يعلن فيه الإخوان تأييدهم لقيام الدولة الفلسطينية ينشرون علي صفحات لواء الإسلام بيانات حركة حماس التي تدين فيها الاعتراف بالكيان الصهيوني، وتهاجم المجلس الوطني الفلسطيني كما هو واضح من البيان رقم ٥١ السابق ذكره,,(٧)

وكثيرًا ما كان الإخوان يزجون بالجماعة الإسلامية التي تسير علي خط الإخوان ـ في مواجهة الأحداث لتصدر البيانات وتقيم المؤتمرات المناصرة للانتفاضة وتهاجم الحكومة والحلول السلمية بلسان الإخوان دون أن يظهر الإخوان علي المسرح..

وباسم الجماعة الإسلامية صدر منشور تحت عنوان : ومضي علي الانتفاضة عام, رفع فيه شعار الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمي أمانينا, ذلك الشعار الذي تخلي عنه الإخوان منذ فترة طويلة, ولم يعودوا يظهروه خوفًا من استفزاز الحكومة التي عانت, ولا زالت تعاني من تيار الجهاد ,وقد عادوا إلي إظهاره في بياناتهم التي تتعلق بالمجاهدين الأفغان والانتفاضة في الأرض المحتلة، وقد حوي المنشور أيضًا شعار: خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود, الذي تتغني به التيارات الإسلامية..

وخاتم المنشور بالشعارات التالية:

ـــ لا لمحاولات إخماد ثورة المساجد..

ـــ لا لوجود لئيم غادر علي أرض فلسطين..

ـــ لا لصلح أو عتراف بأحفاد القردة علي أرض الأقصي..

ـــ بل نعم لجهاد في سبيل الله حتي نحرز النصر أو دونه تل الجماجم(٨)..

ومن الواضح أن لهجة المنشور لا تتحملها صحف الإخوان، ولا يمكن إبرازها من خلال منافذهم الإعلامية، وتمشيًا مع هذا

الخط، وهو تصدي الجماعة الإسلامية لرفع الشعارات المتطرفة أصدرت الجماعة بيانًا تحت عنوان: **لبيك فلسطين**, دعت فيه الشباب المسلم إلي توعية جماهير الأمة بمخاطر الهجمة اليهودية، ومن ورائها أوروبا وأمريكا لاغتصاب العالم الإسلامي، وإن قضية فلسطين هي قضية العالم الإسلامي كله، وأن تحرير الأرض الإسلامية السليبة لايتم إلا من خلال إقامة دولة إسلامية تحكم شرع الله، وتقوم بالدفاع عن المقدسات الإسلامية واستعادة فلسطين السليبة منها..

وكان هذا البيان قد صدر بمناسبة عقد مؤتمر بساحة كلية العلوم بالجامعات من أجل تأييد الانتفاضة الفلسطينية وبمناسبة مرور عام عليها..

وقد أصدر المؤتمر توصياته إلي المجاهدين في الأرض المحتلة يحثهم فيها علي الصبر والصمود حتي تحرير آخر شبر من فلسطين, وحتي يتحقق وعد رسولنا بالنصر والظفر علي اليهود، كما طالب المجاهدين بالسعي الدؤوب والجاد لتوحيد فصائل العمل الفلسطيني تحت راية الإسلام..

كما أصدر إتحاد الطلاب جامعة القاهرة الذي كانت تسيطر عليه الجماعة الإسلاميةمنشورًا تحت عنوان **البعث الإسلامي في فلسطين** تحدث فيه عن البعد التاريخي للقضية الفلسطينية، ودور الحركة الإسلامية الذي واكب القضية من بدايتها وحتي تفجر الإنتفاضة ,مؤكدًا إرتباط القضية منذ البدء بالإسلام، وأن هذه القضية هي قضية فلسطين في كل مكان وختم المنشور بذكر جزء من بيان صدر عن المجاهدين الفلسطينيين في الأرض المحتلة جاء فيه: يا أبناء أمتنا الإسلامية.. يا أبناء شعبنا الفلسطيني المسلم.. إن قضية الأمة الإسلامية ستظل في مهب الريح ويتقاذفها الأعداء كيفما شاءوا ما لم تهب الأمة الإسلامية بجماهيرها الغفيرة لترفع راية لا إله إلا الله، وتأخذ بيديها زمام الدفاع عن عقيدتها وهويتها، وأرض وطنها الإسلامي متوكلة علي الله وماضية في طريق الفداء والجهاد,,(٩)

ومع دخول مرحلة التسعينيات وبروز التيار الجهادي بقوة علي الساحة، فقد الإخوان حالة شبه الشرعية التي كانوا يعيشونها، وخسروا النقابات وكثير من المنافذ الإعلامية التي كانوا يطلون من خلالها علي الواقع،وبالتالي لم تبرز لهم أية بيانات أمام الأحداث المتلاحقة التي جرت علي الساحة الفلسطينية، اللهم إلا بعض الآراء التي كانت تبرز علي صفحات جريدة الشعب، والتي توقفت هي الأخري عن الصدور بعد حل حزب العمل..

الهوامش

(١) علي غلاف العدد الثامن من لواء الإسلامي كتب مانشيت يقول: بعد عام الإنتفاضة أكثر قوة وصلابة وقد نشر في داخله البيان رقم ٣١ لحركة حماس..

(٢) لواء الإسلام العدد العاشر ٩٨/٢١/٠٣,

(٣) المختار الإسلامي العدد٦٠يناير ٨٨,

(٤) لواء الإسلام العدد السابق..

(٥) لواء الإسلام، العدد الثامن نوفمبر ٧٨ مقال: المقاومة الفلسطينية وعودة الهوية الإسلامية للقضية..

(٦) لواء الإسلام العدد الرابع مايو ٧٨ مقال: هذه الزعامات وتلك القيادات يجب أن تتنحي أو تُنحي، وقد كتبه أحد كتاب الإخوان البارزين وهو رئيس تحريرها، وما جاء في هذا المقال: أن الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة في واد وقيادات العمل الفلسطيني في واد آخر, والشعب الفلسطيني في الداخل رفع شعارات التحرير لفلسطين الإسلامية وفي الخارج أعلن القادة عن دولة علمانية تنكر الدين والهوية..

(٧) لواء الإسلام العدد العاشر يناير ٩٨، ومما جاء في بيانات حماس: أن الشعب الفلسطيني لم يقدم الدماء سبعين عامًا ليأتي من يفاوض اليهود باسمه, فقد كان بمقدور الأجيال التي سبقتنا فعل ذلك دون الحاجة إلي تقديم كل هذه التضحيات الباهظة, إن أية تسوية لن تأتي أكثر من دويلة ممسوخة الإرادة والهوية والسيادة، ولا يملك شعبها من أمر نفسه شيئًا. وسيكون ثمن القبول بهذه التسوية قبر الجهاد والوقوف أمام مسيرة الاستشهاد المتواصلة، هذه التسوية تلزم موقعيها بالوقوف أمام الحركات الجادة الداعية إلي مواصلة مسيرة التحرير حفاظًا علي تعهداتهم الباطلة لدولة العدو..

وقالت البيانات: إنها تؤيد بل وستعمل علي إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة علي أي جزء يتم تحريره من فلسطين دون التنازل منها ,ودون الاعتراف بالعدو ,مع الإصرار علي رفض أي اتفاقيات أو التزامات توقف مسيرة الجهاد والتحرير والشامل لكل فلسطين..

(٨) ختم المنشور بدعوة الجماهير إلي اللقاء الإسلامي الكبير بأحد مساجد محافظة المنيا بصعيد مصر..

(٩) منشور البعث الإسلامي في فلسطين, مقدمة المنشور..

موقف الجماعة الإسلامية

يتمثل التواجد الإعلامي للجماعة في ذلك الكم الكبير من المنشورات والملصقات والكتيبات التي كانت تصدرها بين الحين والآخر في غفلة من الحكومة, كما يتمثل في كم المؤتمرات التي كانت تقيمها في المساجد التي كانت تهيمن عليها، ومن بين كم المنشورات التي أصدرتها الجماعة حظيت الحركة الأفغانية بنصيب كبير منها, كما حظيت الحكومة بنصيب كبير أيضًا

ولم تحظ القضية الفلسطينية إلا ببعض منشورات التي تعد علي الأصابع, وهي مرتبطة أساسًا بالانتفاضة داخل الأرض المحتلة,,(١)

كذلك المؤتمرات التي أقامتها الجماعة تركزت موضعاتها علي مناهضة سياسة الحكومة، ومناصرة الأفغان..

ومن بين المنشورات القليلة التي أصدرتها الجماعة، وتحدثت فيها عن الإنتفاضة نشرة تحمل اسم: **الخلافة** كانت تصدر علي فترات ,وقد تركزت كلمة العدد الثالث منها علي الإنتفاضة وكتبت تقول تحت عنوان: **فلسطين المسلمة**: إنتفض الشعب الفلسطيني المسلم في الأرض المحتلةمعبرًا عما في عقيدته من حب الجهاد في سبيل الله بعد أن سقطت جميع الأقنعة وإنكشفت الستائر، وظهرت السرائر واضحة جلية من إفلاس الأنظمة العربية المجاورة للشعب الفلسطيني المسلم الثائر، ووضح أيضًا كذب ونفاق رفاق السلاح من الفصائل الفلسطينية من أقصي اليسار إلي أقصي اليمين، وأصبحت تجاربهم البائرة والكاسدة لتصفية بعضهم لصالح أعدائهم والقتال والجهاد في غرف التكييف وداخل المكاتب الوثيرة والسيارات الفارهة،..

أجل سقطت هذه الشعارات الخادعة المطروحة منذ أن اغتصبت فلسطين، وسلمت لإخوان القردة والخنازير، وطرد منها أهلها، وشرد منها سكانها، وها هم أبناء المساجد، وأطفال التوحيد، وشباب الجهاد الفلسطيني، ونساء الصابرين وفتيات الموحدين والثائرين يكشفون زيف القضية الفلسطينية حين تسلمتها دعاة الإشتراكية والشيوعية والعلمانية والقومية، وتاجروا بها وأثروا من خلالها، وتركوا الجهاد حتي ذلوا..

فهاهم يستيقظون من رقادهم، ويهبون من نومهم ويفيقوا من ثباتهم، فيعلو صوت الجهاد وهو ما يخشاه اليهود من الجهاد المقدس، فما كان من عملاء اليهود وسدنة البيت الأبيض إلا أن يوقفوا هذا الجهاد تحت شعار خادع ألا وهو المؤتمر الدولي..

لم ينطلي هذا الزور والبهتان علي هؤلاء المجاهدين فمضوا في طريقهم يجاهدون بالحجارة في سبيل الله حتي يكتب لهم إما النصر, وإما الشهادة..

وفي الصفحة الأخيرة من نشرة الخلافة. وتحت عنوان **صورة وتعليق** كتبت تقول أسفل صورة لمجموعة من الشباب الملثم الذين يلوحون بعلامة النصر رافعين علم فلسطين: بعد أن فعلت بالفلسطينيين من قتل للشباب، وطرد خارج الأرض..

ومن تضييق علي المجاهدين, لا يملك سفهاء العرب إلا الإستنكار، وشجب تصرفات اليهود، ودعوتهم إلي ضبط النفس والجلوس للتفاوض والموافقة علي المؤتمر الدولي وهم يرفضون..

ويلهث السفهاء وراء السراب الخادع، أن ترحم إسرائيل غربتهم، وأن تبيض وجوههم أمام شعوبهم وأن تصفح عن زلاتهم ولا حول ولا وقوة إلا بالله.

وتحت عنوان: **دماء النذير تتدفق في فلسطين** أصدرت الجماعةمنشورًا تقول فيه: إن صرخات النساء الثكالي، وعويل الأطفال اليتامي، وأنين الشيوخ الحياري، وحصار مسري الرسول هناك في فلسطين ليست قضية شعب، أو مشكلة أرض إنما هي قضية أمة وخلاف عقيدة, إنها علاقة اليهود بالمسلمين**{لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا لليهود والذين أشركوا}** المائدة/٢٨

إن مذابح اليوم في فلسطين لهي مذابح الأمس في لبنان..

إنها دماء النذير لمن **{كان له قلب أو القي السمع وهو شهيد}** ق/٧٣

دماء النذير التي تلجم كل فم يدعي أن حل مشكلة فلسطين هو معاهدة السلام**{كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}** (الكهف/٥

مخادع مخدوع من يدعي الإخوة والمحبة لحمائم السلام وحاخامات اليهود **{ولن ترضي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم}** البقرة/٠٢١

ألا فليسمع الجميع: قال النبي لا تقوم الساعة حتي يقاتل المسلمين اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فأقتله,,(٢)

وبمناسبة مرور عام علي الانتفاضة الفلسطينية قامت الجماعة بطبع عدد من الدعوات وزعتها في محافظة أسيوط للمشاركة في صلاة الغائب علي شهداء فلسطين, ولمشاهدة سماع العرض الصوتي المصور الذي حمل عنوان:**عندما تكلم الحجر..** (٣)

ومن الملاحظ أن كل ما كتب في منشورات الجماعة الإسلامية الجهادية إنما هو يرتبط بالانتفاضة الفلسطينية فلم تكن الجماعة تهتم بالأحداث السياسية المرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية، والحلول السياسية وما يتعلق بالمؤتمر الدولي وإعلان للدولة الفلسطينية, فكا ذكرنا كانت الانتفاضة في الحدث الضخم الذي لفت الحركة الإسلامية وجذبها نحو القضية الفلسطينية, وهذا الأمر لا ينفي أن الجماعة قد أصدرت عدة منشورات في الفترة السابقة هاجمت فيها اتفاقية كامب ديفيد والوجود الإسرائيلي في مصر ,إلا أن هذه المنشورات كانت موجهة في الأصل نحو الحكومة, ولم يكن صدورها تضامنا مع القضية الفلسطينية..

ولقد شكل اعتراف السادات بالكيان الصهيوني، وتوقيعه معادة الصلح مع اليهوداستفزازًا كبيرًا للحركة الإسلامية والتيار الجهادي منها خاصة, وكان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلي اغتياله..

والجماعة الإسلامية الجهادية تعد من أكثر التيارات الإسلامية الجهاديةتشددًا في المسائل السفلية وهي تبالغ في التمسك بعقيدة السلف وتصواتهم, ولاتتحرك في مواجهة أي حدث إلا علي أساس فتوي شرعية نابعة من فقه السلف وهذا الأمر

يبدو واضحًا لكل مطلع علي نشاطات الجماعة ومواقفها ومنشوراتها..
وكانت هذه الرؤية لها إنعكاساتها الواضحة علي مواقفها من القضية الفلسطينية, وقد تسببت في تأخر بروز هذا الموقف كما تسبب في تقديم الكثير من القضايا الأخري عليها كالقضية الأفغانية ,وذلك لكون المنظور السلفي، وهو المنظور الوحيد للجماعة الذي تطل منه علي الواقع والأحداث, يقدم القضية الأفغانية علي القضية الفلسطينية لتبني الأولي خط الجهاد والإسلام, وإن كان بروز الإنتفاضة الإسلامية في الداخل قد جذب الجماعة إليها كما ذكرنا سابقًا,,(٤)

المنتظرون

موقف التيارات الأخري

ولم يكن للتيارات الأخري البارزة في الوسط الإسلامي بمصر, وهي تيار الجهاد، وتيار السفليين وتيار التكفير والشيعة , التواجد الإسلامي الإعلامي الملموس الذي يمكن أن يعيننا علي إلقاء الضوء علي موقفها من القضية الفلسطينية, وما يجري علي الساحة الفلسطينية بشكل عام ,وذلك لكون هذه التيارات تأخذ طابع السرية في حركتها ونشاطها..
ومن جهة أخري هي لا تعطي اهتمامًا كبيرًا بالسياسة ومجريات الأحداث خاصة تيار التكفير والسفليين منها, وإذا ما أردنا

الحديث عن موقف تيارالجهاد فإنه لا يختلف كثيرًا عن موقف الجماعة الإسلامية ..
ونظرًا لكون تيار الجهاد يتبني الصدام المسلح فهو يعتقد أن حل القضية الفلسطينية لن يكون إلا عن طريق الجهاد, إلا أن ممارسة الجهاد ضد الكيان الصهيوني مرهونة بوجود دولة إسلامية،..
يقول محمد عبدالسلام منظر فكر الجهاد: أما الذين يدعون إلي توجيه الطاقات الإسلامية لتحرير مقدسات المسلمين وأوطانهم المحتلة من الصهيونية والاستعمار، فإن جماعة الجهاد يقولون لهم ليست هذه هي المعركة المباشرة، وليس هذا هو الطريق الصحيح لتحرير هذه المقدسات, فالطريق لتحرير القدس يمر عبر تحرير بلدناأولاً من الحكم الكافر ــ يقصد مصر ــ لأن هؤلاء الحكام هم أساس وجود الاستعمار في بلاد الإسلام,,(٥)
ويبدو لنا من خلال هذا الكلام أن تيارالجهاد يتبني فكرة الإرجاء فهو لا يجيز مواجهة اليهود حتي تقام دولة إسلامية في مصر تكون المنطلق لإعلان الجهاد ,فمن ثم هو يعيش في مرحلة الانتظار..
وقد قام تيار الجهاد بإصدار عدة منشورات يعرف فيها عن موقفه تجاه كثير من القضايا علي المستوي الداخلي والخارجي إلا أنه لم يظهر له منشورات تكشف موقفه من القضية الفلسطينية, وربما يعود سبب ذلك إلي سريته المطلقة بعكس تيار الجماعة الإسلامية الجهادية الذي يجمع في نشاطه بين السرية والعلنية.. (٦)
وبالنسبة للتيار السلفي فهو لم يقم بأية محاولة للبروز علي ساحة الواقع علي الرغم من أنه تيار علمي تراثي لا يتبني مواقف سياسية عدائية تجاه الحكومة, ويعود سبب ذلك إلي كونه يحصر نشاطه الفكري وممارساته في حدود القضايا التراثية, فمن ثم يمكن القول أنه لا يملك نظرة سياسية واعية تجاه القضية الفلسطينة, وإن كان يقر الجهاد المسلح كوسيلة لتحرير فلسطين بحكم المنظور السلفي الذي يتبناه، وهو في انتظار أن ترفع راية الجهاد دولة إسلامية في نظره مثل السعودية,,(٧)
وإذا ما تحدثنا عن موقف تيار التكفير فإننا نجد موقفه ينبع من تصوره الإنعزالي تجاه الواقع, فهو لايجيز التعامل مع الحكومة أو المشاركة في الأنشطة السياسية, أو المساهمة في الأنشطة الإسلامية، فمن ثم هو لا يبدي اهتمامًا بالأحداث السياسية ويفضل البقاء في حالة انتظار لعلامات آخر الزمان, إلي أن يأتي ميقات الملحمة الكبري التي سوف يسود فيها الحق, والتي بشرت بها كتب السنن،..
وهناك قطاعات أخري من التكفير تتبني الخط الجهادي, إلا أن مايمكن قوله تجاه تيار التكفير هو أنه يؤمن بتبني الجهاد لتحرير فلسطين, غير أن توقيت هذا الجهاد لم يحن بعد, وإنما له علامات تنبأت بها كتب السنن (٨)
أما التيار الشيعي فيعد من أكثر التيارات الإسلامية العاملة بالحقل المصري مرونةوانفتاحًا علي الواقع والأحداث، ولكن نظرًا لحداثته وحالة الحصار الدائم المفروضة عليه من قبل التيارات الأخري التي تعاديه من منظور سلفي، ومن قبل الحكومة التي تعتبره امتدادًا لإيران, فإنه لم يأخذ وضعه الطبيعي علي الساحة, ذلك الوضع الذي يمكن أن يؤهله لإبراز موقفه من كافة القضايا والأحداث التي تجري من حوله..
إلا أن ما يمكن قوله حول موقفه من القضية الفلسطينية أنه يؤمن بالجهاد كطريق لتحرير فلسطين ويؤيد الإنتفاضة الإسلامية في الداخل..
ومما سبق يتبين لنا أن هذه التيارات الأربعة لا تقر الممارسات السياسية التي تجري علي الساحة الدولية والعربية بخصوص القضية الفلسطينية، وتؤمن بضرورة رفع الجهاد في مواجهة اليهود غير أنها تتبني عقيدة الانتظار حتي تتهيأ الظروف المناسبة للجهاد حسب (الأيديولوجية) التي تتبناها وتؤمن بها..
جدول يبين أشهر محاولات وحوادث الإغتيال التي ارتبطت بالحركة

التيار
الإخوان المسلمين
الجهاد
السلفيون
الجماعة الإسلامية
الشيعة
التكفير
الحل السلمي
مرفوض
مرفوض
مرفوض
مرفوض
مرفوض
ليس له موقف
الحل العسكري
وارد
وارد

وارد
وارد
وارد
ليس له موقف
منظمة التحرير
ايجابي
سلبي
سلبي
سلبي
سلبي
سلبي
الهوامش

(١) أصدرت الجماعة نشرة تحت عنوان: الفتح المبين: تصدر علي فترات وتركز علي أخبار الأفغان..
(٢) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة..
(٣) أقيم هذا المعرض في أحد المساجد بمدينة أسيوط الذي تتركز فيه نشاطات الجماعة..
(٤) منعت قوات الأمن الجماعة الإسلامية من إقامة مؤتمر بها من أجل القدس بالجامع الأزهر، وحالت بين الدكتور عمر عبدالرحمن وبين المشاركة فيه، وكانت الجماعات قد قررت القيام بمسيرة من وسط القاهرة تضامنًا مع الصحوة الإسلامية بالداخل إلا أن قوات الأمن قامت بتفريقها.. ومما يذكر هنا أن الدكتور عمر والشيخ حافظ سلامة، طالبا القيادة السياسية المصرية بالسماح لأفراد الجماعة الإسلامية بالسفر للتطوع مع إخوانهم المجاهدين في داخل فلسطين, وأكد أن هناك آلافًا من شباب الجماعة علي استعداد للسفر بهدف الاستشهاد في سبيل الله..
(٥) منشور الفريضة الغائبة ..
(٦) كانت هذه المنشورات قد ظهرت قبل قيام الانتفاضة الفلسطينية في الداخل ومنذ تلك الفترة لم تظهر له منشورات جديدة..
(٧) يربط التيار السلفي مسألة الجهاد بضرورة وجود الخليفة المسلم, فلا يجوز في تصوره الجهاد تحت راية حكومات العصر, علي الرغم من كونه لا يكفر هذه الحكومات وتنص عقيدته علي جواز الجهاد مع أي أمير برًا كان أم فاجرًا..
(٨) يؤمن تيار التكفير والتيار الشيعي بظهور المهدي في آخر الزمان وحدوث الملحمة القتالية الكبري بين المسلمين واليهود ,وذلك هو الصراع الحقيقي الذي سوف تكون نتيجته نهاية الوجود الصهيوني علي أرض فلسطين, وهو اعتقاد التيارات الأخري أيضًا سيرًا مع روايات نبوءات آخر الزمان التي تكتظ بها كتب السنن، انظر أبواب الفتن وعلامات الساعة في هذه الكتب..

الحركة والعمل السياسي

الحديث عن موقف الحركة الإسلامية من العمل السياسي يقودنا بالطبع إلي الحديث عن الإخوان المسلمين, باعتبارهم التيار الإسلامي الوحيد في مصر الذي يملك رصيدًا تاريخيًا كبيرًا في ممارسة العمل السياسي, بالإضافة إلي كونه لازال يتواجد سياسيًا علي ساحة الواقع ,وقد دخل في تحالفات مع الأحزاب القائمة, وأصبح له تواجده في مجلس الشعب وفي الساحة السياسية..

وهو ما يقودنا بالتالي إلى الحكم بأن الإخوان لا يرفضون العمل السياسي..

من هنا فسوف نركز الحديث في هذا الباب على موقف التيارات الأخرى الرافضة ومبررات هذا الرفض..
والتيارات الرافضة هى تيار التكفير والقطبيين والسلفيين ثم الجهاد والجماعة الإسلامية..
تيار التكفير والقطبيين والسلفيين لا يبدي اهتمامًا بالعمل السياسي,بل بالسياسة من الأصل..(١)
أما تيار التكفير والقطبيين فكلاهما كافر بالواقع وما يجري على ساحته فمن ثم هما لا يظهرا أي اهتمام بالسياسة أو بغيرها..
والسلفيون والجهاد والجماعة الإسلامية اهتموا بالتركيز علي قضية العمل السياسي ليس من باب تبنيها، وإنما من باب نقضها ومهاجمتها, بعد أن لفت انتباهها مشاركة الإسلاميين في انتخابات مجلس الشعب، وهو ما اعتبروهمخالفاً للشرع والمعتقد, مما دفع بهذه التيارات إلى إصدار العديد من المنشورات التي تهاجم الإسلاميين المشاركين في الانتخابات ومجلس الشعب باعتباره سلطة تشرع بغير ما أنزل الله ..(٢)
وقد أثرنا التركيز علي إبراز موقف تياري الجهاد والجماعة الإسلامية ، لكونهما يملكان الوثائق التي تحدد موقفهما من هذه القضية من جهة، ومن جهة أخري كلاهما يتبني هدفًا يتمثل في العمل علي إقامة دولة الخلافة الإسلامية, متبنيًا نهج الصدام المسلح مع الواقع من أجل تحقيقه، فمن ثم نحن نحتاج منهما إلي الإجابة علي التساؤلات التالية:
ـــ هل لو طبقت الحكومة الشريعة الإسلامية من الممكن أن يلتقي معها..؟
ـــ وما هو موقفه لو أعلن قيام الدولة الإسلامية عن طريق تيار آخر..؟
ـــ وهل لديه القدرة علي التنازل عن الجهاد المسلح، وتبني العمل السياسي..؟
ويظل تيار التكفير علي موقفه الرافض للواقع، وللمشاركة في النشاطات التي تجري علي ساحته خاصة تلك التي تتعلق بالسياسة..

موقف الجماعات الإسلامية

أصدرت الجماعة الإسلاميةمنشورًا تحت عنوان: **الحركة الإسلامية والعمل الحزبي** حددت فيه موقفها ونظرتها إلي العمل الحزبي في مصر نص على ما يلي: إن المسلم مطالب بألا يبدأ أي عمل قبل أن يعرضه علي الشرع، ويجعل منهضابطًا لأي عمل يعمله، فإذا ما تخلت الحركة عن الضبط الشرعي، وأصبحت تفعل ما تراه من أعمال، وتجعل من الشرع تبريرات لهذه الأعمال والمواقف هنا تكون قاصمة الظهر, وهنا تكون المفسدة التي ليس بعدها مفسدة فتتحول الحركة إلي حزب سياسي من تلك الأحزاب التي تملأ الساحة تفعل ما تراه من أعمال ثم تبحث عما يعطي شرعية لأعمالها وموقفها..
إن خطورة اللعبة الحزبية تكمن في أمرين رئيسين:
الأول: هو تفريغ الحركة من فعاليتها في مواجهة هذه النظم العلمانية وإدراجها علي قائمة القوي السياسية المعترفة بشرعية النظام، بل والمشاركة في تشييد هذه الشرعية بانضمامها إلي الشكل السياسي للحكم، وما يستتبع ذلك بالطبع من تضييع مفاهيم وأحكام إسلامية هامة, كالموالاة والحاكمية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها, وفتنة الناس بتقديم إسلام حكومي لهم بعيدًا عن الإسلام الصحيح.
الثاني: إنها جهد ضائع وسير في درب مسدود فرجل الشارع يعلم أن الحكومة لن تتخلي عن مقاعدها للإسلاميين بأغلبية أو بغير أغلبية فنجوم السماء أقرب ـ كما يقولون ـ ورجل الشارع يعلم أيضًا أنهم لن يدعوها للإسلاميين إلا بإجبارهم علي ذلك، ولكن لا زال هناك من يغالط ويحاول في ذلك بالباطل.. (المقصود هنا هم جماعة الإخوان)
وقد حدد المنشور أطراف اللعبة الحزبية بخمسة أطراف هي: الحكومة ثم الأحزاب ثم المنسوبون للإسلام علي حد تعبير المنشور, وبعد ذلك تأتي عمائم السلطان والاتجاهات والجماعات الإسلامية..

وقال: نحن لا يهمناكثيرًا أن نخاطب الحكومة أو الأحزاب. فهؤلاء أهدافهم مكشوفة وتحركاتهم واضحة، ولكن يهمنا أن نخاطب الإسلاميين وندعوهم لنجيب سويًا علي هذه التساؤلات:
ـــ هل يقبل الإسلامحقًا سلوك هذا الطريق لإقامة الدين كما يدعون؟
ـــ هل يمكنحقًا تطبيق الشريعة عن طريق سلوك طريق الأحزاب والانتخابات؟
ـــ هل يمكن عن طريق المجالس النيابية ايقاف الممارسات العلمانية ضد الإسلام والمسلمين؟
نقول بالقطع لا.. ونخدع أنفسنا إن قلنا عبر ذلك وحدد المنشور أن الاتجاه الإسلامي ينقسم في مواجهة العمل الحزبي إلي تيارين رئيسين:
الأول: تيار يعترف بمشروعية النظام ومؤسساته ويقبل الدخول في اللعبة الإنتخابية كأسلوب يصل من خلاله إلي إقامة الإسلامة ويقف علي رأس هذه الفئة الإخوان المسلمون..
الثاني: تيار رافض للنظامجملاً وتفصيلاً ويتبني في ذلك أسلوب مواجهته غير معترف بشرعيته وتبرز في هذه الفئة الجماعة الإسلامية..
ويستمر المنشور في موقفه العدائي من الدستور والديمقراطيةمهاجمًا الأساس الفكري ويقصد بها تلك النظرية التي يقوم عليها النظام، التي تفرز كافة القوانين واللوائح المهيمنة علي المجتمع وقد ارتضي الحكم (الديمقراطية) أساسًا فكريًا لقوانينه..
ويواصل: وسبق لرئيس الجمهورية أن صرح أنه لا ردة عن الديمقراطية، ونادي بضرورة المحافظة علي الديمقراطية لأنها حياة المجتمع، وقال: أؤمن بكل ما من شأنه تعميق الحرية والديمقراطية..

وها هو الدستور المصري يعلي الديمقراطيةمؤكدًا علي أنها الأساس الفكري للدولة وتنص المادة الأولي منه علي أن جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطي إشتراكي وتتابع مواد الدستور مؤكدة أن الديمقراطية هي الأساس الذي تبني عليه الدولة تشريعاتها. وأهم مبادئ الديمقراطية خمسة هي:

ـــ السيادة للشعب وحده (مادة ٣)

ـــ الشعب هو مصدر السلطات (مادة ٥),

ـــ كفالة الحريات وحمايتها (مواد ١٤،٦٤،٩٤، ٥٠وغيرها)

ـــ تعدد الأحزاب (مادة ٥),

ـــ المساواة في معناها الأساسي والاجتماعي (مادة ٤),

والديمقراطية تحمل في طياتها مخالفات جوهرية وعميقة للمنهج الإسلامي, بما يجعلها في تناقض صارخ مع الإسلام، ويتضح ذلك من الاستعراض السريع لكل مبدأ من مبادئها, فمعني أن تجعل السيادة للشعب، أي أنه هو صاحب السلطان المطلق, فهذا ما لا يقره مسلم أبدًا ,ذلك بأن المسلمين جميعًا طائعهم وعاصيهم ـ لا يسلمون بأن تكون السيادة لأحد من دون الله, والديمقراطية تجعل الشعب مصدر السلطات (التشريعية والتنفيذية والقضائية) وهذه جاهلية, إذ أن حق التشريع غير ممنوح لأحد من الخلق, لأنه خالص لله تعالي..

والديمقراطية تخالف الإسلام عندما تمنح الشعبحقًامطلقًا في تولية من يشاء وعزله وفق الهوي والمزاج, ودون التفات للقواعد التي أرساها الإسلام للتولية والعزل، ودون التزام بالشروط التي وضعتها الشريعة الغراء لكل من يولي علي ولاية من الولايات..

أما الحريات فالديمقراطية تطلقها دون قيد أو شرط ولكل المواطنين يستوي في ذلك عندها الحق والباطل، والطيب والخبيث، والإيمان والكفر،وبناءً عليه فليس هناك في المجتمع الإسلامي إلا حزبان:

(حزب الله) المأمور باقامته..

(وحزب الشيطان) وقيامه ممنوع..

وتنادي الديمقراطية بالمساواة بين جميع المواطنين فتجعل حق المواطنة هي أساس التسوية بينهم بغض النظر عن الدين والتقي, ويأبي الإسلام ذلك، يأبي التسوية بين مسلم وكافر **{أفا نجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون}** (القلم/٥٣)

ويأبي تسوية العالم بالجاهل **{قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون}** (الزمر/٩)

ويأبي تسوية المطيع بالعاصي **{أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لايستوون}** (السجدة/١٨)

والحق أن المساواة تكون بين أناس متساويين أصلاً، أما إذا تميزت فئة عن أخري بإسلام الأولي وكفر الثانيةمثلاً ـ فإنه من العبث أن نحاول التسوية بينهما، فالكافر لا تجوز ولايته ولابد من أن يدفع الكتابي الجزية للدولة المسلمة..

إن مجموعة القوانين التي تحدد هيكل النظام السياسي، وتبين اختصاصات كل سلطة فيه وحدودها، والشروط المعتبرة فيمن يتولاها, والتشريعات الخاصة به تنبع من منبع الديمقراطية ومصطبغة بصبغتها، وهي بذلك جديرة بأن ترفض جملة،..

وقد أصدرت الجماعةمنشورًا تحت عنوان: **أصناف الحكام وأحكامهم** وهو من تأليف عمر عبد الرحمن, وينقسم المنشور إلي قسمين:

القسم الأول منه يتحدث عن أنواع الحكام ويبين أن الحاكم إما أن يكونمسلمًاعادلاً أوجائرًا أو مبتدعًا، وقد يكونكافرًا وعرف كل واحد منهم، وبين أن لكل نوع منهم حكمه، وساق الأدلة التي توضح هذا التقسيم. وهذه الأحكام، واستخلص في نهاية كل فقرة عدة أمور منها:

ـــ لايجوز عقد الولاية لفاسق..

ـــ إذا نصب الواليعدلاً ثم جار أو فسق فمن العلماء من قال: تستدام ولايته ولاينعزل, ومنهم من قال تنفسخ ولايته وينعزل..

ـــ أما الخروج عليه فالعلماء فيه ثلاثة أقوال رجع المؤلف أحدها وهو عزل الخليفة للفسق، ولأي سبب آخر يوجب العزل، ولو أدي العزل إلي فتنة، ثم رد علي الرأيين الآخريين, أي القول بمنع الخروج مخافة الفتنة.

ـــ ذهب جمهور العلماء إلي أنه لا تنعقد الإمامة لمبتدع. فلو طرأت عليه بدعة انعزل، ووجب القيام عليه عند القدرة علي ذلك..

ـــ البدعة المؤدية إلي صريح الكفر الحاكم الداعي إليها حكمه حكم الكافر..

ـــ أجمعت الأمة علي أن الإمامة لا تنعقد لكافر, فلو طرأ علي الوالي أو الخليفة كفر, سقطت طاعته وخرج عن حكم الولاية, ووجب علي المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل..

وفي القسم الثاني من المنشور يقول : أننا أمام نوعين من الحكام أحدهما مسلم يحكم بكتاب الله، ولكنه ترك الحكم بما أنزل الله في إحدي الوقائع أو بعضها وهو يعلم أنه بذلك عاص آثم، والآخر ادعي الإسلام ولا يحكم بكتاب الله، ولكن يحكم بتشريع وضعي يشرعه هو أو غيره من البشر، ويحمل الناس علي التحاكم إلي هذا الشرع الوضعي منحيًا شرع الله عن الحكم، وتساءل: ما نصيب كل واحد منهما من قوله تعالي **{ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون}** (المائدة/٤٤) وأجابقائلاً : إذا ترك الحاكم المسلم بما أنزل الله في واقعة أو أكثر علي سبيل المخالفة والعصيان, لا علي سبيل الجحود والنكران، ولا علي سبيل الاستبدال فهو مسلم عاص ليس بكافر, أما أقوال العلماء في الخروج عليه فهي أقوالهم في

الخروج علي الحاكم الجائز, أي أن المسألة علي خلاف..
ثم تحدث عن الحاكم المستبدل لشرع الله, وأورد نقولا عن السلف والخلف تتحدث عن كيفية الاستبدال وحكمه..
وقال: إن ترك شرع الله والإتيان بشرع جديد إنما هو استبدال والإستبدال كفر لا شك في ذلك, والدين كله لا بعضه دون بعض ـ لله. فمتي كان بعض الدين لغير الله بالقتال واجب, وقال ابن القيم في تفسير قوله تعالي **(من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)** الوعيد علي نفي الحكم بالترك يتناول تعطيل الحكم بجميعه أو بعضه..
وقال ابن كثير فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتي يرجع إلي حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل أو كثير..
واستخلص في نهاية النقول النقاط التالية:
ــ استبدال الشرع كفر في أي مجال من المجالات، وبأي صورة من الصور، وتحت أي دعوي من الدعاوي قليلا كان أو كثيرًا، بتحليل الحرام أو تحريم الحلال أو تعطيل بعض الشرع وأشنع صورة إستبدال مصدر استخراج الأحكام كأن يجعل مرد الأمر إلي دستوربدلاً من القرآن والسنة..
ــ القوانين الوضيعة كفر بواح لإخفاء فيه ولامداورة..
ــ الحاكم المستبدل كافر يجب قتاله حتي يرجع إلي حكم الله فلا يحكم سواه في قليل أو كثير أو يخلع..
وختم كلامه بذكر جزء من فتوي ابن تيمية الخاصة بالحكام الذين لايحكمون بما أنزل الله، والتي يقول فيها: **كل طائفة خرجت عن شريعة الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق المسلمين, وإن تكلمت بالشهادتين, وكذلك إن امتنعوا عن الحكام في الدماء والأموال والأعراض ونحوها بالكتاب والسنة..**

الموقف الشرعي

ولا زلنا مع منشور الحركة والعمل الحزبي : ينبغي إذا ما تناولنا حكم تكوين هذه الأحزاب والعمل من خلالها أو التحالف معها أن ندرك ما الذين يعنيه تكوين حزب من الأحزاب في ظل النظام الديمقراطي العلماني القائم علي تعدد الأحزاب..؟
الأصل في الحكومة ـ في النظم الديمقراطية ـ أنها تنوب عن الشعب في تأدية مهام الحكم والإدارة, وإلتزامها بما ينظمه الدستور والقانون, وشرط ذلك أن تستمد شرعيتها القانونية الوضعية من موافقة الشعب عليها..
وقيام حزب من الأحزاب يتطلب إلتزامًا مسبقًا ممن يسعون لإقامته بالقوانين التي تحكم فيها الأحزاب، وتحدد شروط الحكومة في بنائه ولوائحه وأفراده وميادين عمله وأنشطته المختلفة، وهذا الشرط المسبق شرط ابتدائي لإقامته وشرط لاستمراره وإطلاق حريته في دعوته وحشد الجماهير خلفه، وفي المقابل هذا الإلتزام من الحزب تلتزم الحكومة بحماية تحركه، والإلتزام بالقوانين المنظمة للحياة السياسية دون خروج عليها، وإفساح المجال أمام الأحزاب المختلفة لكي تتنافس في الحصول علي الأغلبية التي توصلها للحكم..
فهناك إلتزام من الأحزاب بالقانون يقابله التزام من الحكومة بمراعاة نفس القانون، وهذه العلاقة بين الطرفين يصوغها فقهاء القانون في صورة عقد بينهما في إطار عقد أوسع وهو الدستور تمثل فيه الحكومة أحد طرفيه، وأصحاب المناهج أو الأحزاب الطرف الآخر، والعقد هو عهد موثق لازم لأصحابه..
وجمهور العلماء يرون أن الأصل في العقود الإباحة ما لم يكن العقدمخالفًا للشرع فيكونباطلاً يلزم عدم إبرامه أو تنفيذه، ومناقضة أي ركن من أركان أي عقد لأحكام الشرع مبطل للعقد ويتريب عليه حرمة عقده، والإلتزام به بإجماع أهل العلم، وإذا ما وضع العقد المعقود بين الأحزاب والدولة تحت هذا التوصيف فإننا سوف نجد أنه يتناقض مع أحكام الشريعة، إذ أن أركان هذا العقد تتمثل فيما يلي:
١ ــ المعقود عليه وهو الإلتزام باستخدام الأسلوب الديمقراطي والانتخابات كوسيلة وحيدة للوصول إلي الحكم وتغييره..
٢ ــ طرفي العقد وهما الدولة كشخصية معنوية ممثلة للشعب وأصحاب المناهج المختلفة ممثلين في الأحزاب..
٣ ــ الصيغة وهي العلة المنضبطة للتراضي، وهي هاهنا تتمثل في تقديم طلب إنشاء الحزب وموافقة الحكومة عليه.
إن ظهور أي خلل شرعي في أي ركن من هذه الأركان يعني بطلان العقد..
والناظر إلي أركان العقد سالفة الذكر سوف يلحظ عشرات التناقضات بينها وبين أحكام الشرع نسوق منها الآتي:
١ ــ التزام هذه الطريقة يقتضي السماح, بل والرضا لغير المسلمين من أصحاب العقائد الباطلة أن يتخذوا حزبًا كحزبك تمامًا، وتحكم بينهم الأغلبية، وتقدم من تشاء ومن يدري كيف تحكم ومن تختار..؟
٢ ــ إن التزام هذا العقد يتضمن التسليم. وعدم التصدي أوحتي الإعتراض، ولو وصلت أي من هذه الفرق إلي الحكم قد يؤدي إلي ذلك أن يكون السلطان للكافرين من شيوعيين أوغيرهم علي أهل الإيمان, بينما يلتزم أهل الإيمان بالنزول علي حكمهمالتزامًا بتلك الديقمراطية, مما يسببتعطيلاً للفرائضونشرًا للفساد والمنكرات ورضاءًا بهيمنة الكافرين علي المؤمنين..
٣ ــ يتضمن هذا العقدإيقافًا للوسائل الشرعية الأخري عن الإستعمال للحاكم المستبدل للشرائع، أو في التصدي للمنكرات مثل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي فرائض عينية يطالب بها المسلمون ويمنعها الإلتزام بالأسلوب الديمقراطي..
٤ ــ يلزم هذا العقد الملتزمين به الإنصياع لما تقرره الأغلبية مهما كانمناقضًا للشرع وعدم معارضته وكم جارت تلك الأغلبية علي أحكام الله..
٥ ــ والعقد يعطي أيضًا لتلك الأغلبية حرية الإختيار بين شرع الله وبين غيره من المناهج الوضعية..
٦ ــ ويلزم العقد من يصل إلي الحكم أن يظلمحافظًا علي الديمقراطية وأن يسمح لأصحاب العقائد الباطلة أن يدعوا

لعقيدتهم ويقوموا علي نشرها بين الناس..
٧ ــ لا شك أن اختيار البديل الديمقراطي يميع قضايا الموالاة، ويلزمنا مناصرة النظام الديمقراطي ومن يدعون إليه، ويلتزمون به سواء كانوا ليبراليين أو يساريين أو نصاري أو يهود, في الوقت الذي يفرض عليّ فيه الإنكار والمحاربة لكل من يرفضون هذا المنهج من المسلمين المخلصين, ويلزمنا أيضًا أن نرضي عن الحكام الذين يلتزمون بالديمقراطية وإن كان مخالفين لشرع الله..
٨ ــ ويقتضي العقد أنه في حالة الفشل في الوصول إلي الحكم عن طريق الديمقراطية فإنه يجب الانتظار دورة برلمانية أخري دون القيام بأي تحرك لإزالة الحكم المخالف لشرع الله..
واعتبرت الجماعة الشروط التي وضعها قانون الأحزاب مناقضة للشرع وما أنزل الله بها من سلطان، ويتطلب أن يخلع الحزب دينه وعقيدته, ويعترف بالكيان الصهيوني و بالوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي والمفاهيم الاشتراكية وغير ذلك من المفاهيم المستوردة..
وحددت الجماعة أن التحالف مع الأحزاب العلمانية يؤدي إلي الوقوع في محظورات شرعية تفرزها عملية اللقاء الشاذ بين العلمانية والإسلام، وأن هذا التحالف لابد وأن يحقق بعضًا من المصالح والإعانة لذلك الحزب علي طريق الوصول إلي الحكم, مما يعد دعمًا لحزب علماني التكوين، وإعانة علي باطل **{ولاتعاونوا علي الإثم والعدوان}**
ومن الطبيعي أن هذا الحزب لن يسمح للإسلاميين بتولي مناصبه الرئيسية وسيكون الإسلاميون فيه خاضعين لقيادته العلمانية, مثل هذا التحالف سوف يؤدي في النهاية إلي التغرير بالناس، وتمييع المفاهيم الإسلامية لإختلاطها بالعلمانية وسوف يؤدي إلي تخفيف حدة الصراع بين الإسلام والعلمانية نتيجة الهدنة التي يفرضها هذا التحالف, وقد تكون القيادة أو بعضها داخل الحزب للعلمانيين من غير المسلمين مما يجعل الولاية لغير المسلمين علي المسلمين وهو شيء مرفوض شرعًا..
الآثار المدمرة
إن هناك مجموعة من الأسباب الشرعية الموجبة للامتناع عن المشاركة في العمل الحزبي وكل منها يكفي وحدة لتحريم ذلك العمل..
السبب الأول: الإعتراف الضمني بالقوانين غير الإسلامية الباطلة، وذلك بسبب المشاركة الإلتزام بها دون حاجة، بل والمشاركة في المجالس التي تقوم علي تشريعهذه القوانين من دون الله **(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره..)**
الثاني: أن مشاركة هذه المجلس أو الإشتراك فيها يلزمنا التهادن تجاه الأفكار غير الإسلامية, وخاصة تلك التي عرضها قانون الأحزاب كأساس أيديولوجي لها كالسلام الاجتماعي والديمقراطية والاشتراكية والوحدة والوطنية وغيرها، سواء كان هذا التهادن بقوة القانون الذي اضطررنا الإلتزام به, أم كان هذا التهادن ضمني بإعلان دخول الأحزاب والموافقة علي إلتزام المناهج التي يفرضها القانون كأصول عقائدية, وهذا له ضرر علي نقاء الفكرة الإسلامية لدي الناس..
الثالث: هذه المشاركة تعني تناقضًا مباشرًا مع الأمر بالكفر بالطاغوت والتبرؤ منه ومنابذته ومناصبته العداء، كيف والداخل لهذه المجالس مطالب بأن يقسم علي إحترام الدستور العلماني وإحترام القوانين المستوردة، بما يمثله هذا من إظهار للرضا وهدم لهذا المبدأ الأصيل يمثل الشق الثاني من القضية الإيمانية بعد الإيمان بالله..
الرابع: أن هذا التوجه يقتضي من أصحاب الدعوة الوقوف بأبواب السلاطين الطغاة الذين يستبدلون شرائع الإسلام مما يعرض أصحاب الدعوة لخطورة الإفتتان بهم والإنحراف عن سبيل الدعوة القويم..
الخامس: أن الدخول في هذه اللعبة يوقعنا في الكثير من المحاذير الشرعية أثناء الدعاية الانتخابية من الوعود الكاذبة

والتدليس مما يكون له أثره السئ علي الدعوة والدعاة فضلا عما ترسخه هذه العملية من إعتقاد حق البشر في قبول الإسلام أو رفضه بالتصويت..
السادس: هذا الاتجاه يقتضي خداع الناس والتغرير بهم بما يمارس صور التهاون مع المنكرات العقائدية والتشريعية وغيرها, مما يخلط المفاهيم الإسلامية لدي الناس بالمفاهيم غير الإسلامية, ويسبب تغريرًا أيضًا للعلمانيين وإقناعهم بشرعية ما هم عليه من ضلال مما يطيل أمد الحكم العلماني ويؤخر من سقوطه..
السابع: أن طرح الشريعة مادة للمزايدات الحزبية والإختيارات الجماهيرية والترجيح فيها بالأغلبية له ضرره علي تهوين أمر الشريعة في قلوب الناس ويتناقض مع ضرورة تعظيم شعائر الله وتلقيها بالقبول والتسليم..
وهذه الأسباب السبعة إعتبرتها الجماعة آثارًا مدمرة علي المفاهيم الإسلامية تنتج من خلال سلوك طريق العمل الحربي، ولا يجوز التعلل بنبل الغاية والطمع في تحقيقها, فقد تعبدنا الله بالوسائل الموصلة للغايت كما تعبدنا بالغاية نفسها ولا يصح استخدام وسيلة غير شرعية حتي, وإن كان الهدف منها شرعيًا..
وفي معرض الإجابة علي سؤال حول وصول الإسلام إلي الحكم عن طريق العمل الحزبي قالت الجماعة: إن قانون الأحزاب وضع كعائق يمنع الإسلاميين من ذلك, فهو غير مسموح لهم إبتداء بانشاء حزب، وغير مسموح لهم بالدخول علي أساس من عقيدتهم للأحزاب القائمة، وأن سمح لهم فهو بهدف إلهائهم عن الأساليب الأخري، وسحب البساط من تحت أقدامهم وسوف يظل القانون سيفًا مسلطًا علي رقابهم يسله النظام متي شاء, وإذا أضفنا إلي ذلك حق رئيس الجمهورية في حل الحكومة ومجلس الشعب لو تخطي الإسلاميون كل العقبات السابقة وذلك بناءًا علي الاستفتاءات التي اشتهرت بها

الحكومة ـ لعلمنا أن القضية كلها مجرد تمثيلية خادعة يضحكون بها علي السذج والبسطاء, أن طريق الأحزاب والإنتخابات النيابية لن نجني من وراءها إلا حصاد الهشيم, ما إستظلت هذه الانتخابات والمجالس بالقوانين الوضعية وهيمن عليها العلمانيون، وأن أطراف اللعبة الحزبية ليسوا سوي دعاة علي أبواب جهنم..

فكرة الدولة عند الجماعة

حددت الجماعة هدفها في الميثاق الذي تلتزم به بأنها تسعي لإقامة خلافة علي نهج النبوة أي دولة إسلامية تتبني خط الرسول والخلفاء الراشدين من بعده، ولا يوجد من بين وثائق الجماعة ما تصدره من كتب ومجلات أي تفسير لفكرة الخلافة, أو توضيح لماهيتها وسياساتها, وإنما الواضح من خلال أطروحاتها أن هذه الفكرة تهيمن علي تصور الجماعة ومشاعر أفرادها..

والمعروف أن الجماعة ـ ومعها أغلب التيارات الإسلامية ليس لديها موقف محدد من السعودية, هل هي دولة إسلامية أم لا..؟

وهل يمكن أن نطلق عليها دولة الخلافة وما هو ميزانها الشرعي..؟

ولا يوجد بين إصدارات الجماعة ما يشير إلي هذا الموقف من قريب أو بعيد لكن الواضح من ممارساتها أنها ليست ضد السعودية ,ولا تتبني رؤية معادية لها حيث إن الكثير من قياداتها وأفرادها قد سافروا إليها واستوطنوا فيها., وأميرها عمر عبدالرحمن أمير الجماعة ومفتيها كان في حركة ذهاب وإياب نحوها..

وفي منظور الجماعة: كل من طبق الإسلام من الحكام فهو مسلم بغض النظر عن ماضيه ومواقفه السابقة، فكل ذلك من الممكن أن يدخل في دائرة التوبة ,وعلي هذا الأساس تتعاطف الجماعة مع باكستان والسودان والسعودية, أما مسألة النوايا هذه فلا تعطيها الجماعة أي اهتمام، وهي في نظرها موكولة إلي الله سبحانه..

وعلي ضوء ما سبق يمكن القول أن دولة الخلافة في نظر الجماعة هي دولة إسلامية تحكم بالشريعة الإسلامية علي نهج السلف، وليس ضروريًا أن تخلق هذه الدولة من العدم، فمن الممكن أن تتحول أي دولة معاصرة لدولة خلافة إذا ما طرحت العلمانية جانبًا والتزمت بالشريعة، ولو بقي علي رأسها حاكمها السابق ذو الماضي العلماني ما دام قد تاب من علمانيته واتجه إلي الإسلام،..

والقاعدة العقائدية تقول: أمرنا أن نحكم بالظاهر والله يتولي السرائر, وزعماء المجاهدين الأفغان مثلا من الممكن أن ينتقي منهم خليفة بحكم أفغانستان بعد تحريرها، خاصة أن جميعهم يتحلي بالإسلام ظاهرًا وباطنًا، وكذلك فهد بن عبدالعزيز لو أعلن نفسه خليفة للمسلمين غدًا، وبالنسبة لمصر فأنها لو اتجهت إلي تطبيق الشريعة فإن ذلك يؤدي إلي تذبذب موقف الجماعة تجاه الحكومة, وربما يؤدي إلي تفنيته وحسم الصراع بصورة نهائية..

نشأة الجماعة السياسي

قامت الجماعة بعدة نشاطات سياسية منذ ظهورها في أواخر السبعينيات، إلا أن هذه النشاطات كان لها طابعها الخاص عن النشاطات السياسية الأخري ,خاصة تلك النشاطات التي تقوم بها جماعة الإخوان فالقضايا التي كانت تتناولها تلك النشاطات تتميز في الغالب بتوجيه معاد للدولة, وتطرح مطالب وتوصيات يغلب عليها البعد السلفي ويجانبها البعد السياسي..

وأبرز صور النشاط السياسي عند الجماعة تتمثل في المؤتمرات الشعبية التي أقامت الكثير منها في صعيد مصر, وفي المساجد التي كانت تسيطر عليها بالتحديد, وتلي المؤتمرات حركة إصدار المنشورات التي تعكس مواقف الجماعة من الحكومة ومن الأحزاب وشتي الأحداث والقضايا السياسية الأخري علي مستوي الداخل والخارج, وهي حركة واسعة ونشيطة ويبدو ذلك بوضوح من خلال استعراض ذلك الكم الكبير من الكتب والمجالات والمنشورات التي كانت تصدر بين الحين والآخر، ولايمكن القول أن هذا النشاط الواسع يعكس شعبية كبيرة للجماعة في الوسط الجماهيري، وإنما الحقيقة أن الجمعة كان لها وزنها البارز بين الطلاب، وهي لكونها تطرح قضاياها بدون اعتبار البعد السياسي فقد شكل هذا الأمر نوعًا من العزلة بينها وبين الجماهير، لكن صداماتها الكثيرة بالحكومة قد عكس لها شهرة واسعة تفوق حجمها بكثير وإن كانت أغلب صداماتها هذه تقع في صعيد مصر. مركز الجماعة ومحور نشاطها.

ولتزامًا بالرؤية السلفية فإن الجماعة تمارس العمل السياسي حسب طريقتها الخاصة، وبما تراه يتوافق مع خط السلف، فمن ثم نراها تفجر قضايا ليس من الحكمة إثارتها , بل إن إثارتها قد يضر بمستقبل العمل الإسلامي ، لكن الجماعة لا تعبأ بمثل هذه الحسابات ولا تعيرها اهتمامًا..

ومن بين تلك القضايا الشائكة قضية الوحدة الوطنية , ففي أول مؤتمر جماهيري للجماعة بعد الانتهاء من محاكمة الجهاد عام ٤٨ وفي ظل قانون الطوارئ، في شهر يناير ٥٨، وفي مسجد النور، المجاور لدار البطريركية المسيحية مقر البابا شنودة، وبحضور كل من عمر عبد الرحمن والشيخ حافظ سلامة، والشيخ صلاح أبوإسماعيل عضو مجلس الشعب عن الوفد آنذاك, قامت الجماعة بتوزيع المنشورات علي المصلين والمتواجدين بالمسجد مهاجمة فيها البابا شنودة والمسيحيين في مصر متهمة إياهم بالتآمر علي الإسلام, كما هاجمت الحكومة لقيامها بالإفراج عن البابا الذي كان لازال متحفظًا عليه في ذلك الوقت..

وفي الكلمة التي ألقاها عمر عبد الرحمن هاجم الزيارة التي قام بها وفد من الإخوان المسلمين برئاسة مرشد الإخوان الراحل عمر التلمساني للبابا شنودة في دار البطريركية لتهنئته بمناسبة اطلاق سراحه وعودته إلي ممارسة مهام منصبه.. واعتبر هذه الزيارة غير شرعية ولا تحسب علي المسلمين وكان هذا المؤتمر ـ كعادة جميع المؤتمرات التي تعقدها

الجماعة قد عقد دون إذن من جهات الأمن المختصة, كما يفرض قانون الطوارئ، وذلك بالإضافة إلي أن الجماعة محظورة النشاط رسميًا..
ولقد ركزت الجماعة في نشاطها علي أفغانستان وأقامت عدة مؤتمرات من أجل نصرتها, كما أصدرت الكثير من المنشورات والبيانات التي تتعلق بها تطالب المسلمين بنصرتها ودعمها, ولا تكاد تخلو المنشورات التي تصدرها الجماعة من خبر أو موضوع يتعلق بها, حتي أنها أصدرت في النهاية نشرة خاصة بها أسمتها (الفتح المبين)..
وأقامت الجماعة أيضًا عدة مؤتمرات وأصدرت الكثير من المنشورات التي تتعلق بالشريعة الإسلامية وضرورة تطبيقها, كما أقامت عدة مؤتمرات للدفاع عن نفسها في مواجهة بعض الأحداث التي ألصقت بها، ومن أجل الدفاع عن المعتقلين الإسلاميين، ومن أسمتهم بالمجاهدين في سجن ليمان طره. وهم قادتها المحكوم عليهم في قضية اغتيال السادات وأحداث أسيوط ..
وعند بروز الانتفاضة الفلسطينية في الداخل أعلنت الجماعة تأييدها ونصرتها لها, وأصدرت عدة منشورات حولها، وقد أعلنت عن قيام مؤتمر شعبي بالجامع الأزهر في يوم الجمعة إلا أن أجهزة الأمن حالت بينهم وبين إقامته..
ونتج عن هذا قيام أفراد الجماعة بمسيرة احتجاج سلمي وسط القاهرة نددت فيها بجرائم اليهود في فلسطين, كما نددت فيها بالحكومة..
ومما يذكر هنا أن جميع هذه المؤتمرات أقامتها الجماعة في المساجد التي كانت تسيطر عليها, أو التي تتمكن من وضع قدمها فيها، فهناك ارتباط وثيق بين الجماعة وبين المسجد وربما تكون حالة الحظر التي فرضتها الحكومة علي نشاطها لها الأثر الأكبر في تعلقها بالمساجد, واعتبارها المنفذ الوحيد لها للبروز علي ساحة الواقع، وربما يكون أيضًا هذا الوضع قد استفز الحكومة، وجعلها تضطر إلي مطاردة الجماعة في المساجد وإغلاقها في وجهها..
وفي عيد الفطر وعيد الأضحي كانت هناك فرصة سنوية للجماعة تبرز من خلالها علي الساحة ، حيث تكثر المنشورات والملصقات في الطرقات تدعو الناس إلي الصلاة مع الجماعة في الأماكن المحددة بالملصق..
إلا أن أجهزة الأمن التي كانت تتعقب الجماعة علي الدوام سرعان ما تبطل هذا الأمر، وتحول بين الجماعة وبين إقامة الصلاة, وكثيرًا ما تحدث صدامات بينهما في هذا الوقت من كل عام، ويتسبب في سقوط عدد من الجرحي وإعتقال الكثيرين من أفراد الجماعة..
وفي مدينة أسيوط كانت تكثر الاضطرابات والصدامات مع قوات الأمن خاصة في داخل الحرم الجماعي, حيث كانت تقوم الجماعة بنشاط واسع داخل الجامعة، ولم يقتصر هذا الصدام مع قوات الأمن وحدها, بل تعداه إلي الإخوان الذين يشكلون عائقًا في طريق الجماعة ، والتي تستفزها علي الدوام،..
وقد وقعت عدة صدامات بين أفراد الجماعة وأفراد الإخوان داخل جامعة أسيوط وخارجها أسفر عن سقوط الكثير من الجرحي من كلا الجانبين..
وكانت قد قامت عدة تظاهرات طلابية داخل جامعة أسيوط بقيادة الجماعةاحتجاجًا علي سياسة الحكومة، واعتقال أفرادها، ووزعت خلالها المنشورات المناهضة للحكومة..
وبعد وقوع أحداث مدينة الفيوم مقر عمر عبدالرحمن عام ٩٨ واعتقاله علي أثرها ,ظهرت الملصقات في الشوارع منادية:
ارفعوا أيديكم عن الدكتور عمر عبدالرحمن أمير الجماعة الإسلامية..
وكان ارتباط الجماعة بمعظم الأحداث السياسية الضخمة التي هزت الحكومة من عام ١٨ وحتي نهاية الثمانينيات, وفي مقدمتها حادث اغتيال السادات وحادث أسيوط وأحداث عين شمس قد ضاعف من وزنها السياسي, كما ضاعف من نشاطها وجعلها تقف وجهًا لوجه أمام تيار الإخوان وتناطحه بل وتنتصر عليه في بعض المواقع..
ومما سبق يمكن تحديد نشاط الجماعة في الأمور التالية:
ـــ إقامة المؤتمرات في المساجد..
ـــ القيام بمسيرات ومظاهرات..
ـــ إصدار المنشورات والمجلات..
ـــ دعوة الجماهير والأفراد إلي الانخراط في صفوفها..

وهذه الأنشطة جميعها قد اختفت من الساحة بعد الضربات المتلاحقة التي وجهتها الحكومة للجماعة, واتساع دائرة الاعتقالات بين عناصرها والذين هم رهن الإعتقال منذ سنوات دون محاكمة..

حكم دخول مجلس الشعب
حددت الجماعة من خلال منشور لها أن الحاجة تشتد إلي معرفة حكم الشرع في دخول المجلس التشريعي, وخاصة في هذا الوقت الذي إختلطت فيه الأوراق، وضاعت فيه معالم الدين بين جهل الجاهلين، ونفاق عمائم السلطان..
وإنطلاقًا من هذه المقدمة البسيطة نضع قضية دخول المجلس الشعب تحت مجهر الشرع وميزان الإسلام لنستبين الحكم الشرعي، ونضعه بين يدي العاملين في الحركة الإسلامية، وذلك بعد أن طرحت هذه لاقضية نفسها بإلحاح علي ساحة العمل الإسلامي بمصر..

ولما كان مجلس الشعب يتولي سلطة التشريع بحكم الدستور تناقض بهذا مع الإسلام تناقضًا واضحًا ,لأن التشريع حق خالص لله **{إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه}**
وأصبح من حقه أن يجيز أو يرفض أي أحكام شرعية، لأن الأغلبية لا ترضيها، ولذا فالأحكام الإسلامية والأوامر الإلهية ليس لها أدني مشروعية في نظر مجلس الشعب طالما تحصل علي رضاء الأغلبية, ومن زعم لنفسه هذا الحق فهو إنما ينازع الله سلطانه ويخرج بزعمه هذا من دائرة الإسلام, فلا يجوز أن يتولي أحد قط سلطة التشريع المطلق، ولا يحل لأحد أن يشارك أو يسوغ وجود سلطة تفعل ذلك **{أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله}** (الشوري١٢) /
ومما سبق يشكل قناعات مسلمات لا تقبل الجدل عند المسلمين فكل فرد أو سلطة أو هيئة أو مؤسسة تدعي لنفسها الحق في التشريع, وتريد حمل الناس علي شرعتها ,وجب علي المسلمين أجمعين أن يناصبوها العداء وأن يسعوا لإزالتها من الوجود..
إن التبرؤ الذي أمرنا به من كل صور الشرك والكفر يذهب كلية بدخول مجلس الشعب وبأداء القسم علي احترام الشرعية وحمايتها ,والداعون لدخوله إنما يضفون علي النظام العلماني الجاهلي شرعية بالمشاركة في أخطر مؤسساته، وهي الهيئة التشريعية التي تسن القوانين للسلطة القضائية وتلتزم بها السلطة التنفيذية **{فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي}** (البقرة٢٥٦)/
وعامة الداعين لدخول مجلس الشعب من المنتسبين للعمل الإسلامي لم يتورعوا عن المجاهرة بقولهم أنهم يحترمون القانون الوضعي ويلتزمون به ويوافقون علي الأحزاب الشيوعية الملحدة، وهم بدعوتهم هذه إنما يضيعون المفاصلة اللازمة بين أهل الحق وأهل الضلال ,ويخلطون بين الإسلام والعلمانية, وفي مواجهة هذه الدعوة المجنونة حسب تعبير الجماعة ـ التي تتردد اليوم علي ألسنة البعض بأن طريق المجلس التشريعي هو الطريق إلي تحكيم كتاب الله،وذلك بالحصول علي الأغلبية داخله صدر منشور تحت عنوان: **إله مع الله، إعلان الحرب علي مجلس الشعب..**
وكانت أهم الأفكار التي حملها هذا المنشور أن مجلس الشعب فكرة جاهلية تنبني علي إدعاء سيادة الشعب وحقه في التشريع من دون الله, وفي ذلك تقسيم العبودية بين الخالق والمجلس النيابي, وهو ذلك الند والصنم والشريك المزعوم الذي أرادوا أن يخلعوا عليه حق التشريع، وأن يعطوا تشريعاته السيادة المطلقة، وأن يحملوا الناس علي الإذعان لها, إما بالامتناع أو بالجبر والقهر, فهذا المجلس قائم علي استلاب حق الله تعالي في التشريع, وهذا من أكبر الكفر وأغلظه..
ولقد أنكر المسلمون أشد الإنكار علي دعا غير الله، أو استغاث به، أو نذر له، وأفتي علماء الأمة، سلفا وخلفا ـ بموجب هدم المشاهد الشركية التي يطوف بها الجهال ظانين أنها تنفع وتضر مع أن لهؤلاء شبهة هي قولهم أنهم يقربونا إلي الله زلفي شفعاؤنا عند الله, فكيف بهذا المشهد الشركي الأكبر، والذي لا شبهة لمن أقربه، وأعترف بمشروعيته وآمن بحقه في التشريع..؟
وقد وجه المنشور نداء إلي العلماء تحت عنوان **يا ملح البلد** قال فيه: كان من المفترض علي دعاة الإسلام وعلمائه أن يعلموا الناس أن حق التشريع غير ممنوح لأحد من الخلق، وأنه حق خاص لله تعالي, وأن من شرع من دون الله كفر، وأن من تحاكم إلي هذا المشرع البشري فقد عبده من دون الله، وأنه لا يجوز السكوت علي وجود تشريعية كمجلس الشعب تعد من أكبر الكبائر، وأشنع المصائب الموجودة في بلادنا, لكن فريقًا منهم لم يفعل، وليته إذ لم يفعل سكت، بل سارع بعضهم إلي ترشيح نفسه لهذا المجلس، وإنا لله وإنا إليه راجعون..
ومن خلال المنشور قامت الجماعة بتفنيد الدعاوي التي يدعيها البعض من الإسلاميين كمبرر لخوض الانتخابات ودخول مجلس الشعب وردت عليها وفي مقدمة هذه الدعاوي دعوة الضرورة..

موقف تنظيم الجهاد
لا يختلف تنظيم الجهاد في مواقفه كثيرًا عن الجماعة الإسلامية ,وقد يكون موقفه أكثر تشددًا تجاه الحكومة والأحزاب والانتخابات والواقع بشكل عام ,غير أنه يتحلي بقليل من المرونة تجاه قضايا كثيرة علي مستوي السلف وعلي مستوي الحاضر..

وبمكن القول أنه أكثر تحررًا من عقل الماضي بالقياس للجماعة الإسلامية, ولعل هذا هو أساس الخلاف القائم بين الاتجاهين علي الرغم من تبنيهما لخط الجهاد، واتفاقهما علي مصدر التلقي..
ولا توجد بين أيدينا وثائق كافية يمكن من خلالها بلورة موقف تنظيم الجهاد من العمل السياسي كما هو الحال مع الجماعة الإسلامية، وذلك لكون تنظيم الجهاد لم يصدر الكثير من البيانات وهو يمارس عملية البروز العلني بحذر شديد, بعكس الجماعة الإسلامية التي لا تكف عن استفزاز الحكومة ما بين الحين والآخر..
وبين أيدينا وثيقتان أساسيتان تمثلان فكر تنظيم الجهاد ومنهجه وفلسفته في مواجهة الواقع والأحداث:
الأولي: كتيب الفريضة الغائبة وهو وثيقة تسبق فترة اغتيال السادات ,وتسبق ميثاق العمل الإسلامي الخاص بالجماعة الإسلامية، ويعد أول وثيقة تعكس فكر الجهاد ومنهجه تظهر علي ساحة الواقع المصري..
والثانية: منهج الجهاد الإسلامي وقد قام بكتابته داخل السجن المقدم عبود الزمر في عام ٦٨ وهو يعد أطروحة أكثر تطورًا لفكر الجهاد من كتاب الفريضة الغائبة..
وباستجلاء موقف جماعة الجهاد من العمل السياسي من خلال هاتين الوثيقتين، سوف نلحظ الفارق بين موقف الجهاد وموقف الجماعة الإسلامية وحالات التباعد والتقارب بينهما..
يركز كتيب الفريضة الغائبة علي قضية الجهاد ومشروعيتها في مواجهة الحكام, فمن ثم لا نجد بين صفحاته البعد السياسي المطلوب والذي من الممكن أن نستشف منه رؤية سياسية تجاه الواقع والأحداث، خاصة أن لغته لغة سلفية بحتة..
يقول الكتيب: وحكام هذا العصر في ردة عن الإسلام، تربوا علي موائد الاستعمار سواء الصليبية أوالشيوعية أو الصهيونية, فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء ,وإن صلوا وصاموا وأدعوا أنهم مسلمين, وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي..
وإذا كانت الردة عن أصل الدين أعظم من الكفر بأصل الدين, فالردة عن شرائعه أعظم من الكفر بأصل الدين، فالردة عن شرائعه أعظم من خروج الخارج الأصلي عن شرائعه, كما قال ابن تيمية, والياسق الذي اخترعه جنكيز خان، وفرضه علي الناس أقل جرمًا من شرائع وضعها الغرب الصليبي, لا تمت للإسلام بصلة ولا لأي من الشرائع وهي مفروضة علي مجتمعاتنا اليوم.. (٣)
وقد إستعرض الكتيب لفتوي ابن تيمية الخاصة بالتتار، وقارن بينها وبين حكام العصر ووضع أمثلة تطبيقية من خلالها علي الواقع فيها مقارنة فتوي (الياسق) بالقوانين الوضعية الحالية, ومقارنة تعظيم التتار لملكهم وموالاة من يواليه، ولو كان كافرًا ,ومعاداة من يعاديه ولو كان مسلمًا, بحال حكم اليوم وحاشيتهم الذين عظموا أمر الحكام من تعظيمهم لخالقهم، ..،ومقارنة الإنتماء لعسكر التتار من قبل المسلمين بدخول الجيوش المعاصرة
ثم استعرض الكتيب بعد ذلك مجموعة من فتاوي ابن تيمية: أن إعانة الخارجين عن شرع الله محرمة, وإن كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين, وكل من نفر إليهم – أي انتمي إلي صفوفهم من أمراء العسكر وغير الأمراء, فحكمه حكمهم, وفيهم من الردة عن شرائع الإسلام بقدر ما ارتد عنه من شرائع الإسلام..
وهكذا يتضح لنا من خلال استعراض النصوص السابقة من كتيب الفريضة الغائبة أن جماعة الجهاد لا تعترف بالنظام السياسي القائم في مصر، وترفض علمانيته، وإن كان لم يفصل ذلك,كما يحكم بالكفر علي كل الحكام دون استثناء، وهو بهذا يلتقي في موقفه مع الجماعة الإسلامية..
وإذا ما استعرضنا الوثيقة الثانية التي وضعها عبود الزمر فسوف نري ذلك الموقف أكثر وضوحًاوتفصيلاً , فهو يوجه نداءً لحكام مصر في الافتتاحية يقول فيه: أما آن لكم أن تفسحوا الطريق بعد إذ فشلتم, لرجالات الحركة الإسلامية ليقودوا الأمة إلي ما فيه الخير والرشاد, فيقيموا دولة الإسلام علي نهج النبوة، ويصلحوا ما أفسدتموه ,ويشيدوا ما هدمتموه من أمجاد الآباء والأجداد..
إننا نوقن أنهم لن يستجيبوا للنداءات, ولا بالممارسات الحزبية ولا بالدعاوي القانونية ولا بالمسيرات السلمية، لأننا نؤمن بحتمية الصراع بين الحق والباطل بين قوي الكفر والإيمان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان, وليس أمام الأمة الإسلامية كي تستعيد مجدها سوي أن تنسلخ من تحت إمرة الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، المستبدلون للشرائع لينضموا إلي صف الحركة الإسلامية من أجل استعادة الخلافة الإسلامية، فمنذ أن سقطت الخلافة الإسلامية فقد المسلمون سيفهم ودرعهم، وأصبحوا نهبة لكل طامع وفريسة لكل غاصب, فتقطعت أوصال الدولة الإسلامية وغابت شريعة الله من موقع الريادة، فتخبطت البشرية في مستنقعات القوانين الوضعية الباطلة, وتردت في غياهب الأفكار العلمانية الضالة..

لقد أصبح جليًا لبسطاء الناس أن النظام في مصر قد أعرض عن الإسلام ,وأرتمي في أحضان تلك الحضارة المزعومة فطبق النظام الاشتراكي تارة، والنظام الديمقراطي تارة أخري في حقبة يسيرة من الزمان, فلم يزده ذلك إلا خسرانا في الدنيا والآخرة **{ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمي..}** (طه/٤٢١)
إن العبث كل العبث أن تتقدم الحركة الإسلامية بالحلول الجزئية لتعاون النظام الباطل وهي التي عقدت العزم علي استئصاله..
علي هذا الأساس فإننا نرفض المشاركة في السلطة الباطلة القائمة في البلاد لعدم مشروعية ذلك, كالانضمام للأحزاب

القائمة، أو تكوين حزب ديني يطالب بتطبيق الشريعة سرعان ما تبدد مطالبه مع تصفية الأغلبية الجاهلة في مجلس الشعب،..

والأحزاب بالصورة المعروفة لدي الناس أمر مرفوض في الدولة الإسلامية، ولكن هناك تعدد الآراء ووجهات النظر في القضايا للوصول إلي جانب الحق والصواب..

وقد يتصور البعض أن وجود الأحزاب يمحص الآراء, ويفتح مجالات النقد وصولا إلي الصواب, لكن هذا الأمر في حقيقته تمزيق، وأن التصور الصحيح للرأي السليم هو وجود أجهزة متخصصة يعمل بها العلماء المتخصصون باتفاق جهودهم..

إنني لا أستطيع أن أغفل خبرات العديد من رجلات المعارضة الراهنة في مجلات التخصص المختلفة، ولكن الأمر بحقيقته يحتاج إلي تصحيح للمنطلقات لتكون الأصول إسلامية ,حيت يكونوا علي المستوي الصالح لخدمة الدولة الإسلامية فور قيامها,وحيث سنقدم أهل العلم والخبرة والكفاءة, ولا يعني عدم السماح بقيام أحزاب المعارضةحفاظًا علي جسد الأمة، أننا نرفض التعامل مع الدول التي تحمل نفس فكر هذه الحالات فنحن نري الذي تراه شريعتنا,,(٤)

إن المتأمل لأبعاد التجربة الإنتخابية سوف يدرك أن وراء الزج بالحركة الإسلامية فيها أصابع آثمة تكيد لرجالاتها ,حتي وصل الأمر إلي توريط قطاع عريض من التيار الإسلامي بحسن نية منه ,قاصدًا أن يقيم شريعة الله من خلال الدخول إلي مجلس الشعب..

ونحن إذ ننبه علي عواقب ذلك نود أن نثبت موقفنا نحن جماعة الجهاد الإسلامي, إننا براء إلي الله تعالي من كل شيء يخالف شريعته..

إن الطريق إلي إقامة الدولة الإسلامية لا يكون إلا من خلال الوسائل المشروعة التي أقرتها الشريعة الإسلامية, من دعوة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر, وجهاد في سبيل الله..

والبعض يستدل بقصة يوسف (عليه السلام) علي جواز العمل في المجلس الذي يشرع من دون الله, وهذه أمر باطل ومردود إذ أن أقوال العلماء في تفسير قوله تعالي **{اجعلني علي خزائن الأرض}** وقوله **{وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث شاء}** قاطعة بعكس ذلك الاستدلال..

والجلوس في مجلس الشعب الذي يشرع من دون الله هو مظاهرة لهذا المجلس, وذلك في حد ذاته مفسدة محضة ليس في طياتها مصلحة..

إن الشريعة الإسلامية تفرض أحكامها علي الناس رضوا أم أبوا, فكيف بمن جلس في مجلس الشعب يقسم اليمين علي احترام القانون الوضعي الباطل..

وفي حديث لعبود الزمر تم تهريبه من داخل السجن حدد موقف تيار الجهاد من عدة قضايا في مقدمتها التعامل مع الأحزاب والحوار مع نظام الحكم وعمليات خطف الطائرات..

حول قضية الأحزاب والعمل الحزبي يقول عبود: النظام الحزبي في مصر يقوم علي أساس علماني لا ديني, فمن غير المسموح إقامة حزب علي أساس ديني,كما أن كافة الأحزاب تعتبر جزءًا من النظام وتخضع للدستور, والخلاف بينهما خلاف علي الممارسة لتحقيق أنبل تطبيق للدستور والقانون، أما نحن فنختلف مع النظام الحاليخلافًا جذريًا, فلا يجوز الاجتماع معه تحت راية واحدة، نحن نريد حكم الله، هم يريدون أن يحكم الشعب نفسه بنفسه, وهذا هو تعريف الديمقراطية التي يتبناها الحزب الحاكم ولم ينفذها, بل حكم الشعب بمفرده،وطبقًا لأهوائه,,(٥)

وحول فكرة اللقاء مع نظام الحكم وتبني الحل الوسط في مواجهته يقول عبود: فكرة الحل الوسط ، أو الالتقاء في منتصف الطريق أمر غير وارد بالمرة في منهج جماعة الجهاد الإسلامي, حيث إن النظام الحاكم قد فقد شرعيته، وليس أمام النظام الحاكم في مصر إلا التوبة والتنحي عن قيادة الدولة وتسليم السلطة..

وعن عمليات خطف الطائرات يقول: مسألة خطف الطائرات التي يوجد بها ركاب مسلمون ويتعرضون للأذي والترويع, أو الاحتجاز أو القتل بفرض إنقاذ بعض المسلمين الأسري في أماكن أخري، لابد أن تخضع هذه المسألة لفتوي العلماء، ولا يترك الأمر عشوائيًا لم يتصرف فيه بوجهة نظره دون قرار العلماء..

ملاحظات

يبدو من الواضح تأثير البعد السلفي علي أطروحات جماعة الجهاد، كما هو واضح التأثير بشكل أكبر علي أطروحات الجماعة الإسلامية, وواضح أيضًا تأثير الفكر القطبي, خاصة في المسائل المتعلقة بالحاكمية والموقف من الواقع..

إلا أن ما يجب ذكره هنا أن أطروحات جماعة الجهاد تعد أكثر نضجًاووضوحًا من أطروحات الجماعة الإسلامية، خاصة في الأمور المتعلقة بالحركة والتنظيم، والتي لا يكاد يوجد لها أثر في كتابات الجماعة الإسلامية..

ويبدو أن اختلاف أسلوب العمل بين الاتجاهين له أثره في هذا الأمر، إذ أن جماعة الجهاد تميل إلي السرية والاهتمام

بدراسة الواقع, بينما الجماعة الإسلامية تدخل في صراعات جانبية كثيرة، وتمارس نشاطًا علنيًا ملحوظًا، وتبدي اهتمامًا كبيرًا بفكرة السلف،..

وكتيب الفريضة الغائبة لم يأخذ حقه في النشر والبروز كوثيقة سياسية تعكس فكر جماعة الجهاد، إذ إنه طبع بطريقة بدائية، ووزع سرًا، ثم جاءت الأحداث بعد ذلك في عام ١٨ لتدفع بعبود إلي إصدار أمره لأفراد الجماعة بجمع نسخ الكتاب والتخلص منها بأقصي سرعة حتي لا يصبح وسيلة إدانة للجماعة ..

لكن جاءت الرياح بما لاتشتهي السفن، وعثر رجال الاستخبارات علي نسخة في بيت أحد أعضاء الجهاد بعد وقوع حادث إغتيال السادات, فكان الخيط الذي أتي بمحمد عبد السلام إلي القضية، وجعله في مقدمتها. واعتمدته الحكومة كوثيقة إدانة لفكر الجماعة استبيح دم السادات علي أساسها..

من هنا أخذ كتيب الفريضة الغائبة هذا الوزن الإعلامي الكبير, علي الرغم من بساطته، وكونه لايعدمؤلفًا بالمفهوم العلمي للتأليف، وإنما هو يحوي مجموعة من النقولات الفقهية المتعلقة بفريضة الجهاد, وهي موجودة في كتب الفقه, ويمر عليها الباحثون لكنهم ربما لم يعيروها اهتمامًا لتبنيهم أيديولوجيات مغايرة لها،..

وأطروحة عبود هي أكثر نضوجًا وتقدما من أطروحة عبد السلام. إلا أنه ينطبق عليها ما ينطبق علي سابقتها من كونها لاتعدمؤلفًا، وتحوي نقولات كثيرة من كتب السلف, تكاد تطغي علي الأفكار المطروحة فيها..

ولقد سبقت هاتين الأطروحتين أطروحة رسالة الإيمان للدكتور صالح سرية التي طرح فيها عدة نقاط كانت مرجعًا أساسيًا لتيارات الجهاد من بعده, وإن كان اختلف معه في أكثرها..

ومن أهم هذه النقاط التي اختلف فيها مع سرية هي قوله بجواز العمل الحزبي الإسلامي, والمساهمة من خلاله في الانتخابات ,ودخول البرلمان والمشاركة في الحكومة, إذا كان صريحًا بأنه يسعي من هذا الطريق للوصول إلي الحكم وتحويله نحو الإسلام, كما أجاز للمسلم أن يدخل في مختلف اختصاصات الدولة بأمر من الجماعة ,ويجب علي الفرد المسلم مناصرة المرشح الإسلامي في الانتخابات إذا تقدم لها مسلم..

ولعل سبب الخلاف بين محمد عبد السلام وصالح سرية يعود إلي طبيعة الشخصين, فسرية صاحب خبرة طويلة في العمل السياسي من خلال عدة قنوات عمل بها في مقدمتها منظمة التحرير الفلسطينية, وهو بالإضافة إلي هذا يتحلي بثقافة واسعة بينما محمد عبدالسلام حاله كحال جميع الشباب المسلم العامل في حقل الحركة الإسلامية في مصر, لم يحظ بقدر كاف من الخبرة والوعي السياسي التي تجعل منه شخصية قيادية ناضجة تؤهله للتصدي للعمل السياسي..

ونود أن ننبه هنا إلي أننا في استعراضنا وتناولنا لوثائق تيار الجهاد بشقيه هنا قد اختصرنا الكثير من المعلومات, وحذفنا الكثير من التكرارات والمضامين الحماسية التي لا طائل من ذكرها هنا, كما تجنبنا الكثير من النصوص القرآنية والنبوية والسلفية والتي تذخر بها هذه الوثائق كواجهة للتأكيد علي الهوية السلفية..

وهذا يعود لكون هذه الوثائق ليست موجهة إلي الأصل إلي الرأي العام ,ولكنها موجهة إلي الإسلاميين في الأساس, فمن ثم فإن لغتها هي لغة سلفية بحتة ,وينبغي عند عرضها مراعاة هذا الأمر, فهي بحاجة إلي أن تكتب بلغة جديدة يفهمها الرأي العام..

والغريب أن تيار الجهادمُصر علي استخدام هذه اللغة في مواجهة الواقع ,ولا يبدو أنه يسعي للتنازل عنها وربما تنطبق عليه مقولة فاقد الشيء لا يعطيه, إذ أن مسألة التحول في طريقة مخاطبة الواقع سوف تنبني عليها تحولات أخري كثيرة في بنيته الأيديولوجية, وهذا أمر يتوقف فيهكثيرًا وقد لا يملك القدرة علي تحقيق هذا التحول لكونه لا يملك من الأصل مقوماته ومتطلباته..

ومن الطريف أن نذكر هنا أنه عندما برزت في الواقع المصري حركة معاداة الشيعة مع قيام الحرب العراقية الإيرانية انزلقت فيها الحركة الإسلامية تحت تأثير البعد السلفي ,وكانت لغة الخطاب في هذه الحرب لغة سلفية, أي أن التيارات الإسلامية كانت تهاجم الشيعة بلسان السلف..

ولو كانت التيارات الإسلامية قد تسلحت بالخطاب السياسي أو بمعني آخر تسلحت بفقه الواقع في مواجهة إيرانمثلاً , لكان من الممكن ألا تكون أداة في حرب وهمية شتت قواها وبددت طاقتها, وأوقعتها في تناقض مع مناهجها وأيديولوجياتها التي تركز في صراعها علي القوي الحاكمة..

ويبدو لنا من خلال طرح جماعة الجهاد لفكرة الخلافة أنه طرح مبهم يستوي فيه مع طرح الجماعة الإسلامية, حيث أنه لم يعطنا رؤيته لشكل هذه الخلافة وهيكلها وأبعادها وسياساتها بالمقارنة بشكل الدولة المعاصر, وإذا كان العمل التنظيمي أحد صور العمل السياسي فقد أبرزت وثيقة عبود بعض ملامحه ,وإن كانت لم تفصل ولم نلقي الضوء الكافي عليه, إلا أن هذا علي كل حال ميزة تتميز بها جماعة الجهاد عن الجماعة الإسلامية, وشخصية عبود كرجل عسكري ورجل استخبارات في الأصل ,كان من الواجب أن تنعكس أبعادها علي الجماعة وتصوراتها وممارساتها ,لكنها علي ما يبدو قد ذابت تحت ضغط البعد السلفي الذي يهيمن علي الجماعة..

وفي دائرة الحدث عن البديل طالب عبود بأن تكون الحركة لديها القدر الكافي من التصورات والأسس النظرية للدولة الإسلامية وهياكلها التنظيمية, أي طالب بوجود تصور عن دولة المستقبل لدي الحركة, وهذه ميزة نحسبها له وهي لفتة واعية تطرح تساؤل هام: هل لدي تيار الجهاد القدرة أو الكوادر المؤهلة لإعداد مثل هذا التصور..؟

ولقد حدد عبود في حديثه عن مصادر المنهج أن العلماء المعاصرين الثقات هم أحد هذه المصادر الواجب الاحتكام إليهم في

حالة الخلاف, لكنه لم يحدد لنا من هم هؤلاء العلماء الثقات..؟
هل هم علماء السعودية مثلا..؟
أم علماء الوسط الإسلامي مثل الدكتور عمر وغيره..؟.
وإذا كان المقصود بهم علماء السعودية أمثال عبدالعزيز بن باز فهم علماء سلطان لا يجوز الاحتكام إليهم وإلا تناقض مع منهجه..؟
وإذا كان المقصود هو الدكتور عمر فجماعة الجهاد علي خلاف معه ولا تقر بزعامته..؟
أما إذا كان المقصود هو أي عالم شريطة أن يكون ثقة أي أن يكون متحليًا بخلف السلفوملتزمًا بعقيدتهومحيطًا بعلمهم رغم تقلده منصبًا في الحكومة أو في مؤسسة كالأزهر مثلا فهذا قمة التخبط..؟
ومسألة العلماء هذه إنما تعكس البعد السلفي ومدي تأثيره علي تيار الجهد بشكل أكثروضوحًا, فعلي الرغم من أن تيار الجهاد قد دخل في صدامات مع الحكومة, ومع الواقع أدت إلي وقوع الكثير من القتليبناءًا علي اجتهادات ذاتية منه, ودون الاقتداء بعلماء ثقات معاصرين..
وعلي الرغم من ذلك يصر علي ضرورة أن يكون هناك علماء ثقات معاصرين, تضبط بهم حركة الجماعة. ولعل فقده لهذا الأمر قد دفع به أكثر نحو السلف الذين لا يشك في عدالتهم أحد منهم..
ولاتزال الحركة الإسلامية في مصر ومنها تيار الجهاد تعد عبدالعزيز بن باز مرجعًا فقهيًا يثق الجميع في فتواه, علي الرغم من معارضته لقضية الخروج علي الحكام ,وموقفه السلبي من ممارسات آل سعود المناقضة للإسلام, وكيف يكون الحال اليوم بعد وفاة ابن باز..؟
وفيما يتعلق بالجماعة الإسلامية فإن المتأمل في أطروحات الجماعة وفلسفتها ومواقفها سوف يلحظ بوضوح تأثير البعد السلفي عي كل أنشطتها وممارساتها, كما سوف يلحظ أن نشاطها السياسي علي قلته يشوبه الحذر الشديد وانعدام وضوح الرؤيا..
وربما كانت خبرة الجماعة المتواضعة في العمل السياسي لها تأثيرها علي هذا الأمر, بالإضافة إلي خبرتها المتواضعة أيضًا في مجال الفكر والثقافة والوعي الشامل بالواقع الذي تتحرك علي ساحته..
ولعل هذا هو الفرق الملموس بينها وبين جماعة الإخوان صاحبة التاريخ الطويل والخبرة الواسعة في العمل السياسي والتي تملك الكثير من الكوادر الناضجة علي المستوي السياسي والاقتصادي والثقافي وهي فوق هذا أوسعأفقًا بكثير من الجماعات الإسلامية خاصة تجاه القضايا السلفية..
ولأجل ذلك نجحت جماعة الإخوان في تحقيق تواجد سياسي بارز لها علي الساحة, بل ونجحتأيضًا في تحقيق تواجد اقتصادي واجتماعي , بينما رفضت الجماعة الإسلامية مجرد التفكير في دخول معترك السياسة, وهاجمت الإخوان علي تبنيها هذا الخط وسلوكها هذا السبيل..
والمتأمل للنقاط التسع التي حواها ميثاق العمل الإسلامي يري وضوح البعد السلفي وخلوها من البعد السياسي, ولايمكن الحكم أن هذه النقاط وهذا الميثاق يمثل نظرية عمل واضحة ومحددة, أو يشكل برنامجًا يصلح لمواجهة الواقع ويدخل معه في صراع مصيري كالذي تنادي به الجماعة,.
والجماعة معذورة في هذا إذ تتبني رؤية منغلقة تجاه الواقع ولا تعترف بالحكومة, وترفض الدخول معها في حوار أو المشاركة السياسية من خلال القنوان المشروعة، ولا يبدو من خلال رصد نشاط الجماعة أنها تعي حقيقة العمل السياسي بصورته الواسعة, وشموله لجميع مجالات العمل في المجتمع ,كما أن الراصد لكل ما أصدرته من منشورات سوف يجد خلوها من الفقه السياسي وتركيزها الشديد علي فقه الماضي, مع انعدام الرؤية التنظيمية ومقومات العمل التنظيمي الذي يشكل أساس العمل السياسي, فالعمل السياسي يرتبطارتباطًاوثيقًا بطبيعة المجتمع وتركيبته, ولابد من أن تلقي الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بظلالها عليه, والجماعة لاتفهم العمل السياسي من هذا المنطلق بل تفهمه من منطلق سلفي بحت يرتبط بالأدلة والنصوص أكثر مما يرتبط بالواقع..
وإذا كان العمل السياسي موجه أساسًا للجماهير وهو يهدف لنصرتها وتخفيف أوجاعها وحل مشاكلها, فإن الجماعة لا ترتبط بالجماهير الارتباط الكامل والمطلوب من أي فئة تمارس العمل السياسي, وهي لاتعطي اهتمامًا لمشاكل الجماهير وقضاياها بحكم كونها لا تعطي اهتمامًا للواقع أصلا, وكل نشاط الجماعة يتركز في مواجهة العوائق التي تمسها مسًا مباشرًا وتستفز تفكيرها السلفي في الصميم..
ومن هنا يمكن حصر جبهات الصراع الذي تحصر فيه الجماعة نشاطها وتركز عدائها عليه في الأمور التالية:

ـــ الحكومة..
ـــ المسيحيون..
ـــ الصوفية..
ـــ البدع والمنكرات..

وإذا ما استثنينا الحكومة فسوف نجد أن القطاعات الأخري تمثل قطاعات جماهيرية من المفروض علي أي فئة تمارس العمل السياسي أن تتجنب استفزازها حتي لا يؤدي الأمر إلي الاصطدام بالجماهير قاعدة العمل السياسي, لكن الجماعة

الإسلامية ومن منظور سلفي تعتبر المسيحيين والإخوان والشيعة والصوفية والبدع والمنكرات عوائق أساسية وقوي عدوانية يجب مواجهتها وعدم التغاضي عنها لأنها جزء من العمل السياسي الذي تنوط به الجماعة..
الإخوان يتحالفون مع الحكومة ضدها ويتآمرون عليها ويحاولون تطويق نشاطها..
.. والمسيحيون يسعون إلي إقامة دولة مسيحية في مصر ويعبئون طاقاتهم وإمكانياتهم للانقضاض علي المسلمين
والشيعة تمثل تحدياً لمعتقداتها السلفية وخطراً على وجودها..
والصوفية تمارس الشرك وما ينافي عقيدة التوحيد وتنشر الضلالات بين الناس..
والبدع والمنكرات وفي مقدمتها الاختلاط بين الرجال والنساء في الشوارع والمصالح الحكومية وفي الجامعات, وإقامة الحفلات الغنائية أو الموسيقية, وغير ذلك أمور يجب مقاومتها والقضاء عليها وتطهير المجتمع منها..
ولاتري الجماعة أي تناقض بين هذا السلوك وبين هدفها المنشود وهو إقامة خلافة علي نهج النبوة..
والواضح أن هذه السلوكيات والممارسات قد طغت علي الهدف الأصلي, ولم نسمع عن الجماعة إلا الأخبار التي تربطها بحوادث واعتداءات علي عناصر إخوانية أو طلابية داخل الجامعة, أو حوادث الإعتداء علي دور اللهو أو المسيحيين أو رجال الشرطة..
وعلي الرغم من الموقف العدائي الصريح الذي تتخذه الجماعة من الحكومة فإننا نري بعض المواقف والممارسات التي تشكك في هذا الموقف, وتجعلنا نحكم عليه بالتذبذب..
ومن هذه المواقف مطالبة عمر عبد الرحمن بالسماح لأفراد الجماعة بالسفر إلي فلسطين للتطوع بجوار إخوانهم هناك في جماعات الجهاد ضد اليهود, إذ كيف تحكم الجماعة علي الحكومة بالكفر والتعاون مع اليهود ومناصرتهم, وفي نفس الوقت تطلب منها هذا المطلب..؟
وكيف للجماعة أن تستقبل مفتي الجمهورية ووزير الأوقاف في أسيوط, وهما يمثلان الواجهة الإسلامية لنظام كافر في نظرها , وتدخل معه في حوار, في الوقت الذي رفض فيه مطران أسيوط مقابلتهما وبعث إليهما بقسيسين صغيرين ليحاوراهما...؟
ولقد أدت هيمنة الفكر السلفي علي الجماعة إلي تأخر نظرتها للواقع ومتابعتها للأحداث واتخاذ الموقف الملائم منها في الوقت المناسب..
ويبدو لنا هذا الأمر بوضوح في الموقف الذي اتخذته الجماعة من السادات,وكذلك جماعة الجهاد, فهذا الموقف لم يتبلور إلا في أواخر عهده ويمكن القول في السنة الأخيرة من حكمه, كما أنه لم يتبلور إلا وفق أطر سلفية بحتة, وعلي أساس من فكر ابن تيمية وفتواه الخاصة بقتال معطلي الشرائع والتي طبقتها الجماعة علي السادات وكانت الأساس الذي استبيح به دمه..
الهوامش

(١) يتبني التيار الشيعي نفس موقف الإخوان من العمل السياسي..
(٢) انظر منشور القول السديد في بيان دخول المجلس مناف للتوحيد ..
(٣) (الياسق) هو كتاب ألفه جنكيز خان علي أساس أن يكون دستوراً للحكم,وهو خليط من التوراة والقرآن وأفكار جنكيز خان,و احتكم إليه التتار بعد إسلامهم في بعض الدول الخاضعة لنفوذهم، واستفتي ابن تيمية في هذا الأمر فأفتني بكفرهم وردتهم عن الإسلام علي أساس تعطيلهم لشرائع الإسلام، وهي الفتوي التي اعتمد عليها تيار الجهاد في قتل السادات ومواجهة الواقع، أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية، باب البغاة، جـ ٨٢,
(٤) هذا الموقف المتشدد من المسيحيين وتقلدهم المناصب في الحكم يشير إلي مدي استحكام النزعة السلفية كما هو واضح من النصوص القادمة..
(٥) انظر كتاب الفقه أبواب الإمامة, وأنظر كتاب الأحكام السلطانية لأبي يعلي، والموارديي..
(٦) نشر هذا الحديث في مجلة كل العرب الصادرة في باريس وجريدة الأحرار بتاريخ ٨٨/٧/٥٢, وقد دعا عبود الزمر من خلال هذا الحديث أعضاء الأحزاب السياسية إلي الانضمام لجماعة الجهاد بصفتهم الفردية..

الحركة والحريات

تعتمد رؤية الحركة تجاه قضية الحريات علي موقفها من قضية الدولة والحكم، فكما أن فكرة الدولة الإسلامية لا تزال مبهمة ولم تتمكن من من توضيحها وإبرازها أمام الرأي العام بشكل يحدد هويتها ومعالمها, لم تتمكن كذلك من إبراز رؤيتها تجاه قضية الحريات..
وجميع التيارات العاملة بالحقل الإسلامي في مصر تنادي بقيام الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية، إلا أنها

انساقت وراء هذا الهدف بدافع العاطفة وعلي أساس عقل الماضي..
وتعد الصورة المثالية التي تعيش في أذهان الإسلاميين عن فترة الخلافة الراشدة وفترات أخري, هي الصورة الثابتة في أذهان الإسلاميين التي يجب أن يقوم عليها الحكم الإسلامي في كل زمان ومكان..
لكن التيارات الإسلامية لم تضع حدًا بين قضية التطبيق الإسلامي وقضية النص, بل خلطت ما بين الأمرين واعتبرت التطبيق هو النص والنص هو التطبيق، وزاد الطين بلة ذلك الكم الهائل من الروايات المنسوبة للرسول(ص) والتي أضفت القداسة علي مرحلة الخلفاء, وبررت صور التطبيق وشتي الممارسات والمواقف التي تبناها الحكام في فترة الخلفاء وفترة الملوك..
و إنعكست هذه الرؤية علي قضية الحريات التي طوقت بحركة التطبيق, وبذلك الكم من الروايات، ولم تضبط بالنصوص القرآنية الصريحة في مواجهة الآخر ..
ومكمن المسألة أن موقف الحركة من قضية الحريات قد انبني علي التطبيق والروايات, ولم ينبني علي النصوص القرآنية ومحاولة تحرير الحركة من هذه الرؤية وهذا الخلط هو المأزق والأزمة التي تعيشها ..
وتبدو هذه المسألة بوضوح تجاه قضية (الردة) فموقف الحركة المناهض لها يقوم علي أساس الروايات والتطبيق, لا علي أساس االقرآن..
وقد شهد التاريخ بالعديد من الوقائع التي راح ضحيتها الكثير من الأنفس التي أزهقت أرواحها, وراحت ضحية التطبيق والروايات, حتي أن هناك وقائع معاصرة تمت علي أيدي بعض الجماعات الإسلامية،..(١)
وكانت مواقف القوي الحاكمة من المخالفين والخارجين علي المنظومة العقدية السائدة – منظومة أهل السنة- وكذلك مواقف الفقهاء من الاتجاهات المخالفة كالشيعة والمعتزلة والخوارج,كلا الموقفين انعكسا علي قضية الحريات, وقد تبنت تيارات الحركة تلك المواقف وبنت علي أساسها ومواقفها تجاه الاتجاهات المخالفة لها..
وأخطر ما في هذه المواقف أنها تحولت إلي أسس عقدية وتم التعامل معها علي كونها ثوابت لا يجوز المساس بها أو الخروج عليها..

الأسس العقدية

من هنا فإن من الواجب علينا قبل الخوض في رؤية الحركة الإسلامية تجاه قضية الحريات, أن نعرض لهذه الأسس العقائدية في فقه السلف من خلال المصادر المتداولة والمعتمدة عند التيارات الإسلامية..
يقول ابن حنبل في عقيدة أهل السنة: عن النبي إنه قال: إن الله عز وجل ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها, فأمركم أن لا تؤثروا علي القرآن شيئا, فإن كلام الله عز وجل وما تكلم به ليس بمخلوق, وما أخذ به عن القرون الماضية فغير مخلوق وما في اللوح المحفوظ وما في المصاحف وتلاوة الناس وكيفهما قرئ, وكيفما يوصف فهو كلام الله غير مخلوق,
فمن قال: مخلوق فهو كافر بالله العظيم ,ومن لم يكفره فهو كافر.,
ثم بعد كتاب الله سنة نبيه والحديث عنه وعن المهديين أصحابه والتصديق بما جاءت به الرسل وأتباع سنة النجاة، وهي التي نقلها أهل العلمكابرًا عن كابر..
واحذروا رأي جهم فإنه صاحب رأي وكلام وخصومات..
وأجمع من أدركنا من أهل العلم أن من هذه مقالته – أي مقالة جهم – إن لم يتب لم يناكح، ولا يجوز قضاؤه. ولا تؤكل ذبيحته..(١)
وأما المعتزلة الملعونة فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم يكفرون بالذنب ,ومن كان منهم كذلك فقد زعم أن آدم كان كافرًا, وأن أخوه يوسف – حين كذبوا أباهم يعقوب – كانوا كفارًا, فهؤلاء الذين يقولون بهذه المقالة كفار لا يناكحون ولاتقبل شهادتهم..
أما الرافضة - الشيعة- فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: إن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر، وأن إسلام علي كان أقدم من إسلام أبي بكر, فمن زعم أن عليا أفضل من أبي بكر فقد رد الكتاب والسنة..
وما أنكرت العلماء من الشبهة فهو المنكر, واحذروا البدع كلها..
ولا عين نظرت بعد النبيخيرًا من أبي بكر، ولا عين نظرت بعد أبي بكر خيرًا من عمر، ولا عين نظرت بعد عمر خيرًا من عثمان ولا عين نظرت بعد عثمانخيرًا من علي, وهم الخلفاء المهديون..
ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وأبوعبيدة بن الجراح..
والخروج مع كل إمام في غزوة وحجة والصلاة خلفهم صلاة الجماعة والجمعة والعيدين..
والكف عن مساوئ أصحاب الرسول, تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم, ولا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك ولا ترافقه في سفرك..
والمتعة حرام إلي يوم القيامة.. (٢)
ثم يقول ابن حنبل عن الذاكرين لمساوئ الصحابة والطاعنين فيهم: فمن فعل ذلك فقد وجب علي السلطان تأديبه وعقوبته. ليس له أن يعفو عنه ,بل ويعاقبه ثم يستتيبه, فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده في المجلس حتي يتوب ويراجع,,(٣)
ويقول: والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان, ليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها، ولا يخرج عليهم، ولا تقر

لغيرهم إلي قيام الساعة..
ثم يقول: هذه مذاهب أهل العم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها, المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النبي إلي يومنا هذا, وأدركت من أدركت من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب, أو طعن فيها, أو عاب قائلها, فهو مخالف مبتدع وخارج عن الجماعة, زائل عن منهج السنة وسبيل الحق,,(٤)
ويقدم ابن تيمية لعقيدتهقائلاً: أما بعد هذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلي قيام الساعة أهل السنة والجماعة..(٥)
ثم يقول عن أهل السنة: ويقرون بما تواتر به النقل من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي. وهو ما دلت عليه الآثار, وكما أجمع الصحابة علي تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي وعلي, بعد اتفاقهم علي تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟ فقدمقومًا عثمان وسكتوا وربعوا بعلي. وقدم قوم عليا وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة علي تقديم عثمان علي علي, وإن كانت هذه المسألة ــ مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة, لكن التي يضلل المخالف فيها مسألة الخلافة وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله أبو بكر وعمر ثم عثمان ثم علي, ومن طعن في خلافة هؤلاء فهو أضل من حمار أهله, ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم:
منها ما هو كاذب..
ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه..
والصحيح منه هم فيه معذورون..
إما مجتهدون مصيبون..
وإما مجتهدون مخطئون..
وهم مع ذلك لا يعتقد أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره, بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر, حتي أنهم يغفر لهم السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم..
ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه, أو أتي بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد , أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة, فكيف بالأمور التي كانوا مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران, وإن أخطأوا فلهم أجر واحد..؟
والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نذر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، ثم هم ــ أي أهل السنة ــ مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر علي ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع بين الأعياد مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا, ويحافظون علي الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة,,(٦)
وتقول العقيدة الطحاوية: ولانري السيف علي أحد من أمة محمد , إلا من وجب عليه السيف, ولا نري الخروج علي أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا, ولاندعوا عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونري طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية, وندعو لهم بالصلاح والمعافاة ,ونتبع السنة والجماعة ,ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة,ونحب أهل العدل والأمانة, ونبغض أهل الجور والخيانة كما جاء في الأثر, والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلي يوم قيام الساعة, لا يبطلها شيء ولا ينقضه, ونحب أصحاب رسول الله (ص) ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم, وبغير الحق يذكرهم,ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان..
وتثبت الخلافة بعد رسول الله أولاً لأبي بكرتفضيلاً لهوتقديمًا علي جميع الأمة, ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان, ثم لعلي، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون، وأن العشرة المبشرون بالجنة الذين سماهم رسول الله وبشرهم بالجنة نشهد لهم بالجنة علي ما شهد لهم رسول الله, وقوله الحق..
ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق..
وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر، لايذكرون إلا بالجميل, ومن ذكرهم بسوء فهو علي غير السبيل, ونحن براء إلي الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه,,(٧)
ويقول صاحب لمعة الاعتقاد: ومن السنة تولي أصحاب رسول الله (ص) ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم ومما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم, ومعاوية خال المؤمنين وكاتب الوحي أحد خلفاء المسلمين، ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله..
ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتي صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته، وحرمت مخالفته عليه وشق عصا المسلمين، ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم, وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلي كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسم بغير الإسلام والسنة مبتدع كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم, فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعادنا الله منها,,(٨)
ويتضح لنا من خلال هذا العرض ما يلي:

ـــ أن النبرة العدوانية تجاه المخالفين تحكم هذا الطرح..
ـــ أن هناك أحكام جاهزة ضد المخالفين لهذا الطرح..
ـــ أن مضمون هذا الطرح لا يخرج عن دائرة القضايا الفكرية الاجتهادية ولا صلة له بأصول الدين..
ـــ أن هذا الطرح ناتج عن رد فعل تجاه تيارات مناهضة لأهل السنة..
ـــ أن هذا الطرح يحكمه منطلق الاستعلاء علي الآخرين..
ونحن لن نعرض هذا لإنعكاسات هذا الطرح في زمان الفقهاء علي قضية الحريات وأصحاب الرأي الذين راحوا ضحيته مثل مثيم التمار، والجعد بن درهم، وغيلان الدمشقي، وحجر بن عدي، والحلاج وغيرهم,,(٩)
وإنما سوف نلقي الضوء علي انعكاسات هذا الطرح في واقعنا من خلال إلقاء الضوء علي موقف التيارات الإسلامية التي تتبناه ـ وقد تشبعت به ـ من قضية الحريات..
لقد أدي تبني التيارات الإسلامية لهذه العقائد وإيمانهم بكونهم الفرقة الناجية من النار والطائف والمؤيدة من قبل الله سبحانه إلي تبني هذه التيارات منطق الإستعلاء علي الآخرين, والإستخفاف بهم وسهولة الحكم عليه بالزيع والضلال والكفر في أحيان كثيرة..
من هنا فقد إنبني علي هذه الرؤية رفض الحوار مع المخالفين، والنظر إليهم بعين الشك، فالشيعة في نظرهم زنادقة وأهل ضلالة، لكونهم لا يقرون بعقيدة عدالة جميع الصحابة وإضفاء القداسة عليهم، أو علي السلف, ولايقرون بعقيدة أهل السنة ويتبنون عقائد خاصة بهم,,(١٠)
والصوفية أهل بدع مشركون لأنهم يقيمون الموالد ويزورون المقابر ويتوسلون بالأولياء..(١١)
والعلمانيون ملاحدة وكفار لأنهم ينادون بالدولة المدنية، وفصل الدين عن الدولة، ويعادون الإسلام..
إلا أن مقل هذه المواقف لم تظل حبيسة البيان، أو الموقف النظري، بل تجاوزته إلي حدود التطبيق والدخول في صدامات دموية مع المخالفين, ومثال ذلك عمليات الإعتداء علي الكتاب وأصحاب الأقلام، والاعتداء علي العناصر الشيعية والصوفية..
ومثل هذا الموقف العدائي من قبل تيارات الحركة تجاه المخالفين إنما خلق صورة من صور الإرهاب الفكري في الساحة الثقافية، وولد انطباعًا لدي رموز هذه الساحة أن مثل هذه التيارات إنما هي وليدة حالة سياسية، وليست وليدة حالة إسلامية, وإذا كانت هذه التيارات تمارس هذا الأسلوب وهي لاتزال بعيدة عن السلطة. فكيف الحال بها لو تسلمت هذه السلطة..؟
إن قراءة التاريخ الإسلامي من بعد وفاة الرسول يجيب علي هذا السؤال, فهذه التيارات لا تتبني هذه المواقف المعادية للحريات من فراغ, بل تتبناها علي أساس روايات وممارسات وتطبيقات ومفاهيم مارسها الحكام وباركها الفقهاء, وقننها السلف, وتلفقها الخلف..
وأنه لا يمكن حسم هذه القضية إلا بمواجهة الطرح السلفي، وعزل هذه التيارات عنه، وهو ما لا يمكن حدوثه في الفترة الراهنة علي الأقل. فالقضية من الأساس تحكمها عقيدة ، وكلما كان هناك تقارب معها كلما كان هناك اعتدال في مواقف هذه التيارات, وكلما كان هناك تباعد كلما كان هناك تطرف..
ويبدو بوضوح موقف التيارات الإسلامية من قضية الحريات من خلال موقفها من ثلاث قضايا أساسية.
ـــ قضية الديقمراطية..
ـــ قضية الردة..
ـــ قضية المسيحيين..
وبالنسبة للديمقراطية. فقد أعلن تيار الإخوان مناصرته لها، ومناداته بها علي لسان قادته، وعلي صفحات صحفه, إلا أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا، هل هذا الموقف يقوم علي إعتقاد راسخ بفكرة الديمقراطية, أم مجرد صورة من صور المناورات السياسية لتحسين صورة التيار أمام الرأي العام..؟
أو السؤال بصيغة أخري: هل تبني هذا الموقف من قبل الإخوان سوف يستمر إلي مرحلة ما بعد تسلم الحكم..؟
ويمكن أن نطرح السؤال بصيغة ثالثة: هل تبني فكرة الديمقراطية يتفق مع العقائد التي يتبناها الإخوان..؟
ورغم ذلك الموقف المرن من قبل الإخوان تجاه الديمقراطية إلا أن الموقف العدائي الذي تتبناه التيارات الأخري تجاهها قد أحاط موقف الإخوان بالشبهات، فالإخوان مهما تسامحوا مع الواقع وأبدوا المرونة تجاهه, من الصعب عليهم التساهل في الرابطة (الأيديولوجية) التي تجمعهم مع هذه التيارات, فالجميع في النهاية في سلة واحدة, هي سلة السلف, وتظللهم راية واحدة هي راية السعودية،مع الإشارة إلى أن التيار الجهادي بشقيه: جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية يبدي عداء شديدًا لفكرة الديمقراطية علي ما أشرنا من قبل..(٢١)
أما التيار السلفي فقد بدأ يطل برأسهمؤخرًا مبديًا رأيه في شتي القضايا التي تشغل الواقع الإسلامي في مصر, وقام بإصدار عدة منشورات يهاجم فيها الإخوان وفكرة الديمقراطية، والعمل السياسي بشكل عام.,(٣١)
يقول منشور سلفي: مازال الإخوان حتي الإن ينقلون في مجلاتهم وصحفهم الناطقة بإسمهم المبادئ الكفرية مثل: الديمقراطية وإحترام الدساتير الوضعية وغيرها،تمامًا مثل يفعل الحكام المجاهرون بتحكيم العلمانية والقوانين الوضعية,,(٤١)
وكان التيار السلفي قد هاجم مجلة لواء الإسلام الناطقة بلسان الإخوان آنذاك لنشرهامقالاً تحت عنوان: **الإخوان المسلمون والديمقراطية** لعصام العريان قال فيه: الإخوان ينظرون إلي نظام الحكم الدستوري علي أنه أقرب النظم إلي الإسلام،

وأضاف لماذا نؤكد ونصر علي أن الإسلاميين معادون للديمقراطية..؟
إن هذا إفتراء عظيم، فنحن أول من ينادي بالديمقراطية ويطبقها ويزود عنها حتي الموت..(٥١)
ومن بين التصريحات التي أعلنها الإخوان حول الديمقراطية وتسببت في إستفزاز التيارات الإسلامية التي تعادي الديمقراطية, تصريح المرشد الراحل عمر التلمساني الذي يقول: إننا نقف مع الأحزاب كلها موقف الإحترام الحر لرأي الآخرين، وإذا كنت حريصًا علي أن يأخذ الناس برأيي, فلماذا أحرم علي الناس ما أتيحه لنفسي..؟
وهل من الحرية أن أحول بين الناس وبين الإعتداد بآرائهم,,(٦١)
وتصريح المرشد السابق حامد أبو النصر الذي يقول: لا مانع عندي من وجود حزب علماني أو شيوعي في ظل الحكم الإسلامي,,(٧١)
ويحدد تيارالجماعة الإسلامية موقفه بوضوح من الديمقراطية بقوله: إن الديمقراطية ليست من الإسلام في شيء, وإنه لا علاقةمطلقًا بين الديمقراطية والشوري, فالديمقراطية تعطي البشر الحق المطلق في التشريع, بينما التشريع في الإسلام هو حق خالص لله تعالي، فالناس ليس لهم حق التشريع ابتداء, وكل ما لهم من مزاولة التطبيق لما شرعه الله، أو الاستنباط أو القياس علي أحكام الله فيما لم يرد به نص ..
ويحدد منشور سلفي الحكم الشرعي في من ينادي بالديمقراطية بقوله: ونحن حين نقول عن الديمقراطية هي منهج وثني كفري, فليس معني ذلك أن نكفر كل من نادي بها, فقد يكون القول كفر أو يطلق القول بتكفير قائله, أما الشخص المعين ـ أي الذي ينادي بالديمقراطية- فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه, وهذه الحجة بقيمها عالم, أو ذو سلطان مطاع، وحتي تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير ويحيي من حي عن بينة,, (٩١)
وبالطبع مادام التيار السلفي يتبني هذه الرؤية المتشددة تجاه الديمقراطية فإن تيار التكفير لابد وأن تكون رؤيته أشد تطرفًا, فلدي التيار السلفي والجهادي مساحة للتعايش مع الواقع, رغم الموقف المتشدد منه. ولا وجود لهذه المساحة لدي تيار التكفير، أما موقف التيار فهو موقف إنفتاحي ينبني علي قبول أية فكرة أو مبدأ لا يصطدم بأصول الدين، ويحقق المصلحة, وفكرة الحرية ليست ضد الدين بل هي من قواعده, ومن هنا فإن التيار الشيعي لا يرفض الديمقراطية ولايعاديها. وليس في عقيدته ومنطلقاته الفكرية ما يضادها..
و المنطلقات الفكرية للشيعة تفرق بين الاشتغال بالدين والاشتغال بالسياسة, فالاشتغال بالدين مهمة المراجع والمؤسسة الدينية، وهي غير تابعة للدولة بحال, أما الاشتغال بالسياسة فمهمة القادة والزعماء, وكل من يملك مقومات العمل السياسي ..،بأي كيفية تحقق الغرض والمصلحة

ويأتي موقف التيارات الإسلامية من قضية الردة ليكشف مدي انعكاس فقه الماضي علي هذا الموقف, ففي الماضي حدث خلط بين الردة عن الإسلام, أي عن الشهادتين والردة عن عقيدة أهل السنة، وإعتبر المخالف لهذه العقيدة المتبني لعقائد أخري, كعقيدة الشيعة أو الخوارج أو المعتزلةزنديقًا يستتاب كحال المرتد عن الإسلام..
وهناك قصة وقعت أحداثها في العصر المملوكي بالشام حين قبض علي رجل يسب الشيخين ـ أبو بكر وعمر ـ وقرر القاضي المالكي إستتابته فأبي أن يرجع عن قوله, فحكم بإعدامه, وخطف العامة رأسه بعد إعدامه وحرقتها، وطافت بها في الطرقات,,(٠٢)
ومثل هذا التطبيق لقضية الرد له انعكاسه علي مواقف التيارات الإسلامية في مصر اليوم, تلك التيارات التي تحكم بالردة علي كل من يحاول المساس بالتراث والعقائد التي وضعها فقهاء الماضي..
وهناك نماذج معاصرة لهذا الأمر ورموز فكرية وثقافية ووجهت بتهمة الرد, وعلي رأسها الدكتور زكي نجيب محفوظ والأستاذ عبدالرحمن الشرقاوي والأستاذ توفيق الحكيم، ثم الأديب نجيب محفوظ الذي اتهم بالردة بسبب رواية (**أولاد حارتنا**) ووقعت محاولة لإغتياله لهذا السبب..
إلا أن التيارات الإسلامية لم تتسلح في تبنيها لقضية الردة بالتطبيق فقط, وإنما بالروايات أيضًا, تلك الروايات التي دعمت عملية التطبيق، وعلي رأس هذه الروايات الرواية التي تقول: **من بدل دينه فاقتلوه,,**(١٢)
وعلي الرغم من مناقضة هذه الرواية لنصوص القرآن التي تتحدد من خلال قوله تعالي:
{وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} الكهف/٩٢
وقوله تعالي **{لست عليهم بمسيطر..}** الغاشية/٢٢
وقوله تعالي: **{لا إكراه في الدين}** البقرة/٦٥٢
وقوله: **{أفأأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين}** يونس/ ٩٦
علي الرغم من هذه النصوص القرآنية الصريحة التي تبيح حرية الإعتقاد إلي أبعد الحدود, فإن التيارات الإسلامية تصر علي التمسك بالتطبيق والروايات التي تصطدم بهذه النصوص,,(٢٢)
وتبدو من تصريحات تيار الإخوان ومواقف رموزه محاولات للتحرر من هذا الإطار السلفي الخاص بقضية الردة, إلا أن هذه المحاولات يشوبها الحذر الشديد مخافة الخروج عن خط السلف، وزيادة الفجوة بينها وبين التيارات الإسلامية الأخري خاصة وأن الأزهر يتبني نفس الوجهة السلفية حول الردة روايةوتطبيقًا..
ويبقي التيار الشيعي هو التيار الوحيد المتحرر من هذا الموقف والذي يعتمد تصوره علي أساس القرآن, مع تبني رفض الروايات المتناقضة معه، وهذا كله لا ينفي أن هناك أصوات في واقع الحركة الإسلامية تنادي بتبذ هذه الرؤية المعادية

لقضية الحريات التي تتبناها التيارات الإسلامية..
وفي مقدمة هذه الأصوات. صوت الأستاذ جمال البنا الذي يقول: لا نجد في الكتابات الإسلاميةتأصيلاً لمفهوم الحرية، ولما كان الفهم السلفي التقليدي هو السائد فمن الطبيعي أن يكون هناك عزوف عن الحرية، وإنها باب البدع والأهواء, وما يتردد في الكتابات الإسلامية الحديثة عن الحرية يجب أن يؤخذ بحذر إذ أغلب الظن أن المقصود به (حريتهم) وليس حرية الآخرين, وقد أمتحن الفكر الإسلامي في قضية الردة كرمز لحرية الاعتقاد فسقطسقوطًا شنيعًا، وكرر ما قاله السلف..
لقد أن للمفكرين الإسلاميين أن يعلموا أن أفكارهم عن تقييد حرية الفكر كائنة ما كانت ـ تخالف ـ فيما نري ـ مخالفة تامة صريح القرآن، وإنهم إذا تمسكوا بها فسيجنون علي الدولة الإسلامية المنشودة, لأن أي نظام يراد له البقاء لابد وأن يتقبل الحرية, ويدخل في مضمون الحرية، حرية الفكر والإعتقاد وطبع الكتب، وإصدار الصحف, وتأليف الأحزاب والنقابات والجمعيات والنوادي وحرية الإجتماعات العامة والمعارضة السياسية,,(٣٢)

المسيحيون

ويعتمد موقف التيارات الإسلامية من المسيحيين علي نفس الإطر السلفية التي أشرنا إليها، والتي تنحصر في الروايات والتطبيق,وهو موقف شديد التطرف، ولايمكن إلتزام المرونة فيه من جانب هذه التيارات طالما ظلت متمسكة بالأطر السلفية..
إن التيارات الإسلامية تحلم بيوم إقامة الدولة الإسلامية التي تري فيها أهل الذمة ـ اليهود والنصاري ـ صاغرين لاترفع لهم رأس، ولا تعلو لهم كلمة، ولا يشهر لهم صليب، ولا تبني لهم كنيسة، ولا تعلن لهم شعائر، وفوق هذا يرتدون من الملابس ما يميزهم عن المسلمين..
وحسب النصوص السلفية فإن أصحاب الملل الأخري من اليهود والنصاري هم في ذمة المسلمين ورعايتهم ماداموا يدفعون الجزية، ولا يخرجون علي المسلمين, أو يتأمرون علي الإسلام في دار الإسلام (الخلافة)..
ونظرًا لعدم وجود دار الإسلام اليوم، وعدم وجود الخليفة الشرعي الذي تعصم به دماء أهل الذمة وأموالهم نتيجة لدخولهم في طاعته ودفعهم الجزية لهم مقابل حمايتهم وتأمينهم,ونظرًا لكون التيارات الإسلامية تحكم علي المجتمعات المعاصرة بأنها دور حرب, فإن الموقف الذي يجب أن يتخذ في مواجهة أصحاب الملل الأخري هو الاستحلال..
ومن هنا بدأت عمليات الصدام مع المسحيين في مصر من قبل التيارات الإسلامية وتكررت حوادث القتل والسطو علي ممتلكاتهم..
وإذا كانت عقيدة أهل السنة والأطروحة السلفية بشكل عام لا تبيح للمخالفين من المسلمين حرية التعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم. كما بينا فمن الأولي أن تتخذ نفس الموقف من أصحاب الأديان الأخري, وكما أن التصور السلفيمتطرفًا تجاه الآخرين من المسلمين فمن الطبيعي أن يكونمتطرفًا تجاه الآخرين من غير المسلمين..
ولقد أدت مواقف تيار الإخوان المرنة تجاه ا لمسيحيين إلي غضب التيارات الأخري وهجومها عليهم وتكفيرهم، فقد إعتبرت هذه التيارات أن مثل هذه المواقف تعدخروجًا علي خط السلف وعقائدهم,,(٤٢)
والإخوان بهذه المواقف إنما يتقيدون بنهج البنا المؤسس الذي حدد أن الإخوان لا يكرهون الأجانب النزلاء في الدول العربية والإسلامية, ولا يضمرون لهم سوء حتي اليهود المواطنين لم يكن بيننا وبينهم إلا العلائق الطيبة..(٥٢)
وكان المرشد الراحل عمر التلمساني قد صرح في حديث صحفي: إنه لا يكره عبدالناصر ولا يكره السادات، ولاحتي اليهود، ولكنه يكره أعمال دولتهم إسرائيل,,(٦٢)
وكان الإخوان قد أصدروا بيانًا نشر في الصحف أعلنوا أن الشريعة الإسلامية أباحت لغير المسلمين حرية العقيدة والعبادة وإقامة الشعائر، وحرية الأحوال الشخصية، وعملت علي حماية ذلك إلي أبعد مدي..
وقال البيان أن المواطنة أو الجنسية التي تمنحها الدولة لرعاياها حلت محل مفهوم أهل الذمة, وأن هذه المواطنة أساسها المشاركة الكاملة والمساواة التامة في الحقوق والواجبات, مع بقاء مسألة الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ومواريث طبقًا لعقيدة كل مواطن، وبمقتضي هذه المواطنة،..
وحتي لايحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده تري الجماعة أن للنصاري الحق في أن يتولوا ـ باستثناء منصب رئيس الدولة ـ كل المناصب الأخري من مستشارين ومديرين ووزراء،..
ويمثل النصاري مع المسلمين في مصر نسيجًا إجتماعيًا وثقافيًا وحضاريًا واحدًا تداخلت خيوطه وتألقت ألوانه وتماسكت عناصره,, (٧٢)
وقد هوجم هذا البيان من قبل التيار السلفي وتيارالجهاد معتبرين أن أحكام أهل الذمة باقية لم تنسخ. وأن موقف الإخوان يعدخروجًا علي الكتاب والسنة والإجماع ومنهج السلف,,(٨٢)
وبمتابعة كم المنشورات السرية التي أصدرها تيار الجماعة الإسلامية يتبين لنا أن العداء له أسبابه السياسية التي صنعتها الحكومة,,(٩٢)

نصوص فقهية

وختامًا لهذا كله سوف نعرض لبعض النصوص الفقهية التي تتبناها التيارات الإسلامية، وتتعلق بقضية الحريات تجاه المسلمين وغير المسلمين.:
ـجوِّز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلي البدع المخالفة للكتاب والسنة وكذلك كثير من أصحاب مالك، وقالوا : إنماجوز مالك وغيره قتل الدرية لأجل الإفساد في الأرض لا لأجل الردة,,(٠٣)

ـ قال ابن تيمية: من قامت عليه الحجة من أهل البدع إستحق العقوبة وإلا كانت أعماله البدعية المنهي عنها باطلة لا ثواب فيها. وكانت منقصة له، خافضة له مسقطة لحرمته ودرجته لإن هذا حكم أهل الضلال وجزاؤهم,,(١٣)
ـ ويقول أيضا علي لسان السلف، إن الدعاة إلي البدع لا تقبل شهادتهم، ولا يصلي خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون فهذه عقوبة لهم حتي ينتهوا.. (٢٣)
ـ وقال ابن عبدالبر: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريًا كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا ويهجر ويؤدب علي بدعته فإذا تمادي عليها إستتيب منها,,(٣٣)
ـ وقال الشاطبي: إن فرقة النجاة ـ وهم أهل السنة ـ مأمورون بعداوة أهل البدع والتشريد بهم والتنكيل بمن انحاش إلي جهتهم بالقتل فما دونه، وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم..
وقال: وحين تكون الفرقة تدعو إلي ضلالتها وتزينها في قلب العوام ومن لا علم عنده فإن ضرر هؤلاء علي المسلمين كضرر إبليس. وهم من شياطين الإنس فلابد من التصريح بأنهم من أهل البدع والضلالة..(٤٣)
ـ وقال ابن القيم عن الكتب المخالفة : والمقصود أن هذه الكتب المشتملة علي الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها، وهي أولي بذلك اتلاف اللهو والمعازف. وإتلاف آنية الخمر. فإن ضررها أعظم من ضررها هذه ولا ضمان فيها كما لا ضمان في كسر أواني الخمر وشق الزقاق,,(٥٣)
ـ وروي الذهبي في ميزانه أنه قال: سئل أبو زرعة عن الحادث المحاسبي وكتبه فقال للسائل: إياك وهذه الكتب. هذه كتب بدع وضلالات. عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك,,(٦٣)
ـ وقال القرطبي في معرض تفسيره قوله تعالي {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكن خبالا ودوا ما عنتم} نهي الله عز وجل المؤمنين بهذه الاية أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء ويسندون إليهم أمورهم. ثم يقول بعد إن استعرض لبعض الأقوال والروايات والإشعار أقول: هذا كله في إتخاذهم بطانة أو أصدقاء فكيف إذا تردت ببعض الناس والأحوال إلي أن ينصروهم، ويخذلوا الموحدين أهل السنة في الشدائد والكوارث,,(٧٣)
ـ وكتب القاضي أبو بكر بن العربي كتابًا أسماه (العواصم من القواصم) قام فيه بتحقيق مواقف الصحابة والخلافات التي وقعت بينهم بعد وفاة الرسول ,ودفع المسلم إلي الإنحياز بالكامل لخط الخلفاء وبني أمية ونبذ أقوال الشيعة, ورفض مواقفها باعتبار أنها (قاصمة) أما التسليم برؤية أهل السنة فإنها (عاصمة)..
ويقول في نهاية كتابه: إنما ذكرت لكن هذا لتحترزوا من الخلق وخاصة من المفسرين والمؤرخين وأهل الآداب. فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين، أو علي بدعة مصرين فلا تبالوا بما رووا ولا تقبلوا رواية إلا عز أئمة الحديث,,(٨٣)
وقال قتيبة بن سعد: إذا رأيت الرجل يجب أهل الحديث مثل يحي بن سعيد وعبدالرحمن ابن مهدي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وذكرأقوامًا آخرين فإنه علي السنة، ومن خالف هؤلاء فاعلم أنه مبتدع,,(٩٣)
ويقول ابن تيميةرافضًا فكرة تقسيم الدين إلي أصول وفروع: فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع، فهذا الفرق ليس له أصل لا علي الصحابة، ولا عن التابعين، ولا أئمة المسلمين وإنما هو مأخوذ من المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع..(٠٤)
ونقل أحمد بن حنبل: إن من السنة أن تهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة,,(١٤)
وقال محمد بن الحسن: لا ينبغي أن تترك في أرض العرب كنيسة ولا بيعة، ولا يباع فيها خمر وخنزيرمصرًا كان أو قرية..(٢٤)
قال ابن احنبل: ليس لليهود ولا النصاري أن يحدثوا في مصر مصره المسلمين بيعة ولا كنيسة ولا يضربوا فيها بناقوس إلا فيما كان لهمصلحًا. وليس لهم أن يظهروا الخمر في أمصار المسلمين,,(٣٤)
ـ وقال ابن تيمية: إن كل كنيسة في مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد ونحوها من الأمصار التيمصرً ها المسلمون بأرض العنوة فإنه يحب إزالتها إما بالهدم أو غيره، بحيث لا يبقي لهم معبد في مصرمصرً ه المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثة لأن القديم منها يجوز أخذه، ويجب عند المفسدة,,(٤٤)
وقال الشافعي: لا يحدثوا في أمصار المسلمين كنيسة ولا مجتمعًا لصواتهم. ولا يظهروا فيها حمل خمر، ولا إدخال خنزير، ولا يحدثوابناءًا يطولون به علي بناء المسلمين، وأن يفرقوا بين هيئاتهم في المركب والملبس وبين هيئات المسلمين، وأن يعقدوا الزنار علي أوساطهم ولايدخلوا مسجدًا ولا يسقوامسلمًاخمرًا ولا يطعموهحنزيرًا,,(٥٤)

الهوامش

(١) أنظر سلسلة من عقائد السلف، عدد رقم ١ كتاب السنة وعقيدة أهل السنة لابن جنبل, وانظر كتاب شرح أصول إعتقاد أهل السنة للالكائي وأنظر كتابنا الكلمة والسيف..
. (٢) أنظر المرجعين السابقين, وأنظر طبقات الحنابلة ترجمة مسدد بن مرهد.
(٣) تأمل كيف يفتي ابن حنبل للسلطان بجواز اضطهاد الرأي الآخر، وتصفية المعارضين..
(٤) انظر المراجع السابق ذكرها، وتأمل تهديدات ابن حنبل للمخالفين تلك التهديدات التي ورثها منه ابن تيمية ثم ورثها من ابن تيمية محمد بن عبدالوهاب الذي ورثتها منه التيارات الإسلامية المعاصرة..
(٥) انظر العقيدة الواسطية، وهي من المطبوعات السعودية التي كانت توزع مجانًا علي طلبة الجامعات والإسلاميين في طوال فترة السبعينات..

(٦) انظر المرجع السابق..
(٧) انظر العقيدة الطحاوية، وهي من أشهر كتب العقائد المنتشرة بين المسلمين في مصر, والطحاوي حنفي المذهب ولذلك فإن ابن باز تصدي لشرحهامؤخرًا حتي لا تستغل بعض الآراء فيها في نقص العقائد الوهابية التي يبثونها بين المسلمين بلسم السلف..
(٨) انظر لمعة الاعتقاد الهادي إلي سبيل الرشاد لموفق بن قدامه المقدسي الحنبلي, وكتب العقائد هذه تهتم بنشرها دور النشر السلفية في مصر بتوجيه من السعودية..
(٩) انظر لنا كتاب الكلمة والسيف..
(٠١) انظر لنا كتاب عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد' وأزمة العقل النقل بين السنة والشيعة..
(١١) التيارات الإسلامية تحكم علي الصوفية بهذا الحكم علي أساس العقيدة الوهابية النابعة من فكر ابن تيمية، أما عقائد السلف فلا تتطرق إلي مسائل التوسل والقبور..
(٢١) انظر موقف الحركة من العمل السياسي..
(٣١) من هذه الكتب كتاب: الديمقراطية في الميزان, والأحزاب السياسية في الإسلام, ومنهج أهل السنة في نقد الرجال والكتب والطوائف وغيرها، ومعظم هذه الكتب تفد من السعودية..
(١٤) أنظر قواعد أهل السنة في معاملة أهل القبلة طـ القاهرة, ويبدو من العنوان فكرة محاكمة الآخرين علي أساس عقيدة أهل السنة..
(٥١) انظر مجلة لواء الإسلام عدد ٨ ـ ٠٩/٠١/٠٢,,
(١٦) مجلة المجتمع الكويتية الناطقة بلسان الإخوان في الكويت عدد ٧ ـ ٥/٥/,,٦٨
(٧١) جريدة النور الصادرة عن حزب الأحرار عدد ٢٤ ربيع الأول/ ٧٠٤١هـ..
(١٨) مجلة كلمة حق الناطقة بلسان الجماعة..
(١٩) انظر الديمقراطية في الميزان، وأنظر فتوي المجمع الفقهي السعودي ضمن وثائق الكتاب.
(٠٢) انظر كتابنا الكلمة والسيف، وانظر البداية والنهاية لابن كثير، جـ ٤١ حوادث عام ٥٥٧هـ..
(٢١) انظر البخاري وكتب السنن باب حكم المرتد..
(٢٢) انظر لنا كتاب الكلمة والسيف، وكتاب أحاديث نبوية إخترعتها السياسة..
(٢٣) انظر كتاب مسئولية مفشل تجربة الدولة الإسلامية في العصر الحديث ط القاهرة..
(٤٢) انظر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية. وكتب الفقه، الأبواب الخاصة بأحكام أهل الذمة. وكتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم..
(٥٢) انظر قافلة الأخوان لعباس السيسي,وقد قال البنا هذا الكلام في الاحتفال بذكري مرور عشرين عامًا علي قيام الإخوان بتاريخ ٥/٩/,,٨٤
(٦٢) مجلة المجلة السعودية اللندنية عدد رقم ٣٣ ـ ٢٨/٦/١١,,
(٧٢) نشر البيان في جريدة الحياة اللندنية عدد رقم ١١٤٩٤ ـ ٥١٤١/٢/٠٣هـ..
(٨٢) انظر مجلة البيان اللندنية السلفية عدد رقم ٨١/ أكتوبر/ نوفمبر/٤٩,,
(٢٩) انظر نماذج من هذه المنشورات ضمن وثائق الكتاب..
(٠٣) انظر السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية..
(١٣) ابن تيمية. الرد علي الأخنائي..
(٢٣) مجموع فتاوي ابن تيمية جـ ٠٢٥/٨٢,,
(٣٣) انظر جامع بيان العلم.
(٣٤) انظر الإعتصام جـ ١/٠٢١وجـ٢/:٩٢٢:٨٢٢
..
(٥٣) انظر الطرق الحكمية ٢٨٢,,
(٣٦) انظر الميزان جـ ١٣٤:٠٣٤,,١/
(٧٣) انظر الجامع لأحكام القرآن. تفسير سورة آل عمران جـ ٤/ ٩٧١:٨٧١,,
٩(٨٣) انظر العواصم من القواصم وهو من الكتب ذات الانتشار الواسع بين عناصر التيارات الإسلامية. وقد تم تحقيقه من قبل فقهاء السعودية، وأئمة الحديث الذين يقصدهم ابن العربي هنا هم أهل السنة من المحدثين..
(٩٣) انظر منهج أهل السنة في نقد الرجال والكتب والطوائف. وأنظر مفهوم أهل السنة والجماعة ط السعودية.
(٤٠) انظر مجموع الفتاوي جـ ٣٣/٦٤٢، وانظر نقض المنطق، وتأمل اعتبار ابن تيمية تقسيم الدين إلي أصول وفروع من البدع..
(١٤) انظر أحكام أهل الذمة. لابن القيم..
(٢٤) المرجع السابق..
(٣٤) انظر كتاب أحكام أهل الملل للخلال..
(٤٤) انظر مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية. أحكام أهل الذمة..
. (٥٤) انظر المختصر للشافعي. وانظر حكم بناء الكنائس والمعابد الشركية في بلاد المسلمين وهو منشور سعودي طبع ويوزع في مصر

الحركة والخارج

بين النموذج السعودي والنموذج الأفغاني..

هل هناك ارتباطات خارجية للحركة الإسلامية في مصر..؟
إن الإجابة علي هذا السؤال تتطلب تفنيد التيارات الإسلامية لمعرفة ولاءاتها الخارجية, تلك الولاءات التي ترتبط ـ إن وجدت ـ بالخط العقائدي الذي يتبناه التيار، والذي يفرض وجود نوع ما من الارتباط الخارجي..
والمتتبع لتاريخ الحركة الإسلامية في مصر يكتشف أن الحكومة وسياساتها كان لها دورها الملحوظ في دفع بعض

التيارات الإسلامية للارتباط بالخارج، فحين ضرب الإخوان في الخمسينات اتجهو نحو السعودية التي كانت تتبني موقف العداء لنظام عبدالناصر, والتي استثمرت هذا الموقف واحتضن الإخوان لتستفيد من كوادرهم وعناصرهم المختلفة في شتي المجالات..

وحين برزت الحركة الأفغانية جذبت تيارات الحركة الإسلامية في مصر وأسهمت الحكومة في زيادة هذا الجذب وتقويته., بعد أن تبنت سياسة متحالفة مع الحركة داعمة لها، ثم تحول هذا الارتباط بين الأفغان والمصريين في النهاية إلي صورة انعكست علي مصر أمنيًا وأصبح من القضايا المقلقة لنظام الحكم..

وعندما برزت الثورة الإسلامية في إيران لفتت انتباه الحركة الإسلامية في مصر, إلا أنه سرعان ماحيل بينهما، وتحركت الحكومة علي الفور وبمعونة من العراق والذي كان في حرب مع إيران, والسعودية التي كانت تساند العراق وتخشي تأثير هذه الثورة علي النموذج الإسلامي الذي ترعاه وتدعمه، تحركت الحكومة لعزل الحركة عن إيران وعزل مصر أيضًا..

ثم عندما برز التيار الشيعي في مصر تم ربطه بإيران بعد أن وجهت له عدة ضربات في فترة الثمانينيات والتسعينيات. بل تم ربط تيارات أخري بها..

وبعد دخول تيار الجهاد في صدامات دموية مع الحكومة في فترة التسعينيات بدأت الحكومة تشير بإصبع الاتهام إلي دول عربية وأجنبية تقف وراء هذا التيار علي رأسها السودان..

من هنا يمكن القول أن الحركة الإسلامية في مصر ارتبطت طوال تاريخها في منظور الحكومة بعدة دول خارجية هي:

ـ السعودية..

ـ أفغانستان..

ـ إيران..

ـ السودان..

وسوف نحاول هنا أن نبين حقيقة هذه الارتباطات..

السعودية

كان الموقف العدائي الذي تبناه عبدالناصر تجاه السعودية قد دفعه إلي اتهامها بالوقوف وراء حركة الإخوان المسلمين عام ٥٦ ودعمها من أجل إسقاط حكمه..

وكانت هذه الاتهامات هي بداية ظهور فكرة التمويل الخارجي وارتباط الحركة بقوي خارجية علي الساحة المصرية, من هنا ظلت الساحة الإسلامية في مصر معزولة عن السعودية طوال فترة الستينات, كما عزلت أيضًا عن تيار الإخوان الذي ظل حبيس السجون طوال ذلك الفترة..

وطوال فترة الستينات لم تكن قد برزت علي الساحة الإسلامية فكرة الجهاد المسلح, كما لم يكن هناك وجود لفكرة التكفير، أو العزلة عن المجتمع أو الاستحلال, وغيرها من الأفكار التي انعكست علي الواقع أمنيًا بعد بروزها في فترة السبعينيات..

وقد ارتبطت فكرة الدعم الخارجي بالإخوان والسعودية، وحسم عبدالناصر الأمر بعزل السعودية عن مصر, إلا أنه في فترة السبعينيات اختلف الأمر بعد أن أعاد السادات علاقاته بالسعودية, وفتح الأبواب أمامها لتتغلغل في الساحة الإسلامية..

كان السادات في حاجة إلي دعم السعودية..

وكانت السعودية في حاجة لمصر..

وهكذا بعد أن أفرغ السادات المعتقلات من الإسلاميين عاد الإخوان إلي الساحة..

عادوا من الداخل بأفكارهم..

وعادوا من الخارج بأموالهم..

الذين في الداخل انطلقوا لإحياء تيار الإخوان ونشره، واسترداد مكانته ودوره..

والذين جاءوا من الخارج دعموا هذه النشاطات بالمال، وكانوا قناة الربط بالخارج وبدأت عمليات إغراق الساحة الإسلامية بالكتب الوافدة من السعودية، والتي تنطلق بلسان ابن تيمية ومحمد ابن الوهاب، وخط الحنابلة المتطرف, والتي كانت توزع مجانًا علي طلبة الجامعات والشباب المسلم الناشئ..(١)

وقبل الإخوان القيام بدور حصان طرواده للسعودية..

ولم تكن الدولة تبدي اعتراضًا علي هذه الممارسات, بل كانت تدعمها وتزكيها من أجل ضرب التيارات السياسية المناهضة لها وتطويقها..

وظل الأمر يتفاقم حتي تحولت السعودية إلي قاعدة للإسلاميين المناهضين للحكم في مصر..

واكتظت الساحة المصرية بالاتجاهات المتطرفة التي تولدت من أفكار ابن تيمية وابن عبدالوهاب..

ومع استمرا سياسة التحالف بين مصر والسعودية استمرت التغطية علي هذا الأمر من قبل السادات الذي سقط ضحية هذه اللعبة وتم قتله السادات بفتوي لابن تيمية..

وبدأت السعودية تقلق من تنامي التيار الإسلامي داخلها..

وعلي هذا الأساس عملت مصر والسعودية علي استثمار الحركة الأفغانية من أجل تخفيف ضغط التيارات الإسلامية، والتخلص من العناصر المتطرفة, وتلبية رغبة الأمريكان..

إلا أن المتغيرات التي طرأت علي الساحة العربية في تلك الفترة قد زادت من قوة التحالف المصري السعودي لأسباب

أمنية في المقام الأول, مع إعلان براءة النظام السعودي من أي نشاط إسلامي من شأنه أن يهدد نظام الحكم في مصر, بل إن الأمر تجاوز هذا الحد إلي التنسيق الأمني بين النظامين لمواجهة تيار الجهاد..
واعتبرت مصر السعودية أيضًا أن القضية تنحصر في محيط السلاح والتمويل، ولا صلة لها بمسألة تصدير الأفكار التي تعد معمل تفريغ التيارات المتطرفة, ولذا فإن الحكم في مصر لم يتخذ أية تدابير مسألة تصدير الفكر من السعودية لمصر. بل اتجه إلي محاربة فكر آخر لا صلة له بالأمر وهو الفكر الشيعي,,(٢)
واستطاعت التيارات الإسلامية أن تؤسس لها قواعد داخل السعودية بعيدًا عن الحكم السعودي, وهذه القواعد لايزال لها بقايا تدعم بعض تيارات الحركة في مصر وغيرها من دول العالم الإسلامي..
ويمكن القول أن هناك ثلاث تيارات إسلامية رئيسية ارتبطت بالسعودية منذ نشأتها علي الساحة المصرية:
التيار الأول: الإخوان
التيار الثاني: السلفي
التيار الثالث: الجهاد
الإخوان إستقطبتهم السعودية في ظل ظروف خاصة، ومنها استطاعوا التغلغل في دول الخليج وتمكن الكثير منهم من التجنس بالجنسية السعودية وجنسية هذه الدول,,(٢)
ولم تنقطع علاقة الإخوان بالسعودية في ظل أي ظروف من الظروف, بل استمرت في فترات القطيعة المصرية السعودية كما استمرت في فترة التحالف المستمرة إلي اليوم ويمكن تصنيف هذه العلاقة كما يلي:
ـــ علاقة بالحكم والعائلة المالكة..
ـــ علاقة بالمؤسسات الدينية..
ـــ علاقة بالشركات والمشاريع..
ـــ علاقة بالنشاط الإسلامي..
أما التيار السلفي فيرتبط بالسعودية عقديًوماديا ً , ولم يكن إرتباطه سياسيًا كما هو حال الإخوان, فهو يستمد منها الدعم المادي والمعنوي اللازم لإستمراره وإنتشاره بين المسلمين، وقد قامت جميعات أهلية تتبني الخط الوهابي في مصر بدعم من السعودية مثل جماعة أنصار السنة المحمدية, وجماعة دعوة الحق, كما قامت العديد من دور النشر التي تسوق السلفية الوهابية..(٤)
ولايزال هذا الإرتباط بين السعودية والتيار السلفي في مصر قائمًا ومستمرا ً علي أعين الحكومة ,وبالنسبة لتيار الجهاد فقد ارتبط بالسعوديةعقديا ً وفقهيا ً من خلال طرح ابن تيمية وابن عبدالوهاب وبعض الفقهاء الذين يجيزون الخروج علي أحكام وقتالهم, كما ارتبط بمؤسسات خيرية عناصر سعودية جهادية تدعم نشاطه,,(٥)
وليست هناك دلائل تشير إلي وجود روابط بين التيار الجهادي وبين الحكم السعودي كما هو حال الإخوان, كما لا توجد دلائل تشير إلي رضا الحكم عن هذا التيار..
ويمكن القول أن الحكم السعودي قد بدأ يشدد قبضته علي النشاط الإسلامي المتطرف داخل البلاد منذ فترة, وأخذ يطارد العناصر الإسلامية الوافدة ويحاصرها, تلك العناصر التي اتخذت من السعودية قاعدة لنشاطها ضد حكوماتها, وقد تم تسليم العديد من العناصر الجهادية الفارة إلي مصر بموجب اتفاقية أمنية بين البلدين..

أفغانستان

كانت أفغانستان بمثابة مستنقع سقطت فيه الحركة حين صور لها أن راية السلف رفعت هناك..

وكثرت الروايات عن جهاد الأفغان وملائكة الرحمن التي كانت تظللهم وتدعمهم في كل مكان..

وتفاعلت الحركة الإسلامية في مصر بسرعة مع هذا الحدث..
ولعب الإخوان الدور الأكبر في دعم الأفغان..
من هنا جذبت الحركة الأفغانية الكثير من العناصر الإسلامية وعلي الأخص من تيار الجهاد الذي كان قد تعرض لضغوط شديدة بعد إغتيال السادات، وفرت الكثير من عناصره نحو الخارج لتتلقفهم الجهات الإسلامية التي كانت تقوم بدور الوساطة بين الحركة الإسلامية والحركة الأفغانية والتي كانت تتخذ قواعد لها في السعودية وباكستان ودول أخري,,(٦)
وهو ما أسهم في دعم التيار الجهادي ودفعه نحو التقدم الحركي وتحصيل الخبرة العسكرية والتنظيمية التي حققت له المواجهة مع الحكم بصورة أكثر فعالية وأكثرخطورة، إذ أن العناصر المصرية التي تطوعت للجهاد في أفغانستان تحولت هناك إلي كوادر عسكرية، وقامت بتصدير الثورة إلي مصر..
وفي مواجهة هذا المأزق الأمني الخطير قام جهاز الأمن المصري بإعتقال القادمين من أفغانستان ووضعهم تحت الرقابة المركزة، إلا أن هناك الكثير من العناصر الغير معروفة من الجيل الجديد لتيار الجهاد أمكن لها اختراق الحواجز الأمني والقيام بعدة عمليات عسكرية في الداخل أزعجت نظام الحكم وهزته,,(٧)
ويمكن القول أنه بعد استقرار الحكم في أفغانستان ودخول الحركة مرحلة الدولة, بالإضافة إلي التنسيق الأمني المصري الباكستاني أمكن إحتواد هذه الظاهرة إلي حد كبير, إلا أن أمر السيطرة علي العناصر القيادية الجهادية أصبح صعبًا للغاية بعد أن هجرت تلك العناصر أفغانستان وباكستان، لتتخذ لها قواعد جديدة يفي دول أوروبا,,(٨)

وبهذا يمكن القول أن تيار الجهاد هو التيار الوحيد الذي إرتبط بأفغانستان، وأخذ منها القوة والدعم الذي حقق له الثبات والإستمرار في المواجهة مع الحكم من خلال قواعده الجديدة في باكستان ودول أوروبا..

وقد أثارت حالة التفاعل الزائد والمبالغ فيه بين الحركة وأفغانستان الكثير من التساؤلات:

ما هي عوامل الجذب في هذه الثورة..؟

وما هي أهميتها في واقع المسلمين..؟

وهل كان الأفغان يتحلون بصفات الريادة..؟

ولو لم يغز السوفيت أفغانستان وغزاها غيرهم هل كانت أفغانستان سوف تحظى بكل هذا التركيز من المسلمين..؟

ولماذا ركزت الأضواء على أفغانستان وأهملت الثورة الإيرانية المواكبة للحركة الأفغانية..؟

ولماذا لم ينتفض المسلمون من أجل فلسطين كما انتفضوا من أجل أفغانستان..؟

إلا أن الحقيقة التي غفلت عنها الحركة هي أن الواقع الأفغاني كانت تسيطر عليه الروح القبلية لا الروح الإسلامية، وقد برزت هذه الروح بقوة بعد رحيل السوفيت ,حيث أسهمت في الصراع الدموي الذي ساد أفغانستان, واستمر حتى اليوم بين الفصائل الأفغانية التي ترفع شعار الإسلام والسلف..

وتلقت الحركة صدمة كبيرة في أفغانستان وتلقت صدمة أكبر من الأفغانيين, ثم كان نتيجة ذلك أن انقلبت عليها الدول والحكومات التي زجت بها في المستنقع الأفغاني..

وعجز الأفغان بالتالي أن يكونوا عناصر ريادية تصلح لقيادة المسلمين. والخروج بالحركة من أزمتها في مواجهة الواقع وخاب أمل المسلمين فيهم..

ومثل هذا الذي جرى في أفغانستان ومازال يجري, إنما يثير الشبهات حول شعار الجهاد الذي رفع هناك، حيث أن الأحداث والوقائع أكدت لنا أن الإسلام في أفغانستان لم يكن سوى مجرد لافتة لاستدراج المسلمين والحركة الإسلامية..

ولو كانت الحركة قد تسلحت بقدر من الوعي السياسي لأمكنها أن تدرك حقيقة الفخ الأفغاني الذي نصب للسوفيت وللمسلمين على السواء..

ولأمكنها أن تدرك أن أفغانستان قد أعدت لتكون مقبرة للحركة الإسلامية..

وأن الواقع الأفغاني لم تكن به مقومات البقاء والبناء والانطلاق..

كان الهدف من صناعة هذا الفخ هو استدراج الحركة الإسلامية إلى مستنقع من الدماء تكون نتيجته في النهاية تشويه الإسلام وتفريق المسلمين وإرهاب الآخر..

لم تقم دولة خلافة على نهج السلف بعد رحيل السوفيت, بل قامت دويلات متناحرة تقاتل بعضها بعضاً..

وسقط الشعب الأفغاني المطحون ضحية هذه الصراعات..

وتتحول أفغانستان إلى قاعدة تنشر الإرهاب باسم الإسلام في كل مكان..

وتنتشر على ساحتها صور الفوضى والتخلف وتعمها الاضطرابات..

ولم يكن الشباب العائد من أفغانستان محل ترحيب في وطنه فاتجه أو تم توجيهه إلى مواطن أخرى يمارس فيها فريضة الجهاد كالبوسنه والشيشان والجزائر..

وجاءت حركة طالبان لتقضي على هؤلاء وتزيد الطين بله..

ثم السؤال بعد هذا كله : ما هى المحصلة من وراء هذا كله..؟

وما هى المكاسب التي جنتها الحركة الإسلامية في مصر من وراء أفغانستان..؟

وليس هناك من جواب على هذا سوى القول أن الفخ الأفغاني قد كشف لنا أن عقل الماضي الذي يهيمن على الحركة الإسلامية قد أفقدها الرؤية الصحيحة للواقع والأحداث..

إيران

كانت مصر ترتبط بعلاقة قوية بإيران طوال فترة السبعينيات وقبل قيام الثورة الإسلامية، وكان النشاط الشيعي يمارس في حريةمتمثلاً في جميعة آل البيت، وجماعة التقريب، وحركته التواصل مستمرة بين المؤسسات الشيعية الفقهية في النجف، وبين المؤسسات الأزهرية والصوفية والأهلية, وغيرها من المؤسسات الإسلامية في مصر..

إلا أنه بعد قيام الثورة وسقوط نظام الشاه في إيران إنقلب السادات علي إيران وتوجه بمصر إلي معاداة الحكم الجديد ومحاربته، وقد انعكست هذه السياسة علي النشاط الشيعي في داخل مصر والذي تجمد وصفي، ومنذ ذلك الحين انقطعت الإتصالات بين الشيعة في مصر وبين الخارج وقد بدأت تحوم من حولهم الشبهات..

ومع دخول فترة الثمانينيات وانحياز مصر إلي جانب العراق في حربه ضد إيران وجهت عدة ضربات إلي الشيعة المصريين بتهمة العمل علي قلب نظام الحكم بدعم من الخوميني في إيران, إلا أن مثل هذه الاتهامات التي وجهت إلي الشيعة لم تكن في حقيقتها سوي فرقعات إعلامية تعد امتدادًا لدور مصر العسكري بجانب العراق..

ومع استمرار السياسة العدائية تجاه إيران من قبل الحكم في مصر استمرت الضغوط علي الشيعة المصريين، ووقف أنشطتهم ,واستمرت الحرب الإعلامية ضد إيران..

وبدخول مرحلة التسعينيات وازدياد حوادث الاعتداء علي رجال الأمن ومحاولة اغتيال كبار المسئولين ,بدأت الحكومة في كيل الاتهامات لإيران بالوقوف وراء هذه الحوادث ودعم تيار الجهاد,,(٩)

لكن الحكومة لم تستطع أن تقنع الرأي العام بتبرير موقفها العدائي تجاه إيران وتقديم البراهين والأدلة القاطعة علي تورطها في دعم تيار الجهاد,,(١٠)

ولما كانت التيارات الإسلامية في مصر تتبني عقيدة أهل السنة المعادية للشيعة، مذهب إيران الرسمي، فليس من السهل أن يكون هناك لقاء أو تحالف بينهما، والتيار الوحيد الذي من الممكن أن يرتبط بإيران ويتحالف معها هو التيار الشيعي..

إلا أن هذا التحالف علي افتراض وجوده ــ لن يتعدي الدائرة الفكرية المذهبية، فالشيعة تيار لا يتبني العمل المسلح ومواجهة الحكومات..

وتبقي مسألة ربط إيران بالتيار الجهادي في مصر مسألة سياسية بحتة مرهونة بالموقف المصري العدائي تجاهها، وهو موقف قابل للتغير إذا ما قسناه بالموقف العدائي الذي تبنته مصر من السعودية في فترة الستينيات, والذي انقلب ليتحول إلي تحالف في فترة السبعينيات واستمر حتي اليوم..

والتيارات الإسلامية في مصر تتخذموقفًامبهمًاوحذرًا من الثورة الإيرانية, وهذا الموقف تعود جذوره إلي التركيبة السلفية التي تهيمن علي تصوراتها وممارساتها,خاصة المدرسة الحنبلية التي تحمل رؤية عدائية شديدة تجاه المذهب الشيعي تصل إلي حد الحكم عليه بالكفر والمروق من الإسلام..

ولقد خلطت التيارات الإسلامية بحكم تبنيها للسلفية وإعتباره المصدر الأساسي لعملية التثقيف والتربية ــ ما بين موقفها من الشيعة وبين موقفها من الثورة الإيرانية..

وكانت الحركة قد أبدت تعاطفها بداية مع الثورة ولأول مرة تظهر صور الإمام الخوميني في شوارع القاهرة، ولأول مرة أيضًا تخرج مظاهر تشجب وتستنكر زيارة الشاه حاكم إيران السابق لمصر، وتعلن تأييدها للثورة الإيرانية..

وبعد اندلاع الحرب بين إيران والعراق بدأ الحماس تجاه الثورة يفتر، وبدأت التيارات الإسلامية في التراجع وتصنيف مواقفها تجاهها،..

وفي فترة الثمانينيات بدأت تظهر بوضوح في الوسط الإسلامي بمصر النعرة المذهبية وأخذت الحملة العدائية للشيعة يتسع نطاقها بشكل ملفت للنظر, حتي أنه قد تم إغراق سوق الكتاب بكم كبير من الكتب التي تهاجم الشيعة وتطعن فيها وتشكك في الثورة الإيرانية توزعمجاناً أوتباع بسعر التكلفة وكثير منها لا يعرف مصدرها..

ولا يعنينا هنا إلقاء الضوء علي الجهة التي تقف وراء هذا الأمر والتي تقع عليها مسئولية إثارة حملة العداء ضد الشيعة في مصر علي الرغم من أن الشيعة ليس لها ذلك الوزن الذي يتطلب مثل هذه الحملة ــ بقدر ما يعنينا القول أن مواقف التيارات الإسلامية في مصر من الشيعة مواقف سطحية وساذجة ولا تنم عن وعي بحقيقتها ومضمونها..

وهي مواقف ترتكز علي حيثيات تاريخية لا تنطبق علي الشيعة اليوم، ولا تنطبق علي واقعهم، وتعتبر جماعة الإخوان التيار الإسلامي الوحيد في مصر الذي يتبني رؤية معتدلة تجاه الشيعة، كمذهب، في الوقت الذي كان يؤيد فيه الثورة الإيرانية ويناصرها..
وكانت جماعة الإخوان قد شكلت وفدًا سافر إلي إيران بعد نجاح الثورة، وذلك لتهنئة قادتها وإعلان تأييدها ووقوفها بجوار الثورة, كما سخرت مجلة الدعوة للدفاع عن الثورة، ودفع المسلمين نحو التعاطف معها,,(١١)

إلا أن موقف الإخوان هذا قد أخذ في التراجع، والاتجاه نحو السلب, وذلك مع اشتداد حركة المقاومة الإسلامية لنظام حكم الرئيس الراحل حافظ الأسد، وبداية الحرب العراقية الإيرانية..
وقد علل الإخوان موقفهم الجديد هذا بأن إيران تناصر نظام حكم حافظ الأسد الذي يعمل علي إبادة الإخوان في سوريا.
لكن حقيقة الأمر تكمن في الضغوط السياسية التي تعرضوا لها من قبل نظام السادات الذي انحاز إلي العراق، وأعلن معاداته لإيران بالإضافة إلي ضغوط السعودية،وسيرًا مع سياسة الإخوان الدائمة التي تتبني علي عدم استفزاز الحكومات ومهادنتها قدر الإمكان توقفوا عن حملتهم الإعلامية المناصرة للثورة الإيرانية، ولاذوا بالصمت في مواجهتها بل أخذت تظهر بوادر العداء من ناحيتهم تجاه الثورة..
يقول التلمساني عن إيران وثورتها: الإيرانيون يأخذون بالمذهب الشيعي، ونحن قوم سنيون، والذي بين الشيعة والسنة من خلاف، مصدره الشيعة, وليس أهل السنة عميق وخطير، وحين قام الخميني بالثورة أيدناه ووقفنا بجانبه مع ما بين أهل الشيعة وأهل السنة من خلاف جذري في العقائد, أيدناه لوجود شعب مظلوم, وكان حاكمه يظلمه أشنع الظلم وأبشعه, ونحن أيدناه من الوجهة السياسية, لأن شعبًامظلومًا استطاع التخلص من حاكم ظالم واستعاد حريته, ولكن من ناحية العقيدة السنة شيء والشيعة شيء آخر, وما يجري في إيران الآن لا يمثل الدولة الإسلامية لأنه لا يطبق شرع الله, والذي يجري في إيران الآن، وبالصورة التي أقرؤها واسمع عنها لا يرضيني,,(٢١)

السودان

برزت النزعة العدائية تجاه السودان مع دخول مرحلة التسعينيات, وإزدياد نشاط الجماعة الإسلامية بصعيد مصر، وكانت كميات الأسلحة التي يتم ضبطها في الصعيد بحوزة عناصر الجماعة أثارت الشبهات من حول السودان, وكونها المصدر الذي يمول هذه العناصر بالأسلحة، إلا أن هذه الاتهامات التي كانت توجه للسودان لم تكن تؤخذ مأخذ الجد من قبل الرأي العام حتي أن الحكومة بدا وكأنها غيرجادة في إطلاقها..
غير أن محاولة إغتيال مبارك في أديس أبابا قلب موازين الأمور, ودفعت بمصر إلي تهديد السودان، وإتهامه علنًا، وعلي لسان مبارك بدعم تيار الجهاد في مصر, وإيواء عناصره الفارة وإقامة قواعد لتدريبهم..
ومنذ حادثة مبارك تحول السودان إلي خصم لمصر، وتحولت مصر إلي خصم له يسعي للإطاحة بنظام الحكم فيه, ودعم القوي والجبهات التي تعارضه، وقد تم القبض علي عدة مجموعات جهادية، وضبطت معها كمية من الأسلحة قيل إنها كانت مهربة من السودان، كما أعلن عن إحباط مخطط سوداني دفع بعناصر من السودان إلي مصر لتفجير بعض المنشآت وإغتيال قيادات سياسية وأمنية.. (٣١)
وكانت تصريحات حكومية قد أكدت في أكثر من موضع أن جبهة الدكتور حسن الترابي الحاكمة في السودان آنذاك هي المتورطة في محاولة إغتيال مبارك.. (٤١)
وفي حالة ثبوت إرتباط السودان بالأحداث التي تقع في مصر، فإن هذا الإرتباط ينحصر في محيط تيار محدد وهو تيار الجماعة الإسلامية، وقد إزداد الموقف تعقيدًا تجاه السودان بسبب العلاقات القائمة بين السودان وإيران, والتي كان يترجمها النظام في مصر علي أنها علاقة عدائية موجهة ضده..
ومن هنا برزت الإدعاءات التي تقول إن إيران أعدت قواعد لها في السودان لتدريب العناصر الإسلامية المناهضة لنظام مبارك..

الهوامش

(١) من هذه الكتب مؤلفات ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب وسائر كتب فقهاء السعودية..
(٢) قامت حملة هجومية علي كتب ابن تيمية وابن كثيروالأفكار السلفية المتطرفة بعد اغتيال السادات, إلا أن هذه الحملة سرعان ما توقفت ثم اتجهت نحو كتب الشيعة..
(٣) من عناصر الإخوان الذين يحملون جنسية السعودية مناع القطان، ومحيي هلال، وابن المرشد الراحل عمر التلمساني وغيرهم ,ويذكر أن الدكتور يوسف القرضاوي يحمل الجنسية القطرية، ومايجب ذكره هنا هو أن المخابرات الأمريكية كان لها دور في توطين الإخوان في الخليج..
(٤) تصدر جماعة أنصار السنة مجلة التوحيد التي تنشر الفكر الوهابي وتحارب الشيعة والصوفية, وتصدر جماعة دعوة الحق مجلة تحمل اسم الجماعة وتسلك نفس السبيل، وبخصوص دور النشر السلفية فإن معظم مطبوعاتها الصادرة في مصر تمول من جهات سعودية, بالإضافة إلي مطبوعات أخري تصدر في السعودية وتقوم هذه الدور باستيرادها وتوزيعها في مصر مجانًا أو بأثمان زهيدة..
(٥) علي رأس هذه العناصر السعودية الجهادية أسامة بن لادن..
(٦) قتل الكثير من العناصر الجهادية المصرية في أفغانستان ويعد تيار الإخوان من أبرز التيارات التي كانت تقوم بدور الوسطة..
(٧) من هذه العناصر أولئك الذين ارتبطوا بحادث الألفي وصفوت وصدقي..
(٨) حصل الكثير من هذه العناصر علي حق اللجوء السياسي في هذه الدول..
(٩) أنظر صحف تلك الفترة، وأنظر لنا كتاب مصر وإيران: صراع الأمن والسياسة..

(٠١) انظر المراجع السابقة..
(١١) انظر أعداد مجلة الدعوة بعد قيام الثورة الإسلامية..
(٢١) مجلة المصور عدد ٩٨٩٢ ـ ٢٨/١/٢٢,,
(٣١) انظر صحف تاريخ ٥٩/٨/٧,.
(٤١)/٥٩٩١ انظر الصحف والتصريحات اللاحقة لحادث أديس أبابا الذي وقع بتاريخ ٨/٦٢

الحركة والشارع

هل هناك إرتباط وثيق بين الحركة الإسلامية وبين الجماهير..؟
وهل هناك تواجد إسلامي بالشارع المصري..؟
إن الإجابة علي هذين السؤالين تكشف لنا أن الحركة الإسلامية في مصر لم تضع في حسابها جماهير الشعب، ولم توسع

نشاطها بين طبقاته المختلفة, والتيار الإسلامي الوحيد الذي استطاع أن يحقق ثقلا جماهيرًا, وتمكن من الإرتباط بالشارع هو تيار الإخوان,غير أنه لم يستطع استغلال وزنه الجماهيري في تحقيق أهدافه، وقد بدا ذلك واضحًا في الصراع الذي دار بينه وبين ضباط يوليو..

والإخوان اليوم هم التيار الإسلامي الوحيد القريب من الشارع ، وصاحب الوزن الأكبر بالقياس إلي التيارات الأخري, إلا أن هذا الوزن بلا تأثير يذكر بالإضافة إلي أنه يعدضئيلاً جدًا إذا ماقارناه بالبعد التاريخي لحركة الإخوان..

لقد كانت حركة الإخوان تمارس نشاطها الإجتماعي والسياسي والاقتصادي في المجتمع المصري تحت راية معلنة، فمن ثم استطاعت أن تتغلغل وسط الجماهير وتكسب عطفها، وعادت اليوم تمارس عدة أنشطة اجتماعية واقتصادية وسياسية تحت رايات وهويات مختلفة, غلب عليها الطابع التقليدي, فمن ثم بدأ احتكاكها بالجماهير احتكاك حذر غير فعال،..

وبالنسبة للتيارات الإسلامية الأخري فهي معزولة عن الجماهير بمحض إرادتها دون تدخل أية عوامل أخري، ويعود ذلك الأثر إلي طبيعة المنهج والتصور الذي تتبناه هذه التيارات وتتحرك علي أساسه، والذي يشكك في إيمان الجماهير ومدي قدرتها علي التجاوب معها..

وإذا ما استثنينا تيار التكفير والقطبيين والتوقف بحكم أنها تيارات ليس لها توجهات سياسية وأنشطة اجتماعية،فإن المتبقي من التيارات الإسلامية العاملة في الحقل المصري هي التيارات الصدامية المتمثلة في تيار الجهاد والجماعة الإسلامية والمجموعات الأخري المستقلة, وهذه التيارات علي الرغم من تبنيها قضية سياسية، وصدامها مع الحكومة، ورفعها شعار الخلافة, إلا إنها بعيدة عن الجماهير، وليس في برنامج عملها ما يوحي باهتمامات اجتماعية أو اقتصادية تشغل الجماهير بالإضافة إلي سلوكياتها وممارساتها العدائية ضدها..

والحركة تحت وطأة السلفية تعيش فترة تشتت أيديولوجي موزعة عداءها علي جبهات مختلفة، وعلي قطاعات متعددة من الجماهير هى:

. المسحيون..
. الصوفية..
. الشيعة..
. العامة..
. المخالفون..

وقد برزت قضية العذر بالجهل من قبل تيار التكفير والجهاد والجماعة الإسلامية، وهي قضية ترتبط بالجماهير ومدي قربها من الإسلام. وهل يجوز أن تعذر بجهلها في أصول الدين وقواعده، أم تعذر في فروعه، وهي قضية تعكس نظرة هذه التيارات إلي الجماهير ومدي بعدها عن قضاياها الملحة ومشاكلها المعاشة..

والمراقب للحركة الإسلامية سوف يكتشف أنها تنشغل بالصراع مع الجماهير أكثر من انشغالها بالصراع مع الحكومة، وفي داخل السجون والمعتقلات حيث تلتحم التيارات الإسلامية ببعضهاكثيرًا ما كانت تحدث صدامات بين المساجين العاديين والعناصر الإسلامية بسبب صوت المذياع أو لعب الطاولة التي يمارسها المساجين عادة أو إرتداء بعض المساجين سروالاً قصيرًا يبرز أفخاذهم، مما يعد عورة في نظر الإسلاميين..

وكان من الأجدر علي التيارات الإسلامية وهي تعيش ظرفًا عصيبًا وراء الشمس أن تتغاضي عن هذه الأمور الشكلية وتتقرب من هؤلاء الذين يشكلون جزاءًا من الجماهير التي يسعون إلي هدايتها، ويتحركون وسطها إلا أن شيئًا مثل هذا لم يحدث، وعلي ساحة الواقع كثيرًا داخل المساجد بسبب الخلاف علي أداء الشعائر أو السيطرة عليها من قبل تيار من التيارات..

ولقد فجرت الأحداث التي وقعت في منطقة عين شمس قضية إرتباط الحركة الإسلامية بالجماهير والشارع، وعلي الأخص تيار الجهاد منها حيث اشترك الأهالي مع أفراد الجماعة الإسلامية ضد قوات الأمن التي حاصرت المنطقة وإشتبكت معها، ولقد لفت هذا الحدث إنتباه الدوائر الأجنبية علي مستوي الداخل والخارج وعكفوا علي دراسته، وكتابة التقارير عنه..

ومرة أخري برزت علي السطح فكرة حدوث انفجار إسلامي في مصر علي النمط الإيراني، وكانت هذه الفكرة قد تلاشت من أذهان المراقبين بعد نجاح حملة العداء ضد إيران في مصر، والقضاء علي تأثير الثورة الإيرانية علي الحركة الإسلامية فيها..

والحق أن صدام الأهالي مع قوات الأمن في عين شمس لم تكن له أبعاد سياسية أو إسلامية ولم يكن سوي رد فعل للهجمة الشرسة العشوائية لقوات الأمن علي سكان المنطقة الآمنين، والتي نتج عنها مصرع وإصابة عدد كبير من النساء والأطفال، وهذا لا ينفي أن الجماهير كانت تعيش حالة من الكبت الشديد وتكن عداءًا شديدًا لجهاز الأمن نتيجة للوضع المتردي الذي تعيشه مصر ، إلا أن هذا لا يؤكد أن هناك تنسيق حدث بين الأهالي وبين أفراد الجماعة الإسلامية المنتشرين في المنطقة أثناء وقوع الأحداث..

وإذا كانت الأوضاع المعيشية المتردية وتفاقم الأزمات علي جميع المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، يمثل تحديًاكبيرًا للحكومة يمكن أن يستغل من قبل القوي المعارضة لها، فإن الحركة الإسلامية لا يبدو واضحًا من تحركاتها وممارساتها أنها كانت تسعي لإستغلال هذا الوضع, وهي إن تحركت لاستغلاله فلديها القدرة علي ذلك..

ويكفي أن الإخوان يملكون قدرات اقتصادية تؤهلم لكسب قطاعات كبيرة من الجماهير، لكنهم لم يستغلوها في هذا

المضمار واكتفوا بإنشاء البنوك والشركات الكبري، وإستغلال حركة الإنفتاح الترفيهي، بينما إكتفوا في مجال الدعوة ببعض الأنشطة الصغيرة التي لا تشكل أثرًا كالجمعية الطبية الإسلامية..(١)
وعلي الرغم من أن الحركة الإسلامية تستحوذ علي قطاعين هامين من قطاعات الجماهير، وهما قطاع الطلاب وقطاع الحرفيين إلا أن عقل الماضي الذي يهمين عليها يحول دون إستغلالهما,,(٢)
والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: لماذا فشلت الحركة الإسلامية في كسب الشارع المصري والإرتباط بالجماهير..؟
والإجابة علي هذا السؤال تكمن في النقاط التالية:

- إفتقاد القيادة المتمرسة..
- التركيبة الفكرية السلفية وما ينتج عنها من موقف نفسي، إستغلالي، إنعزالي، والعيش بعقل الماضي..
- ضياع الوعي السياسي والتنظيمي..
- ردود الأفعال الجماهيرية السلبية تجاه الحركة بسبب ممارسات وسلوكيات الجماعات الإسلامية الإستفزازية لها,,(٣)

الهوامش

(١) في محافظة المنيا بصعيد مصر كانت هناك قافلة طبية للإخوان تتحرك بين القري لعلاج الفلاحين مجانًا..
(٢) أنظر فصل الطابع السلفي ومما يذكر أن الطالب أو المهندس أو الحرفي الذي ينتمي إلي صفوف التيارات الإسلامية سرعان ماينعزل عن الواقع تلقائيًا وبمجرد تبنيه للرؤية السلفية التي تدفعه للعيش بعقل الماضي ويستثني من ذلك تيار الإخوان فعناصره متحررة عن الرؤية السلفية إلي حد ما، وهم متفاعلون مع الواقع بنسبة كبيرة، ويمارسون العمل السياسي، بينما التيارات الأخري منشغلة بمقاومة بدع وضلالات وسط الجماهير تحت شعار »الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..
(٣) من أخطر هذه الصور الإستفزازية الشركات الكبرى للإخوان وحالة الثراء الفاحش التي ظهرت علي بعض العناصر السلفية المرتبطة بالسعودية، وبعض دعاة الوسط الإسلامي وممارسات شركات توظيف الأموال والصدامات المستمرة بين الإسلاميين داخل المساجد والإصرار علي تبني أمور متشددة هي من الدين بمنزلة الفروع أو هي هامشية، وجملة القول أن الصورة المتشددة التي تظهر بها العناصر الإسلامية في قلب المجتمع تشكل لاستفزازًا للجماهير وتباعد بينها وبين الحركة الإسلامية, أنظر فصل ظواهر وممارسات..

صحافة الحركة

برزت صحافة الحركة علي يد الإخوان المسلمين , وكانت أول إصدارات الإخوان في عالم الصحافة مجلة **(النذير)** وجريدة **(الإخوان المسلمون)**
والفرق بينهما هو أن الجريدة كانت ناطقة بلسان حال الإخوان راصدة لتحركاتهم وأنشطتهم, أما المجلة فكانت ترصد قضايا الإسلام والمسلمين بشكل عام..

وفي فترة الخمسينيات توقفت الأنشطة الإعلامية لجماعة الإخوان بعد ضرب الجماعة وتصفيتها, باستثناء مجلة الدعوة التي استمرت بعض الوقت, لكونها لم تكن تمثل الإخوان..(١)
ومع دخول مرحلة السبعينيات وعودة التيار الإسلامي إلي البروز علي الساحة المصرية برزت مجلة الدعوة لتكون ناطقة بلسان الإخوان, وبرزت صحف أخري مساندة لبعض التيارات الأخري مثل مجلة **الاعتصام ومجلة التوحيد والمختار الإسلامي..**
وفي النصف الثاني من الثمانينيات اتجه الإخوان نحو إصدار مجلة جديدة تحت إسم **(البشير)** لم يصدر منها سوي عدد واحد وتم إيقافها, وقام الإخوان بعدها بالسيطرة علي مجلة قديمة تحمل اسم **(لواء الإسلام)** واتخذوها واجهة إعلامية لهم..
وظهرت في نفس الفترة بعض الصحف السرية الناطقة بلسان الجماعة الإسلامية مثل مجلة **(كلمة حق)** و**(صوت الأزهر)** بالإضافة إلي نشرات أخري, إلا أن هذه الأنشطة الصحفية قد توقفت تمامًا في فترة التسعينيات ,ولم تبق منها سوي مجلة التوحيد الشهرية الناطقة بلسان جماعة أنصار السنة الوهابية ومجلة المختار الإسلامي الشهريةأيضاً التي يحررها عدد من المثقفين الإسلاميين من مختلف التيارات..
من هنا يمكن تقسيم صحافة الحركة الإسلامية إلي قسمين:
الأول: صحافة ناطقة بلسان تيارات..
الثاني: صحافة مساندة..

صحافة التيارات

دفع الإخوان بمجلة الدعوة لتنطق بلسانهم في عهد السادات ,ولم يدفعوا بجريدة الإخوان المسلمين صحيفتهم الرسمية لأن عودتهم إلي الساحة لم تحظ بالشرعية الكاملة, وكان صدور أول أعداد الدعوة في عام ٦٧,,
وقام مرشد الإخوان آنذاك عمر التلمساني بكتابة الإفتتاحية التي كانت تعرض وجهة نظر الإخوان في الأحداث والمتغيرات التي تجري علي الساحة المصرية..
وتركزت موضوعات مجلة الدعوة في السبعينيات حول تاريخ الإخوان وجهادهم ومواقفهم في العصر الملكي, وفي مواجهة عبد الناصر ,وما لاقوه من تعذيب واضطهاد في فترة حكمه, كما كانت تلقي الضوء علي النشاطات الطلابية في محيط الجامعة المصرية ,والتي كانت تدور في محيط الجماعة الإسلامية الموحدة التي كانت تحت هيمنة الإخوان قبل أن تتعرض للإنشقاق..
وقد استقطبت مجلة الدعوة الكثير من الأقلام الإسلامية وقتها, من أساتذة الجامعة ورجال الأزهر, إلا أنه أهم ما كان يلفت النظر فيها هو مقالة المرشد وبعض قيادات الجماعة مثل مصطفي مشهور الذي كان يكتب بابًا ثابتًا عن الدعوة وأساليبها.,(٢)
واستمرت مجلة الدعوة تؤدي دورها في الدعاية للإخوان والتصدي للتيارات المتطرفة في الساحة الإسلامية, وأيضًا التصدي لبعض ممارسات الحكومة وحالة الفساد السائدة في المجتمع, إلي أن طالتها قرارات التحفظ في سبتمبر عام ١٨ ..حيث تم وقفها, والتحفظ علي المرشد وعناصر من الإخوان
وإتهم السادات وقتها الإخوان والمجلة بإثارة الفتن والبلبلة. ومنذ ذلك الحين لم تخرج الدعوة إلي النور حيث توفي مؤسسها في فترة الثمانينيات, وبالتالي إنتهي ترخيصها حسب القانون الصادر في عهد عبد الناصر, والذي ينص علي أن الصحف ذات الإمتياز الشخصي ينتهي ترخيصها بوفاة صاحب الإمتياز..(٣)

وإتجه الإخوان بعد ذلك إلي مجلة قديمة متوقفة هي لواء الإسلام وتمكنوا من السيطرة عليها ووضعوا شعارهم علي خلافها وأصبح يكتب افتتاحيتها محمد حامد أبو النصر، الذي تسلم منصب الإرشاد بعد وفاة التلمساني, إلا أنه لم تمض فترة قصيرة حتي دب الخلاف بين أصحاب المجلة والإخوان خلعت المجلة علي أثره ثوب الإخوان وارتدت ثوبها القديم مرة أخري..(٤)
وتحالف الإخوان مع حزب الوفد وظهرت بصمتهم على جريدة الوفد الناطقة بلسان الحزب لبعض الوقت, حتى انفض هذا التحالف ليتجه الإخوان بعدها للتحالف مع حزب العمل الاشتراكي, وتمكنوا من استغلال صحيفة الشعب الناطقة بلسان الحزب..(٥)
وبعد الضربة التي وجهتها الحكومة لحزب العمل ووقف صحيفته عن الصدور سدت جميع المنافذ أمام الإخوان للبروز إعلاميًا في ساحة الواقع إلى أن جاءت مرحلة التسعينيات ليتمكن الإخوان من إصدار جريدة عن طريق حزب الأحرار تحمل اسم **آفاق عربية** ,كان فيها مقالة ثابتة لمرشد الإخوان حينئذ مصطفى مشهور بالإضافة إلى لقاءات مع مأمون الهضيبي الذي تولى منصب المرشد بعد مشهور, واستمرت هذه الجريدة حتى بداية الألفية الثالثة ثم توقفت..
ولم تظهر للإخوان صحافة بعدها حتى قيام الثورة وسقوط مبارك, حيث أعلنوا أنفسهم , وأسسوا حزب الحرية والعدالة الذي أصدر جريدة يومية تحمل نفس الاسم..

صحافة الجماعة الإسلامية

أصدرت الجماعة الإسلامية الجهادية مجلة (كلمة حق) وهي مجلة سرية كان يحررها عدد من شباب الجماعة, وكانت موضوعاتها تتركز في الدفاع عن الجماعة ,والهجوم علي الحكومة,والطابع العام لهذه المجلة المتواضعة في مادتها وإخراجها كان طابعًا سلفيًا, وقد صدر منها بضعة أعداد ثم توقفت..

وأصدرت الجماعةأيضًا مجلة تحت إسم (صوت الأزهر) وهي مجلة موجهة للأزهر, وتدعو إلي بعث دوره من جديد في قيادة الأمة ومواجهة الحاكم,وقد صدر من هذه المجلة بضعة أعداد أيضًا ثم توقفت..
وبالإضافة إلي هذا كانت الجماعة تصدر عدة نشرات في محيط الجامعة منها نشرة بعنوان (الخلافة) ونشرة أخري موجهة للمرأة تحت عنوان (المسلمات) ونشرة أخري تحت عنوان (فجر)..(٦)
وقد توقفت هذه الأنشطة الإعلامية مع إشتداد المواجهة بين الجماعة والحكومة ,واختفاء عناصر الجماعة من ساحة العلن..
إلا أنه يمكن القول أن كم المنشورات التي أصدرتها الجماعة طوال فترة الثمانينيات, في مواجهة كافة الأحداث التي عاصرتها ,ومن أجل إظهار موقفها من شتي القضايا التي برزت علي الساحة المصرية, قد شكل في مجموعةنشاطًا ابارزًا في المحيط الإعلامي, جعلها محط الأنظار ومحور الاهتمام من قبل الرأي العام, وأدي إلي سحب البساط من تحت أقدام التيارات الأخري..
والمراقب لمجلات الجماعة ونشراتها لا يشم رائحة السياسة بل يشم رائحة السلف ,ولا يجد بين صفحاتها معالم العمل السياسي القائم علي أسس واعية ناضجة, بل يجد محاولات للبروز السياسي تتأرجح بين الماضي والحاضر..
وفي إحدي نشرات الجماعة المسماة بالخلافة زاوية تحمل عنوان: خبر الخلافة نشر فيها الخبر التالي: **مجلس الكنائس يهدم مساجد السودان ويقوم بتخريب إقتصاد الدول النامية..**
وكتب تحت الخبر ما يلي: أيها المسلمون أفيقوا من نومكم.. أيها المسلمون انتبهوا من غفلتكم..
أيها المسلمون استيقظوا قبل أن تدفعوا الجزية للفاتيكان..
ونشرت مجلة كلمة حق في أحد أعدادهامقالاً تحت عنوان: **سعد زغلول. الأكذوبة,** كما نشرت في نفس العددمقالاً تحت عنوان: **الهيروين والفنانين..**
وفي عدد آخر نشرتمقالاً عنوانه: **المؤامرة علي الحجاب..**
وعلي غلاف عدد آخر كتب بالخط العريض: **لن نترك مساجدنا ومعاقلنا..**
وعلي غلاف أحد أعداد مجلة صوت الأزهر كتب مانشيت يقول: **أبعد هذا يرسل الأزهر وفدًا إلي كابول..**
ووضعت عليه صورة القائد الأفغاني سياف وأسفل الصورة كتب: **يا أزهر درست فيك ولكن أتبرأ من مواقف المنتسبين إليك..**
وفي الوقت الذي تشن فيه الجماعةهجومًا شديدًا علي الحكومة من خلال صفحات مجلتها ونشراتها, لا تنسي الاهتمام بالأطر السلفية , فتنشر قصص الصحابة والمجاهدين من السلف, كما تنشر المواعظ والعبر والفتاوي الخاصة بتحريم الغناء مثلاً ,وقد تبنت الجماعةموضوعًاصغيرًا لأبي حامد الغزالي ونشرته علي أفرادها في إطار سلسلة أسمتها الطريق إلي الله وكان هذا الموضوع يحمل إسم: **معاتبة النفس**..
وعلي إحدي أغلفة مجلة صوت الأزهر كتب مانشيت يقول: **متي تعلو كلمة الحق منبر الأزهر..**
وفي عدد من مجلة كلمة حق كتبمقالاً عنوانه: **مصر تغلق باب التوبة في وجه شمس البارودي..**
وقد أصدرت الجماعة، بالإضافة لما سبق, نشرة (الأنباء) وهي نشرة إخبارية صغيرة ، و(الفتح المبين) وهي نشرة كانت تهتم بأخبار الأفغان..
ويبدو بوضوح تأثير فكر سيد قطب علي الجماعة وعلي أطروحاتها ومواقفها خاصة تلك التي تتعلق بقضية الحاكمية وقضية الجاهلية, والموقف من الواقع بشكل عام, غير أن الجماعة تتناول هذا الفكر بشيء من الحذر مع تطويعه لخط السلف..
وما يجب ذكره هنا هو أن جميع وثائق الجماعة ومنشوراتها, سواء كانت مجلات أو كتب أو بيانات مكتوبة جميعها بخط اليد, ومطبوعة بطريقة بدائية ,وهي توزع سرًا في الوسط الإسلامي, وفي المساجد التي كانت تتخذها الجماعةمقرًا لها خاصة في صعيد مصر..
وهي في هذه الحالة تعد جهدًا إعلاميًا متواضعًا من حيث المادة العلمية ومن حيث الإمكانيات, والذين يقومون بتحرير هذه المجلات والنشرات وإصدار البيانات, هم مجموعة من الطلبة في الغالب تنقصهم الكثير من الخبرة السياسية والرصيد الثقافي..
و بسبب الضغوط الأمنية والصدام مع الحكومة توقفت الجماعة عن ممارسة نشاطها الإعلامي وخفت إلي حد كبير كم المنشورات الذي كانت تغرق به الساحة الإسلامية بين الحين والآخر, وتركز النشاط الإعلامي الخاص بها في محيط عدد من المحامين الناطقين بلسان الجماعة, وبعض عناصر الخارج الذين قاموا بالوساطات بين قيادات الجماعة في داخل السجون وخارج مصر من أجل مبادرات وقف العنف..

الصحافة المساندة

وكان في مقدمة الصحف التي ساندت الإخوان وفتحت لهم الأبواب قبل صدور مجلة الدعوة, مجلة الإعتصام التي كانت تصدر عن الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية, وهي تعد أكبر جمعية دينية في مصر, ومحور نشاطها يدوربعيداً عن السياسة. إلا أن الاعتصام تخطت عقيدة الجمعية ودخلت معترك السياسة في فترة السبعينيات وفتحت صفحاتها للإخوان, بالإضافة إلي تصديها للتيار العلماني والمسيحيين والحكومة في أحيان كثيرة, حتي صدر القرار بالتحفظ عليها واعتقال مديرها في سبتمبر عام ١٨,,(٧)
ثم دخلت المجلة بعد ذلك في معارك مع الأزهر ومع الفنانين, ثم أعلنت تأييدها ومباركتها للثورة الإيرانية بداية, ثم انقلبت

عليها تحت ضغط التيار السلفي والحكومة..
وكانت مجلة الاعتصام قد نشرت عدة بيانات للجماعة الإسلامية قبل انشقاقها, ورصدت الكثير من أخبار التيارات الإسلامية الأخري ,وأعلنت رفضها واستنكارها لمصرع الدكتور الذهبي علي يد جماعة التكفير, كما أعلنت رفضها واستنكارها لسياسة السادات تجاه الكيان الصهيوني..
واستمرت في القيام بدورها الاستفزازي طوال فترة الثمانينيات, وبعد أن أفرج عن مديرها بعد مصرع السادات, إلا أن لهجتها كانت أخف من فترة السبعينيات, كما أن علاقتها بالتيارات الإسلامية وفي مقدمتها الإخوان قد تم تحجيمها..(٨)
إما مجلة المختار الإسلامي فقد ساندت الثورة الإيرانية وكانت تنشر مقالات وأخبار الخميني, بالإضافة إلي بيانات للجماعة الإسلامية ومقالات أخري تدافع من خلالها عن الحركة الإسلامية, بالإضافة إلي مشاركتها في الحملة العدائية ضد الكنيسة والبابا شنوده..
وكان قد تم التحفظ علي مجلة المختار. وصدر أمر بالقبض علي مديرها ضمن حملة سبتمبر أيضًا. ولاتزال تصدر حتي اليوم, إلا أنها قد بدت أكثر إعتدالاً عما سبق خاصة فيما يتعلق بموقفها من إيران..(٩)
وفيما يتعلق بمجلة التوحيد فقد تبنت قضايا التيار السلفي وفتحت صفحاتها لرموزه في مصر والخارج ,كما اتخذت بالإضافة إلي ذلكموقفًا عدائيًا من العلمانيين والشيعة والصوفية محرضة الإسلاميين علي هذه التيارات الثلاثة, وهي بعيدة عن السياسة واستفزاز الحكومة لأجل ذلك لم تشملها قرارات التحفظ التي أصدرها السادات وهي مستمرة في الصدور في خدمة التيار السلفي ونصرة قضاياه..

هوامش

(١)لم تكن مجلة الدعوة من إصدارات الجماعة, وإنما كان مؤسسها صالح عشماوي وصاحب إمتيازها وأحد عناصر الإخوان البارزة التي تحالفت مع عبد الناصر..

(٢) طبعت هذه المقالات في كتاب نشره الإخوان..
(٣) كان الهدف من هذا القانون هو تصفية الصحف الباقية من العصر الملكي..
(٤) قام الإخوان برفع شعارهم من علي غلاف المجلة بعد صدور عدة أعداد, ويذكر أن هذا الخلاف كانت تقف وراءه جهات أمنية..
(٥) كان مصطفي مشهور يكتب مقالة ثابتة في جريدة الشعب وتحت عنوان: حسبنا الله ونعم الوكيل كتب يقول معلنًا براءة الإخوان من حوادث العنف: تفجرت حوادث العنف في مصر منذ ما يقرب من ربع قرن, ولم يشارك في أي منها فرد واحد من الإخوان المسلمين, ولا نفكر في الثأر أو الانتقام بل فوضنا أمرنا إلي الله, ورغم ذلك لم يسلم الإخوان من بعض الأقلام المغرضة التي تلصق الإرهاب والعنف بهم, وتصف الجماعات المعروفة التي تتبني العنف بأنها خارجة من تحت عباءة الإخوان, إن الإسلاميين ـ الإخوان ـ لم يحتلوا النقابات اغتصابًا أو بالقوة وبالتزوير, ولكن بناء علي انتخابات حرة نزيهة تحت إشراف القضاء, وقد قامت هذه النقابات بخدمات جليلة لأفرادها, كما قامت بعض المجالس المحلية التي فاز فيها الإسلاميون بخدمات إجتماعية لجماهير الشعب/ أنظر عدد ٥٩,/ ٥/ ٧٤٨/١٣
(٦) كانت هذه النشرات تصدر في كليات مختلفة..
(٧) كانت مجلة الإعتصام تنشر حديث الثلاثاء لحسن البنا والذي كان يداوم علي إلقاءه في حياته كل ثلاثاء حتي صدرت الدعوة فتولت نشره..
(٨) توقفت مجلة الإعتصام في أواخر الثمانينيات بعد وفاة صاحب امتيازها مفتي الجمعية الشرعية..
(٨) كانت مجلة المختار تقوم بدور مساند لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين, ومقاومة التطبيغزة قبل إغتياع مع الصهاينة ,وكانت دار المختار الإسلامي التي تنشر المجلة قد نشرت كتابًا تحت عنوان: الخميني. الحل الإسلامي والبديل لفتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد في فلسطين. الذي كان يدرس في مصر وقتها, وصدر قرار بالقبض عليه وتمكن من الهروب إلي غزة قبل اغتيال السادات ثم اغتيل بعد ذلك في مالطة , وكان الشقاقي قد أسس في جامعة الزقازيق، التي كان يدرس فيها تيار الطلائع الإسلامية الذي كان يناصر الثورة الإسلامية في إيران ,وارتبط ببعض الاضطرابات التي وقعت في دائرة تلك الجامعة، وقد اعتقلت الحكومة فيما بعد عناصر الطلائع من مصريين وبعض الفلسطينيين، الذين كانوا يدرسون في مصر..

سياسة الحكومة

كانت سياسة الحكومة في مواجهة الحركة الإسلامية طوال العقود الثلاثة الماضية تعتمد علي ثلاث ركائز:
(١) غسيل المخ..
(٢) الضربات الوقائية والتصفية..
(٣) سياسة التوبة..
وبالنسبة لسياسة غسيل المخ، فقد تبنتها الحكومة في بداية الثمانينيات وفتحت أجهزة الإعلام أمام بعض التيارات الإسلامية مثل تيار التكفير والتيار السلفي، ودفعت برجال الأزهر ليوجهوا هذه التيارات بالفكر والحوار..

ولأول مرة تظهر شاشات التليفزيون عناصر إسلامية تمثل تيارات عاملة في الحقل الإسلامي ضمن برنامج **ندوة الرأي**، الذي نقل تركيزه فيما بعد علي المدارس والجامعات والجمعيات الدينية ولم يعد يهتم بالتيارات الإسلامية وقضاياها..
وتبنت جريدة اللواء الإسلامي إحدي الصحف الأسبوعية التي كانت تصدر عن الحزب الوطني نشرحوارات مع جماعة التكفير، والتقت مع عناصرها وقيادتها داخل السجون..
وشارك في ندوات غسيل المخ هذه التي كانت تتم تحت إشراف وزارة الداخلية عناصر مختلفة بعضها ينتمي إلي الأزهر وبعضها ينتمي إلي الحقل الجامعي مثل الدكتورالأحمدي أبوالنور والدكتور أحمد هيكل, بالإضافة إلى بعض الدعاة المستقلين..
وشاركأيضاً عناصر الإخوان، وعلي رأسهم المرشد عمر التلمساني ..
والجدير بالذكر أن الدكتور الأحمدي أبو النور قد عينوزيرًا للأوقاف في تشكيل وزاري لاحق كما عين الدكتور أحمد هيكلوزيرًا للثقافة..
إلا أن الحكومة علي ما يبدو تراجعت عن هذه السياسة بعد أن ثبت فشلها في احتواء التيارات الإسلامية, وبعد أن أعرضت التيارات الإسلامية عنها..
من هنا اتجهت الحكومة إلي سياسة الضربات الوقائية كمحاولة للحيلولة دون نمو التيارات الإسلامية وإجهاضها بصفة مستمرة ويبدو هذا الأمرواضحًا من تمسكها بضرورة استمرار قانون الطوارئ حتي تتاح لها الفرصة للقيام بضربات وقائية للتيارات الإسلامية ما بين الحين والآخر..
تتمثل سياسة الضربات الوقائية في حركة الإعتقالات العشوائية التي يقوم بها جهاز الأمن بصفة دورية في الوسط الإسلامي..
لكن هذه السياسة لم تحقق النتائج المطلوبة فقد كثرت البؤر الإسلامية وبدت ردود الأفعال من قبل التيارات الإسلامية تزداد عنفًا، وقد تمثل ذلك في حوادث كثيرة وصدامات مع رجال الأمن لم تنته..
وجاء حادث الهروب عام ٨٨ الذي شكل ضربة مفاجئة للحكومة، وتسبب في قلق أمني بالغ لها، ليدفع بها لتبني سياسة العنف والتصفية الجسدية في مواجهة العناصر المتطرفة، وقد ظهر هذا بوضوح في طريقة معالجة جهاز الأمن للحادث والأحداث اللاحقة طوال فترة التسعينيات..
وفي داخل السجون والمعتقلات تعرض العناصر الإسلامية لصور مختلفة من التعذيب النفسي والجسدي..
ويبدو أن تزايد ارتباط الحكومة بالسياسة الأمريكية والتواجد الإسرائيلي في مصر كان لهما أثرهما في سياسة العنف والتصفية الجسدية التي تبنتها الحكومة في مواجهة الحركة الإسلامية علي الرغم من أن هذه السياسة لها محاذيرها الأمنية المضرة بها..
ومن جهة أخري فهناك جانب اقتصادي لسياسة العنف هذه يتمثل في ضرورة إثبات قدرة الحكومة علي تحقيق الأمن والاستقرار كلما لزم الأمر حتي لا يصور الواقع المصري بصورة أمنية مهزوزة تهدد حركة الاستثمار والقروض الأجنبية..
وأمام الحركة الإسلامية أوجدت الحكومة ثلاث أجهزة كانت تقف لها بالمرصاد, وكل جهاز كان يعالج الأحداث التي تجري علي ساحتها معالجة تدور في محيط سياسة العنف والشدة التي تتبناها الحكومة..
وهذه الأجهزة الثلاثة هي:
ـــ جهاز مباحث أمن الدولة..
ـــ جهاز نيابة أمن الدولة..
ـــ جهاز الإعلام..
كان جهاز الأمن يقوم بحملات اعتقال عشوائية، ثم يستخلص من بين المعتقلين مجموعة من العناصر يصنع لها قضية تحت الإكراه ويقدمها للنيابة..
وجهاز النيابة. يتناول القضية من جهاز الأمن ويبدأ في نسج الخيوط القانونية لها وسد ثغراتها وإظهارها بمظهر قضية الموسم..
ويأتي دور جهاز الإعلام بعد ذلك في صنع المانشيتات وإذاعة الأخبار ونشر التقارير التي تصل إليه من جهاز المباحث والنيابة ,والتي تصور الأمر بصورة مفزعة مضخمة تشد انتباه الرأي العام..

والسياسة الإعلامية التي تنتهجها الحكومة تجاه الحركة منذ الخمسينيات تعتمد علي التشويه والسخرية ونشرالأكاذيب..
وهذه السياسة أسهمت في زيادة حدة العداء بين الحركة والحكم..
وقد أدت هذه السياسة إلي إحداث حركة غليان بين المحامين، خاصة الإسلاميين منهم, الذين فقدوا الثقة في جهاز النيابة وقد أقاموا المؤتمرات والاعتصامات في مقر نقاباتهم لحتجاجًا علي هذه الأوضاع غير القانونية..
إلا أن الحكومة استمرت على هذه السياسة ، ثم جاءت بعد ذلك ظاهرة اقتحام المساجد من قبل قوات الأمن , والتي بلغت أكثر من أربعين مسجدًا في أماكن متفرقة من أنحاء البلاد..
ونتج عن هذه المداهمات وقوع العديد من الإصابات بين المصلين, واعتقال المئات من العناصر الإسلامية..
وظاهرة اقتحام المساجد هذه إنما تعكس مدي سياسة الشدة والعنف والتي تستخدمها الحكومة في مواجهة التيارات

الإسلامية, وقد ولدت ردود فعل سلبية لدي التيارات الإسلامية, وخاصة تيار الجماعة الإسلامية الذي كان رد فعلهعنيفاً تجاه هذه الممارسات..
وهو ما دفع بوزير الداخلية محمد عبد الحليم موسي للخروج عن حدود هذه السياسة, وفتح حوار مع الجماعة بواسطة بعض الرموز الإسلامية كان علي رأسها: الشيخ الشعراوي والشيخ الغزالي والشيخ كشك..
وكان الرد هو الإطاحة به من الوزارة ليتسلمها منه الألفي الذي سار على نفس السياسة..
ومع ازدياد حدة المواجهة مع تياري الجهاد والجماعة الإسلامية اضطرت الحكومة للرضوخ لسياسة الحوار لتدفع بمجموعة من العلماء من خارج دائرتها فيما سمي بالمجلس الرسمي المستقل, والذي ضم الشيخ الشعراوي والشيخ الغزالي والدكتور الطيب النجار ليفتحوا مع الشباب المسلم وتياراته،..
وتم عقد مؤتمرًا في الجامع الأزهر طالبوا فيها الإسلاميين بنبذ العنف، وتبني الدعوة الحاكمة والموعظة الحسنة، وحرص المشاركون في المؤتمر علي التأكيد أنهم ليسوا من علماء السلطة،..
وكان هذا المؤتمر بتاريخ ١/١/ ,٩٨٩١وقد حضره جمع غفير من الناس ولم تحضره عناصر التيارات الإسلامية, وحدث أثناء المؤتمر هياج بعد كلمة الشعراوي, وعلت هتافات الحاضرين بسبب الريان ، مطالبة العلماء بالتدخل لدي الحكومة للإفراج عن ودائعهم لدي شركاته..
وكان الدكتور عمر عبدالرحمن قد رفض البيان الصادر عن هذا المؤتمر وقال: لو كان هذا البيان صدر عن مباحث أمن الدولة لقلنا جهة معروفة بانحرافها، ولكنه بيان صادر عن لجنة من العلماء ينتظر منها شعب مصر أن تقول كلمة الحق، ولا تخاف في الله لومة لائم، فياحسرة علي ما فرطوا في جنب الله..
وقد تعرض البيان لهجوم شديد من الشخصيات البارزة في الوسط الإسلامي وفي مقدمتهم الشيخ: المحلاوي, كما هاجمه عبود الزمر في بيان أصدره من داخل السجن..
والجدير بالذكر أن المجلس الإسلامي المستقل الذي أسس بقرار من وزير الأوقاف يضم بعض عناصر من الإخوان علي رأسهم الدكتور يوسف القرضاوي..
ونتيجة لاستمرار الحكومة في مواجهة الحركة الإسلامية بالعنف البوليسي والعنف الإعلامي, فقد تفاقم الصراع وطال أمده..
ويكمن مأزق الحكومة في أنها حصرت صورة المواجهة مع الحركة في الدائرة الأمنية، وتناست الأبعاد الحقيقية للمشكلة تلك الأبعاد التي تكمن في الفكر السلفي والواقع الاجتماعي، وكلاهما أي الفكر والواقع، يؤكد أن أن القضية لا تنحصر في حدود تيار الجهاد وحده,وأن سياسة التوبة التي تبنتها الحكومة مؤخرًا لم تجدي شيئًا وليس هناك ما يؤكد نجاحها استئصال التطرف من واقع الحركة..

الأزهر والحركة

كان الأزهر متعاطفًا بل متعاونًا مع جماعة الإخوان طوال فترة الثلاثينيات والأربعينيات، بل استطاعت الجماعة أن تستقطب الكثير من رجاله إلي صفوفها وعلي رأسهم الشيخ الباقوري، والشيخ الغزالي، والشيخ السيد سابق، والشيخ طنطاوي جوهري والشيخ محمد فرغلي وغيرهم..
إلا أن فترة الخمسينيات جاءت بأحداثها لتدفع بالأزهر إلي إتخاذ موقف معاد للإخوان والتيارات الإسلامية من بعد، استمر حتي اليوم, وكان تبني الأزهر هذا الموقف نتيجة لتحالفه مع عبد الناصر، وتحوله إلي مؤسسة تابعة للدولة..

ـ بين عبد الناصر والإخوان

أحدث غياب الإخوان عن الساحة الإسلامية في مصر فراغًا كبيرًا أوجب علي عبد الناصر أن يسعي لسد هذا الفراغ..
ولم تكن هناك مؤسسة إسلامية يمكن أن تحل محل الإخوان وتلقى قبولاً في نفوس المسلمين على مستوى مصر وخارجها سوى الأزهر،..
وكان الأزهر حتى هذه الفترة ليس له دور يذكر علي الساحة المصرية، فقد سلبه الإخوان دوره وخطفوا الأضواء منه.
وكانت السلطة الملكية لا تولي اهتمامًا كبيرًا به، ولم تكن بحاجة إليه فقد كانت حاجتها للإخوان والأحزاب أكبر..(١)
إلا أنه بعد سقوط الملكية وغياب الإخوان أصبحت هناك حاجة ملحة وشديدة للأزهر من قبل الحكم الجمهوري. وأصبح للأزهر حاجة شديدة أيضًا لهذا الحكم..
من هنا فرضت فكرة التحالف نفسها علي الأزهر وعبد الناصر..
عبد الناصر في حاجة إلي غطاء إسلامي..
والأزهر في حاجة لدفعة حكومية للبروز علي الساحة واستعادة دوره المفقود..
وبدأ الأزهر دوره في دعم موقف عبد الناصر تجاه الإخوان، وإضفاء المشروعية عليه وعلي نظام حكمه وسياسته الداخلية والخارجية,وقام بإصدار البيانات التي تدين جماعة الإخوان وتشكك في إرتباطها بالإسلام وتنسبها إلي أعداءه..
وعلي رأس هذه البيانات البيان الذي أصدره شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج بعد حادثة المنشية ونسب جماعة الإخوان إلي الخوارج.,(٢)
والبيان الصادر عن جماعة كبار العلماء الذي تبرأ من الإخوان ولعنهم..(٣)
وباسم الأزهر صدر بيان استنكار لحادث المنشية ورفض الإخوان وتأييد الثورة..(٤)
وقد أصدر الأزهر منشورًا تحت عنوان **(إخوان الشياطين)** ضم الكثير من المقالات التي تهاجم الإخوان, وتطعن فيهم وتشوه صورتهم كتبت بأقلام الكثير من علماء الأزهر وكتاب آخرين..
وتسلم الأزهر مساجد الإخوان كما تسلم خطبة رسمية تمجد عبد الناصر ونهجه, أخذ يرددها في مساجد مصر بهدف تطويق فكر الإخوان، واستقطب الجيل الجديد من الإسلاميين الذي تأثر بفكر الإخوان..
وأعلن أحد رجال الأزهر علي صفحات مجلة الأزهر أن عبد الناصر هو المهدي المنتظر الذي سوف يخلص البشرية من الفساد ويرسي دعائم العدالة الاجتماعية.,(٥)
وفي أحداث عام ٥٦ قام الأزهر بنفس الدور في مواجهة حركة سيد قطب, وأصدر البيانات والكتابات التي تتهمه بالدعوة للفتنة والتخريب والإفساد في الأرض باسم الدين, وقد شمل الهجوم والتشويه جماعة الإخوان وقادتها, وتزعم هذه الحملة شيخ الأزهر في ذلك الوقت حسن المأمون..
وكتب رئيس لجنة الفتوي بالأزهر كتابًا يرد فيه علي قطب في كتابه **(معالم في الطريق)** اتهم فيه قطب بالهوس وشبهه بإبليس وحذر المسلمين منه ولم ينس أن يمدح عبد الناصر وإنجازاته ويصب لعناته علي الإخوان.,(٦)
وفي المقابل أخذ الأزهر في العهد الناصري امتدادًا دوليًا, وانطلقت بعثاته تجوب آفاق العالم الإسلامي، وفتحت أبوابه للبعوث الإسلامية من كل مكان بغرض تلقي العلم والدراسة..
ولما كانت علاقة عبد الناصر بالسعودية وإيران الشاه مقطوعة, كان الأزهر على علاقة جيدة بالشيعة والمؤسسات الشيعية في النجف بالعراق, وعلى علاقة سيئة بالسلفية الوهابية..
إلا أن الأزهر في النهاية تلقي من عبد الناصر ضربة قاضية حين أصدر قرارًا بتطويره ليتجاوز حدود الدين إلي الدراسات العلمية والعملية الأخري، وبالتالي فقد ميزته وأصبح شأنه كشأن الجامعات الأخري,,(٧)

بين السادات والجماعات

وكان السادات قد تبني اتجاهًا مغايرًا لاتجاه عبد الناصر، فمن ثم أصبح في حاجة إلي إضفاء المشروعية علي هذا الاتجاه، كما هو حال عبد الناصر من قبله. وهو ما دفع به شعار **(دولة العلم والإيمان)**..
وأعلن المصالحة مع الإخوان المسلمين. في الوقت الذي ارتبط فيه بالأزهر, وقرر التعامل مع الأزهر بصورة تختلف عن تعامله مع عبد الناصر. وكذلك كان السادات يعامله بصورة مخالفة. لذا كان إرتباط الأزهر بالسادات أكثر من إرتباطه بعبد الناصر..
ووجد الأزهر في السادات مثال الحاكم المؤمن وعاد إلي موقفه السابق من جماعة الإخوان الذي كان يتخذه طوال الثلاثينيات والأربعينيات..(٨)
ولم تحدث طوال فترة السبعينيات أية بادرة عدائية من الأزهر تجاه الإخوان, وذلك الموقف يعود بالطبع إلى التحالف غير المعلن بين الإخوان والسادات , لكنه تبني خط العداء أو المواجهة مع التيارات الأخري التي ناصبت السادات العداء، وبدأت في ارتكاب بعض الأحداث, وبث الأفكار العدائية للحكم والمجتمع،وعلي رأس هذه التيارات تيار الجهاد وتيار التكفير..
ولما كانت علاقة السادات بإيران الشاه علي ما يرام طوال تلك الفترة, فلم تكن هناك أية بوادر عداء للشيعة من قبل الأزهر, لكن الأمر اختلف بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران, وإعلان السادات عداءه لها..
وسيراً مع سياسة السادات تبني الأزهر موقف العداء للشيعة وأعلن الحرب عليها. ولازال مستمرًا في موقفه هذا حتي اليوم, وقد انعكس موقفه هذا علي التيار الشيعي في مصر الذي نال نصيبه من حملات الهجوم والتشويه التي شنها الأزهر علي الشيعة مذهبًا وأتباعًا.,(٩)

بين الثمانينيات والتسعينيات

وجاءت فترة الثمانينيات بأحداثها الكبيرة والخطيرة لتدفع بالأزهر إلي تبني موقفًا عدائيًا أكثر صراحة ووضوحًا وتحد في نفس الوقت, وموقفه في هذه الفترة لم يتغير عن فترة السبعينيات, إذ مازال ينحصر في دائرة مواجهة التيارات المعادية للحكم، وهي تيار الجهاد وتيار التكفير، وازداد موقفه حدة تجاه الشيعة وإيران مع اشتعال الحرب العراقية الإيرانية تماشيًا مع موقف مبارك المتحالف مع السعودية والعراق..
وتغاضى عن السلفية الوهابية التي كانت تشاركه الحرب الإعلامية على الشيعة وإيران, والتي تمكن العديد من عناصرها من اختراقه ليشكلوا فيما بعد جبهة علماء الأزهر التي تم حلها في عهد الراحل طنطاوي..

وقد قام الأزهر بدور ملحوظ في نقد فكر الجهاد بعد وقوع حادث الإغتيال عام ١٨، وأصدر منشورًا نقديًا لكتاب الفريضة الغائبة علي لسان شيخ الأزهر جاد الحق الذي كان يتولي منصب المفتي في ذلك الوقت، وعلي لسان الشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوي بالأزهر آنذاك..(٠١)
وجاء في تقرير الأزهر عن الكتاب ما يلي: أطلعنا علي صورة ضوئية لهذا الكتاب في أربع وخمسين صفحة, وقد احتوي في جملتها علي تفسيرات لبعض النصوص الشرعية من القرآن والسنة وعني بالفريضة الغائبة. الجهاد, داعيًا إلي إقامة الدولة الإسلامية, وإلي الحكم بما أنزل الله, مدعيًا أن حكام المسلمين اليوم في ردة, وأنهم أشبه بالتتار يحرم التعامل معهم أو معاونتهم ,ويجب الفرار من الخدمة في الجيش, لأن الدولة كافرة ولا سبيل للخلاص منها إلا بالجهاد , وأن أمة الإسلام تختلف في هذا عن غيرها من الأمم في أمر القتال وفي الخروج علي الحاكم..
وأن القتال فرض علي كل مسلم, وأن هناك مراتب للجهاد، وليست مراحل للجهاد,وأن العلم ليس هو كل شيء, فلا ينبغي الانشغال بطلب العلم عن الجهاد والقتال, فقد كان المجاهدون في عصر النبي (ص) ومن بعده في عصور التابعين. وحتي عصور قريبة ليسو علماء، وفتح الله عليهم الأمصار، ولم يحتجوا بطلب العلم, أو بمعرفة علم الحديث وأصول الفقه, بل إن الله سبحانه وتعالي جعل علي أيديهم نصرًا للإسلام, ولم يقم به علماء الأزهر يوم أن دخله نابليون وجنوده بالخيل والنعال, فماذا فعلوا بعلمهم أمام تلك المهزلة؟ ,وآية السيف نسخت من القرآن مائة آية وأربعًا وعشرين آية..
وهكذا سار الكتاب في فقراته كلها داعيًا إلي القتال والقتل.,(١١)
ثم أسهم الأزهر بعد ذلك في ندوات (غسيل المخ) التي كانت تقام داخل السجون للمعتقلين من مختلف التيارات الإسلامية. تلك الندوات التي شارك فيها الكثير من رموزه..(٢١)
ولم ينحصر دور الأزهر في محيط الخارج أي مطاردة التيارات الجهادية والتكفيرية ومحاصرتها فكريًا, بل تجاوز هذا الدور إلي العمل علي تطهير صفوفه من الرموز والعناصر المتعاطفة أو المنتمية لأي من التيارات الإسلامية، والتضييق علي النشاطات الطلابية داخل جامعة الأزهر، وفصل الطلاب الموالين للتيارات الإسلامية..(٣١)
ومع دخول مرحلة التسعينيات وتعدد الصدامات بين تيار الجهاد والحكومة ازداد موقف الأزهر تطرفًا تجاه تيار الجهاد. وتصدر شيخ الأزهر بنفسه المواجهة الفكرية معه علي صفحات الصحف وشتي المنافذ الإعلامية..
وقال شيخ الأزهر تعليقاً على حادث طائفي وقع بصعيد مصر: إن هؤلاء ممن يسمون بالمتطرفين لا يجب أن نسميهم هكذا, فعن أي شيء تطرفوا, وهم لا ينسبون إلي الإسلام أصلاً , وكيف أنسبهم إلي الإسلام وهو دين العدل الإلهي الذي أوضح أنه من يقدم علي جريمة القتل قد تخلي وقت ارتكابه الجريمة عن إسلامه؟,لأن الرسول (ص) يقول (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن. ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن) ولهذا فإنه من الإنصاف أن نبحث لهؤلاء القتلة عن صفة أو أسم آخر يناسب ما ارتكبوه من جرائم..(٤١)
وكان شيخ الأزهر قد أصدر بيانًا في أواخر الثمانينيات شجب فيه أعمال العنف ونشاطات التيارات الإسلامية داخل المساجد، وقال: إن هذه الجرائم يرفضها الإسلام، ويجب علي الأمة أن تقف ضدها وضد من يرتكبونها..
وقال إن إتخاذ المساجد مقرًا لممارسة العنف خروج علي شرع الله, وإن ترويع الآمنين جريمة من أبشع الجرائم التي يدينها الإسلام، وما كان في الإسلام جماعات أو جمعيات تخترق النظام الذي ارتضاه الناس لحياتهم في ظل أحكام الله وشريعته,والأزهر الشريف يدعو أولئك الذين ضلوا الطريق أن يعودا إلي رشدهم.,(٥١)
وقد شكل الأزهر بالتعاون مع وزارة الأوقاف ما سمي بقوافل الدعوة التي تهدف إلي التجول في مدن مصر لتوعية الشباب ومحاصرة أفكار التيارات الإسلامية المتطرفة,وشارك في هذه القوافل عدد من الرموز الإسلامية منهم الشيخ الغزالي..
وكان المفتي ـ طنطاوي وقتها ـ ووزير الأوقاف حينئذ ـ قد توجها إلي أسيوط في ٧٨٩١/٩/٦١ للاجتماع بقيادات الجماعة الإسلامية هناك بتوجيه من مبارك،..
وحاول المفتي من خلال هذا اللقاء إقناع الجماعة أنه لا عداء بين الحكومة والشباب المسلم, ووقع نقاش حاد بين الطرفين حول تطبيق الشريعة وإقتحام المساجد، والصدامات التي كانت وقعت بين أفراد الجماعة ورجال الأمن..
ويذكر أن أفراد الجماعة صلوا ظهر الجمعة خلف المفتي الذي قدمه أميرهم ليلقي الخطبة..

الهوامش

(١) لم تكن فكرة العلمانية تفوح من النظام الملكي,كما لم يبدر منه ما يسئ إلي الإسلام علانية ويستفز المسلمين, كما هو حال الأنظمة الجمهورية التي قامت من بعد, والتي أصبحت في حاجة إلي المشروعية الإسلامية كي تبرر بها مواقفها ومعتقداتها الجديدة..
.(٢) صدر هذا البيان بتاريخ ٤٥/١١/٦١,

(٣) نشر هذا البيان بجريدة الأهرام عدد ٤٥/١١/٨١,,
(٤) أنظر جريدة الجمهورية أعداد الأسبوع الأول من سبتمبر عام ٤٥,,
(٥) أنظر مجلة الأزهر عدد يناير/٣٦٩١,,
(٦) هو الشيخ عبد اللطيف السبكي, أنظر وثائق الكتاب..
(٧) عارض بعض رجال الأزهر فكرة التطوير إلا أنهم نحوا جانبًا..
(٨) شارك العديد من علماء الأزهر في مناسبات الإخوان, كما كتب بعضهم في مجلة الدعوة الناطقة بلسان الإخوان، وعلي رأسهم الشيخ محمد حسين مخلوف, وكان مرشد الراحل عمر التلمساني قد أثني علي الأزهر في مقاله كتبها بالدعوة عدد ٤١ يوليو/ ٧٧,
..(٩) هاجم شيخ الأزهر الحالي وكثير من رموز الأزهر الشيعة, أنظر فصل الشيعة من الكتاب, وأنظر كتابنا الشيعة في مصر
(٠١) أصدر الأزهر هذا الرد في ملحق مع مجلة الأزهر عدد المحرم عام ٤١٤١هـ. وكان شيخ الأزهر الراحل جاد الحق قد تقدم بمشروع لمعالجة التطرف يتكون من ثلاثة عشر نقطة..
(١١) أنظر تفاصيل الرد في ملحق مجلة الأزهر..
(٢١) من الرموز الأزهرية التي شاركت في هذه الندوات: الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر، ومحمد سعدي فرهود وكيل الأزهر. والحسيني هاشم أمين عام مجمع البحوث الإسلامية وموسى لاشين والأحمدي أبو النور وزير الأوقاف وشئون الأزهر..
(٣١) تسامح الأزهر بعض الوقت مع الجماعة الإسلامية الإخوانية، والتي كانت قد أقامت معسكرها الأول بجامعة الأزهر في ٧٧/٧/٠٣,,
(٤١) الأخبار عدد ٢٩/٥/٣١، وقد هاجم شيخ الأزهر طنطاوي الجماعة الإسلامية بعد حادث الأقصر بقوله: عندما يأتي جماعة من المجرمين، الأنذال الغادرين ويقولون نحن قتلنا باسم الجماعة الإسلامية. هؤلاء كذابون ودجالون، والذين يصفونهم بالإسلامأيضًا كذابون ودجالون مثلهم, أنظر الأهرام العربي عدد رقم ٧٣ ٦بتاريخ٦ /٧٩٩١/٢١,,
(٥١) نشر هذا البيان في الصحف بتاريخ ٨٨/٢١/٦٢، وكانت الجماعة الإسلامية قد إستفزها موقف الأزهر , فأصدرتمنشورًا هاجمته فيه تحت عنوان: **الله أكبر فليستقل شيخ الأزهر** ,وهو من وضع عمر عبد الرحمن, كما أصدرت مجلة سرية بعنوان: **صوت الأزهر** موجهة لعلماء الأزهر وشبابه..

الأزمة

ظواهروممارسات..
الجمود والتصحيح..
المأزق..

الشريعة..
تشويه الإسلام..

من الماضي إلىالحاضر كانت أزمة الحر كة ، أزمة في التلقي و في التطبيق..

أما أزمة التلقي فتتمثل في انحيازها للخط السلفي وعقل الماضي وإهمالها المصادر الأخرى..

وأما أزمة التطبيق فتتمثل في الممارسة العملية للحركة على ساحة الواقع تلك الأزمة الناتجة عن أزمة التلقي..

وهو ما أدى لازدياد الهوة بين الحركة والواقع، وبين الحركة والجماهير, وهذا هو المأزق الحقيقي للحركة النابع من أزمة التلقي و التطبيق..

وتناول هذه الأزمة يلزمنا الخوض في الماضي وتشريحه ,كما يلزمنا الخوض في الحاضر أيضاً..

والخوض في الماضي سوف يؤدي بنا إلى تحطيم الكثير من المحاذير السلفية التي نتجت منها أزمة التلقي..

والخوض في الحاضر سوف ينتج عنه تحديد التجاوزات والانحر افات التي نتجت منها أزمة التطبيق..

- **بين الماضي والحاضر**

ويمكن تحديد الدوافع التي أدت إلى تمسك الحركة بعقل الماضي أو الطرح السلفي فيما يلي:

- الفجوة القائمة بين الواقع والإسلام..
- افتقاد القدوة الحسنة..
- سياسة الحكومات..
- انعدام الوعي والخبرة..
- افتقاد الكوادر الفاعلة في دائرتها..
- التربية والنشأة الفكرية لعناصرها..
- اخفاق المؤسسات الدينية..

وهذه الدوافع لا تزال تعيش في واقع الحركة وطالما ظلت باقية فسوف تظل حالة الانغماس في الماضي قائمة، وسوف تظل تأثيرات الماضي صاحبة النصيب الأكبر في مواقف الحركة وتصوراتها..

وعلى ضوء ما سبق يمكن القول أن الحركة ورثت من السلف ما يلي:

- التبرير الشرعي للتطرف..
- التعصب والانغلاق..
- تحجيم دور العقل..
- رفض الآخر واستباحته..

وارتبط تأثير الحاضر في واقع الحركة بتأثير الماضي، أي أن تأثير الحاضر يؤدي دوره وفق تأثير الماضي وفي ظله..

إن ارتباط الحركة بالعقل السلفي ألزمها بعدم قبول أي تأثير إلا في محيط هذا العقل..

من هنا كان تأثير الحاضر هو امتداد لتأثير الماضي في دائرتها..

وإن دائرة التلقي في الحاضر إنما تدور وفق قواعد السلف وعقائدهم..

ومن هنا فإن تأثير الماضي فتح الباب للوهابية لتكون صاحبة التأثير الأكبر في واقع الحركة لكونها صوره دقيقة من الماضي. أو بمعنى أدق صورة معاصرة للحنابلة القدامى أو السلف..

وتلاشي أمام تأثير الوهابية تأثير الإخوان والقطبيين..

وليس من بين تأثيرات الحاضر السياسة والمتغيراتوحتى التجارب التي عاشتها الحركة, فإن تأثير الماضي حجب كل هذا وبدا وكأن الحركة تريد أن تنقل الماضي إلى الحاضر لا أن تعيش هي الحاضر..

يمكن تحديد نتائج هذه التأثيرات فيما يلي:

أولاً: دفع هذه التأثيرات بالحركة إلى التطرف في مواجهة الواقع والمخالفين, وهذا دفع بها إلى تكفير المجتمعات والحكام ورفع لواء الجهاد في مواجهتهم, ودفع بها من جانب آخر إلى تبني موقفاً سلبياً تجاه قضية الحريات والاعتراف بالآخر, أو حتى مشاركته في أنشطة الواقع..

ثانياً: كان من نتائج هذه التأثيرات أن عاشت الحركة على حساب الماضي وأهملت تأسيس نظرية واقعية للعمل الإسلامي..

ثالثاً: فقدت الحركة القدرة على إبراز نموذج للحكم الإسلامي يجذب الجماهير ويحظى بثقة التيارات الأخرى..

رابعاً: أدت هذه التأثيرات إلى عزلة الحركة عن الواقع وعزلة المسلمين عنها..

خامساً: فقدت الحركة الوعي السياسي وفقه الواقع وهو ما أوقعها في الفخ الأفغاني الذي دفعت ثمنه غالياً..

ظواهر وممارسات.

وبرزت في ساحة الحركة مجموعة من الظواهر والممارسات لفتت الانتباه، وكانت لها انعكاساتها علي واقعها وعلي المسلمين خارج دائرتها, ويعود بروز هذه الظواهر والممارسات إلي الأسباب التالية:

ـ ضغوط الحكومة..

ـ تواتر الأحداث وتلاحقها علي الساحة الإسلامية..

ـ الطبيعة المصرية..

ـ الطابع السلفي..

لقد أدت ضغوط الحكومة طوال العقود السابقة إلي تقوقع الكثير من الشخصيات البارزة في ساحة الحركة مثل الشيخ المحلاوي، والشيخ حافظ سلامة..

وأدى كم الأحداث المتلاحقة إلي إحداث بعض التصدعات في بنيتها وارتداد العديد من عناصرها..

ارتد العديد من الشباب عن الإخوان..

وارتد العديد من عناصر الجهاد..

والعديد من العناصر الفاعلة قررت الهجرة للخارج وعلى رأسها عمر عبد الرحمن وأيمن الظواهري..

وتوزعت العديد من العناصر الأخرى بين السعودية واليمن والعراق وباكستان..

وقد استقطبت السعودية أكبر عدد من هؤلاء المهاجرين تليها اليمن ثم العراق التي استوطن بها عدد من عناصر التكفير..

وحركة التفريخ مستمرة في واقع الحركة ومن الصعب التنبؤ بما سوف تحدثه هذه التعددية الغريبة من آثار ونتائج علي مستقبلها, إلا أن ما يمكن ذكره في هذا المجال أن الأحداث والتجارب التي مرت بها الحركةمؤخرًا قد تمخضت عن توجهات جديدة تسعي للتحرر من الإطار السلفي..

والملفت هو ظهور حركة تنقلات العديد من العناصر بين التيارات المختلفة..

عناصر من الجهاد والتكفير تتجه نحو السلفيين..

وعناصر من الإخوان والتكفير والسلفيين تتجه نحو الشيعة..

ويمكن القول أن ضغوط الحكومة علي الحركة في الفترات السابقة قد أتت بنتائج عكسية, إذ أسهمت في تنامي الأفكار العدائية للواقع, وبروز الأفكار الجهادية، مما أدي إلي محاصرة التيارات المعتدلة وتفلت عناصرها إلي صفوف التيارات المتطرفة..

ومن الظواهر التي ارتبطت بالطبيعة المصرية والطابع السلفي, ظاهرة شركات توظيف الأموال, تلك الشركات التي استثمرت ميل المصريين للدين وخوفهم من الوقوع في الحرام والتعامل بالربا, فرفعت شعار الربح الحلال، وبعض الشعارات الإسلامية الأخري , وكانت النتيجة أن تدفقت الجماهير لتستثمر أموالها في دائرة هذه الشركات..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل كانت شركات توظيف الأموال من الظواهر التي يمكن ربطها بالحركة الإسلامية؟

والحق أنه لا يمكن نفي هذه الصلة، ولا يمكن إثباتها في نفس الوقت, إذ إن تيار الإخوان كان أول من أرسي دعائم تلك الشركات، ثم تبعته بعد ذلك العناصر الإسلامية وأغلبها عناصر مستقلة وغير مصنفة..

وعلي الرغم من أن هناك شركات إخوانية وأخري يمكن تسميتها بالسلفية, إلا أنه لا يمكن ربط النشاط الاقتصادي لهذه الشركات بالتوجه العقدي لهذين التيارين، فقد كانت مجرد شركات ترفع الشعار الإسلامي, وتتعامل بالطريقة الإسلامية لكن هدفها الأساسي هو تحقيق الربح ..

والهجمة علي هذه الشركات وضربها يعود لأسباب أمنية واقتصادية..

الأسباب الأمنية تكمن في خوف الحكومة من أن تكون هذه الشركات واجهة أو صورة من صور الدعم الاقتصادي للجماعات..

والأسباب الاقتصادية تكمن في خوفها من إحداث هزة لحركة الاستثمار والبنوك..

هذا بالإضافة إلى أن سقوط هذه الشركات سوف يؤدي لإضعاف الثقة بين الشارع والإسلاميين..

والطبيعة المصرية التي تتميز باللين والتقوقع على لقمة العيش, شكلتدعماً للحكومة في مواجهة الحركة ,كما أن الطابع السلفي أسهم في دعم الانشقاق وتبرير فكرة الاستحلال والعزلة..

ومن الظواهر الملفتة الأخرى ظاهرة اختفاء تيار الجهاد ومظاهر التطرف من وسط الأحياء الشعبية الشهيرة مثل حي إمبابة وبولاق وعين شمس والمطرية وشبرا, وكذلك مدن الصعيد وعودة الهدوء إليها بعد أن كانت مناطق ملتهبة تشكل عبئًا أمنيًا علي الحكومة..

ويعود السبب في ذلك إلى الطبيعة المصرية ذات النفس القصير..

وظاهرة بروز التيار الشيعي واستقطابه العديد من العناصر من شتي التيارات الإسلامية الأخري, وحتى من رجال الأزهر, بالإضافة إلي دخوله في معارك فكرية معلنة مع السلفيين والأزهر..

وتموج الساحة الإسلامية بالعديد من الممارسات التي تعكس الطابع السلفي, كما تعكس انعدام الوعي، وتدني الخلق والاستعلاء علي الآخرين لدي عناصر التيارات الإسلامية..

ومثل هذه الممارسات إن دلت علي شيء فإنما تدل علي أن هناك خلل في مصدر التلقي الذي تعتمده هذه التيارات وهو

المصدر السلفي..
ومكمن الخلل يرتكز في انعدام الموائمة بين هذا المصدر وبين الواقع, ومحاولة هذه التيارات تحقيق هذه الموائمة بتطبيقات خاطئة..
ويمكن حصر ممارسات التيارات الإسلامية في صورتين:
الأولي: ممارسات ذات طابع فقهي..
الثانية: ممارسات ذات طابع خلافي..
ومن بين الممارسات ذات الطابع الفقهي محاربة الصور والمصورين لكونها من المحرمات ..
وهذا التحريم سنده مجموعة من الروايات المنسوبة للرسول (ص) ..(١)
ومثل هذا الموقف يتخذه تيار الجهاد والجماعة الإسلامية , أما تيار التكفير والسلفيين فيحرمون الصور جملة.,(٢)
وهو ما يعكس مدي حالة الانغلاق وسيطرة الطابع السلفي علي هذه التيارات..
ومن صور الممارسات الأخرى:
التعصب لمسألة اللحية والنقاب, حيث أن حلق اللحية وكشف وجه المرأة حرام..
وهذا موقف تتبناه جميع التيارات الإسلامية باستثناء الشيعة, حتي أن الإخوان قد استدرجوا لتبني مسألة اللحية والنقاب..(٣)
مواقعة الزوجات داخل السجون من قبل الأزواج المعتقلين, ودخول عمر عبد الرحمن بزوجته الثانية في السجن..
إقامة الحد علي أحد المساجين بسبب تعاطيه المخدرات وذلك في سجن القناطر عام ٣٨,,
الاعتداء علي المساجين داخل السجن بسبب ارتداء ملابس تكشف العورة أو بسبب لعبهم الطاولة أو سماعهم الغناء..(٤)
الاعتداءات علي حفلات الموسيقي وصور الترفيه والطالبات المتبرجات..
إحراق الأضرحة في بعض قري الوجه البحري من قبل بعض العناصر السلفية والجهادية..
الاعتداء علي الأفراح وحفلات الزواج التي تقام في الأحياء الشعبية بسبب استخدامها للموسيقي والغناء.
الاعتداء علي دور العرض والمسارح ونوادي الفيديو إحراقها..
رفض العمل في الحكومة ودخول الجيش والتعليم عند بعض التيارات..
وممارسة الأعمال السوقية مثل بيع العطور والملابس وعسل النحل في الطرقات, وتبدو هذه الممارسات لدي تيار التكفير والسلفيين..
ومثل هذه الممارسات إنما تقوم بها هذه التيارات علي أساس تطبيق مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..
أما الممارسات ذات الطابع الخلافي فتتمثل في الصدامات العنيفة بين التيارات الإسلامية وبعضها بسبب الصراع علي المساجد، وبسبب المواقف من الحكومة, وبسبب قضايا فقهية مثل قضية النقاب..
ومن هذه الممارسات الصدامات التي كانت تقع بصعيد مصر بين الجماعة الإسلامية وتيار الإخوان بسبب مواقف الإخوان ونشاطاتهم داخل جامعة أسيوط والمنيا وبسبب موقفهم من الحكومة..
والصدامات التي كانت تقع بين جماعة الجهاد وبين الجماعة الإسلامية داخل السجون بسبب الخلاف حول قضية العذر بالجهل, وإمارة عمر عبد الرحمن..
والصدامات التي وقعت بين تيار التكفير وبين خصومه في فترة السبعينيات..
والصدام بين هذه التيارات والشيعة..
وتتخذ التيارات الإسلامية باستثناء تياري الإخوان والشيعة ـموقفًا تعصيبًا تجاه المرأة وحريتها. ذلك الموقف الذي يقوم في الأساس علي فقه الماضي..
ويبدو ذلك الموقف بوضوح في مسألة النقاب والذي تجمع هذه التيارات علي وجوبه وفرضه علي المرأة ومحاربة الذين يحاولون التقليل من أهميته ووضعه الشرعي..
وقد وقعت في مدينة المنصورة حادثة مؤسفة تتعلق بموضوع النقاب وترتبط بالتيار السلفي,حيث قام أحد أفراد التيار بتعذيب ابنته الصغيرة لإجبارها علي ارتداء النقاب حتي ماتت تحت التعذيب..(٥)
ويشهد الواقع ازدياد الهوة بين الإخوان وبين التيارات الأخري, مما دفع بالإخوان إلي إصدار منشور يدافعون فيه عن أنفسهم ويفندون الإدعاءات والمآخذ التي تستند عليها التيارات الأخري في موقفها العدائي منهم..
يمكن تصنيف أهم الاتهامات والمآخذ الموجهة لجماعة الإخوان المسلمين في التالي:
١ ـ المآخذ علي بعض النواحي العقدية الفرعية..
٢ ـ المآخذ علي بعض الآراء الفقهية..
٣ ـ المآخذ علي بعض الأفكار والمبادئ..
٤ ـ المآخذ علي الإحاطة بدقائق العلوم الشرعية..
٥ ـ الآخذ علي الالتزام بالمظهر الإسلامي الخارجي والسنن..
٦ ـ المآخذ علي السلوكيات الشخصية للأفراد..
٧ ـ المآخذ علي سلوكيات الفرد في التعامل في مجال الدعوة..
٨ ـ المآخذ علي سلوكيات أسر وعائلات الأفراد..

٩ ـ المآخذ علي عمل الأفراد في بعض المصالح والوزارات والبنوك..
١٠ ـ المآخذ حول التعامل مع أهل الكتاب..
١١ ـ المآخذ حول التعامل مع الفرق المنحرفة..(٦)

الهوامش

(١)من هذه الروايات: أشد الناسعذاباً يوم القيامة المصورون..
لا تدخل الملائكةبيتاً فيه كلب أو صورة..
(٢) أنظر صور من هذه الممارسات وغيرها داخل السجون في كتابنا: أغلال وسياط , مذكرات معتقل سياسي..
(٣) هاجم الكثير من العلماء قضية النقاب واعتبروها عاده، وليست عباده حيث لا أصل شرعي لها، ولا دليل يوجبها، وعلي رأس هؤلاء الشيخ الغزالي الذي قالمتهكمًا حول هذه المسألة: إن الله يأمر المؤمنين بغض البصر وهذا يعني النهي عن تسليط البصر إلي وجه المرأة لا قفاها, ويذكر أن مسألة النقاب تعتمد في الأساس علي آراء فقهية سلفية..
..(٤) أنظر كتابنا : أغلال وسياط
(٥) أنظر جريدة العربي الناصرية عدد ٦٠١ بتاريخ ٥٩/٧/٠١ وعدد ٥٩/٠١/٧١, وقد تناقلت وكالات الأنباء الأجنبية خبر مصرع الفتاة وقبض في هذه الحادثة علي أمير الجماعة بالمنصورة وعدد من أعضائها فيما سمي بتنظيم تعذيب الأطفال, ويذكر أن أمير الجماعة أدعي أن الجن قد تلبس هذه الفتاة وغيرها, وأن محاولتهم إخراجه قد أدت إلي مصرعها.
(٦) انظر شبهات حول جماعة الإخوان المسلمين.. ط دار الدعوة بالإسكندرية..

الجمودوالتصحيح

ويظل تيار الإخوان هو التيار المتميز صاحب الرصيد التاريخي والخبرة العملية والكوادر الواعية الثابتة علي خط المؤسس حسن البنا, بينما التيارات الأخري التي تولدت منه ذات نفس قصير، وتصورات هشة, وإطار تنظيمي ضعيف في مواجهة الواقع..

من هنا ظل تيار الإخوانمتماسكًا قويًا رغم التحديات التي تواجهه من الحكومة والتيارات المناهضة, في الوقت الذي دخلت فيه التيارات الأخري طور التقوقع والانعزال عن الواقع, وعاشت تيارات أخري مرحلة الفرقة والشتات والتراجعات التي أدت إلي تلاشي بعضها, وذوبان بعضها الآخر في إطار تيارات أخري..

إلا أن تفوق الإخوان في هذا الجانب لا يعود إلي الرصيد التاريخي والخبرة والكوادر وحدهم, إنما يعودأيضًا إلي الإمكانيات الكبيرة التي ملكتها الجماعة عن طريق ارتباطاتها الخارجية بالسعودية ودول الخليج..

وجماعة الإخوان حركة غنية تتحرك في ساحة فقيرة، وفي مواجهة تيارات فقيرة, وكانت الارتباطات الخارجية ولازالت تشكل أزمة الإخوان مع أنفسهم ومع الحكومة, ومع التيارات الإسلامية الأخري..

وليس من العدل محاولة النظر إلي تجربة تيار الإخوان بمعزل عن تصوره وأسسه الفكرية التي قام عليها وبني علي أساسها مواقفه من الأحداث وشتي التحديات التي واجهته..

وعلي ضوء ما سبق فإننا ننظر إلي تجربة الإخوان من خلال ثلاثة منطلقات:

الأول: الإخوان والتصحيح..

الثاني: الإخوان والسعودية..
الثالث: الإخوان والتيارات الأخري..

أولاً: الإخوان والتصحيح

هل يقبل الإخوان التصحيح..؟

والإجابة أن واقع الإخوان ومواقفهم لا تشهد بذلك...

فمن الجانب الفكري لاتزال جماعة الإخوان تلتزم بنهج البنا الذي وضعه في ظل واقع وظروف مغايرةتمامًا للواقع والظروف التي يعيشها تيار الإخوان اليوم, بل إن مواقف الإخوان ونتاجاتهم الفكرية وتصريحاتهم تؤكد التزامهم الكامل بهذا النهج وعدم الحيدة عنه والدفاع المستميت عنه..

ومثل هذا الموقف إنما يعكس ظاهرة تقديس الرموز التي تسود الواقع الإسلامي عامة في مصر وخارجها, وهي تعكس من جانب آخر حالة العجز عن محاولة مساس هذا النهج أو نقده..

ولعل هذا الوقف السلبي من قضية التصحيح كان له دوره في خسران الكثير من القطاعات الشبابية علي مستوي الجامعة، وفي ساحة الواقع,وقد ظلوا لسنوات طويلة ينازعون الحكومة طلب الشرعية حتي فقدوا هذا الأمل كلية، وراحوا يبحثون عن الشرعية من خلال الأحزاب والهيئات القائمة فما وجدوها..

وهم في انتظار الشرعية تركوا الكثير وما أهملوه أكثر، ولو كانوا قد التزموا بنهج المؤسس وخطواته المرحلية التي بدأ بها دعوته لكان أجدي لهم, إلا أنهم علي الرغم من إدعائهم التمسك بنهجه والسير علي طريقه فإن مواقفهم وممارستهم تؤكد خروجهم عليه..

ولقد أصبح للإخوان اليوم مؤسسات كثيرة وعلاقات وارتباطات بالحكومة جعلتهم يحسبون لهذه المصالح, كما يحسبون لدعوتهم..

ويوجه الأستاذ جمال البنا النقد للإخوان في هذه الناحية بقوله: إننا لنأمل أن يعيد الإخوان النظر في تاريخهم المجيد وتقاليد الإمام الشهيد، فلا يتخذون السلبيةمنهاجًا والتقوقع أسلوبًا, إن هذا وذاك يخالف جهادية الإخوان وانفتاحهم, وقد أدت سلبيتهم إلي ازدهار صور الفساد في المجتمع المصري..

وليتهم يعلنون أن الحكم ليس هدفًا، وإن جهادنا الأول ليس بالسيف ولا بالحكم، ولكن بالقرآن، وبالدعوة, فالإخوان هيئة دعوة,هيئة ضغط, هيئة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، لا يدخل فيها الإصلاح باليد..

وعن الإصلاحات الجزئية لبعض الأوضاع في النظم الإخوانية فإن من الخير السعي لاكتشاف القيادات الشابة, وإفساح المجال أمامها من القاعدة حتي القمة، ويتبع ذلك استبعاد المبدأ العقيم الذي اتبعته الجماعة وهو انتخاب أكبر أعضاء الهيئة التأسيسية سنًا ليكون مرشدًا, إن هذا يمكن أن يساغ لو كان الإخوان هيئة من أصحاب المعاشات أو المحالين علي التقاعد, كذلك يجب أن تفهم القيادات الإخوانية أن البيعة لا تعني استسلام العضوجسمًاوروحًا للأوامر، وأن الطاعة في المكره والمنشط لا تستبعد الشوري التي يبدو أنها قد نسيت..(١)

ومما ذكرناسابقًا فإن الإخوان قد ارتكبوا الكثير من الأخطاء في معالجة الخلاف الذي وقع بينهم وبين عبد الناصر, وكان من الواجب عليهم أن يعترفوا بهذه الأخطاء, ويحددوا شخص المخطئ ولو كان المرشد, إلا أنهم لو يفعلوا ذلك، وأتاحوا الفرصة لآخرين من المنشقين, ومن خارج الجماعة ليقولوا رأيهم في هذا الخلاف, أوهذا الصراع إن صح التعبير..

إن مرشد الإخوان الراحل حسن الهضيبي يتحمل قدرًاكبيرًا من المسئولية في خطأ هذه المعالجة، وهذا ما شهد به الشيخ الغزالي وآخرون..

يقول الأستاذ جمال البنا: إن اللحظة كانت تتطلب موقفًامختلفًاتمامًا عما وقفه الهضيبي, فقد وقف موقفًاجافًا ـ وكان سلبيًا ـ من الإنقلاب وقادته, فلا هو سلك سبيل اصطناعه وإحتوائه والتعامل معه بما لا ترفضه السياسة الإسلامية وضرورات العمل واللحظة، ولا هو قاومه وقضي عليه عندما كانقادرًا علي ذلك, وقد إعترفت معظم الكتابات الإخوانية التي عنيت بهذه النقطة بخطأ السلبية القاتلة, حتي وإن لم تحمل الهضيبي مسئولية ذلك، أو توجه إليه النقدتورعًا ولتزامًا..(٢)

ويبدو أن تجارب الإخوان الطويلة مع الحكم في مصر قد دفعت بهم إلي مهادنته إلي أقصي حد ممكن,حفاظًا علي وجودهم علي الأقل, وهم في سبيل ذلك دفعوا الكثير من ماء وجوههم, حتي أنهم عندما دخلوا مجلس الشعب عن طريق التحالف، وأصبح لهم أكثر من أربعين مقعدًا، وهو ما يحلم به أي حزب أو تيار سياسي ,لم ينجحوا في إستثمار هذا الكم, وإستمروا في سياسة المهادنة للحكم، حتي أن المراقب لم يكن ليستطيع التفريق بين أعضاء مجلس الشعب من الإخوان, وأعضاؤه من الحكومة لشدة تقارب المواقف, ولو أن الإخوان كانوا قد أعلنوا استقالتهم من المجلس لحتجاجًاورفضًا لسياسة الحكومة لكان ذلك أجدي لدعوتهم، وأنفع لهم جماهيريًا، ولكنهم قاسوا المسألة بحساب المصالح لا بحساب الدعوة, معتبرين أن تلك المقاعد إنجاز هام يجب التمسك به والمحافظة عليه..

وتبدو في مواقف الإخوان قضية تقديس الجماعة بارزة بحيث جعلت الجماعة هي المقياس الذي تقاس به مصلحة الإسلام, فأي شر يلحق بالجماعة هو شر يلحق بالإسلام, وعلي ضوء هذا الموقف انقلبوا علي الخميني وثورته وتحالفوا مع صدام حسين والسعودية ,حين عجزوا عن دفع إيران إلي تغيير موقفها تجاه حكم حافظ الأسد, الذي دخل في مواجهة مع الإخوان في سوريا..(٣)

وهم من قبل انقلبوا علي سيد قطب ورفضوا أطروحته التصحيحية لخط البناء وضيقوا عليها..

وكان موقفهم من طرح قطب يعود إلي تعصبهم لطرح البنا من جهة, وتمسكهم بطرح السلف من جهة أخري, فطرح قطب يصطدم بطرح البنا كما أشرنا من قبل, وبالإضافة إلي ذلك يصطدم ببعض الأطروحات السلفية التي تتعلق بقضية الحاكمية والموقف من الجماهير, وبعض الإجتهادات الفقهية وغير ذلك..

وكان الأجدر بالإخوان أن يستفيدوا من طرح قطب في تصحيح تصور الجماعة, ودعم خطها الفكري لمواجهة المتغيرات التي واكبت واقع الدعوة في فترة الخمسينيات والستينيات, لا أن يتركوا الشباب والأجيال اللاحقة في حيرة تجاه طرح البنا وطرح قطب ومحاولة التوفيق بينهما..

وإذا كانت القطاعات الشبابية التي نشأت في فترة الخمسينيات والستينيات والفترات اللاحقة قد تأثرت بطرح قطب أكثر من تأثرها بطرح البنا ,مما أدي إلي نشوء تصورات وظهور تيارات تتبني الكثير من المفاهيم التي نادي بها قطب والتي تتعلق بالحاكمية والجاهلية والجهاد ,سببت إزعاجًا كبيرًا لتيار الإخوان ــ فإن ذلك يعود سببه إلي عجز الإخوان عن تبني المرونة والانفتاح الفكري تجاه هذا الطرح وتجاه الواقع..

ويبقي أمام الإخوان أن يعملوا علي التحرر من الأطر السلفية, وكما أعلنوا موقفهم صراحة من المسيحيين والتطرف، عليهم أن يعلنوا عن موقفهم من قضية الحريات وقضية الحكم بمعزل عن الرؤية السلفية, ونموذج الحكم الإسلامي المشتق من صور الحكم القبلي أو الأموي أو العباسي, والتي تشهد وقائع التاريخ أنها نماذج من الحكم لم تكن تعبر عن الإسلام تعبيرًا صادقًا, بل أضرت بالصورة الحقة لهذا الدين، وقد سارت في خط مضاد للحريات..

علي الإخوان وهم التيار الذي يملك رصيدًا عاليًا من الوعي يميزه عن التيارات الأخري ــ أن يفرقوا بين الدين والسياسة في ممارسات ومواقف السلف وأنظمة الحكم التي قامت من بعد مرحلة الرسول (ص), وأن يبنوا موقفهم علي أساس أن هذه الأنظمة أنظمة سياسية وليست إسلامية, وأن عليهم أن يتبنوا صورة عصرية لقضية الحكم تحترم الحريات, متحررة من ذلك الكم الهائل من الروايات المناقضة للقرآن, والتي اخترعت لأسباب سياسية مذهبية ، وهي في النهاية تعطي صورة سيئة ومفزعة لشكل الحكم في الإسلام.,(٤)

ثانيًا: الإخوان والسعودية

ومما لا شك فيه أن احتضان السعودية للإخوان في عهد عبد الناصر كان له أكبر الأثر في تغير الكثير من مبادئهم وشخصياتهم ومواقفهم,فقد انتقل الإخوان في السعودية والخليج من الدعوة إلي التجارة والمناصب, واستقطبت العناصر البارزة منهم للقيام بدور فعال في المؤسسة الحاكمة بتلك الدول..

لقد تحول الإخوان إلي رسل لحكام السعودية والخليج وللفكر الوهابي الذي تبنته السعودية ونشرته في كل مكان من أنحاء العالم الإسلامي, وهذا الموقف قد دفع بهم إلي إنشاء علاقة مع المخابرات الأمريكية بالمنطقة, كما دفع بهم إلي إعلان الحرب علي رفقائهم الذين رفضوا الإقامة في السعودية والخليج، وانطلقوا نحو أوربابحثًا عن الأمان لأنفسهم والحرية لدعوتهم..

وقد ظلت العلاقة بين الإخوان والسعودية مستمرة حتي بعد صدور العفو عنهم والسماح لهم بالعودة لممارسة نشاطهم في ..عصر السادات وحتي اليوم, هذه العلاقة التي تعدمأزقًا من المآزق التي تعيشها حركة الإخوان اليوم في مصر والسعودية لم تعد تصلح كحليف إسلامي للإخوان اليوم أو غيرهم..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل يعي الإخوان خطورة هذا التحالف..؟

وهل يمكن لهم أن يعلنوا تمردهم علي السعودية..؟

إن اتخاذ مثل هذا الموقف أمر حيوي وضروري بالنسبة لهم من الجانب الفكري ومن الجانب الحركي والسياسي..

من الجانب الفكري سوف يتحرر الإخوان من قيود الخط السلفي الوهابي الذي يعوق حركتهم..

ومن الجانب الحركي والسياسي سوف يحقق الثقة بينهم وبين التيارات المناهضة لهم في الساحة الإسلامية, والساحة السياسية والتي تتخذ موقفًا معاديًا من السعودية, مما يفتح أمامهمأفاقًا جديدة للتعاون من أجل خدمة دعوتهم..

وعلي الإخوان أن يعلنوا موقفهم من انتهاكات حقوق الإنسان التي تقع علي يد العائلة الحاكمة هناك التي تتستر بالإسلام وتضفي المشروعية علي هذه الانتهاكات وعلي سياسة الحكم داخليًا وخارجيًا..

والحق أن الإخوان كملتزمين بعقيدة السلف ليس من السهل عليهم القيام بمثل هذه الخطوة, فالحكم السعودي هو نظام إسلامي في منظور الإخوان وجميع التيارات الإسلامية الأخري, باستثناء تيار التكفير وتيار الشيعة..

ومحاكمة النظام السعودي سوف تقود إلي محاكمة أنظمة الحكم السلفية التي هي محل تقديس المسلمين واحترامهم, كالنظام الأموي والعباسي, فمثل هذه الأنظمة باركها السلف وأوجبت العقيدة السنية طاعتهم وموالاتهم, وما النظام السعودي إلا امتداد لهذه الأنظمة وصورة عصرية منها..

ثالثاً الإخوان والتيارات الأخري

ويرفع الإخوان شعار: تتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه, إلا أن المتأمل في واقع الإخوان وممارساتهم لا يجد أثرًا لهذا الشعار الذي رفعه حسن البنا وطبقه علي المخالفين, ولعل مسألة الارتباطات الخارجية بالسعودية والداخلية بالحكم في مصر تحول بين الإخوان وبين تطبيق هذا الشعار..

لقد عمل الإخوان أول ما عادوا إلي البروز في السبعينيات علي احتواء التيارات الأخري, ومحاولة صهرها في بوتقتها, وهم كانوا يتحركون من منطلق مصلحي خاص بهم، وبارتباطاتهم بالسادات,ولم يكن من منطلق خدمة الحركة الإسلامية..

إن الواقع يشهد بأن قطاعات الشباب المسلم في بداية السبعينيات ,وفي مرحلة نمو التيارات الإسلامية قد فتنت بالإخوان،

واندفعت نحوهم في شوق, إلا أنها سرعان ما ارتدت عنهم وأعلنت الحرب عليهم, فأين مكمن الخطأ هنا..؟
هل هو في الشباب. أم في الإخوان..؟
لا شك أن الشباب بتجربته القاصرة وخبرته المحدودة يتحمل جزءًا من هذا الخطأ, إلا أن الجزء الأكبر منه يتحمله الإخوان بحكم كونهم يمثلون حركة كبري ذات رصيد ضخم ,وخبرة عميقة في ميدان الدعوة والحركة الإسلامية,وقد أوقعوا أنفسهم في حرج بالغ أمام التيارات الإسلامية التي بدأت تتشكك في مدى التزامهم وتقيدهم وانضباطهم على المستوى الإسلامي..
وكان الأجدر بهم أن يعلنوا رؤية تصحيحية للتراث السلفي ، وقد مرت بهم تجربة التكفير داخل المعتقل، ولم تستطع أطروحتهم مواجهته والقضاء عليه..
كان الأجدر بهم أن يتحلوا بالمرونة في طرح منهج الإخوان ويلتزمون بشعار البنا ,لا أن ينظروا للآخرين نظرة البالغ للقاصر..
كانت كل حسابات الإخوان تنحصر في مستقبل الجماعة, وكيفية الحفاظ علي وجودها ..
ونتيجة للحرب الشعواء التي شنت علي الإخوان من قبل التيارات الأخري ,والشبهات التي أثيرت حولهم, أضطر الإخوان إلي إصدار منشور يهدف إلي تبديد هذه الشبهات وتبرير مواقف الإخوان وسلوكياتهم..
ومن الواضح أن هذه الشبهات المذكورة ليس من بينها شبهة تعاملهم مع الحكم وارتباطاتهم به, رغم كونها من أهم الشبهات التي تعتمد عليها التيارات المناهضة لهم, بل هي أساس جميع الشبهات..
وجميع التيارات العاملة في حقل الحركة الإسلامية في مصر تتبني رؤية عدائية للحكم تتفاوت من تيار لآخر, هذه الرؤية من الطبيعي أن تشمل كل من يحاول التقرب لهذا الحكم والتحالف معه, من منظور أن هذا العمل يشكل عداءًا لهذه التيارات وتآمرًا عليها..
وتظل حالة العداء قائمة بين التيارات الإسلامية والإخوان, وسوف تظل قائمة..
من هنا ومما سبق ذكره يمكن القول أن جماعة الإخوان تعيش مأزقًا يكمن في التناقض القائم بين الواقع والتصور الذي تتبناه, وقد انعكس هذا الأمر علي وحدة الجماعة فأصابها بالتصدع ,وأدي إلي تدني رصيدها في الوسط الإسلامي والشعبي..
وكان موقفهم السلبي من قضية التغيير قد أدي إلي ولادة حزب التحرير الإسلامي..
وموقفهم من الحكم قد أدي إلي ولادة تيار الجهاد، وتيار التكفير من قبل..
وموقفهم من بعض القضايا السلفية قد أدي إلي ولادة التيار السلفي..
فإن هذا يعني أن المستقبل لا ينبيء بخير بالنسبة لهم..
وإذا كان هذا هو مأزق الإخوان فإن مأزق التيارات الأخري أشد وأكثر حرجًا, فقضية التصحيح هم عنها أبعد ولعداوتها أشد, بإعتبار أن هذه التيارات تتبني المنهج السلفي قلبًا وقالبًا وباعتقاد جازم, أن هذا النهج هو نهج الرسول (ص), ونهج الإسلام الذي يعد الإلتزام به نجاة من النار, والانحراف عنه هلاك وضلال..
من هنا فإن فكرة التصحيح غير واردة لدي هذه التيارات, بل هي مرفوضة ويعد طرحها مساسًا بالعقيدة يضع صاحبه في مدار الزنادقة المنحرفون عن الإسلام المحاربون له..
وهذه التيارات تعيش حالة وجدانية مع الماضي, فمن ثم هي لا تعطي اهتمامًا بالواقع ولا تضعه في حسابها, إلا في حدود ما يحفظ كيانها ودعوتها, فتيار الجهاد الذي دخل في صدام مع الواقع يواجه هذا الواقع بمنظور السلف, ويقتل باسم السلف..

والتيار السلفي قد اخترع لنفسه عدة جبهات وهمية بدد طاقته فيهامعتبرًا هذه الجبهات امتداد لجبهات السلف..
وقد بدد التيار السلفي طاقته في محيط قضايا النقاب والقبور والأسماء والصفات والأحاديث الضعيفة والقوية, وحرم علي نفسه دخول المعترك السياسي الذي عاش السلف بمعزل عنه..
ثم انقلب فجأة واتجه نحو السياسة بعد سقوط مبارك وأسسحزباً وخاض الانتخابات وتمكن من دخول مجلس الشعب..
وهذا التغير المفاجئ يضع عليه العديد من علامات الاستفهام..
وجاء تيار التكفير فرفع راية الاستحلال والمواجهة مع الواقع في حدود الجماهير, واكتفي بمواجهة الحكم بمجرد التصور.
وإذا كان تيار التكفير هو التيار الوحيد الذي تحرر من التراث السلفي وبدأ في إعمال العقل إلا أنه سقط في متاهة الروايات التي قادته إلي نهج السلف بطريق آخر..
ونظرًا لكون عناصر هذا التيار لا تملك رصيدًا من الوعي والخبرة، فمن ثم سهل هذا سقوطها في مصيدة السلف التي حاولت الفرار منها, ومواقفها لا تخرج عن كونها رد فعل لحالة التناقض والخلل في التراث السلفي من جهة. ورد فعل لحالة الانحراف والتباعد المستمرة بين الواقع والإسلام..
والتيار الشيعي يعيش حالة مشابهة لحالة التيارات الأخرى من الإغراق في الماضي, إلى التمسك بالطقوس والشكليات, إلى كثرة الخلافات وظهور العديد من الزعامات, مما أبعده عن جوهر حركة أهل البيت..
ثم ازداد وضعهتعقيداً بعد سقوط مبارك وبروز الدور الإيراني في مصر حيث انجذبت العديد من شرائحه نحو مرجعيات الخارج في النجف وقم..
واتجهت مجموعات منه نحو إعلان الشعائر الشيعية الخاصة بعاشوراء, واتجهت مجموعات أخرى نحو المناداة بفكرة ولاية الفقيه التي تتبناها إيران كمذهب لها..

والملاحظ أن التيارات الإسلامية منذ نشأتها في فترة السبعينيات وحتي اليوم لم تظهر أية بوادر تقدم علي طريق الفكر والتصحيح, وهذا الأمر أن دل علي شيء فإنما يدل علي أن الجمود هو الأصل لدي هذه التيارات, وأنها لن تخرج من دائرة الجمود إلا بهزة قوية ..
وليس من بين التيارات الإسلامية من هو مرشح للقيام بهذا الدور سوي التيار الشيعي. فهو التيار الوحيد الذي يملك أطروحة مغايرة للأطروحة السلفية تملك مقومات التعايش مع الواقع والإستمرار علي ساحته. ولعل هذا هو سر حملة العداء الشرسة التي تشن علي الشيعة من قبل التيارات الإسلامية.

الهوامش
(١)انظر رسالة إلي الدعوات الإسلامية..
(٢) المرجع السابق..
(٣) فتح صدام للإخوان إذاعة موجهة من بغداد ضد إيران وسوريا,وحصل عدد من عناصر الإخوان السوريين علي جوازات سفر عراقية..
(٤) أنظر لناكتاب : أحاديث نبوية اخترعتها السياسة..

المأزق

ما هي طبيعة المأزق الذي تعيشه الحركة في مصر اليوم..؟
هل هو مأزق فكري, أم حركي..؟
والحق أن الحركة تعيش المأزقين معًا. فإن الفكر السليم ينتج حركة سليمة, والفكر المعوج ينتج حركة معوجة,وقد ولدت الأفكار التي تبنتها الحركة نتائج سلبية علي ساحة الواقع، لم تكن في صالحها..
وكان من نتائج هذه الأفكار ما يلي:
ـ زيادة حدة المواجهة بين الحركة والحكومة في وقت ليست فيه الحركة مؤهلة لدخول هذه المواجهة..
ـ زيادة التباعد بين الحركة والجماهير وبين الواقع بشكل عام..
ـ خلق جبهات صراع وهمية..
ـ تصاعد حركة الانشقاقات والتحولات..
ـ خلق نماذج من التفكير الشاذ..
وبداية الانحراف تكمن في أن الحركة بدأت المواجهة الحركية مع الواقع قبل دخول مرحلة النضج الفكري, وهي بهذا إنما تسير عكس منهج الرسول (ص) الذي بدأ عملية الإعداد الفكري في مكة ولسنوات طويلة, كبداية طبيعية لتأسيس العناصر التي سوف تحمل علي كاهلها مهمة الدعوة ونشرها وتمكينها..
تعجلت الحركة قضية المواجهة قبل تأسيس العناصر الصالحة والمؤهلة فكريًا علي أسس علمية صحيحة..
ثم سقطت ضحية موروثات فكرية سلفية كانت نتائج واقع مغاير لواقعها, واعتبرتها الصورة الشرعية الوحيدة للإسلام..
وأدي هذا الموقف إلي إهمال فقه الواقع، إما عن جهل بأهميته أو قلة اكتراث به, مما أدي إلي فقدها القدرة علي مواجهة

الواقع..
وكان من المفروض أن تعمل على تحقيق الموازنة بين فقه التراث وفقه الواقع, وهو أمر ضروري وحيوي لتحقيق مسيرة متكاملة ثابتة الخطي علي ساحة الواقع وأمام الأحداث والمتغيرات..

تصحيح المفاهيم

واعتامد الحركة الكثير من المفاهيم التراثية المخالفة للعقل والواقع كان لها أثرها في جمودها وانحرافها..
وعلي رأس هذه المفاهيم:
ـ التوحيد..
ـ السلف..
ـ العقيدة..
ـ الحكم..
والمفهوم السائد عن التوحيد لدي الحركة – عدا التيار الشيعي- يتركز حول الطرح الحنبلي الوهابي لصورة التوحيد، ذلك الطرح الذي قدم لها على أنه طرح السلف. يقوم علي تقسيم التوحيد إلي ثلاثة أقسام، كما ذكرناسابقًا..
وهذه الصورة هي موروثة عن ابن تيمية وهي في حقيقتها لا تخرج عن كونها تقسيم شكلي، ورد فعل لاتجاهات الفرق الأخري ,ومدارس علم الكلام المناهضة لمذهب الحنابلة..
والتوحيد في حقيقته إنما يتركز في دائرة الألوهية وهو ما كان محور دعوة الرسول والرسل عامة (ص)..
وبالطبع ليس هناك مسلم لا يؤمن بأن الله هو الخالق والرازق والمدبر وهو الرحيم الخبير العليم الحي القيوم الواحد الأحد ليس كمثله شيء، وسائر ما وصف به نفسه سبحانه في كتابه..
إلا أن القوم وضعوا الإيمان بصفات الله الواردة في الروايات أصل من أصول التوحيد, يجب الإيمان بها مثل الإيمان بصفاته سبحانه الواردة في القرآن,وهم بهذا يساوون بين القرآن والروايات وهذا أول الخلل..
وقد انبني علي هذه الرؤية تكفير وتضليل كل من ينكر صفات الله الواردة في الروايات، أو يشكك فيها, وتجاوزا هذا الحد واعتبروا إقامة الأضرحة والتوسل بالأولياء شرك يناقض التوحيد..
وعلي ضوء هذا الموقف دخلت الشيعة والصوفية في مدار الكفر والضلال، وكذلك طوائف أخري من السنة تبيح التوسل. وهذا ثاني الخلل..
يقول عبد الغني المقدسي: وأعلم رحمك الله أن الإسلام وأهله أتوا من طوائف ثلاثة:
١ ــ فطائفة ردت أحاديث الصفات وكذبوا رواتها فهؤلاء أشدضررًا علي الإسلام وأهله من الكفار..
٢ ــ وطائفة قالوا بصحتها وقبولها ثم تأولوها فهؤلاء أعظمضررًا من الطائفة الأولي..
٣- وطائفة جانبوا القولين الأولين، وأخذوا بزعمهم يترهون وهم يكذبون فأداهم ذلك إلى القولين الأولين وكانوا أعظم ضررًا من الطائفتين الأوليين..(١)
وقد اعتمدت الحركة هذه الصورة من التوحيد ورفعتها في مواجهة الواقع والمخالفين من الاتجاهات الأخري، مما أدخلها في متاهات فكرية, وخلق أمامها جبهات وهمية للصراع بددت طاقتها وعرقلت مسيرتها..

وكان من المفروض أن تتجاوز هذه الصورة المعقدة وتتلقي الصورة البسيطة الواضحة التي أبرزها القرآن، والتي كان عليها المسلمون قبل ظهور الجدل الكلامي والصراعات المذهبية,.
أما مفهوم السلف فهو مفهوم مبهم وغير واضح والحركة تتبناه دون أن تفقه معناه وبعده, وإذا كان الفقهاء قد حددوا أن السلف هم أصحاب القرون الثلاثة الأولي.. ؟(٢)

وشذ آخرون فقالوا أن السلف هم أصحاب القرون الخمسة الأولي..

فهل يعني هذا عدم الاعتراف بأهل القرون اللاحقة واعتمادهم..؟
إلا أن هذا لا يعنينا هنا, وما يعنينا هو أن الحركة تعيش حالة وجدانية مع السلف وتستشعر في نهجهم واجتهاداتهم الحق والصواب, كما تستشعر في واقعهم المثالية المطلقة, وتري في أشخاصهم النموذج النبوي,فهل هذا صحيح..؟
إن التاريخ يكذب هذا التصور والعقل يرفضه, وفوق هذا هو يتناقض مع نصوص القرآن وسنن المجتمع البشري..(٣)
إلا أن المدقق في هوية السلف، الذين تعتمدهم الحركة يكتشف أنها قد انحازت إلي مدرسة محددة من مدارس السلف, ونبذت المدارس الأخرى، انحازت إلي المدرسة الحنبلية..
أما المدارس التي نبذتها فهي مدارس المذاهب الأخري أبو حنيفة ومالك والشافعي والأوزاعي والليث والأشعري وغيرهم, وفوق هذا نبذت مدرسة أهل البيت التي كانت على رأس مدارس السلف..
أما سر هذا الانحياز فيكمن في سقوط الحركة ضحية المذهب الوهابي الشاذ الذي تبني خط ابن تيمية المعادي للمدارس الأخري. من هنا فإن من الواجب علي الحركة أن تتحرر من المذهبية والتحيز وتنفتح على الآخر, فإن مثل هذه الخطوة من شأنها أن تحدث حالة من الثراء الفكري سوف تعينها علي خلق تصور مرن وواع في مواجهة الواقع..
وفيما يتعلق بقضية التلقي فعلي الحركة أن تعيد النظر في شخصيات السلف وأن تخضعهم لميزان النقد بحيث يتم غربلتهم

والتلقي من الثقات منهم, لا أن يكون التلقي بهذه الصورة العشوائية السائدة والنابعة من مباركة جميع السلف..
يجب علي الحركة أن تعيد قراءة رموز الماضي وتحديد الصالح للتلقي من بينهم..
ويجب عليها أن تعيد قراءة الروايات وكتب السنن..
ويجب أن تعيد قراءة التاريخ..
وبشكل عام يجب عليها أن تعيد قراءة الواقع السلفي والحالة السياسية والاجتماعية التي كان يعيشها,فقد تم تضخيم شخصيات من الصحابة علي حساب شخصيات أخري, كما تم تضخيم شخصيات من التابعين علي حساب أخري..
بالإضافة إلي هذا تم تسليط الأضواء علي رموز فقهية معينة وضرب أخري، واختراع كم هائل من الروايات علي لسان الرسول (ص) للاستعانة بها علي تبرير الانحراف. والوضع السائد,,(٤)

والحركة وقعت في شرك الفقه الحكومي الذي وضعه فقهاء السلاطين الذين سلطت عليهم الأضواء بفعل السياسة, ذلك الفقه الذي أدي إلي تشتت تصورها في مواجهة الواقع..
وما كان يمكن لها أن تقع في هذا الشرك لو نحت جانبًا تلك الصورة المثالية التي تتبناها عن السلف..
وبخصوص مفهوم العقيدة فإنه مفهوم حادث، وبديلة هو الإيمان..
والعقيدة الحقيقة التي يجب أن تتبناها الحركة هي عقيدة لا إلا إلا الله محمد رسول الله, وما دون ذلك لا صلة بالعقيدة..
أما العقيدة الطحاوية أو الواسطية أو النسفية أو غيرها من العقائد, فهى نتاجات كلامية وفقهية وجدت لخدمة خطوط معينة في مواجهة خطوط أخري منافسة،..
ودعمت من قبل الحكام لضرب الاتجاهات التي تهدد وجودهم ومستقبلهم, فمن ثم يمكن القول أن العقائد المنسوبة للسلف هى عقائد حكومية في مضمونها، وطالما ظلت الحركة متمسكة بها فسوف تظل مواقفها بلا فاعلية وخطواتها متعثرة وتصوراتها هشة..(٥)
وحول مفهوم الحكم يمكن القول أن جميع التيارات الإسلامية تنشد الحكم بالإسلام، وتسعي لإقامة دولة الخلافة بوسائل وأساليب مختلفة, باستثناء تياري التكفير والشيعة, فكلاهما يري أن الزمان ليس زمان الحكم بالإسلام، وإنما ذلك سوف يتحقق في آخر الزمان بعد سيادة الإسلام وهزيمة الكفر وأهله حسب النبوءات التي جاءت علي لسان الرسول (ص)..
إلا أن الشيعة يعتقدون أن هذه الدولة سوف تقام علي يد الإمام الثاني عشر (المهدي المنتظر) وليس علي يد أي فئة أخري كما يعتقد التكفير, من هنا فإن الشيعة تري أن مسألة الحكم وشكل الدولة ليس لها إطار محدد ونظرية ثابتة، إنما مثل هذه القضية متروكة للمصلحة وظروف الواقع، وليس من خصائص هذه الدولة ولا من صلاحيتها تطبيق الأحكام الشرعية, فهذه هي مهمة الإمام وحده.,(٦)
لكن رؤية التيارات الأخري لصورة الدولة والحكم هي رؤية سلفية مثالية تتمثل في نهج الخلفاء الراشدين , فهذه التيارات تعتبرها النموذج الأمثل للحكم الإسلامي , كما تعترف بصور الحكم الأخري باعتبار أن الروايات المنسوبة للرسول (ص) توجب السمع والطاعة للحاكم, وإن كان عبدًا حبشيًا أو كانفاسقًاافاجرًا.,(٧)
وعلي هذا الأساس رفعت هذه التيارات شعار الخلافة أو الإسلام هو الحل, وتركت الآخرين يتصورون هذا الحكم. حسب النهج السلفي الذي كفاهم طرح صورة هذا الحكم ,والذي أضفوا عليه القداسة وزينوه في أعين المسلمين, وتصدوا لكل محاولات الطعن والنقد التي توجه إليه.(٨)
وكان علي الحركة أن تتحرر من الرؤية السلفية لصورة الحكم الإسلامي، وأن تضع هذه الصورة في ميزان النقد علي أساس كونها تجربة بشرية ينطبق عليها ما ينطبق علي تجارب الحكم الأخري، فإن هناك الكثير من الأخطاء والممارسات والانحرافات التي وقعت فيها نظم الحكم التي سادت من بعد الرسول (ص).(٩)
علي هذه الحركة أن تعلم أن نموذج الحكم في عهد أبي بكر غير نموذج الحكم في عهد عمر غير نموذج الحكم في عهد عثمان غيره في عهد علي, كما أن نظام حكم معاوية- الذي تعده من الصحابة العدول- لم يكن يمثل الإسلام في شيء, فهو قد إبتدع عدة بدع تتعلق بالحكم جنت علي الإسلام والمسلمين:
وأول هذه البدع فصل الدين عن الدولة، فإذا كانت الحركة تناهض العلمانية وتكفر العلمانيين فلتعلم أن معاوية هو أول علماني في تاريخ الإسلام..
وثاني هذه البدع هي بدعة الملكية وولاية العهد..
وثالث هذه البدع هي بدعة الاستبداد، وإلغاء الشوري..
ولقد سارت نظم الحكم الإسلامية التي قامت من بعد علي سنة معاوية وبارك فقهاء السلف هذه النظم، وأضفوا عليها المشروعية, فإذا كانت الحركة قد تبنت هذه النماذج من الحكومات وباركتهاسيرًا مع النهج السلفي فهى بهذا الموقف تكون قد وجهت ضربة قاصمة لمسيرتها ودعوتها..
إن الإسلام لم يحدد صورة خاصة للحكم ، ولم تظهر نصوص القرآن, وحتي نصوص السنة معالم الدولة الإسلامية، وإنما وضعت قواعد يجتهد علي أساسها. فيما يتعلق بالحكم..
وأول هذه القواعد قاعدة الشوري..
وثاني هذه القواعد قاعدة الحريات..
وأن الدول التي قامت من بعد الرسول (ص) لم تلتزم بهاتين القاعدتين، بل خرجت عليهما..(١٠)

من هنا فإن علي التيارات الإسلامية التي تنادي بالخلافة وإقامة الحكم الإسلامي أن تتحرر من عقل الماضي, وتتخلي عن الصورة السلفية للحكم الإسلامي, والتي لا تخرج في حقيقتها عن صورة سياسية إبتدعت لوقتها..

ـ الخروج من المأزق

وليس أمام الحركة الإسلامية للخروج من المأزق الذي تعيشه سوي تبني خطة تقوم علي الآتي:

أولاً : النقد:

إن النقد ضرورة شرعية ألزمنا بها الإسلام في مواجهة صور الانحراف والاعوجاج، وفي مواجهة الأخطاء والتجاوزات سواء كانت علي مستوي الأشخاص أو علي مستوي الجماعات..

وتعد رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تحض عليها النصوص القرآنية و النبوية في مضمونها رسالة نقد والنقد من الأسلحة الفعالة والضرورية، وإهماله أو طرحه جانبًا سوف يؤدي إلي طمس الحقائق والتعتيم علي الأخطاء والتضليل عن الحق، كما سوف يؤدي إلي انعدام الرؤية الصحيحة للأحداث والمواقف والممارسات..

والحركة اليوم في أمس الحاجة إلي النقد لكشف أخطائها وسلبياتها وتقويم اعوجاجها, ولا نكون مبالغين إذا ما قلنا إن غياب النقد عن واقع الحركة يعد من الأسباب الرئيسية في انتكاسة مسيرتها، وعدم وضوح الرؤية وحالة التشرذم والشتات التي تسود واقعها..

والحديث عن قضية النقد وصلته بالحركة الإسلامية يفرض نفسه من خلال وجوه ثلاثة:

الأول: إن النقد محارب في الوسط الإسلامي علي المستوي الخارجي، ومرفوض علي المستوي الداخلي..

الثاني: ان الحركة معزولة عن النقد..

الثالث: إن الناقد يجب أن تتوافر فيه شروط النقد وهي التجربة والوعي..

ثانيًا: التحرر من قيود التراث

إن الإسلام ليستراثًا, والتراث هو الاجتهادات والنتاجات الفكرية الحادثة علي النص..

من هنا فإن دور التراث هو المشاركة في فهم النص, وعلي هذا الأساس فإن القدسية يجب أن تحيط بالنص وحده, أما التراث فهو محل أخذ ورد..

والتراث هو وليدة واقع لا يلائم واقعنا بحال, إلا أنه من الممكن أن نستلهم من خلاله بعض القضايا والمفاهيم التي تعنينا علي فهم النص..

والفهم الضيق للتراث إنما هو ضد التراث ذاته, فالتراث وليد واقع فكيف يدعو إلي رفضه والانعزال عنه..

وما نريد قوله هو أن هناك قضايا تراثية كثيرة لها انعكاساتها علي واقع الحركة ، كالقضايا المتعلقة بالتكفير وإراقة الدماء والاستحلال، فمثل هذه القضايا تحتاج إلي إعادة نظر لضبطها مع حركة الواقع..

والقضايا المتعلقة بالحركة والدعوة باب الاجتهاد فيها مفتوحدائمًا، ولا يجب ربطها بالقضايا الفقهية والتشريعية التي يحتاج الاجتهاد فيها إلي توافر شروط معينة, ثم إنها مرتبطة بالأساس بوجود الواقع المسلم..

وإذا كنا نحترم الفقهاء ونري ضرورة الإقتداء بهم, إلا أننا لسنا ملزمين بأن نفرض علي واقع الحركة اليوم فتاوي واجتهادات لا تتلائم مع واقعه وهي من نتاج واقع مختلف عنهتمامًا..

وإذا كان أخذ الواقع في الإعتبار أساس الفتوي فإن هناك الكثير من آراء الفقهاء واجتهاداتهم قد إنتهي دورها بإنتهاء واقعها,,(١١)

وعلي هذا الأساس يجب إعادة النظر إلي القضايا التراثية خاصة تلك المتعلقة بالحركة والجهاد, لكن واقع الحركة الإسلامية يشهد بتقديس التراث والانشغال بقضاياه التي لا تلائم الواقع، ولاتحتاجها الحركة..

والحركة لن تتحرر من عقل الماضي إلا بنبذ الفهم الخاطيء للتراث وتقديسه واعتباره المصدر الوحيد لها في مواجهة الواقع..

ثالثًا: التحرر العقلي

وعلي الرغم من رفض الإسلام لفكرة الإستبداد، واحتكار الرأي إلا أن هذه الفكرة تسود واقع الحركة بصور وأشكال مختلفة ,فكل تيار من التيارات العاملة في ميدان الحركة فرض علي أتباعه خطة فكرية محددة ,تقوم علي أساس التصور الذي يتبناه هذا التيار..

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوزه إلي فرض ستار حديدي حول الأتباع, يحول بينهم وبين مصادر المعرفة الأخري. سواء كانت هذه المصادر مستقلة أو تابعة لتيار من التيارات الأخري, وتلك هي أسوأ صور الاحتكار الفكري، وهي ليست مضرة بكيان الحركة وحسب بل مضرة بكيان التيار الذي يمارسها ذاته..

هي مضرة بكيان التيار لأنها سوف تدفع الأتباع إلي الانشقاق والتفلت عند حدوث أي شرخ في جدار الستار الحديدي المفروض من حولهم..

وهذه الصورة من التربية الفكرية إنما تخالف روح الإسلام، وهي لا تمارس من قبل هذه التيارات لقلة وعي، ولكنها تمارس عن عمد وبهدف ربط الأتباع بالتيار والحيلولة بينهم وبين الخروج عليه..

والتصور السليم لا يتأثر بالتصورات المعوجة, والتيار الذي يعتقد صواب ما هو عليه لا يخشي تصورات الآخرين..

والذين يتبنون أسلوب الاحتكار الفكري في دائرة تياراتهم إنما يعطلون نمو شخصية التابع, ويدمرون مقومات نهوضها،

ويحرمون مسيرة الحركة من العناصر الفعالة الواعية..
وقد نتج عن الاحتكار الفكري ظاهرة خطيرة تسود واقع الحركة، وهي ظاهرة التعصب للأشخاص والتصورات بحيث أصبح الدفاع عن الأشخاص والتيارات مقدم علي الدفاع عن الإسلام ذاته..
وأصبحت بالتالي مصلحة الجماعة أو التيار هي مصلحة الإسلام، واعتبر التصدي لهذا التيار، أو تلك الجماعة تصديًا للإسلام..

رابعًا: تغيير القيادات

هل القيادات الإسلامية العاملة في حقل الإسلام اليوم علي مستوي المرحلة..؟
وعلي من نلقي بتبعة النكسات المتكررة التي منيت بها مسيرة الحركة في المرحلة الراهنة..؟
لقد أدي ظهور الثورة الإسلامية في إيران إلي تصغير القيادات العاملة في ميدان الحركة، وبدت وكأنها تلهو وتلعب, وربما يكون ذلك الأمر من الدوافع الرئيسية التي دفعت بها إلي معاداة الثورة..
وهناك قيادات تتزعم تيارات إسلامية لاتزال تتبني فكرة السيطرة والاستبداد والإرهاب علي الأتباع, كما أن هناك قيادات تتبني فكرة الإغراء, بالإضافة إلي أن هناك قيادات تعمل علي إجهاض أي بذرة فكرية من الممكن أن تحدث أثرًا تغييريًا في واقع الحركة,.
وقد دفعت قيادات الإخوان بشبابها إلي سلك التجارة والمشاريع الاقتصادية حتي فتحت عليه الدنيا واحتوته المادة,. كما دفعت بكثير من الشباب نحو أفغانستان..
وقامت قيادات السلفيين بتوجيه الشباب نحو القراءة والاعتكاف علي طلب العلم, ثم في المرحلة الراهنة دفعت به نحو السياسة..
ونتج عن موقف الإخوان ظهور طبقة ثرية معزولة عن الجماهير وعن واقع الحركة وذوبان الكثير من كوادرها الفاعلة في ميدان آخر غير ميدانها..
ونتج عن موقف السلفيين تحويل ساحة الحركة إلي كتاتيب خدرت الشباب وعزلتهم عن الواقع وأدت إلي نمو وبروز الكثير من الأفكار السلفية الشاذة والغريبة التي أسهمت ولازالت تسهم في تعويق مسيرة الحركة والإيقاع بينها وبين الجماهير..
وكان نتيجة صدام تيار الجهاد بالواقع وتقديمه المدفع علي الفكر أن دخل في متاهات ومواجهات أجهضته..
والمرحلة الراهنة تفرض إفساح الطريق أمام قيادات جديدة أكثر عطاءًا, أو أكثر تفتحًا وتفهمًا للواقع..
وقد كانت القيادات الإسلامية المهيمنة علي واقع الحركة في مصر هي المسئولة عن نشر وتعميم الفكر السلفي والوهابي المتخلف, الذي يعد السبب المباشر لمأزق الحركة الذي تعيشه اليوم, وما كان ذلك إلا نتيجة ارتباط هذه القيادات بالسعودية..
إن تغير الواقع من فترة الثلاثينيات وحتي الفترة الراهنة يفرض علي الحركة تغيير أساليبها في مواجهة الواقع وإبراز تصور جديد يتميز بالمرونة والفعالية والنضج السياسي..

ـ ما يضع في الحساب

إن هناك عدة نقاط أساسية يجب وضعها في الحساب عند رسم منهج الحركة في المرحلة الراهنة, وهذه النقاط هي المقياس الذي يمكن علي ضوئه تحديد فاعلية التيارات الإسلامية المعاصرة، ومدي ملائمتها للمرحلة..
وأول هذه النقاط هي المصدر. فقد حددت التيارات الإسلامية مصدرها في حدود الكتاب والسنة، وعلي الرغم من ذلك فإن حالة الخلاف والتطاحن بين تلك التيارات قائمة، وعلي أشدها وتزداد هوتهايومًا بعد يوم..
من هنا يتبين لنا أن المسألة لا تكمن في الكتاب والسنة وإنما في كيفية التناول والاستنباط, ذلك الأمر الذي يحتاج إلي نمط من الوعي الشمولي الذي يحقق ربط الكتاب والسنة بواقع الحركة..
إن الحركة الإسلامية لن تتمكن من فقه المصدر والإستفادة منه إلا إذا قدمت الكتاب علي السنة، وجعلت السنة تخضع للقرآن, فعلي ضوء هذا الموقف سوف تنبذ الكثير من الروايات المنسوبة للرسول (ص) والتي تصطدم بالقرآن وهي السبب الرئيسي والمباشر في حالة الخلاف والتطاحن..
والنقطة الثانية هي تحديد الهدف..
ما هو هدف الحركة الإسلامية..؟
هل هو إقامة الدولة الإسلامية..؟
هل هو تطبيق الشريعة الإسلامية..؟
هل هو تأسيس قاعدة جماهيرية..؟
هل هو تبصير المسلمين بأمر دينهم..؟
إن إختلاف أهداف الحركة مع إتفاقها علي مصدر واحد للتلقي يعدتناقضًاصارخًا في تصوراتها ومناهجها..
وتوحيد الهدف ضرورة تفرض نفسها علي واقع الحركة مع ملاحظة التفريق بين الخطوة والهدف، وعدم طغيان الخطوة عليه..

والنقطة الثالثة هي رصيد الفطرة والتجربة
أما رصيد الفطرة فهو رصيد خاص بالجماهير التي ترتبط بالإسلام وتدين به, فلا ينبغي تدمير هذا الرصيد بتكفير الجماهير والعزلة عنها..
وأما رصيد التجربة فهو رصيد خاص بمسيرة الحركة الإسلامية والتجارب التي مرت بها..
ورابع هذه النقاط هي طبيعة المواجهة, فكون الحركة ترفع راية الإسلام والإسلام دين عالمي جاء للناس عامة، فمن ثم فإن طبيعة المواجهة التي سوف يواجه بها هذا الدين سوف تكون عالمية..
من هنا فإن التصورات والأساليب التي تتبناها الحركة يجب أن تكون علي مستوي هذه المواجهة، وإن لم تكن كذلك فسوف تتبدد وتتلاشي..
الهوامش
(١) أنظر عقيدة الحافظ عبد الغني, وتأمل مدي إنعكاس مثل هذا الكلام علي حرية الرأي..

(٢)هذا التصور يقوم على رواية تقول: خير القرون قرني ثم الذي يليه , ثم الذي يليه. (1)
(٣) أنظر لنا كتاب السيف والسياسة..
(٤) أنظر نصوص هذه العقيدة في كتب العقائد, وأنظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار..
(٥) من هذا المنظور يمكن فهم صورة التطبيق الإسلامي في إيران اليوم..
(٦) أنظر كتب العقائد..
(٧) أنظر سلسلة أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ, نحو تأصيل إسلامي للتاريخ من نشر دار الوفاء التابعة للإخوان.. ويذكر أن الإخوان يدافعون عن ممارسات حكام السلف وعلي رأسهم عثمان والحجاج وهارون الرشيد..
(٨) أنظر كتب التاريخ وكتابينا السيف والسياسة والكلمة والسيف..
(٩) أنظر كتب التاريخ والمرجعين السابقين..
(١٠) من أمثلة هذه الإجتهادات والآراء ما يتعلق بالحكم والمرأة وأهل الأديان الأخري..
..(١١) أنظر فصل المنطلقات العقدية

الشريعة

عندما رفع شعار تطبيق الشريعة من قبل بعض الحكومات انجذبت الحركة نحوها وباركت هذه الخطوة وأحسنت الظن برافعي هذا الشعار متناسية ماضي هذه الحكومات وظروف مجتمعاتها التي دفعت بها الى رفع مثل هذا الشعار..

لم تدرك الحركة أن رفع هذا الشعار كان لأبعاد سياسية ,و هي لم تمنح نفسها الفرصة لكي تدرك هذا الأمر لأنه ببساطة لا يعنيها في شيء, لكونها تنظر إلى الأمور بعقل الماضي وتفكر بعقل السلف..

والسلف يقولون بجواز طاعة الإمام الفاجر والجهاد معه وتسليمه الصدقات والحج والصلاة من وراءه..(١)

ومن خلال هذا المنظور لم يكن يعني الحركة من هو ضياء الحق في باكستان..؟

وماذا يهدف من وراء تبنيه الشريعة الإسلامية وما هي ظروف مجتمعه..؟

ولم تكن تعنيها هذه الأمور بالنسبة لجعفر نميري الذي رفع شعار الشريعة في السودان..

ولو كانت هذه الأمور موضع اهتمام لدي الحركة لراجعت موقفها المتحالف مع نظام آل سعود،الذي هو أكثر تخلفاً وانغلاقاً وقمعاً من هذين النظامين،والشيء المشترك بين الأنظمة الثلاثة هو رفعها شعار تطبيق الشريعة والتستر بالإسلام..

واليوم قد ذهب ضياء الحق والنميري وبقى آل سعود, ولم يتغير موقف الحركة تجاههم في شيء, على الرغم من مواقفهم الصريحة والمعلنة التي برزت بعد أزمة الخليج والتي أعلنت من خلالها تحالفها مع الغرب – الصليبي – وفتحت جزيرة العرب للقواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية التي يعد تمركزها فيها صورة من صور إعلان الحرب على الإسلام والمسلمين..

وعلى الرغم من مواقفهم الجديدة التي برزت بعد أزمة طالبان, والتي أعلنوا فيها الحرب على التيار الإسلامي داخل جزيرة العرب وتطويقه والحد من نفوذ المؤسسة الدينية الوهابية بين الجماهير..(٢)

وينبغي لنا هنا أن نستعرض مضمون الشريعة وفكرتها..

ماذا تعني الشريعة الإسلامية..؟

ومتى برز هذا الشعار في واقع الحركة..؟

إذا سلمنا بأن الشريعة هي الحدود والأحكام فإن تطبيقها في هذا الزمان يتطلب وجود الإمام الذي يتحلى بصفات خاصة على رأسها العلم والتقوى..

١– انظر كتب العقائد..

٢– فرض حظر مؤخراً على نشاطات جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتطرفة ,كما ضيق على خطباء المساجد ومنعهم من الدعاء على أمريكا وتحريض المسلمين عليها..

فهل الحركةالاسلامية قادرة على إفراز هذه الشخصية..؟

أو السؤال بصورة أخرى: هل من بين عناصر الحركة من تتوافر فيه شروط الإمامة..؟

وإذا وجد الإمام في دائرة تيار محدد فهل تقبل به التيارات الأخرى..؟

وهل كان ضياء الحق أو النميري إماماً حتى تعلن الحركة تأييدها له ومناصرتها له..؟

وهل آل سعود هم أئمة..؟

إن مشكلة وجود الإمام تظل العقبة الرئيسية في طريق تطبيق الشريعة الإسلامية وتدفع بالحركة إلى ضرورة تجميد هذا الشعار..

ومما يوجب على الحركة مراجعة هذا الشعار حالات التطبيق في الماضي التي تفرض علينا السؤال التالي: هل كانت الشريعة مطبقة في عصور السلف..؟

إن المعتقد السائد في دائرة الحركة أن الشريعة كانت مطبقة في عصور السلف على أكمل وجه،لكن واقع السلف لا يشهد بهذا..

لقد برزت في واقع المسلمين بعد وفاة الرسول (ص) أربعة ظواهر تدل على أن الشرع لم يكن مطبقاً على الوجه الأكمل, وإنما كان مطبقاً في حدود تخدم أصحاب النفوذ والمصالح, وهذا في ذاته قمة الانحراف الذي يدين السلف وينفي المثالية عن واقعهم..

الظاهرة الأولى: ظاهرة الغزوات أو ما سمى بالفتوحات، فهذه الظاهرة تعد من الظواهر السياسية لا الشرعية، فليس في الإسلام ما ينص على قهر الشعوب الأخرى واستعمارها بحجة الدعوة و إدخالها في دين الله..(١)

يقول ابن فوزان: نحن لا نقاتل الكفار من أجل الطمع في بلادهم وأموالهم , وإنما نقاتلهم من لأجل مصلحتهم هم , لأجل إنقاذهم من النار, وإخراجهم من الظلمات إلى النور.. فنحن نقاتلهم من أجل إنقاذهم من الكفر والشرك..وليس ذلك للطمع في شئ من الدنيا كما يظن بعض الجهلة أو بعض المغرضين, ولذلك نبدؤهم بالدعوة فإن استجابوا لم يحتج للقتال, أما إن تمردوا وعتوا فإنهم يقاتلون..(٢)

الظاهرة الثانية: ظاهرة الطبقات وهي من نتائج الظاهرة الأولى، فقد أدت الغزوات إلى ظهور طبقة القواد وطبقة الرقيق، وظهور هذه الطبقة يعني أن هناك انحرافاً عن الشرع الذي جاء للقضاء على الرق لا زيادته وانتشاره..

الظاهرة الثالثة: هي ظاهرة الملوك والأمراء وقد نتج عنها قتل الشورى وحرية الاختيار وكذلك حرية الرأي وهذا ما لا يقره الشرع..

الظاهر الرابعة: مذاهب وفرق المسلمين، فهذا التعدد والخلاف والتناحر الذي ساد بين هذه المذاهب والفرق إنما هو دليل على عدم إقامة الشرع بصورته

(١)انظر تفصيل هذا الأمر في كتاب فتوح البلدان للبلاذري وتاريخ الطبري وكتب التاريخ الأخرى, وانظر لنا كتاب رجال حول الرسول (ص) الحقيقة والأسطورة.

(٢) انظر سلسلة وصايا وتوجيهات للشباب ط السعودية, وفوزان واحد من رموز الوهابية المعاصرين المعتمدين عند تيارات الحركة والتيار السلفي خاصة..

الصحيحة ودليل أيضاً على أن الملوك والحكام فصلوا الدين عن الدولة وبارك الفقهاء هذا الوضع, وهذا يعني انحرافهم عن الشرع، وقد قننوا في أبواب الفقه أحكام وشرائع تبرر هذا الوضع وتضفي عليه المشروعية، فجعلوا باباً للحكام لا يشكك في شرعيتهم بل يدعمها، وجعلوا باباً للرقيق وأحواله وهذا يعني الاعتراف بمشروعيته، وجعلوا باباً للغنائم والأموال سيراً مع سياسة الغزو،وعطلوا أحكاماً شرعية صريحة بدوافع سياسية ومذهبية..(٢)

ولقد ذكرنا فيما سبق كيف كان حال الحكام الذين باركهم الفقهاء وجعلوهم أئمة. وأوجبوا على المسلمين طاعتهم، ومادام هؤلاء الحكام ليسوا بأئمة, فهذا يعني أن الشرع لم يكن مطبقاً، وهذا ينفي صفة القداسة عن واقع السلف..

إن التطبيق الحقيقي لشرع الله كان على يد الرسول (ص) فقط, فهو الشخصية المعصومة المثالية الوحيدة التي لا تخضع للهوى في التطبيق التنفيذ لأحكام الشرع، أما الحكام فليس لهم صلاحية تطبيق الشرع على العباد، لكن الفقهاء تحت ضغط السياسة والروايات وضعوا هؤلاء الحكام في مكان الأئمة، وجاء المسلمون من بعدهم فتابعوا هذا الوضع وأقروه، وسقطت الحركة الإسلامية ضحية هذا الطرح..

وما دفع الخديوي إسماعيل إلى استيراد القانون الوضعي وفرضه على مصر, هو تخلف الفقهاء والمذاهب السائدة في عصره عن مواكبة الواقع وعجزهم عن إبراز الشرع بصورته الصحيحة التي تعبر عن مصالح المسلمين وقضاياهم اليومية، وانغماسهم في الخلافات الشكلية والمتاهات المذهبية والروايات، وهذا كله يعني أنهم لم يكونوا يعبرون عن الشرع..

والقانون الوضعي ليس شراً كله وإنما يحوي الكثير من الأحكام التي لا تصطدم بالشرع..

والشرع يحوي الكثير من القوانين الوضعية التي استنبطها الفقهاء على ضوء الواقع الذي عاصروه..

والشرع في النهاية إنما يهدف إلى تحقيق المصلحة وكل حكم أدى إلى مصلحة فهو من الشرع..(٣)

ولو قدر للحركة أن تتمكن على ساحة الواقع وتقيم دولتها فسوف تلجأ إلى القانون الوضعي في مجالات كثيرة لن تجد لها أحكاماً في تراث السلف، وذلك

[1] – انظر كتب الفقه, وشروحات كتب السنن..

[2] – انظر كتب أصول الفقه,وتأمل القاعدة الفقهية التي تقول: حيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله..

مثل مجال الإسكان والإعلام والأمن والسياسة..

ومن المعروف في دائرة الأحكام الشرعية أن أحكام التعزير تغلب على الأحكام الأخرى، وأحكام التعزير خارجه عن حدود النصوص أي غالبه عليها, وليس هناك نصوص محددة بشأنها، فمن ثم تعد أحكام التعزير أحكاماً وضعية..(٤)

ومن هنا قال فقهاء الأصول: النصوص متناهية والحوادث غير متناهية..(٥)

إن الشريعة ليست جلداً للظهور وقطعاً للأيادي وضرباً للأعناق إنما هي عدل ورحمة قبل أن تكون أحكاماً وحدوداً، والحدود والأحكام استغرقت سنوات طويلة حتى تهيأ الواقع لاستقبالها، ثم أنها تدرأ بأي شبهة..

وهذا يفسر قلة الأحكام والحدود التي طبقت على يد الرسول (ص) وفي الفترات الأخرى بعده،وأن الأحكام التي نالت من المخالفين بالقتل والسلب والاستباحة, هي أكثر بكثير من أحكام الشرع التي طبقت في الأزمنة المختلفة من تاريخ المسلمين..

ومما يؤسف له أن الحركة غاب عنها كل هذا واندفعت متصدية للواقع دون أن تتبلور رؤيتها للماضي والحاضر على السواء..

لقد ظهر شعار الشريعة مع برز التيارات الإسلامية على ساحة الواقع المصري في فترة السبعينيات، منذ ذلك الحين استغلته الحركة في كسب تعاطف الجماهير ومحاولة الطعن في التيارات المخالفة، فرفع شعار الشريعة يعني أن الأطراف الأخرى ترفع شعار شريعة الشيطان..

- تشويه الإسلام

مما سبق عرضه يتبين لنا أن الحركة غير معصومة وتحمل نهجاً وضعياً متلحفاً بالإسلام,لا نهجاً إلهياً معصوماً ,ولو اعتقدنا ذلك لساويناها بحركة الرسل (ص)..

من هنا فإن الحركة بتعصبها للطرح السلفي قد وقعت في كثير من الأخطاء وارتكبت الكثير من المنكرات والجرائم التي أسهمت بمجملها في تشويه الإسلام..

لقد نتج من مواقف الحركة وممارساتها أن ظهر الإسلام بالصور التالية:

- **صورة الإسلام الدموي العنيف..**
- **صورة الإسلام المضطهد للآخرين..**
- **صورة الإسلام المتخلف..**
- **صورة الإسلام الطبقي..**

[1] – انظر كتابنا الكلمة والسيف, وهو يعرض لقضايا الرأي والنص ونماذج من شهداء الرأي الذين قتلوا على أيدي الحكام وبفتاوى الفقهاء.

- **صورة الإسلام الهش..**

لقد فتحت الحركة الباب على مصارعه لأعداء الإسلام لينالوا منه بسبب الصورة المشوهة التي قدمتها للإسلام نتيجة الاعتماد على الطرح السلفي برواياته ورجاله، ذلك الطرح الذي صنعته السياسة ووضع السيف في رقاب المسلمين المخالفين، واضطهد أصحاب الديانات الأخرى واعتبرهم مواطنين من الدرجة الثانية وخلق طبقة الحكام والقواد والعبيد ووطن الخرافات والأكاذيب في عقول المسلمين عن طريق الروايات المختلقة التي أظهرت الإسلام بمظهر الدين المتخلف عن الواقع الهش المليء بالعورات المعادي للفطرة الإنسانية..

إن هذه الصورة المشوهة للإسلام إنما تتناقض تناقضاً صريحاً مع كتاب الله تعالى، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه والذي نحته الحركة جانباً لتسير على سنة الأمم السابقة التي عبدت الرجال وسارت على طريق الأحبار والرهبان..

وماذا كان من الممكن أن تخسره الحركة لو التزمت بكتاب الله وجعلته شعارها ونبراسها ومصدرها الأساسي وحكمها الفصل على جميع المصادر الأخرى..؟

وقد روى عن الرسول (ص) قوله: الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه..(١)

وروى عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين. ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث..؟

قال: وقد فعلوها..؟

قلت: نعم..

قال: أما أنى قد سمعت رسول الله (ص) يقول: ألا أنها ستكون فتنة,فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله.. ؟

قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا

١- الترمذي كتاب اللباس وابن ماجة في الاطعمة حديث رقم ٣٣٦٧.

تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: «إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به» الجن / ١ : ٢, من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم خذها إليك يا أعور..(١)

وإذا كانت الحركة تؤمن بالروايات فأين هي من هذه الروايات..؟

ولماذا تتشبث بالطرح السلفي إلى هذا الحد على الرغم من كونه أضر بها..؟

إن حال الحركة مع هذا الطرح كحال الحكام والفقهاء من قبل, الذين ارتهن مصيرهم به وبدونه لا يكون لهم وجود، فقد رهنت الحركة وجودها ومستقبلها بهذا الطرح, فمن ثم هي لا تسمح بالمساس به أو التشكيك فيه..

والقرآن فوق الحكام والفقهاء الحركة..

وهو المصدر الوحيد للإسلام النقي الصافي الذي لا يخدم مصالح الحكام وإنما يخدم مصالح الجماهير, ويغلق الباب أمام أقوال الرجال ورواياتهم التي أبرزت ديناً آخر مشوه سقطت ضحيته الحركة وتياراتها..

أما الإسلام الذي يبرزه القرآن فتحدد معالمه من خلال النصوص التالية:

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن, إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله, وهو أعلم بالمهتدين) النحل/١٢٥

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعلمون) المائدة/٨

(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يونس / ٩٩

(وقد الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف /٢٩

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة /١٩٠

(وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) الشورى / ٤٠

(وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) سبأ / ٢٤

١– التذمذي كتاب فضائل القرآن باب ١٤. ومسند أحمد جـ ١ / ٩١ والدارمي باب فضائل القرآن حديث رقم ٣٣٣١..

(ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) الممتحنة /٨

(ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران / ١٥٩

(ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) العنكبوت /٤٦

(ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الأعراف /٨٥

(وقل لعبادي يقولوا التي أحسن) الإسراء / ٥٣

(واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء / ٥٨

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر..) النحل/ ٩٠

(واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذي قربى) الأنعام /١٥٢

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين)النساء/ ١٣٥

ومثل هذه النصوص وغيرها في القرآن انما تحدد صورة الإسلام في حدود العدل والرحمة والإنصاف للخصوم والالتزام بالحكمة والموعظة الحسنة, والاعتدال في الطرح والتأكيد على حرية الاعتقاد, وعدم الإكراه في الدين والعدوان على الآخرين, والتزام العدل مع المخالفين في القول والفعل, ونبذ التعصب والغلظة والتحلي بالأخلاق الكريمة التي اوحد المسلمين ولا تفرقهم وتتطمئن غير المسلمين..

وصورة الإسلام التي تصرح بها النصوص القرآنية السابقة إنما تصطدم بالصورة التي تعرضها الروايات ويرزها الطرح السلفي وتتبناها الحركة اليوم..

ولقد أبرز لنا القرآن صوراً أخرى أكثر اتساعاً في مجال الرأي والاعتقاد والعدل مع الخصوم والمعارضة, حتى ولو كانت لله ورسله..(١)

١٠- انظر قصص الأنبياء والرسل في القرآن وانظر حوار الملائكة مع الله حين قرر جعل خليفة في الأرض (سورة البقرة) وحواره سبحانه مع ابليس حين عصاه وأبي السجود لآدم ,وحواره مع موسي وانظر حوارات الرسل مع أقوامهم الذين عارضوا دعوتهم بل عارضوا الله سبحانه.. انظر سورة الاعراف والحجر وص والفرقان والذاريات وهود.

وليس لنا بعد ما عرضنا أن نخير الحركة ما بين القرآن والطرح السلفي فهي قد اختارت هذا الطرح وحددت مواقفها وتصوراتها وفق إطاره..

وتلك هي أزمتها التي يجب أن تعمل على الخروج منها..

وسبيلها الوحيد نحو الخروج هو التحرير من قيود الماضي..

التحرر من ضغط الروايات..

والتحرر من فقه الرجال..

والعمل على غربلة التراث..

والقيام بهذه الخطوة من شأنه أن يعينها على بعث شخصيتها واسترداد عقلها..

إن القرآن يوجب على المسلمين جميعاً التحرر الفكري والعقلي..

التحرر من التقليد وعبادة الرجال..

والتحرر من القيود التي تلجم العقول..

والانفتاح على الواقع والتعايش معه..

ومثل الحركة في مواجهة نصوص القرآن التي تأمر بالبر والإحسان والاعتدال وحرية الرأي والاعتقاد والعدل وإنصاف الخصوم وغير ذلك مما تحض عليه وتوجيه النصوص القرآنية التي ذكرناها – مثلها كمثل بني إسرائيل الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله: **(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم أفلا تعقلون)** البقرة / ٤٤

إن البر والإحسان والعدل وحرية الاعتقاد والرأي الآخر والاعتدال, كل ذلك غير متحققو لاو جود له في واقع الحركة وفي دائرة تياراتها، فإن الحركة تمارس الاستبداد والحجر على العقول والتعصب والتطرف, ويبدو ذلك بوضوح من خلال الخلافات والمواقف والصدامات وحالات الانشقاق والتمرد التي تسود واقعها..

وهذا الاستبداد والحجر والتعصب والتطرف إنما هو نابع من الروايات والطرح السلفي كمالينبا، و كان الأولى بالحركة أن تكون نموذجاً قرآنياً لا نموذجاً سلفياً..

يقول سبحانه:**(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنل الله من السماء من فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الريا ح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)** البقرة / ١٦٤

وهذا نص صريح بإطلاق العقل في كل شيء حول الإنسان وفي الإنسان نفسه:

في السموات والأرض..

وفي الليل والنهار..

وفي الفلك المياه..

وفي الدواب وهي تشمل الإنسان وغيره من المخلوقات..

وفي الرياح والسحاب..

من هنا فقد نبذ القرآن الذين يصمون آذانهم ويغلقون عقولهم ولا يصرحون بالحق والرأي وشبههم بالدواب، وهو تشبيه ينطبق على الذين يحجرون على العقول ويخرسون الألسنة بشتى السبل وتحت أي مسميات..

يقول سبحانه: (**إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**) الأنفال / ٢٢

ويقول: (**ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون**) يونس / ١٠٠

ويدعونا القرآن الى استيعاب التجارب وتعقلها واستنباط الأفكار الجديدة وبناء المواقف التي تلائم الواقع..

يقول سبحانه: (**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور**) الحج / ٤٦

إن إطلاق العقل يعني أنه لا توجد نصوص تحجر عليه وإن وجدت فهي باطلة مردودة لكونها ليست من القرآن ومن صنع الرجال..

وإطلاق العقل يعني حرية التفكر، والتفكر لا بد وأن ينتج عنه الرأي والاعتقاد والموقف, أي الآثار التي تخدم الواقع الذي يعايشه المفكر، وإلا لم تكن هناك حاجة إلى التفكر من الأصل، وقد حض عليه الدين من هذا المنظور، والدين ما هو إلا رسالة إلهية جاءت لنفع الناس وتحقيق الصالح لها..

من هنا فإن الشرائع إنما تدور في دائرة المصلحة ولا مصلحة في الحجر على العقول ونبذ الرأي وتقييده، كما لا مصلحة في تبني الروايات وأقوال الرجال التي تشوه صورة الإسلام والتي يجب على الحركة نبذها مهما كانت مصادرها وقيمة رجالها..

المرحلة الجديدة

لا سيف لا طاغوت

دخلت الحركة هذه المرحلة وقد خلعت ثوبها القديموارتدت ثوباً آخر..

طرح الإخوان عباءة الدعوة وارتدوا ثوب الثورة..

وطرح السلفيون عقيدة طاعة الحاكم جانباً وتبنوا العمل السياسي..

وتخلى تياري الجهاد والجماعة الإسلامية عن السيف واعترفا بالطاغوت..

بينما التيارات الأخرى على حالها تراقب مايجري من بعيد..

إلا أن هذا التغير المفاجئ يضع أمامنا العديد من علامات الاستفهام..

-المنظومة العقدية

ويجب التأكيدأولاً أن الثورة أحدثت فراغاً في الساحة كانت التيارات السياسية عاجزة عن سده..

و كان تيار الإخوان هو المرشح الوحيد للتحرك والانقضاض عليها..

ثم تبعه التيار السلفي..

وتبعهم ثالثاً تيار ي الجهاد والجماعة الإسلامية..

تيار الجهاد انتعش بقوة بعد خروج رموزه من السجن بفضل الثورة..

وتيار الجماعة الإسلاميةالذي كان قد أفرج عن قادته قبل الثورة بصفقة مع نظام المخلو ع كان يبحث له عن منفذ..

والجميع ركب الموجة بلا أدوات وبلا خبرة..

وهذا الأسلوب الذي انتهجنه هذه التيارات لا يتلائم مع منظومتها العقدية, بل يتلائم مع منظومة التنظيمات والأحزاب السياسية التي كانوا يناصبونها الغداء من قبل..

و ما يعنينا في هذه المسألة أن الأطر العقدية التي تحكم هذه التيارات لا تبرر هذا الفعل..

الإخوان من فترة السادات وحتى الثورة كانت مواقفهم متناقضة وتصريحاتهم متضاربة..

وكان أقصى ما يحلمون به هو الحصول على الشرعية واعتراف الحكومة بهم..

لكن ما حدث أطمعهم ووجدوه فرصة لا تتكرر..

كان موقف الإخوان من الثورة أشبه بموقفهم بالأمس مع عبد الناصر..

الترقب و الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة مع الاحتفاظ بخيوطهم مع الملكو العسكر..

إلا أنهم لم يحسنوا استخدام الفرصة في الماضي وخسروا الكثير..

واليوم يمارسو ن نفس السياسة حين قامت الثورة..

احتفظوا بخيوطهم مع نظام مبارك ومدوا خيوطهم للمجلس العسكري..

و الفارق بين الحالتين أنه بعد سقوط النظام لا زالت خيوطهم ممتدة مع العسكر..

لكن شعبيتهم بالأمس كانت ناتجة بجهودهم الذاتية,,

واليوم شعبيتهم مصطنعة وعن طريق الإمكانيات التي تساقط عليهم من الخارج..

وفوزهم في الانتخابات البرلمانية كانت له أسبابه البعيدة عنهم وعن طرحهم..

وهى نفسحالة السلفيين الذين حققوا نجاحاً في هذه الانتخابات..

والذين لم يدخلوا معترك السياسة إلا بعد أن جاءتهم الإشارة من الخارج..

والإشارة هنا هى الفتوى التي نقضت الفتاوى السابقة بتحريم الثورة والخروج على الحاكم وحتى تحريم التظاهر..

إلا أن المرحلة الجديدة تفرض عليهم دور ربما لا يستطيعون القيام به, فبعد أن وضعوا أنفسهم في هذا الموضع الريادي و أصبحت الجماهير تنتظر منهم الكثير..

ينتظر منهم أن يحددوا موقفهم من الأطروحة السلفية ورموزها التي تتصادم مع الهوية الو طنية و تبرر التطرف والإرهاب..

وتنتظر منهم لقمة العيش وتحقيق الأمن والقضاء على البطالة الخ..

والسؤال هنا : هل تستطيع هذه التيارات تحقيق هذا..؟

والجواب هو الشك, فإن التصادم مع نظومتهم السلفية سوف يؤدي إلى التصادم بمصالحهم وعلاقاتهم الخارجية, وعلى رأسها العلاقة مع السعودية..

ومن الواضح أن جميع تيارات الحركة – عدا التيار الشيعي بالطبع– لم تبد طوال تاريخها أية مواقف عدائية تجاه السعودية..

وفيما يتعلق بقضايا الجماهير فإن الإخوان أصبحوا جزء لا يتجزأ من المنظومة الاقتصادية الرأسمالية و هو الارتباط الذي حفظ جماعتهم طوال العقود السابقة..

واتخاذ قرارات من شأنها دعم الطبقات الكادحة ورفع مستوى المعيشة لابد وأن يصطدم بمصالحهم..

فهل يملك الإخوان القدرة على التضحية بمصالحهم من أجل الشعب..؟

أو يستطيعون التضحية بمصالحهم من أجل مبادئهم ..؟

و هل يستطيع السلفيون التحرك دون إشارة من الخارج ..؟

و صاحب القرار فيها أئمة السلفية الوهابية في جزيرة العرب, ومؤسساتهم التي تمول الأنشطة السلفية في مصر منذ عقود , فهم الذين أصدروا فتاوى التحريم, وهم الذين يملكون نقضها..

أما هذا الشباب السلفي الذي تصدى للعمل السياسي وركب موجة الثورة وقام بتأسيس الأحزاب لا يملك شيئاً ..

إلا أنه يمكن القول أن السلفيين رغم ما حققوه من انجاز في محيط السياسة من تكوين أحزاب إلى دخول مجلس الشعب, هم يمارسون السياسة على استحياء..

وبدا وكأنهم أرغموا على القيام بهذا الدور..

و تظهر لنا من خلال مواقفهم وممارساتهم حالة الاضطراب و الحيرة بين معتقداتهم التي تربوا عليها ووضعهم الجديد الذي يتصادم مع هذه المعتقدات..

وفي مقدمة هذه المعتقدات عقيدة طاعة الحكام التي يدين بها سلفهم..

هل سوف يستمرون عليها, أم سوف يتخلون عنها..؟

والواضح من خلال مواقفهن الجديدة المضطربة أنهم يمارسون الازدواجية..

فهم في الوقت الذي تبنوا فيه موقف الثورة والخروج على نظام مبارك, يتبنون موقف الطاعة لحكام السعودية والخليج..؟

ويلتزمون الصمت في مواجهة الانتفاضات التي قامت في مواجهة حكام السعودية والبحرين..

في الوقت الذي أعلنوا فيه تأييدهم ومناصرتهم للانتفاضة السورية..(١)

وهى نفس حالة تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية الذي أعلن التوبة عما أجرم في حق الناس والوطن..

فكلاهما طرح السيف الذي كان بشهره في وجه الطاغوت, واتجه نحو ممارسة العمل السياسيالذي كان يحرمه بالأمس..

و هذا الانقلاب يثير الشك , ويدفع إلى التساؤل:

هل هذه المواقف بريئة وخالية من الدوافع الدنيوية..؟

أو السؤال بصيغة أخرى: هل يمكن للحرام أن يتحول فجأة إلى حلال..؟

وما هو الدليل على ذلك..؟

وإذا صح هذا الدليل ألا يعني هذا أنه لم يكن هناك تحريم من الأصل..؟

وهذه الدماء التي أريقت والأموال التي نهبت والمفاسد التي وقعت ألم تقع بدليل شرعي..؟

وإذا كان كل ذلك مباح بالأمس, فكيف يكون حرام اليوم..؟

وإذا ما قسنا المسألة بمقياس الشريعة فسوف يطرح السؤال التالي :هل التوبة ترفع الحد عن القاتل والسارق..؟

والجواب لا, وهذا يعني أن تطبيق الشريعة التي ينادون بها ليس في صالحهم..

وما هو موقف هذه التيارات من الروايات المتطرفة المنسوبة للرسول(ص) والموجهة ضد أهل الكتاب و المخالفين بشكل عام..؟

وما هو موقفهم من تلك النصوص السلفية التي تبرر العنف والإرهاب والتي كانوا يتعبدون بها بالأمس..؟

وما هو موقفهم من الرموز المتطرفة على مستوى الماضي والحاضر..؟

وما هو موقفهم من رموز الخارج..؟

والسؤال الأهم هو كيف يمكن لهؤلاء أن يمارسوا السياسة ويمثلون الشعب وأيديهم تقطر بدماء الأبرياء..؟

إن ممارسات الماضي التي أعلن هؤلاء التوبة منها يحولها على الفور إلى جرائم..

والجرائم لابد لها من عقوبة' وهم لم يعاقبوا على فعلها..

وهذا يمثل إدانة لهم وجرح لعدالتهم..

وهم بقبولهم هذه الحالة يتلاعبون بالشرع , أو على الأقل يجهلونه..

إن أقل ما يجب فعله من قبل هذه التيارات هو إعلان برائتهم من هذه الروايات والنصوص والرموز..

لكن هل حدث شئ من هذا..؟

والجواب كلا, ونحن نرى العديد من المواقف والممارسات التي تدل على ذلك..

نرى الإخوان قد رفعوا شعارات لا يلتزمون بها..

و نرى السلفيين لا زالوا يفجرون القضايا الهامشية التي لا تفيد ولا تتلائم مع الظروف العصيبة التي تعيشها مصر..(٢)

وهو ما يشير إلا أن هذه التيارات التي دخلت معترك السياسة لم تدخله من أجل خدمة الوطن والجماهير بل من أجل نصرة مذاهبها وأفكارها..

- **الحركة والهوية**

وهنا تطرح أمامنا قضية الهوية التي لا وجود لها في خطاب هذه التيارات..

وعدم التزامها بالهوية هو ما يبرر لها اللجوء للخارج تحت مظلة الدوافع الشرعية..

والاستعانة برموز خارجية لاوطنية..

ولو كانت هذه التيارات تحترم وطنها وتنتمي له ما اتجهت نحو الخارج لتستدعي رموز البدو الوهابيين من جزيرة العرب ليصبحوا أئمة لهم أمثال ابن باز وابن عثيمين وابن جبرين وابن فوزان وغيرهم..

وما كانت التزمت بهوية وافدة على مصر ودخيلة عليها,وهى المنظومة السلفية التي لم تبرز في واقع المسلمين إلا مع الدعوة الوهابية..(٣)

إن هذا فيه امتهان لوطنهم وازدراء له, وكأنه لا بوجد به تراث ولارموز ولا فقهاء..

والسؤال هنا : هل هذه التيارات على استعداد لتقدم الدليل على وطنيتها والتزامها بهويتها و تعلن كفرها بالمنظومة السلفية و رموز الخارج..؟

إن حقيقة الدين لا تتصادم مع الهوية والمواطنة, فالأديان أنما تنزلت لصالح الناس والمجتمع..

وهذا الكلام ينطبق أيضاً على التيار الشيعي الذي يحاول استدعاء رموز الخارج,ويرفع راية ولاية الفقيه..

والمنظومة السلفية هيمنت على التيار الشيعي أيضاً ولكن بصورة مختلفة عن منظومة التيارات الأخرى..

منظومة الشيعة تنحصر في تراث أهل البيت..

والتلقي من هذا التراث يتم بعشوائية وبعقل الماضي..

و من هنا يمكن القول أن الخط السلفي الذي يتحكم في تصورات هذه التيارات سوف يتصادم حتماً مع الدستور والقوانين وأعراف المجتمعإن لم يكن اليوم فسوف يكون غداً ..

وهذا ما توجبه عقيدة الولاء و البراء التي يقوم عليها المنهج السلفي, والتي لم تعلن هذه التيارات براءتها منها..

يقول حسن محسن رمضان : برزت مسألة الولاء والبراء في المنهج السلفي كقضية ارتكزت عليها الكثير من فتاوى التكفير والعنف والخروج على الدولة, بل على الحقيقة, هى أصل ومحور كل الكتابات المتطرفة وما يتلوها من أعمال ومواقف, فالولاء والبراء ليست عقيدة مجردة يحملها الفرد ضمن قناعاته فقط, ولكنها موقف عملي يجب أن يبرز واضحاً على أرض الواقع..(٤)

ويعرف الولاء في المعتقد السلفي بأنه: حب ونصرة ومولاة وإخلاص لله ولدينه ولكتابه ولرسوله(ص) ولعباد الله المؤمنين..

ويعرف البراء بأنه: بغض وبراء ومعاداة وتبرأ من الكفر والكفرة, ومن الشرك والمشركين,و من الإلحاد والملحدين,من النفاق والمنافقين..(٥)

ويترجم لنا ابن تيمية هذا المعتقد بقوله: إن المؤمن تحب مولاته وإن ظلمك واعتدى عليك, والكافر تحب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك..(٦)

ويترجمه تلميذه ابن القيم بقوله: لا تصح الموالاة إلا بالمعاداة.. (٧)

ويفسر عند السلفيين بأنه: لا يجتمع نقيضان للمسلم في قلبه, فإما قلب مسلم كله ولاء لله ولدينه ولكتابه ولرسوله(ص)و لعباده المؤمنين, وإما قلب كافر كله ولاء للشيطان والكفرة والمشركين والمنافقين والطواغيت..(٨)

والولاء والبراء موجود عند الشيعة أيضاً لكنه محصور في حدود أهل البيت, و يوجب التبري من خصومهم ومعاداتهم, وهو ما خلق الموقف المعادي من الصحابة الذين لم يقروا بإمامة أهل البيت, وقفوا بجانب الخلفاء ..

إلا أن هذا المعتقد لا يشكل أزمة بالنسبة لمصر ولا يتصادم مع هويتها المنسجمة مع أهل البيت المحبة لهم..

والأزمة تكمن في المعتقد السلفي الوافد على مصر عند تيارات الحركة الأخرى ,والذي يقودها إلى التصادم مع الهوية ورفض الوسطية, فإما أن يكون مع حزب الله , أو يكون مع حزب الشيطان..

وهى المفاصلة التي حددها سيد قطب من قبل بقوله: أن البشرية تنقسم إلى حزبين اثنين, حزب الله وحزب الشيطان, وإلى رايتين اثنين , راية الحق وراية الباطل.. وهما صفان متميزان لا يختلطان ولا يتميعان..(٩)

وتبقى الأزمة قائمة في تحديد معنى الكفر ومعنى الشرك ..

ومن المقصود بالكفار والمشركين, والمعتقد السلفي يحكم بالشرك والخروج من الملة على المتوسلين والمستغيثين بالأولياء والصالحين, مما يعني تكفير أغلبية الشعب المصري الذي يمارس هذه العادات ويتمسك بها..؟

وهل يمكن لمن يحكم على الشعب بالكفر أن يمثله..؟

وجملة من المقصود بالولاء والبراء بعد أن دخلت الحركة معترك السياسة..؟

ودخل أعضاؤها مجلس الشعب وهو هيئة تشريعية طاغوتيه حسب المعتقد السلفي..؟

وعقيدة الولاء والبراء التي تتبناها الحركة لابد وأن تصطدم بهذه الهيئة..

ولابد وأن تصطدم بالهوية الوطنية..

لأن الوطن في منظور الحركة هو أمر ثانوي..

وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد المعتقد..

وهو ما يوجب على هذه التيارات أن تحدد هل المعتقد مقدم على الوطن, أم الوطن مقدم على المعتقد..؟

هوامش

(١) أصدر فقهاء السعودية العديد من الفتاوى التي تدعو للجهاد ضد النظام السوري..

(٢) انظر لنا كتاب السلفيون ومصر..

(٣)تأمل قيام أحد العناصر السلفية بالآذان في مجلس الشعب أثناء انعقاد الجلسة. وتمسك العناصر السلفية من أعضاء المجلس بالهيئة الخليجية في لباسهم, وقيام السلفيين بمظاهرة ضد شيخ الأزهر والمفتي, وإثارة مسألة التحاء رجال الشرطة والجيش, والقيام بحرق الأضرحة,وقيام عناصر الجهاد بمظاهرة من أجل الإفراج عن عمر هبد الرحمن, ورفع صوره في ميدان التحرير وظهور تجمعات سلفية جهادية في سيناء تصادمت مع الأمن والأهالي..

(٤) انظر تشريح الفكر السلفي المتطرف..

(٥) انظر حقيقة الولاء والبراء في عقيدة أهل السنة والجماعة لسيد عبد الغني ط بيروت , والكتاب من تقدم فقهاء الوهابية بالسعودية..

(٦) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ج١١٨/٢٨ ط بيروت

(٧) انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي..

(٨) حقيقة الولاء والبراء..

(٩) انظر في ظلال القرآن ج٣٥١٥/٦ سورة المجادلة..

خاتمة

ولم نصل بعد إلي المحطة النهائية في مسيرة الحركة الإسلامية في مصر فنحن الذين توقفنا عند هذا الحد. لنطرح التساؤلات الآتية:

هل حسم الصراع بين الحركة والحكومة..؟

وهل انتقلت الحركة بالفعل من التصادم مع الجماهير إلى تبني قضايا أخرى ذات مضمون وأهمية..؟

وهل حسمت المسألة الإسلامية بالمتغيرات الجديدة التي طرأت على الواقع المصري بعد الثورة..؟

لقد أصبح الإخوان القوة الضاربة في الساحة وفي عالم السياسة وعادت الكرة إلى ملعبهم من جديد..

والتيار السلفي أصبح من القوى السياسية المنازعة لهم..

والجماعة الإسلامية والجهاد قررا المشاركة في العمل السياسي..

أما باقي تيارات الحركة فترصد ما يجري من بعيد دون أن تفكر في المشاركة..

والسؤال الذي يفرض نفسه هو : إلى متى سوف يستمر هذا الوضع..؟

وهل يعود الحال لينقلب مرة أخرى على الحركة..؟

سؤال يصعب الإجابة عنه في المرحلة الراهنة على الأقل..

ملاحق الكتاب

- وثائق
- صور

الرجل الذي يتبعه نصف مليون(*)

روز اليوسف العدد ٠٠٩
٢١ ٥٤٩١ سبتمبر سنة

إركب أي سيارة أجرة، وقل للسائق »الإخوان المسلمين يا أسطي« ولا تزد..
لن يلتفت إليك السائق ليسألك ماذا تقصد بالإخوان المسلمين، ولا أين تقع هذه الدار التي يطلق عليها هذا الإسم، بل سيقودك إلي هناك دون سؤال بعد أن يرحب بك بابتسامة لم تتعود أن تراها علي وجوه سائقي سيارات الأجرة وقد يرفض أن يتناول منك أجرًا، ولا شك أنه سيحملك سلامة ـ قبل أن تغادره ـ إلي فضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين.
وستمر في طريقك داخل الدار بمخازن الذخيرة التي يملكها الإخوان المسلمون. وذخيرة الإخوان هي الشباب. شباب إمتلأت بهم حجرات الدار علي سعتها. تري علي وجوههم نور التقوي والإيمان، وفي عيونهم حماسة الجهاد، وبين شفاههم إبتسامة تدعو إلي المحبة والإخاء، وفي يد كل منهم مسبحة إنحني عليها بروحه يذكر اسم الله.
وهم مع كل ذلك شبان »مودرن« لا تحس فيهم الجمود الذي إمتاز به رجال الدين وأتباعهم ولا نسمع في أحاديثهم التعاويذ الجوفاء التي إعتدنا أن نسخر منها بل أنهم واقعيون يحدثونك حديث الحياة لا حديث الموت، قلوبهم في السماء ولكن أقدامهم في الأرض يمشون بها بين مرافقها ويناقشون مشاكلها ويحسون بأفراحها وأحزانها وقد تسمع منهم من »ينكت« ومن يحدثك في الإقتصاد والقانون والهندسة والطب.
إنهم ذخيرة. وستنطلق عند الإشارة الأولي فإحذروا!!
ويستقبلك الأستاذ حسن البنا بإبتسامة واسعة وآية من آيات القرآن الكريم يعقبها بيتان من الشعر يختمهما بضحكة كلها بشر وحياة!!
والرجل ليس فيه شيء غير عادي، ولو قابلته في الطريق لما إسترعي نظرك اللهم إلا بضآلة جسمه ولحيته السوداء التي لا تتلاءم كثيرًا مع زيه الأفرنجي وطربوشه الأحمر الغامق.
ولن تملك نفسك عن التساؤل كيف إستطاع الرجل أن يجمع حوله كل هؤلاء الإخوان؟ وكيف إستطاع أن ينظم كل هذا التنظيم بحيث إذا عطس فضيلته في القاهرة، صاح رئيس شعبة الإخوان في أسوان »يرحمكم الله!!؟«.

(*)نقلاً عن مجلة عطارد، العدد الأول، يناير ١٩٥٣، وهي من إصدارات جماعة الإخوان المسلمين، وهو العدد الوحيد حيث لم تستمر بعد ذلك.

ولكنك لا تلبث قليلاً حتي تقتنع بأن قوة الرجل في حديثه وفي أسلوبه الهادئ الرزين وفي تسلسل أفكاره التي يعبر عنها تسلسلاً منطقيًا.
وربما كان أغرب ما في حديثه أنه يحس بما يقوم في نفسك من إعتراضات فيجيبك عنها ويفندها لك قبل أن يترك لك الفرصة لتصدمه بها.
وهو لبق، يستطيع أن يحلل شخصيتك ويدرس نفسيتك من النظرة الأولي، وربما أحس إني دخلت إليه وتحت لساني مائة تهمة أستطيع أن أوجهها إليه، فكان من لباقته أن عرض عليّ قبل أن أغادره تقريرًا عن الحسابات المالية لجمعيته، وفي هذا التقرير تقرأ عجبًا.
فهذا »أخ« أراد أن يساهم في شراء دار الإخوان ولم يكن يملك مالاً فباع أرضه وخصص ثمن أربعمائة متر منها للجمعية وصورة العقد والتخصيص منشور بالزنكغراف ضمن التقرير.
وهذه زوجة لم تجد لديها ما تقدمه فوهبت قرطها الذهبي وكان حليتها الوحيدة للإخوان. وصورة القرط منشورة أيضًا ضمن التقرير.
وهذا رجل من مسلمي بومباي في الهند تبرع بفتح إكتتاب بين أبناء بلدته للمساهمة في بناء الدار. وهذا زوج اختلف مع زوجته فهو يريد أن يتبرع للجمعية بجنيه واحد وهي تريده أن يتبرع بثلاثة جنيهات، وجاءا ليحتكما إلي الأستاذ حسن البنا فحكم بينهما بأن يتبرها بجنيهين إثنين حسمًا للنزاع.
وهذا رجل آخر من العراق يرسل تبرعه عن طريق سعادة عبد الرحمن عزام بك. وآخر يتعهد بكل ماله لتغطية كل ما تحتاجه الجماعة من مال.. و.. و..
وبين أسماء المتبرعين أعضاء في مجلس النواب وشخصيات كبيرة وشباب لامع لم أكن أحسب أنهم يدخلون ضمن النصف مليون الذي يؤمن بالأستاذ حسن البنا.
نصف مليون وأكثر إنتظموا في أكثر من ألف وخمسمائة شعبة إنبثت في كل قرية وكل »كفر« وبينهما مائتان وخمسون شعبة في القاهرة وحدها، وهناك شعب في جميع البلاد العربية، وكانت هناك شعب في باريس ولندن وجنيف قبل قيام الحرب.

رسالتان من فضيلة المرشد العام
الأولى إلي غبطة البطريرك
حضرة صاحب الغبطة الأنبا يوساب بطريرك الأقباط الأرثوذكس

تحية مباركة طيبة وبعد،

فأكتب إلي غبطتكم وأنا معتكف لمرض ألم بي، إذ هالتني ما يكتب وما يقال اليوم حول وحدة عنصري الأمة المصرية. تلك الوحدة التي فرضتها الأديان السماوية وقدستها العاطفة الوطنية وخلدتها المصلحة القومية ولن تستطيع أن تمتد إليها يد أو لسان. وكما يا صاحب الغبطة أن الإسلام فرض علي المؤمنين به أن يؤمنوا بكل نبي سبق وبكل كتاب نزل وبكل شريعة مضت معلنًا أن بعضها يكمل بعضًا. وأنها جميعًا دين الله وشرعته. وإن من واجب المؤمنين أن يتوحدوا عليها وألا يتفرقوا فيها (شرع لكم من الدين ما وصي به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسي وعيسي أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) كما أنه دعي المسلمين وحثهم أن يبروا مواطنيهم وأن يقسطوا إليهم وأن يكون شعار العامل بين الجميع التعاون والإحسان »لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم أن الله يحب المقسطين«.

علي أن النبي (ص) قد أختص قبط مصر بوصيته الطيبة حين قال: »فاستوصوا بقبطها خيرًا فإن لكم بهم رحمًا« وأشار القرآن في صراحة إلي عاطفة المودة المتبادلة بين أهل الدينين في قوله: »ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا.. إنا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون«.

وما جاء الإنجليل إلا لتقرير روح المحبة والسلام والتعاطف بين الناس، حتي أنه ليدعوهم إلي أن يحبوا أعداءهم، ويباركوا لاعنيهم، ويصلوا من أجل الذين يبغضونهم وبذلك وحدة تكون علي الأرض المسرة وفي الناس السلام.

هذه الحقائق نؤمن بها، ونعمل علي أساسها، ويدعوا الإخوان المسلمون إليها، وقد بعث مكتب الإرشاد العام إلي شعبه، خلال هذا الأسبوع بنشرة يذكر فيها الواجب المقدس الذي حتم علي كل مسلم أن يعمل ما يدفعه العمل علي تدعيم هذه الوحدة القومية وتوثيق هذه الرابطة الوطنية.

وأني لشديد الأسف لوقوع مثل هذه الحوادث التي لا يمكن مطلقًا أن تقع من الإخوان المسلمين، أو من أي مسلم أو مسيحي متدين عاقل، غيور علي دينه ووطنه وقومه والتي هي ولا شك من تدبير ذوي الأغراض السيئة، الذين يحاولون أن يصطادوا في الماء العكر وأن يسيئوا إلي قضية الوطن في هذه الساعات الحرجة، والظروف الدقيقة من تاريخه.

ومن حسن الحظ أنهم لا يوفقون إلي شيء ــ ولن يوفقوا بإذن الله ــ ولم يعد الأمر هذه الحوادث الصبيانية التافهة التي نأسف لها جميعًا والتي أرجو أن نعمل جميعًا متعاونين علي عدم تكارها، صيانة لهذه الوحدة الخالدة بين عنصري الأمة وبهذا التعاون المشترك يرد كيد الكائدين، وتعلموا كلمة الوطنيين العاملين المخلصين، وفق الله الجميع لخير ما يحب ويرضي، وهو نعم المولي ونعم النصير.

وتفضلوا با صاحب الغبطة بتقبل تحياتي وإحترامي

المخلص

حسن البنا

المرشد العام للإخوان المسلمين

الرسالة الثانية إلى المنياوي باشا

حضرة صاحب السعادة الدكتور إبراهيم فهمي المنياوي باشا

وكيل المجلس الملي

تحية طيبة مباركة (وبعد)

فقد قرأت بأهرام الأمس ـ وأنا بالمستشفي ـ بيانكم القيم وندائكم الحكيم الذي تهيبون فيه بأبناء الأمة أن يعملوا جاهدين علي صيانة وحدتهم الخالدة وأني لأضم صوتي إلي صوتكم في هذا المقصد الكريم راجيًا أن يقدر أبناء أمتنا العزيزة ما يحيط بها من ظروف دقيقة، في هذه الساعة الحرجة من تاريخها وأن يحاولوا بكل جهودهم دون وقوع أمثال هذه الحوادث الصبيانية التي لا يقرها دين ولا تتفق مع مصلحة أحد والتي أؤكد لسعادتكم شدة أسفي لوقوعها وإعتقادي أنها ليست إلا من تدبير المغرضين الذين يحيكون المكائد لهذا البلد في الظلام، يريدون أن يصطادوا في الماء العكر.

وأنتهز هذه الفرصة فأعتب علي سعادتكم ـ والعتب محمود عواقبه ـ في قولكم »وأنهم مهما إشتدت عليهم وطأة المظالم والإضطهادات فلن يقبلوا أن يحميهم أو أن يرفع الغبن عنهم إلا ملك مصر ودستور مصر وحكومة مصر« فإني لا أظن أحدًا من المصريين يدور بخلده أن يكون مواطنه موضع ظلم أو إضطهاد، ولن يكون هؤلاء المواطنون الفضلاء إلا موقع تكريم وإعتزاز بر وإحسان، وأعود فأشكر لسعادتكم ما ختمتم به نداءكم المخلص من قولكم: »بأنه يجب علي المصريين أن يفهموا أن السيادة الأجنبية أو التحكم الدولي عرض سيزول، أما الشيء الذي سيبقي، فهو أن أبناء مصر علي إختلاف عقائدهم مسيحيون ويجاهدون دائمًا جنبًا إلي جنب، ثم يرقدون في النهاية جنبًا إلي جنب في التربة المصرية«.

سائلاً الله تبارك وتعالي أن يوفق الجميع لخير هذا الوطن العزيز.

ولسعادتكم تحياتي وإحترامي...

القاهرة (مستشفي الروضة)

١٧ جمادي الأول ١٣٦٦

٩ أبريل ١٩٤٧

المخلص

حسن البنا

المرشد العام للإخوان المسلمين

جريدة الإخوان المسلمون ـ العدد ٢٨٨ ـ السنة الأولي ـ الخميس ١٨ جمادي أول ١٣٦٦هـ ـ ١٠ أبريل سنة ١٩٤٧م.

بيان الإخوان المسلمين في حريق القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

روعت البلاد لما حدث بالقاهرة أول أمس من أعمال الفوضي والعنف والعبث بالممتلكات وإحراقها..

والإخوان المسلمون يستنكرون هذه الأساليب التي لا يمكن أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف الوطن. بل هي علي التحقيق ضارة بقضيته. وتفتح بابًا خطيرًا من أبواب الفتنة يصيب كثيرًا من الأبرياء. وكان الأجدر بمرتكبي هذه الحوادث أن يلجو باب الجهاد والصادق الذي ولته الأمة ورأت أنه السبيل الوحيد لإكراه الإنجليز علي مغادرة البلاد..

ويخطئ من يتصور إن إحراق حانة أو تدمير ملهي فيه قضاء علي أسباب الشر والرذيلة مادامت القوانين القائمة يتيح قيامها وينظمه. وقد حدث من قبل مثل هذا الإعتداء فلم تفد الأمة منه شيئًا. وأعلن الإخوان أنهم لا يؤمنون بهذا الأسلوب. وحذروا رجالهم أن يكون لأحدهم به صلة.

وطريق الإخوان المسلمين هو الجهاد بالوسائل المشروعة لتعبير هذه القوانين. وهم لو يدخروا وسعًا منذ قامت دعوتهم في توجيه المسئولين هذه الوجهة الصالحة. وقد أعلن ذلك في خطاب لي بالإسكندرية منذ أسابيع..

ويخطئ من يظن أن محاربة الإنجليز إقتصاديًا تكون عن طريق تدمير المتاجر والمؤسسات إنما طريق ذلك المقاطعة وحدها. وتنظيمها داخليًا. والعمل علي منع الإستيراد من الأسواق الإنجليزية ــ ومما يساعد علي القضاء علي الفتنة أن تنفذ الحكومة ما وعدت به من مواجهة الموقف تجاه الإنجليز بما يقتضيه من إصرار وتصميم.

والله يتولانا جميعًا بالرعاية والهداية والتوفيق..

والله أكبر ولله الحمد

حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

٢٥/ ١/ ٧٢

بيانات المنشقين عن الإخوان في الخمسينيات

شهادة الشيخ الغزالي

رأيت جمعًا عفيرًا من شباب الإخوان المسلمين ينظرون إلي (مرشدهم) نظرة يجب أن تدرس وأن تحذر.. قال أحدهم في اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية: إن المرشد لا يخطئ وكان بهذه القولة العجيبة يريد أن يخذلني، وأنا أعارض المرشد في بعض تصرفه، وقد خذلت فعلاً.

إن أول ما نشب الخلاف بيننا وبين المرشد العام كان علي أسلوب الحكم في مصر. هل تكفل الحريات العامة، ويصان الدستور القائم، وتنفذ البلاد من إستبداد فرد أو أفراد. أم تتجاهل هذا الموضوع كله، ونطوي حكم الإسلام فيه وتشتغل جماعة الإخوان بشئون أخري.

كان الرجل ــ المرشد ــ شديد الحرص علي مرضاة المستبدين قليل الإكتراث بحقوق الأفراد والطوائف وقد ألفت كتابي (الإسلام والإستبداد السياسي) إستنكارًا لهذه السياسة القاصرة ودفاعًا عن تعاليم الإسلام الصحيحة.. إنني أرجع بذهني إلي الأيام التي إستجاب فيها السيد حسن الهضيبي ليقود الإخوان المسلمين.. فأستشعر الحسرة لأن المنطق الوثني في تقدير الناس هو الذي هيمن علي الموقف كله والأجهزة السرية العاملة في الظلام هي التي سخرت تسخيرًا لإتمام المأساة.. لو كان المفروض أن يقود ــ الإخوان ــ أهل الجهاد والعلم والدراية والتوجيه لوجد من هؤلاء كثير في صفوف الإخوان.

إذن فليكن المرشد رجلاً غريبًا عن الجماعة.

وسقطت قيادة الإخوان في أيدي رجال يمنحهم أتباعهم شهادات المعرفة والفقه لأن الوثنية في تقويم الأشخاص هي التي سيطرت علي الموقف. لقد جاء الهضيبي وهو أحدث الناس عهدًا بدعوة الإخوان فأراد أن يكون أقدم الناس فيها.. بإخراج غيره.. وجاء قزمًا بين عمالقة فشاء أن يكون عملاقًا بين أقزام، وقد تولي أمانة الجماعة رجل ليست له الصلاحية النفسية أو الفكرية لأي مركز قيادي في دعوة مكافحة، وكان تأثير هذا الشخص غريبًا في تقريب الجماعة من القصر الملكي وإصطدامها بتيارات شعبية واسعة النفوذ.

لقد بدا الأقزام علي حقيقتهم بعد أن ولي الرجل ــ البنا ــ الذي طالما سد عجزهم.. وكان في الصفوف التالية من يصلحون بلا ريب لقيادة الجماعة اليتيمة.

ولكن المتحاقدين الضعاف من أعضاء مكتب الإرشاد حلوا الأزمة ــ أوحلت بأسمائهم الأزمة ــ بأن استقدمت الجماعة رجلاً غريبًا عنها ليتولي قيادتها.. وأكاد أوقن بأن من وراء هذا الاستقدام أصابع هيئات سرية عالمية أرادت تدويخ النشاط الإسلامي الوليد فتسللت من خلال الثغرات المفتوحة في كيان جماعة هذه حالها وصنعت ما صنعت.

ولقد سمعنا كلامًا كثيرًا عن إنتساب عدد من (الماسون) بينهم الأستاذ الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان. ولكني لا أعرف بالضبط كيف إستطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخلق جماعة كبيرة علي هذا النحو الذي فعلته.

وربما كان الهضيبي رجلاً ملكي النزعة والوجهة. فلما خان الملك فاروق الشعب المصري المكافح لإخراج الإنجليز، وأسقط الوزارة التي أعلنت عليهم الحرب وجاء يحافظ عفيفي باشا علي أنقاض الجهاد المطعون في ظهره. ذهب السيد الهضيبي إلي القصر الملكي مهنئًا. وصدرت الأوامر إلي الإخوان كلهم أن يلتزموا الهدوء.

لست أدري: أنسي الإخوان أو تناسوا مواقف هذا (الحسن) مع أركان الفساد القديم.. يوم لقحت الحرب بين الشعب المصري والقصر الملكي شاء المرشد (الموفق) أن يقول فاروق ملك كريم. وأن ينحاز بمن معه إليه علي ظن أن القصر أقوي جبهة. ويوم طارت شرارة الكفاح بين الإنجليز العسكريين علي ضفاف القناة وبين المجاهدين الناقمين علي بقائهم بين ظهرانينا. شاء المرشد الموفق أن يطفئ هذا الشرر وأن يكذبنا حين صحنا: إن دماء المحتلين مستباحة.

ويوم اشتاق هذا الشعب إلي إزالة الأحزاب الحاكمة وتطبيق دستور ٢٣٩١, شاء المرشد الموفق أن يدخل في معركة الدستور خصمًا للحرية وعونًا للباشوات المتآمرين مع القصر ومع أعداء البلاد.

وباسم السمع والطاعة أقتيد الأغرار إلي مصارعهم..

ألا ليتهم لم يصغوا إليه. ولم يخدعوا به..

وما تغني (ليت)..*

* أنظر كتاب معالم الحق، وأنظر أيضًا الإسلام والإستبداد السياسي للشيخ محمد الغزالي.

بيان ونذير

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام علي سيدنا ونبينا محمد رسوله ومصطفاه اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ونشرك ونترسل إليه ـ ونحمدك الحمد كله ونتوكل عليك ـ حمدًا ينم عما يجيش في صدورنا ـ وما يعتمل في قلوبنا.

وبعد فإن الأحداث تطورت داخل الإخوان ووصلت إلي درجة لم يعد يحتملها أي مخلص لدعوة الإسلام. وإننا إذ نحمد الله علي السراء والضراء لنثق ثقة تامة في عدالته. ونؤمن إيمانًا عميقًا في أنه ما من كرب إلا والله مفرجه وما من خطر يحيق بالجماعة إلا والله كاشفه وراده إلي نحور الذين عميت قلوبهم، فأخذوا يقررون مصيرهم المحتوم بأنفسهم، ولقد شاءت إرادة الله ولا راد لمشيئته أن يظهر نور الحق ويكشف عما يدور في جنح الظلام. مما يدبره حفنة من الخارجين علي الدعوة، الكافرين بمبادئها.

أيها الإخوان الأحرار..

وصل الأستاذ الهضيبي إلي منصب المرشد العام في ظروف ليست خافية علي أحد من الإخوان وبمساعدة خصوم الدعوة ليسير بالجماعة في طريق رسموه له، أبعد ما يكون من مبادئ الجماعة، وظل يتظاهر بالغيرة علي الدعوة، وبإيمانه المتزايد علي حقوق الإخوان، وبدي للإخوان الأحرار مقاصده الحقيقية، وخطته الملتوية التي أراد بها أن يغير من نظام الجماعة حتي يضمن الموقف في يده، ويظهر ذلك بجلاء في إجتماعات يعقدها مع الخوارج لغاية اليوم، ليحارب المؤمنين الثابتين علي ما عاهدوا الله عليه والإمام الشهيد.. إنه يريد إقصاء الأخ المؤمن الحاج صالح عشماوي لأنه كشف عن إنحرافه عن سبيل الرشاد، وأظهر إجتماعاته الخطيرة مع أعداء الله من الإنجليز التي حضرها وإشترك في تدبيرها الخوارج (منير الدله، صالح أبو رقيق) ولقد زاد الأمر خطورة لا يمكن التغاضي عنها، إذ إنجه الأستاذ الهضيبي إلي عقد إجتماعات سرية مع أعداء الله من الأمريكيين فعقد مع (مستر لنت في وجود الخوارج، محمود مخلوف مدير شركة الببسي كولا اليهودية) وخيل إليه أن نبأ هذه الإجتماعات لن يصل إلي الإخوان..

أيها الأخ المؤمن..

لم يبق إلا وقت قصير فهل صحوت من غفوتك وتداركت الفتنة؟ وهل حزمت أمرك وأعددت العدة لليوم الفصل؟ يجب عليك أن تعمل بكل ما أوتيت من قوة لمبايعة الأخ الصالح الحاج صال عشماوي مرشدًا عامًا.. إنك إن فعلت ذلك فقد أرضيت ربك وأرضيت روح الشهيد الإمام..

آن الوقت الذي لابد من نصرة الدعوة كما علمنا إياها فضيلة الإمام الشهيد وتثبيت مبادئها ونظمها، وتطهير الجماعة ممن كفر بها بعد أن ظل حينًا يتظاهر بالإيمان فحق عليه قول الله سبحانه: »إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم إزدادوا كفرًا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهمسبيلاً «.

أيها الأخ المسلم. يقول الله عز وجل **(ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولي فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. وإذ دعوا إلي الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين)**

صدق الله العظيم.

أيها الأخ..

هذا هو الأستاذ الهضيبي ومن حوله، وهذه هي طريقتهم ومدي إيمانهم بالدعوة الإسلامية، ونحن الإخوان الأحرار ندعوك إلي القيام بدورك وواجبك الذي لا شك إنك ستقوم به بإذن الله ومشيئته.

والله أكبر ولله الحمد

بيان الإخوان الأحرار

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله سبحانه وتعالي علي ما أولانا من نعمهفضلاً عميمًا،وخيرًاكثيرًا، وجنبنا تبارك وتعالي مواطن الزلل وهفوات اللسان، وزادنا إيمانًا فوق إيماننا، وقوي بالإسلام شوكتنا، وألف بالتقوي والصلاح بين قلوبنا، ووحد أهدافنا لخير الدعوة الإسلامية.

أما بعد، فيا أيها المؤمنون..

إن الأيام تمر بناسريعًا وعجلة الزمان تقف والخطر يحدق بنا إن لم نتداركه أصابنا في صميم دعوتنا التي كافحنا بدمائنا في سبيل نشر لوائها بين العالمين، ولقد كتب علينا أن نكافح من جديد ضد عدو من بيننا لبس مسوح الرهبان وكشفت الأيام عن حقيقته فإذا به مخادع منافق يستغل دعوتنا الإسلامية، وأباح لنفسه ما حرمه علي نفسه فضيلة الإمام الشهيد، ألا وهو الأستاذ الهضيبي، الذي شرع في بث روح الفرقة بين صفوفنا، وأرادهانارًا تأخذ اليابس والأخضر وأرادها فتنة تفرق صفوف الإخوان الذين ظلوا كالطود الشامخ، تآلبت عليهم جميع القوي لتفت في عضدهم فلم تستطع، حاربهم المستعمر وحالفه الملك المخلوع والأحزاب المنحلة مجتمعة فلم تصل إلي بغيتها، وأراد الله للإخوان لمتحانًا رهيبًا اجتازوه بقوة إيمانهم وتمسكهم بالدعوة التي بناها فضيلة المرشد الشهيد حسن البنا وظل يكافح في سبيلها حتي سالت دماؤه ذكية (**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون**)

أيها الإخوان.. سلك الأستاذ الهضيبي بالإخوانطريقًا أراده لنفسه واستغله لشخصه ومن حوله، وأباح مال الدعوة لغير غرضه، ولنزوات دنيوية ومصالح ذاتية، واستنعملاً ظنه يوصله إلي ما يريد، فأبعد المخلصين عن مكانهم في الدعوة، وحشر المنافقين الوصوليين، وغرته الحياة الدنيا وزينتها، فنسي جلال الدعوة وهيبة المنصب الذي وصل إليه، وانحرف عن الطريق السوي وأخذ يدعي علي الشيخ الجليل عبد الرحمن البنا الكذب والبهتان ويرميه بقاسي القول في جلساته الخاصة. وهمس بين أصفيائه مقولاً علي المرشد الشهيد، وأصبحت الجماعة من تدبيراته مهددة بالفتنة والفرقة وهو ما لم تقدر عليه جميع القوي فيما مضي.. ولم يكتف بذلك بل أخذ يعقد الندوات مع أعداء الله من المستعمرين ويحرر معهم معاهدات واتفاقات ومازال يقابل الإنجليز، وكفر بنعمة الله وبدعوة الجماعة (**مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا علي شيء ذلك هو الضلال البعيد**) من أجل ذلك كله أقسمنا بالله وبالروحانية التي تنبعث من الدعوة علي ألا يهدأ لنا بال حتي تنقشع الغمة وتزول المحنة التي أحاطت بالإخوان علي يد الأستاذ الهضيبي وأعوانه وصممنا علي أن نعمل جاهدين لعزل ومبايعة الشيخ الجليل عبد الرحمن البنا ونحن نعد العدة ولن يقف في سبيلنا شيء ما دمنا مؤمنين وسنبذل الدماء في سبيل الحق (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**).

شباب حسن البنا

الله أكبر ولله الحمد

بيان للمسلمين

صادر عن جماعة كبار العلماء بالأزهر

لتبصير الناس بالجرائم التي ترتكب باسم الإسلام من أجل غايات وفظائع بعيدة عن الإسلام..
صدر عام ١٩٥٤
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيدنا محمد الذي بعثه الله رحمة للعالمين.
أما بعد:
فهذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف، نتجه به إلي الشعب المصري الكريم وإلي سائر المسلمين...
أيها المسلمون.. إن الدين الإسلامي دين توحيد ووحدة وسلام وأمان، وهو لذلك رباط وثيق بين الناس وربهم وبين المسلمين بعضهم وبعض، وبينهم وبين مواطنيهم ومن والأهم من أهل الكتاب، فليس منه تغرير ولا تضليل وليس منه تفريق ولا إفساد ولا تآمر علي الشر ولا عدوان.
وقد قام الإسلام من أول أمره علي هذه المبادئ، فجمع بين عناصر متنافرة، وقرب بين طوائف متباعدة، وأقام حياة المجتمع الإسلامي علي أسس قوية كريمة، وقد رسم القرآن الكريم منهاج الدعوة إلي هذه المبادئ السامية، فقال: »أدع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن« وحذر من التنازع والتدابر والتعاون علي الإثم والعدوان، فقال: »ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا أن الله مع الصابرين، وقال: »وتعاونوا علي البر والتقوي، ولا تعاونوا علي الإثم والعدوان«.
وقد نهج الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه والراشدون من سلف المسلمين هذا المنهج القويم في أقوالهم وأعمالهم وما أثر عن سيرهم واستقام للمسلمين الأمر، واستقاموا علي هذه المبادئ، وقر في نفوس المسلمين جميعًا أن هذه المبادئ هي أساس النجاح ومصدر الخير وعزة الدين والدنيا.
وقد ابتلي المسلمون في عصورهم المختلفة بمن أخذوا تلك المبادئ علي غير وجهها الصحيح، أو لعبت بقلوبهم الأهواء، فجعلوا منها باسم الدين وسائل يجذبون بها ثقة الناس فيهم، ويتسترون بها للوصول إلي غايتهم ومطامعهم.
والتاريخ الإسلامي حافل بأنباء تلك الطوائف التي شبت في ظلاله، وزعمت أنها جنود له، ثم كانت حربًا عليه أشد من خصومه وأعدائه.
وقد كان في ظهور طائفة الإخوان المسلمين، أول الأمر، ما صرف الناس عن التشكك فيهم والحذر منهم، بل كانت موضع ارتياح فيما اتخذت من أساليب الدعوة واجتذاب جمهرة من الناس إلي ناحية الدين ولكنه ــ والأسف يملأ نفس كل عارف بدينه، ومخلص لوطنه وأمته ــ قد شذ عن هذه الجماعة نفر تحولوا عن الجماعة وسلكوا غير ما رسم القرآن فكان منهم تآمر علي قتل الأبرياء، وترويع للآمنين، وترصد لاغتيال المجاهدين المخلصين، وإعداد العدة لفتنة طائشة لا يعلم مداها في الأمة إلا الله.
وجماعة كبار العلماء ــ في الوقت الذي تستنكر فيه هذا الإنحراف عن منهج القرآن في الدعوة ــ تشكر الله العلي القدير أن مكن لأولي الأمر في هذه الأمة أم وضعوا أيديهم علي بذور الفتنة ووسائلها قبل أن يشتد أمرها ويستفحل شرها، وتعلن أن الخروج عن منهج الدعوة الذي رسمه القرآن وسلوك سبيل العنف والإرهاب والعدوان والتضليل والخداع مشاقة لله ورسوله، وافتئات علي الإسلام بما ينكره الإسلام ويأباه ويعتبر صاحبه في صفوف المتعدين حدود الله: »ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه« »ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون«.
وجماعة كبار العلماء تنصح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يتجهوا إلي الدين فيتفهموا مبادئه وإرشاداته علي وجهها الصحيح، فتسلم الأمة وأن يكونوا يدا واحدة في حفظ كيان المجتمع والذود عن كرامته والاعتصام بحبل الله..
(ومن يعتصم بالله فقد هدي إلي صراط مستقيم)

بيان شيخ الأزهر في الإخوان المسلمين عام ٥٦
رأي الإسلام في مؤامرات الإجرام

أيها المسلمون:
إن الأزهر الذي عاش عمره الطويل لفقه الإسلام والتعريف به ومدارسة القرآن. والإستعداد منه، وورود الحديث الشريف والصدور عنه قد شرفه الله بثقة المسلمين جميعًا فيه، فإئتمنوه علي عقائدهم وحكموه في كل ما يعن لهم من أقضية الحياة، ومحدثات العصور، ولقد كرم المسلمون شرف مهمته وإخلاص نيته فضموه إلي مقدسات الإسلام.
ولم يبلغ الأزهر هذه المنزلة من التاريخ ومن الناس إلا لأنه تمشي مع طبيعة الإسلام حقًا لا إكراه عليه، ووضوحًا لاخفاء فيه، وصراحة لا تبيت لهاوتخطيطًا لا إئتمار عليه، يجادل بالحسني، ويدعو إلي الله علي بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وبهذا المنهج القويم، عاش الأزهر كما عاش الإسلام في مناعة من صنع الله يهزأن بالأحداث ويسخران من المكايد، يضعف المسلمون ولا يضعفان، وتنكب دولهم ولا يغلبان، ولكن أعداء الإسلام حين عز عليهم الوقوف أمامه حاولوا حرب الإسلام بإسم الإسلام فإصطنعوا الأغرار من دهماء المسلمين ونفخوا في صغار الأحلام بغرور القول ومعسول الأمل، وألفوا لهم مسرحيات يخرجها الكفر لتمثيل الإيمان، وأمدوهم بإمكانيات اللفتك وأدوات التدمير، ولكن الله قد لطف بمصر وغار علي الإسلام أن يرتكب الإجرام بإسمه فأمكن منهم وهتك سترهم، وكشف سرهم ليظل الإسلام أكرم من أن يتجر به وأشف من أن يستتر فيه، وأكمل من أن يشوه بخسة غيلة، ولؤم تبيت، ووحشية تربص، ودناءة إئتمار.
وإن الله الذي يعلم ما تضطلع به مصر من مسئوليات، وما يتحمله قادتها من تبعات، قد شاء أن يدلها علي أوكار الخيانة وكهوف الغدر، ومنظمات الدمار حتي تواجه مرحلة إنطلاقها بعروبة موحدة الهدف، وإسلامية شريفة السلوك، وإنسانية نبيلة المثل.
وإذا كان القائمون علي أمر هذه المنظمات قد إستطاعوا أن يشوهوا تعاليم الإسلام في أفهام الناشئة وإستطاعوا أن يحملوهم بالمغريات علي تغيير حقائق الإسلام تغييرًا ينقلها إلي الضد منه، وإلي النقيض من تعاليمه، فإن الأزهر لا يسعه إلا أن يصوب ضلالهم، ويردهم إلي الحق من مبادئ القرآن الكريم والسنة المشرفة فالإسلام كما قال عنه الرسول (ص) حين سأله جبريل ــ عليه السلام ــ فقال يا محمد »أخبرني عن الإسلام قال الرسول ــ صلي الله عليه وسلم ــ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن إستطعت إليه سبيلاً، قال جبريل صدقت.. ثم قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.. قال جبريل: صدقت. ثم قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك«.
هذا هو الإسلام كما بينه رسول الله، فحين يشترط المتآمرون علي الإسلام، أن يكون المسلم منضمًا لجماعة خاصة تستهدف البغي وتدعو إلي التمرد فإنهم بذلك يدخلون علي الإسلام ما ليس منه ويحاولون أن يجعلوا لمنظماتهم قداسة، حتي يستولوا علي صغار العقول وهواة التحكم والسلطة.
وإن الإسلام الذي يتجرون بإسمه يصون حرمة المسلم في دمه وماله وعرضه، فقد قال الرسول (ص) :لا يحل دم مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدي ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة.
وصح عنه أيضًا أنه قال في حجة الوداع :أي يوم هذا قلنا: الله ورسوله أعلم, فسكت ثم قال: أليس يوم النحر قلنا بلي يا رسول الله.. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا, وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم, فلا ترجعن بعدي كفارًا أو ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض, ألا فليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه يكون أوعي له من بعض من يسمعه، ثم قال: ألا هل بلغت..
وصح عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا، وإذا ثبت هذا في إغتيال النفس الواحدة فما بالك بإغتيال الجماعات البريئة.. وترويع الآمنين الوادعين.. وإذا كان مال المسلم علي المسلم حرامًا فما بالك بالإعتداء علي المال العام، والمصالح المشتركة والمرافق الحيوية التي يحيا بها الوطن وتعيش عليها الأمة.
وإني لأعجب أشد العجب ممن يدعي الإسلام والغيرة عليه، كيف يسوغ له أن يوالي أعداء الإسلام وأن يأخذ منهم مقومات الفتك بالمسلمين، ويستعين بمالهم علي إخوة له في الدين والوطن والإنسانية، ألا ساء ما يدعون وبئس ما يفترون ألم يقرأوا قول الله تعالي **(ومن يتولهم منكم فإنه منهم)** ألم يقرع سمعهم قول الله:**(لا تجدقومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخواتهم أو عشيرتهم)..**
وإن عجبي ليشتد أيضًا حين يحاول أدعياء الإسلام أن يحملوا عليه بالإرهاب والتفزيع.. والإسلام كما أراده الله وكما طبقه رسول الله دين الفطرة السليمة التي تبين الرشد من ألغي، فليس له حاجة إلي إكراه أو إرهاب، وقد صدق الله حيث يقول:
(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من ألغي)
أيها المسلمون:
إن الإستعمار قد يئس أن يعيش في سبيل نهضتكم فتنبهوا جيدًا إلي كيد هؤلاء، وتآمر هؤلاء، حتي لا تنتكس ثورتكم

وتعودوا إلي عهود التبعية والإقطاع والرأسمالية.
ولا يسعنا جميعًا إلا أن نشكر الله علي نجاة مصر من هول ما دبر لها وترويع ما أريد بها وليكن شكرنا لله حزمًا نعين به الحاكمين علي كل خوان أثيم.
وإياكم أيها المسلمون أن تخدعوا بكلمة حق يراد بها باطل، فدينكم واضح لا ألغاز فيه ـ شريف لا همس به، فمن أسر به إليكم فقد خدعكم ومن تخفي في إعلامكم به فقد إستحمقكم.
وإن الأزهر الشريف ـ كلياته ومعاهده، ووسائل إعلامه ـ يلقنكم عقائد الدين كما أرادها الله صافية من تعكير الضالين، مستقيمة عن إلتواء المبطلين، تأخذ بيدكم إلي خير مجمع عليه، وتنجيكم من شر غير مختلف فيه.
فسيروا علي بركة الله راشدين مهديين وما توفيقنا إلا بالله وهو يتولي الصالحين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
حسن المأمون
شيخ الأزهر